



University of Cambridge
Library



0106355

الخوارج في المغرب الاسلامي

الدكتور محمود اسماعيل

الخوارج في المغرب الإسلامي

ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا

دار العودة - بيروت

مكتبة مدبولي - القاهرة

حقوق الطبع محفوظة
١٩٧٦/٦/١

المقدمة

لعب الخوارج دورا بارزا في تاريخ بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، واثروا في احوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . كما كانت بلاد المغرب اكثر بقاع العالم الاسلامي تقبلا لعقائد الخوارج واكثرها حماسا لنصرتهم ، فباعتناق المغاربة مذهب الخوارج ، رفعوا علم الثورة على الامويين والعباسيين ، وانتهى بهم الامر الى اقامة امارتين مستقلتين هما اماراة بني مدرار وامارة بني رستم .

وبقيام هذه الامارات المستقلة شهدت بلاد المغرب عصرا من الاستقلال السياسي والازدهار الاقتصادي والثقافي كان لها عوضا عن فترة القلاقل والاضطرابات السياسية والازمات الاقتصادية التي صاحبت عصر الثورات .

ثم قامت الدولة الفاطمية وقضت على دول المغرب المستقلة ، فهسب الخوارج من جديد ضد الفاطميين وسياستهم الدينية القائمة على التعصب للمذهب الشيعي ، وهددوا بزوال النفوذ الفاطمي من بلاد المغرب . حقيقة لم يقدر لثوراتهم النجاح ، الا انها ارغمت الفاطميين على التحول من سياسة العنف والتعصب الى اللين والاعتدال .

تصاري القول ان تاريخ المغرب الاسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري تآثر بحركات الخوارج تآثرا كبيرا . وعلى الرغم من ذلك ، نفتقر الى

دراسة متكاملة عن الخوارج في المغرب واثريهم في تطوره السياسي ودورهم في تاريخه من بدء الثورة الى تحقيق الاستقلال ثم العودة الى الثورة مرة اخرى . لا ننكر انه قد ظهرت بعض الدراسات الخاصة بثورات الخوارج لكنها عولجت من خلال دراسة التاريخ العام للمغرب الاسلامي ، او في ثنايا الحديث عن سياسة عمال الخلافة في البلاد . كما ظهرت كتب تعرض لدول الخوارج في المغرب لكنها لم تتناول اكثر من ظروف قيامها فقط . هذا هو ما قرره ثقافة الدراسين امثال جوتييه (١) وفورنل (٢) وجوليان (٣) وبكيه (٤) وجورج مارسيه (٥) .

والواقع ان عديدا من المصاعب تعترض سبيل من يتصدى للتاريخ لهذا الموضوع ففي بعض الاحيان تندرد المادة التاريخية كما هو الحال بالنسبة لظهور الخوارج في المغرب وكذلك دولة بني مدرار بسجلماسة .

فعلى الرغم من كثرة ما دون عن تواريخ الخوارج لم يصل اليها منها الى القليل النادر (٦) .

وما وصلنا من معلومات كان اغلبها من مصادر معادية للخوارج دأب اصحابها على تشويه سيرهم والطعن في مبادئهم وافكارهم . وليس ادل على ذلك من افتعال الاحاديث النبوية واصطناعها لخدمة اغراضهم في تسييفه الخوارج وتحقير شأنهم (٧) .

ومن ناحية اخرى فان ما وصلنا من تواريخ الخوارج يقتصر فقط على الاباضية منهم دون الصفرية . وتنطوي على التعصب الشديد للمذهب الاباضي وأمنه ، وتتحامل على الفرق الاخرى من الخوارج ، ناهيك عن عدايتها المقيت للمذاهب والفرق الاسلامية من غير الخوارج . فضلا عن ذلك تمتسك بالاساطير التي لا تستقيم مع منطق التاريخ .

ولا مناص للباحث من دراسة مصادر هذا التاريخ وتقييمها والكشف عن ميولها واتجاهاتها تحاشيا للوقوع في مزالق الخطأ والتردي في مسالك التعصب .

ولما كان تاريخ الخوارج في المغرب قاسما مشتركا بين الخلافة السنية
والشيوعية ، فمن المفيد ان ندرس مصادر هذا التاريخ ونصنفها الى مصادر
سنية وشيعية وخارجية .

اولا : المصادر السنية :

المادة التاريخية المتعلقة بالخوارج في المصادر السنية متفرقة ومبعثرة
في الحوليات العامة او التواريخ الاقليمية . واقدم التصانيف في تاريخ المغرب
عشت بها يد الدهر ، فلم يصلنا منها سوى شذرات متفرقات نقلها المتأخرون .
ولعل من اهمها كتاب مسالك افريقية وممالكها والمؤلفات الخاصة بأخبار
بنهرت وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية ، تلك التي نسبت الى محمد بن
يوسف الوراق (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) «الحافظ لأخبار المغرب» كما ذكر ابن
حيان (٨) . والوراق مؤرخ اندلسي نشأ بالقيروان وتوفي بقرطبة (٩) .
وقد فقد تاريخه كله . وان وجدنا فقرات منه عند البكري .

وينسحب نفس الشيء علي ابن القطان (ت ٦٢٨ هـ) صاحب كتاب
نظم الجمان ، وان كان يروفسال قد عثر على جزء منه خاص بنهاية عصر
المرابطين واوليات سني الموحدين . وكذلك الحال بالنسبة لكتاب «العبر»
لابن ابي الفياض (ت ٤٥٩ هـ) (١٠) . والى عهد قريب كان تاريخ الرقيق
القيرواني « أوائل القرن الخامس الهجري » في حكم المفقود ، لكن لحسن الحظ
قدر لنا الوقوف على جزء منه عثر عليه الاستاذ محمد المنوني المكتاسي سنة
١٩٦٥م بالخزانة العامة بالرباط استفدنا منه أيما فائدة في دراسة ثورات
الخوارج في بلاد المغرب .

وهذا الجزء يقع في مائة وخمسين صحيفة وحققه الاستاذ المنجي الكعبي
التونسي ونشره سنة ١٩٦٨ م بعنوان تاريخ افريقية والمغرب . ومؤلفه هو
أبو اسحق عمر بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني . ولا نعلم كثيرا عن
نشأته ، اما نعرف انه تولى رئاسة ديوان الرسائل في البلاط الصنهاجي .
ومن ثم فقد اتيح له الاطلاع على الكثير من الوثائق والتواليف في تاريخ

المغرب قل ان توافرت لغيره . وبفضلها كتب تاريخه المشهور ابتداء بالفتح الاسلامي للمغرب حتى اوائل القرن الخامس في عدة مجلدات لا نعلم عنها شيئا قط .

ولا شك في ان الرقيق كان سني المذهب بدليل اشتغاله في بلاط بني زيري ، لكن اتجاهاته المذهبية - والحق يقال - لم تنعكس على كتاباته بشكل يسترعي النظر . وقد نقل عنه معظم من صنف بعده في تاريخ المغرب الاسلامي كابن عذارى والنويري وابن خلدون وغيرهم . وعلى الرغم من ذلك فقد حُسن الجزء الذي نشر بتفصيلات كثيرة لم توجد عند من نقلوا عنه ، كذلك التي تتعلق بمعركتي القرن والاصنام ، وثورة ابن عطف الاسدي على عبد الرحمن ابن حبيب ، وامامة الحارث وعبد الجبار الاباضيين ، وحصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٢ هـ وقد رنا اعتمادا على هذه المادة الجديدة ان نكون من اول من استفاد بها في التأريخ لثورات الخوارج ببلاد المغرب .

والراجع ان جزء آخر من تاريخ الرقيق وصل الينا عن طريق ابن حماد في كتابه المعروف بأخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، اذ ذكر فاندريهين (١١) الذي نشره - ان ابن حماد نقل النص برمته عن الرقيق . وجدير بالذكر ان هذا النص يتعلق بحركة ابي يزيد مغلد بن كيداد اساسا وليس تاريخا للخلافة الفاطمية في المغرب كما يوحي به العنوان . وعلى كل حال ، فلو صح قول فاندريهين نكون قد استفدنا من دراستنا للخوارج في المغرب بمعلومات مستفادة من تاريخ الرقيق لم تتوفر للدراسين من قبل .

وثمة مصدر سني آخر غاية في الاهمية ، وهو سيرة الائمة الرستميين لابن الصغير المالكي (١٢) . والواقع انه ليس لدينا ثمة ما يشير الى اصل ابن الصغير او نشأته ، وكل ما نعرفه انه اقام بتاهرت في العصر الرستمي الاخير ، كشيخ من شيوخ المالكية ، وكان له نشاط بارز في المساجلات والمجادلات التي شهدتها تاهرت . بين مشايخ الطوائف المذهبية المختلفة ، اذ يصور في تاريخه جدله في المسائل الفقهية والدينية مع رؤساء الاباضية والمعتزلة ، كما نعلم من تاريخه انه كان يعمل تاجرا ويملك «دكانا في الرهانة» (١٣).

على أن أهميته كمؤرخ دقيق نأبه امر لا يرقى اليه الشك . والراجع انه صنف توالييف اخرى لم تصل الينا ، فأملوبه ومنهجه كما يتضح في تاريخه للدولة الرستمية تم عن طول باع في ميدان التاريخ .

وعلى كل حال فقد وقف المستشرق Motylinski على كتابه عن سيرة الائمة الرستميين ونشره سنة ١٩٠٥م تحت عنوان :

Chronique d'Ibn Saghîr sur les Imam Rostimides de Tabert. (١٤)

ويخيل الينا ان تاريخ ابن الصغير يعد أهم مصادرنا عن دولة بني رستم ، فهو معاصر لاحداث العصر الرستمي الاخير وشاهد عيان لها ، كما استمد معلوماته عن بني رستم الاوائل من معاصريه من شيوخ الاباضية وغير الاباضية . ولكونه سنيا مالكيا فقد كشف لنا عن كثير من أسرار عصره ، مما تفاضى عنه مؤرخو الاباضية . كما قدم لنا وجهة النظر المقابلة لتلك التي تنعصب للامامة الرستمية . ومن الانصاف أن نذكر ان ابن الصغير كان موضوعيا في تاريخه ، اذ كثيرا ما ابدى اعجابه بسيرة الراشدين من الائمة الرستميين ، ولم يشنه خلفه المذهبي عن الاشادة بسياساتهم .

ولم يقدر لابن الصغير أن يشهد نهاية دولة بني رستم مما يرجع انه مات في التسعينات من القرن الثالث الهجري اذا يقف تاريخه عند امامة ابي حاتم يوسف بن محمد (ت ٢٩٤ هـ) .

اما ابن عذارى وتاريخه المعروف بالبيان المغرب ، فيجمع الدرايون (١٥) على اهميته كتاريخ عام للمغرب الاسلامي اقرب ما يكون الى التكامل ، على الرغم من تأخره النسبي ، فقد ألفه ابن عذارى سنة ٧١٢ هـ . وهو لذلك اكثر مراجع تاريخ المغرب الاسلامي تفصيلا ، وأثراها مادة . وذلك راجع بطبيعة الحال الى استفادته من تواريخ السابقين كالرقيق وابن عبد البر وابن القطان والوراق وغيرهم ممن اشار اليهم ابن عذارى فيما نقله عنهم . ونعتقد اننا في غنى عن التعريف بابن عذارى وتاريخه على وجه العموم ، فقد تناول ذلك كثير من الدارسين . انما نكتفي بتقييم ما اورده متعلقا بالخوارج في المغرب . فالملاحظ انه أفاض في حديثه عن ثورات الخوارج ؛ لكنه عرف عن التاريخ لدولهم في المغرب واكتفى بأشارات متناثرة عن أمرائهم وسني حكمهم . ومع ذلك ، فقد

اسدى خدمة طيبة باثباته للتواريخ في دقة تامة ، وذاك امر اغفلته تماما كل
تواريخ الخوارج تقريبا *

ومعلوماتنا المستقاة عن ابن عذارى بخصوص الخوارج والفاطميين لا
تختلف كثيرا عن نظائرها في سائر المصادر العامة التقليدية كابن الاثير وابن
خلدون والنويري اذ انها جميعا تنقل اساسا عن الرقيق فيما يرجع *

ولا مشاعة في ان جغرافيا مثل البكري (ت ٤٨٧ هـ) في كتابه المغرب ،
فضلا عن قيمته الكبرى في دراسة البلدان ومواقعها والمسالك اليها .. الخ
من المعلومات الجغرافية فقد زدنا بمادة تاريخية هامة ان لم تكن فريدة في
بعض الاحيان - عن خوارج المغرب وحسبنا ان كثيرا مما كتبه الوراق عن
سفرية سبجلماسة ما كان ليصل اليها لولا البكري * وتلك المعلومات - على
ندرتها - عظيمة القيمة بالنسبة للمؤلة بني مدرار ، فلولاها لظلت تلك الدولة
في طي الابهام * على انه يؤخذ على البكري افراطه في ذكر روايات ذات
طابع اسطوري ، بالاضافة الى عدم دقة معلوماته الخاصة بتاريخ الرستمييين *

ومن الاهمية بمكان ان نشير الى كتاب ابن عبد الحكم وفتوح مصر
ومغرب والاندلس * وعلى الرغم من انه مؤرخ مصري الف اساسا في المغازي
فان كتابه حافل بفيض من المعلومات الخاصة بخوارج المغرب * وابن عبد الحكم
المؤرخ في غنى عن التعريف فهو من خيرة مؤرخي الاسلام دقة وموضوعية ،
ومن انصحه اسلوبا ومنهجيا * وتبدو اهميته بالنسبة لموضوع البحث كمعاصر
للأحداث من ناحية (توفي سنة ٢٥٧ هـ) ، وكموثق يهتم باسناد رواياته الى
من سمع منهم او اخذ عنهم * ولا غرو فقد اتيج له الاتصال عن كتب بكثير
من مشاهير المغاربة الذين كانوا يفتدون الى مصر لدراسة مذهب مالك واستفاد
من معلوماتهم فيما يتعلق بأخبار بلاد المغرب * وحسبنا ما اوردته من معلومات
- فريدة - حول ثورات الاباضية ، فضلا عن تقديمه صورة واضحة لاحوال بلاد
المغرب قبيل ظهور دعوة الخوارج *

اما الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام لابن الخطيب الذي حققه
الدكتور احمد مختار العبادي ونشره بعنوان « تاريخ المغرب العربي في العصر

الوسيط، فيحوي معلومات عن ثورات الخوارج استمدها - فيما يرجح - من ابن عذارى ، كما أمدنا بمعلومات هامة - على ضآلتها - عن بني مدرار . وعلى الرغم من أخطائه الكثيرة في أسماء الاعلام والتواريخ ، وبرغم اسرافه في ذكر روايات اسطورية ، فقد زدنا بكثير من الاشارات عن بني مدرار لا نجد لها نظيرا عند البكري او من نقل عنه كابن خلدون والقلقشندي . مما يرجح اعتماد ابن الخطيب في هذا الصدد على كتابات محمد بن يوسف الوراق مباشرة وعدم نقله عن البكري كما فعل غيره من المؤرخين المتأخرين .

ويحوي ابن الاثير في تاريخه - الكامل - مادة طيبة مأخوذة عن الطبري فيما يتعلق بخوارج المشرق . اما ما يخص منها خوارج المغرب فهي منقولة - في تحقيق وتمحيض وتنسيق - عن تواليف المغاربة كالرقيق والوراق وغيرهما شأنه في ذلك شأن النويري في الجزاين الثاني والعشرين والسادس والعشرين من موسوعته المعروفة بنهاية الارب .

ولايفوتنا ان نعرض بايجاز لما ورد من اشارات الى خوارج المغرب عند البلاذري والمؤرخ الاندلسي المجهول صاحب كتاب «اخبار مجموعة في فتح الاندلس» وكذلك عند ابن حيان وابن سعيد وابن بطوطة . فالبلاذري في أسباب الاشراف يفيض بمادة وفيرة ويقدم وجهة نظر مغايرة لرواية ابي مخنف المتحيزة . التي نقل عنها الطبري وغيره فيما يتعلق بالخوارج في المشرق . اما كتابه فتوح البلدان فلا يخلو من اشارات عابرة عن بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج فضلا عن ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

اما صاحب الاخبار المجموعة ، فهو متشيع لبني امية ومتعصب ضد الخوارج ، لكنه اورد تفصيلات فريدة بخصوص ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب .

وفي النصوص التي وصلتنا عن ابن حيان - شيخ مؤرخي الاندلس - سواء تلك التي نشرها ملشور انطونية او نشرها الحجبي ببירות سنة ١٩٦٥ ، نجد اشارات عابرة لكنها مفيدة في - توضيح علاقات بني مدرار وبني رستم

بأموي الاندلس • ونفس الشيء يقال عن كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد •

أما رحلة ابن بطوطة ، فتحفل بمعلومات وفيرة عن علاقات دول الخوارج ببلاد السودان •

ثانيا : المصادر الشيعية :

كان سقوط دولتي الخوارج في بلاد المغرب مرتبط بقيام الدولة الفاطمية لذلك عرض مؤرخو الشيعة لأخبار الخوارج - بطريقة عارضة - في ثنايا تاريخهم للدولة الفاطمية في المغرب • ومع قلة المعلومات الخاصة بالخوارج عند مؤرخي الشيعة ، وبرغم تعاملهم على الخوارج لما بينهم من عداة مذهبي ، فقد خلفوا معلومات طيبة عن الخوارج والفاطميين •

ويعد أبو حنيفة النعمان المعروف بابن حيون المغربي (ت ٣٦٣ هـ) من اهم من تناول هذا الموضوع • ففضلا عن معاصرته الاحداث ، كان على قرب منها او معاين لها في اغلب الاحيان لعمله كقاضي قضاة للمعز الفاطمي • ولاسن حيون مؤلفات كثيرة عن الفاطميين وعقائدهم وتواريخهم ، اطلعنا على ثلاثة منها هي : اساس التأويل الباطني وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولا يفيد كثيرا في دراسة الخوارج • اما شرح الاخبار وهو مخطوط ايضا بدارالكتب المصرية نشر منه المستشرق الروسي ايفانوف مقتطفات جعلها ملاحق كتابه *Ismaili tradition concerning the rise of the fatimids.*

ويلقى من الاضواء عن حياة المهدي في سجلنامه حتى الغزو الشيعي ما يفيد في معرفة احوال دولة بني مدرار في عهد اميرها اليسع بن مدرار ، فضلا عن اهميته في توضيح سقوط دولة بني مدرار سنة ٢٩٧ هـ على يد ابي عبد الله الشيعي •

واهم ما خلفه ابن حيون كتابه المسمى بالمجالس والمسائرات وهو مخطوط من جزأين بمكتبة جامعة القاهرة • عرض فيه ابن حيون لاحاديث المعز في مجالسه مع معاصريه من الحكام وكبار الشخصيات • وقد اتبع لابن حيون

حضور هذه المجالس واستطاع تدوين وتسجيل ما كان يدور فيها . وبرغم تحيزه الظاهر للفاطميين ومع ان الكتاب لا يعد تاريخا بقدر ما هو مذكرات خاصة Memmores تقريبا فقيمتها عظيمة في التاريخ للمدراريين الاواخر وعلاقتهم بالفاطميين ، ونعتقد انه اهم مصدر في هذا الصدد . اذ يعرض ابن حيون لاعداد المعز حملته - على المغرب الاقصى سنة ٣٤٧ هـ التي كان من بين اهدافها تأديب الامير المدراري الشاكر لله الغائر على الحكم الفاطمي، كما يتناول تفاصيل وقائمه ونتائجها . ومن خلال عرضه لمجالس المعز مع الشاكر لله بعد اسره - تلك التي قصد المعز منها معرفة اخبار سجلмасسة واحلها وسيرته فيهم وما يقال عنه من قبوله (١٦) - امكن الوقوف على كثير من اخبار تلك الدولة التي تفتقر الى معلومات عنها . وجدير بالتنويه ان احدا ممن درسوا تاريخ المغرب الاسلامي لم يقدر له بعد الاستفادة من تلك المادة التاريخية في التاريخ لدولة بني مدرار .

وثمة مصدرين شيعيين اخرين عظيمي الفائدة في تصوير مجتمع سجلмасسة في اواخر العصر المدراري - من خلال تناول حياة المهدي في سجلмасسة - وهما: كتاب استتار الامام لابراهيم بن احمد النيسابوري (ت اواخر القرن الرابع الهجري) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية نشر ايفانوف اجزاء منه بمجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الاول (مجلد ٤ - ج ٢) تحت عنوان مذكرات في حركة المهدي الفاطمي . وكتاب سيرة جعفر الحاجب التي رواها محمد بن محمد اليماني ، وقد نشرها ايفانوف ايضا في نفس العدد من مجلة كلية الاداب . وسيرة جعفر تعد من قبيل المذكرات الخاصة (اذ كان صاحبها حاجبا للمهدي ومرافقا له في رحلته الى المغرب ، وسجن معه في سجلмасسة) . ومن هنا تبدو اهمية سيرته كشاهد عيان للاحداث .

اما ابو عبيد الله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٨هـ) ، فكتابه المعروف باخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم غاية في الاهمية بخصوص ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد برغم تحامله الشديد على الخوارج والتعصب للفاطميين ، ولا غرو فابن حماد شيعي اسماعيلي اذ يذكر المهدي مسبقا بعبارة « سيدنا المخلية الاول امير المؤمنين » وقد ذكر فاندريه هيدن الذي نشر الكتاب وقسم

له ان ابن حماد نقل مباشرة عن الرقيق نصه من ثورة ابي يزيد . ومن هنا تبرز قيمة تلك المعلومات برغم نسبتها الى ابن حماد الذي عاش عصرا متاخرا عن الاحداث .

وفي كتاب المسالك والممالك للجغرافي المعروف ابن حوقل - وهو شيعي المذهب - نجد معلومات طيبة عن تاهرت وسجلماسة عاصمتي دولتي الخوارج، اغلب الظن انه نقل كثيرا منها عن البكري بدليل وقوعه في نفس الاخطاء التي سبقه البكري اليها . ومع ذلك فما اورده ابن حوقل عن الخوارج وصلاتهم ببلاد السودان يعد عظيم الاهمية لمعاصرتة الاحداث اذا توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

وابن خلدون سواء في مقدمته او في تاريخه يبدي تعاطفا واضحا مع الشيعة العلويين (الادارسة) والاسماعيلية (الفاطميين) . وما كتبه عن المغرب الاسلامي لا غنى عنه لاي دارس لذلك التاريخ ، ففضلا عن استفادة ابن خلدون من مؤرخي المغرب السابقين ، كان لاشتغاله بالسياسة وتقلبه في خدمة الدول المعاصرة له ما اتاح له القدرة على الكشف عن القوى المحركة للتاريخ والاسباب والعلل الكامنة وراء احداثه . ولا غرو فقد تفرد عن جمهرة مؤرخي الاسلام بفلسفته للتاريخ وله نظرية اقرب ما تكون الى نظرية « البيولوجية التطورية » في تفسير احداثه وتعليل وقائعه . ولا حاجة بنا للخوض في تقييم ابن خلدون المؤرخ ، ويمينا ما اورده عن الخوارج في المغرب . والذي لا شك فيه ان ابن خلدون امدنا بمعلومات فريدة عن القبائل وانسابها ومذاهبها ومقالاتها افادت كثيرا في دراسة انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب . وفي تاريخه لثورات الخوارج ودولهم وموقعهم من الفاطميين لا يختلف كثيرا عن غيره من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ المغرب العام كابن عذارى وابن الاثير والنويري . لكن ابن خلدون ، فضلا عن عدم دقة تواريخه ، كثيرا ما تختلط معلوماته ، كخلطه بين الاباضية والصفرية في احيان كثيرة حتى ان مؤرخا مثل ماسكراي نبه الى ضرورة الحذر في تناول كتابات ابن الخلدون في هذا الصدد . ويخيل لنا ان اهتمامه بالتفسير والتحليل اوقعه في مزالق التناقض ، اذ كثيرا ما نجد تناقضا واضحا حين يتناول موضوعا عاما في تاريخه العام وبين ذات الموضوع

حين يعرض له من خلال دراسته لتواريخ القبائل • ومع ذلك فحسبه ان فصلا من فصول البحث لا يخل من كتاباته سواء في مقدمته أو تاريخه •

ثالثا : مصادر الخوارج :

• خلف الخوارج الكثير عن عقائدهم وسيرهم وتاريخهم وطبقاتهم، لكن لم يصلنا منها سوى النذر اليسير • وقد اورد البرادي في رسالته عن كتب الاباضية عديدا من هذه التصانيف للمشاركة والمغاربة على السواء • كما اورد ابن التديم في الفهرست مزيدا منها وذكر انها (مستورة مخفوفة) فلم تقف لها على اثر • ومن هذه الكتب ما دونه اليمان بن الرباب ويحيى بن كامل والصيرفي وعبد الله بن زيد وابراهيم بن اسحق الاباضي والهيثم بن الهيثم والريبع ابن حبيب وغيرهم من المشاركة • كذلك نعلم من سير الشماخي ان مؤرخا اباضيا مغربيا شهيرا يدعى ابن سلام عاش حوالي منتصف القرن الثالث الهجري وصنف كتابا في السير لم يصلنا بعد • وقد اعتمد عليه الشماخي فيما يتعلق بثورات الاباضية وطبقات مشايخ المذهب حتى عصر ابن سلام • ومن المغاربة الاباضية كذلك ابي الربيع سليمان بن يخلف الذي نقل عنه ابو زكريا ومعبد بن الفلج ممن نقل عنهم الوسياني •

ومن المحقق ان كثيرا من هذه الكتب ابيدت واحرقت نظرا لما تعرض له الخوارج في الشرق والغرب من اضطهاد • وقد اخبرنا الدرجيني (١٩) ان مكتبة الائمة الرستميين المعروفة «بالمصومة» احرقها ابو عبد الله الشيعسي سنة ٢٩٧ هـ ، ومن المحقق ان كتب الصفرية بسجلماسة لاقت نفس المصير •

وجدير بالذكر ان شيئا من كتب الصفرية لم تقف له على اثر ، بينما وصلنا بعض كتب الاباضية • وتفسير ذلك ان الشيعي الذي اقام بسجلماسة اربعين يوما قد اجهز على ما بها من توافيق وتصانيف ، بينما لم تطل اقامته بتاهرت ، اذ غادرها على التو لتحرير المهدي من سجنه بسجلماسة ، فتسربت بعض كتب الاباضية مع بعض افراد البيت الرستمي الذين هربوا الى وارجلان التي استعصت على الغزو الشيعي • كذلك سلم جبل نفوسة من عبث

الفاطميين بديوان الاباضية الحافل بتصانيف المذهب . ويخبرنا البرادي (٢٠)
ان ديوان نفوسة كان مشتملا على اكداس هائلة من الكتب بلغ ما ورد منها
من الشرق فقط نحو ثلاثمائة وثلاثين الف جزء .

وبعد ان فتح المرابطون وارجلان رحل اباضيتها بكتبهم . واقاموا بوادي
ميزاب - جنوبي الجزائر - حيث لا تزال محفوظة لدى مشايخ المذهب الى الان
وقد ذكر ماسكراي ان ثروة جبل نفوسة من كتب الاباضية - اكثر وفرة منها
في وادي الميزاب .

وقد حاول ليف من المستشرقين المهتمين بتاريخ المغرب زيارة مشايخ
الاباضية بوادي الميزاب وجبل نفوسة والاطلاع على خزائن الكتب هناك، ومن
هؤلاء ماسكراي وموتايونسكي ولويسكي وباسيه وغيرهم . ونجحوا بالفعل
في الوقوف على قدر ضئيل من تراث الاباضية ، اذ ان مشايخ المذهب يرفضون
اظهار ما لديهم من الكتب المتعلقة بأسرار المذهب ولا يتيحون للغرباء سوى
الاطلاع على الكتب المتوافرة الخاصة بالعموميات كما ذكر برسي سميث (٢١)
وماسكراي (٢٢) ومع ذلك فقد حصلنا على بعض تلك التصانيف الخاصة
بالعقائد والنوازل والفتاوي وكذلك بعض التواريخ والسير وكتب الطبقات .

ومن اهم مصادرها في كتب الفتيا رسالة في احكام الزكاة لابي عبيدة
مسلم بن ابي كريمة (ت اواخر القرن الثاني الهجري) . وهي مخطوطة بدار
الكتب غاية في الاهمية لان صاحبها كان شيخا لاباضية البصرة ورئيسا
لتنظيمهم الديني السياسي بعد جابر بن زيد . واليه يعزى الفضل في بث
دعاة المذهب الى اطراف الدولة الاسلامية ومن بينها بلاد المغرب . كما كان
رؤساء المذهب في المغرب يلتحقون بحضرته للتعرف في المذهب والاعداد لاقامة
الدولة الاباضية . وتكشف لنا الرسالة عن حقيقة تطور افكار الخوارج
السياسية في الشرق اواخر العصر الاموي ولجوئهم الى اساليب التنظيم والدعوة
كبديل لاسلوب الثورات الهوجاء الذي اثبت فشلا ذريعا . وتمدنا بمعلومات
هاملة - على ضآلتها - عن صلة التنظيم الام في البصرة بمشايخ المذهب في
المغرب بعد قيام امامة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح بطرابلس سنة ١٤٠هـ

ومن كتب العقائد والفقه نشر المستشرق موتايلنسكي (٢٣) Motylinski نصا للشيوخ الاباضي عمرو بن جميع بعنوان «متن عقيدة التوحيد» يلقي بعض الضوء على الفكر السياسي عند الخوارج فضلا عن آراء الاباضية في كثير من المسائل الفقهية . ونفس المعلومات نجدها في مقدمة اصول الفقه للشماخي ومدونة ابي غانم الصفري ، وشرح السؤالات للسوفي ، وهي جميعا مخطوطات بدار الكتب المصرية .

اما عن كتب التاريخ والسير فاهمها على الاطلاق كتاب السيرة واخبار الائمة لابى زكريا يحيى بن ابي بكر (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) . ولا يزال الكتاب مخطوطا بدار الكتب المصرية ، وقد ترجمه ماسكراي الى الفرنسية وقدم له وعلق عليه ونشره تحت عنوان Chronique d'Abu Zakaria . وابو زكريا من اهل وارجلان ولا نعلم شيئا عن نشأته ، بينما ندرك انه اعتمد في تاريخه عن ثورات الاباضية والرسيميين الاوائل على مؤرخ اباضي يدعى ابو الربيع سليمان بن يخلق . ويبدو انه عاصر العهد الرستمي الاخير اذ استمد معلوماته عنه من الجيل السابق له . بينما نقل عنه كل من لحقه من مؤرخي الاباضية ، وصدق فيه قول ابي الربيع الوسياني (٢٤) «ان ابا زكريا له الفضل في السبق الى كتابة اخبار اهل الدعوة» . وقد أرخ أبو زكريا أساسا للدولة الرستمية ، لذلك يسرف في تصوير فضل الفرس على الاسلام حتى أنه انتحل كثيرا من الاحاديث والمأثورات عن الصحابة والتابعين تمجيها لنسب أئمة بني رستم . وفي تاريخه لهم اتبع منهجا طيبا ، فمع حرصه على التسلسل الزمني للاحداث خلال عهود الائمة ، تصور خمسة مراحل للامامة تعرضت الجماعة الاباضية في كل منها لانشقاق مذهبي . وبعد ذلك يعرض لاخبار الاباضية بعد سقوط دولة بني رستم ، أي علاقتهم بالفاطميين الذين أطلق عليهم «المسودة» . ومن خلال كتابات أبي زكريا عن اباضية المغرب نقف على معلومات خاصة بالخوارج الصفرية كذلك التي تتعلق بانتشار مذهبهم ببلاد المغرب ، وعلاقة بني رستم ببني مدرار . الخ . . . وقد أمدنا بتاريخه شبه متكامل لدولة بني رستم يعاب عليه فيه تعصبه التام للائمة وتحامله على الحركات المناوئة لهم واغفاله ذكر

أحداث كثيرة لان فيها ما يشين سياسة الائمة . وقد دفعه هذا التعصب أحيانا أخرى الى تزيف الوقائع والاخبار . كما يؤخذ على تاريخ أبي زكريا اسرافه في إيراد روايات خرافية وأسطورية ، وإفاضته في نسبة أعمال خارقة ومعجزات الى من ترجم لهم من مشايخ المذهب . وفيما يختص بمعلوماته عن الخوارج والفاطميين : ففضلا عن الشذرات المتفرقة - التي تلقي ضوءا على ثورات الإباضية ، أمدا بمادة طيبة تفيد في توضيح موقف الإباضية الوهابية من حركة أبي يزيد النكاري . هذا بالإضافة الى معلومات عن سقوط دولة بني مدرار الصنقرية على الرغم مما تنسم به من طابع روائي .

وغير سيرة أبي زكريا وقفنا بدار الكتب المصرية على مخطوطة عن سير أبي الربيع الوسياني تلك التي اعتبرها لويسكي (٢٥) في حكم المفقودة، وعلق على النصوص التي أوردها الشماخي عن أبي الربيع بأنها غاية في الأهمية . ونعتقد أن أهمية سير أبي الربيع تكمن في كونه قريبا من الأحداث اذ توفي سنة ٤١٨ هـ فضلا عن إقامته بوارجلان من أهم معاقل الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية . كذلك أثبت أبو الربيع مصادره ، فسمع من شيخه أبي محمد عبد الله بن محمد العاصمي ، كما أخذ أيضا عن المؤرخ الإباضي معبد بن أفلح وغيرهما ممن لم نقف على كتبهم الأصلية ، فخلف لنا قبسا مما دونوه . وجدير بالذكر ان سير أبي الربيع تلقي أضواء باهرة على أخبار الإباضية في العصر الفاطمي ، فضلا عما ورد بها من معلومات عارضة عن العصور السابقة ، بالإضافة الى مسائل وأجوبتها في الفقه الإباضي جد مفيدة في معرفة فكر الإباضية وفلسفتهم في الحكم والإدارة .

رثمة مؤرخ إباضي شهير هو أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت ٩٢٨ هـ) الذي ينتمي الى أسرة معروفة بجبل نفوسة أخرجت كثيرين من اعلام الإباضية . وله فضلا عن كتابه « شرح مقدمة أصول الفقه » - وهو مخطوط بدار الكتب المصرية - كتابه المعروف بالسير . وسير الشماخي تعد تاريخا شبه متكامل لاباضية المغرب ، فلكونه عاش في عصر متأخر ، قدر له الاطلاع على تواليف سابقيه كابن سلام وأبي زكريا والربيع بن حبيب والسوفي ومقرين بن محمد البغطوري الذي ألف عن سير مشايخ نفوسة سنة

٥٩٩ هـ . وامتازت سير الشماخي عن غيرها من سير الاباضية بأخذ مؤلفها عن مؤرخين غير اباضية كالرقيق وابن الصغير . كما يلحظ الدارس حرص الشماخي على مناقشة وتحليل الروايات المختلفة والمفاضلة بينها وإثبات ما براه صحيحا ومقتنا . ولا غرو فكثيرا ما خالف سابقيه من مؤرخي الاباضية ورجح روايات السنة الامر الذي يجعله أكثر مؤرخي الاباضية حيادا وموضوعية في نظرنا .

أما كتب الطبقات فقد وقفنا على اثنين منها ، أولهما لابي العباس أحمد الدرجيني (ت حوالي منتصف القرن السابع الهجري) ويسمى طبقات الاباضية . وهو مخطوط في ثلاثة أجزاء بدار الكتب المصرية ، يعرض فيه الدرجيني تراجم لمشايخ المذهب الاباضي جيلا بعد جيل في الشرق والغرب على السواء . وفيما يتعلق بالمشاركة اعتمد الدرجيني على كتاب الكامل لابي العباس المبرد ، بينما نقل كثيرا عن أبي زكريا في أخبار المغاربة . ومن ثم فما تضمنه كتابه من معلومات في هذا الصدد مكررة ولا تقدم جديدا . أكثر من ذلك فان الدرجيني ورت نفس مثالب سابقيه ولم يبذل ثمة محاولة لتحقيق معلوماته ، وإن كان من الانصاف أن نثبت له أمانته في اسناد هذه المعلومات الى من نقلها عنهم . كما وقع في كثير من الاخطاء ، وأغفل كثيرا من مشايخ المذهب ولم يترجم لهم وهذا هو ما حدا بأبي القاسم البرادي الى تدارك ذلك الاغفال وتصحيح تلك الاخطاء التي فاقته على الدرجيني .

فأبو القاسم البرادي (ت ٦٩٧ هـ) سعى طبقاته لذلك « الجواهر المنتقاة » في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات لابي العباس الدرجيني ، وهذا الكتاب مخطوط بدار الكتب عالج فيه صاحبه كثيرا من الموضوعات وعرض لعديد من عيون المذهب وأعلامه ممن أهلهم الدرجيني ، كما حلل وناقش كثيرا من روايات سابقيه بطريقة نقدية من مؤرخي الاباضية وغير الاباضية على السواء . ومن الملاحظ أنه نقل كثيرا عن ابن الصغير فيما يتعلق بالعهد الرستمي الأخير . ومع ذلك فكتب الطبقات تزخر بمعلومات هامة عن أثر الخوارج في المجتمع المغربي .

وعلى تلك المصادر الاباضية الاصلية اعتمد جمهرة المحدثين من مؤرخي الاباضية فيما كتبوه عن تواريخ الاباضية في المغرب • ومن هؤلاء الباروني والورجلاني وأطفيش والجربي والطاهر الزاوي • على أن كتاباتهم جميعا تنسجم الى جانب التعصب للمذهب الاباضي بطابع الاسفاف والسطحية •

والى جانب تلك المصادر لم ندخر وسعا في البحث عن المادة التاريخية التي تخدم موضوع الدراسة والتي تمسه من قريب أو بعيد في المراجع التاريخية ، وكتب الجغرافيا والرحلات ، وكتب الطبقات والتراجم والتصانيف الادبية ، وكتب الفرق المختلفة • كما استفدنا بكتب السكة في تحقيق كثير من الالفاظ وتحديد العديد من التواريخ التي كان يشوبها الخلط ويكتنفها الابهام •

كذلك لم نفعل دراسات المحدثين من العرب والمستشرقين مما الفوه من مراجع أو نشره بالموسوعات والدوريات العلمية ، فاطلعنا على كتابات الدكاترة حسن محمود وجمال سرور وحسين مؤنس ومحمود مكي وأحمد مختار العبادي وسعد زغلول عبد الحميد وغيرهم من المتخصصين في تاريخ المغرب والاندرلس • كما استفدنا كثيرا من دراسات جوتييه ويل وبروفنسال ودوزي وبرنشويج ولويسكي ومارسيه وباسيه وسميث وغيرهم سواء ما تضمنته كتبهم أو ما نشره بالدوريات والموسوعات مثل :

Actes du congres inter nationales des orientalistes, Andalus, Islamic review, Moslem World, Journal Asiatique, Revue des etudes Islamiques, Studia Islamica.

وغيرها •

وبفضل تلك المادة التاريخية التي توافرت للبحث أمكن دراسة الموضوع ولم شتاته في أبواب خمسة وخاتمة •

تناول الباب الاول دعوة الخوارج في بلاد المغرب • وتضمن ظروف الخوارج في الشرق الاسلامي التي دفعت بهم الى الهجرة والانتشار في بلاد المغرب • وعرض لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج ولامنتها لدعوتهم • ثم عالجت كيفية انتشار مبادئ الخوارج الصفرية والاباضية في بلاد المغرب

واقبال البربر على اعتناق هذه المبادئ .

وخصص الباب الثاني لثورات الخوارج في بلاد المغرب ، حيث تضمن دراسة لاسباب ثورات الخوارج – صفرية وأباضية – ووقائع تلك الثورات وتبيان نتائجها وآثارها .

أما الباب الثالث فقد تضمن تأريخاً لدول الخوارج في بلاد المغرب ، تناولت فيه دولتي بني مدرار الصفيرية وبني رستم الاباضية من حيث ظروف قيامهما ، وعرض سياستهما الداخلية ، وتحديد علاقتهما الخارجية .
وأفرد الباب الرابع لدراسة الخوارج والفاطميون ، حيث عرضت فيه لدور الفاطميين في اسقاط دولتي بني مدرار وبني رستم – ثم ثورات الصفيرية والاباضية على الحكم الفاطمي .

ونظراً لما أحدثته الخوارج من آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية فضلاً عن آثارهم السياسية في بلاد المغرب ، ولما كانت تلك الجوانب تحتاج لدراسة مستفيضة مستقلة فقد آثرنا أن نفرد لها الباب الخامس من الرسالة .
وفي الخاتمة أوجزنا ما انتهينا اليه من نتائج تمخضت عنها هذه الدراسة .

• • ولا يسعني في هذا المقام الا أن أقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لاستاذنا الدكتور حسن أحمد محمود الذي تولى الاشراف على هذا البحث وتعهده برعايته وتوجيهه منذ كان فكرة حتى صار حقيقة .
ويعلم الله - كم تكبدت من عناء ، وكم من جهد بذلت • • • وأسأله التوفيق .

الباب الأول

دعوة الخوارج في بلاد المغرب

أولا : أحوال الخوارج في المشرق الاسلامي حتى أوائل القرن الثاني الهجري :

ارتبط ظهور مذهب الخوارج وانتشاره في بلاد المغرب بعاملين أساسيين، أولهما التطور السنياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الاسلامي في أواخر القرن الاول الهجري بعد فشل ثوراتهم واضطرابهم الى اتباع اسلوب الدعوة والتنظيم السياسي ، واختيار أطراف العالم الاسلامي ميدانا لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد .

وثانيهما - ملامة الاحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الاول الهجري وأوائل القرن الثاني لتقبل هذا المذهب وانتشاره .

وليس من شك في أن ما لحق بالخوارج من فشل في المشرق يعزى الى أسباب عدة : منها تطرف عقائدهم وقصور فكرهم السياسي الظاهر من الثورات التي قاموا بها طوال العصر الاموي ، ثم يقظة الخلافة ورجالها في مناهضة هذه الثورات ومواجهتها في سرعة وحزم .

فعلى الرغم من كثرة الثورات التي قام بها الخوارج في المشرق الاسلامي وما أبدوه فيها من ضروب الشجاعة (١) ، وبرغم ما انطلوت عليه مبادئهم من دعوة الى العدل والحرية (٢) ، فقد عجزوا عن تحقيق أهدافهم ، وأصبحوا هدفا للبطش والاضطهاد . ومن أمثلة تطرفهم ، اجماع كافة فرقهم على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكيم وكل من رضي بالتحكيم (٣) ، واتفاقهم في الخروج على الامام الجائر وتكفير مرتكبي الكبائر باستثناء النجدات (٤) ، وكذلك اجماع على جواز الامامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة (٥) .

واتفاقهم على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل وضعهم في موقف العداء للجماعة الاسلامية برمتها (٦) ، فتعرضوا لسطح كافة الحكومات الاسلامية ، اذ حاربهم علي بن أبي طالب وفل شوكتهم في موقعتي النهروان والنخيلة (٧) ، ولم يستمر تحالفهم مع الزبيريين ضد الامويين طويلا ، فقد انقلب ابن الزبير عليهم حين أنس من نفسه القوة على مواجهة بني أمية (٨) . ولم يتوان الامويون في تمقب حركاتهم وقمعها بعد حروب طويلة وقف الشيعة في معظمها الى جانب بني أمية على ما بينهما من عداة متأصل (٩) .

وبسبب تكفيرهم مرتكبي الكبائر ، انقسموا على أنفسهم أشد الانقسام في كثير من المسائل الفقهية . واعتبرت كل فرقة ما عداها مارقة ، وعاملت انصارها معاملة الكفار في استباحة الدماء واستحلال الاموال والذاري (١٠) .

وكان من المتوقع أن يقبل الموالي على مذهب الخوارج لسماحة رأيهم في الامامة ، فقد اعتبرت حقا متاحا لكل مسلم بفض النظر عن أصله وجنسه - وهو مبدأ تفرد به الخوارج دون سائر الفرق الاسلامية الاخرى - لكن أعداد الموالي في صفوف الخوارج كانت قليلة ، ولم يقبل بعضهم على مذهبهم الا في أواخر العصر الاموي (١١) حين أسرف بنو أمية في اضطهاد الموالي واذلالهم . ويعزى هذا الاعراض عن مذهب الخوارج الى افراطه في التطرف (١٢) واسراف أنصاره في استخدام العنف ، وتشدد زعمائهم في قبول المهاجرة - وهم الاتباع الجند - وذلك باجراء اختبارات قاسية للتأكد من صدقهم وحسن نواياهم . كما رفض الخوارج مبدأ التقية - باستثناء الصغرية (١٣) ولم يعمدوا الى

التنظيم والدعوة وما يرتبط بها من وسائل الترغيب وكسب الانصار ، ولم يفتنوا الى ذلك الا في وقت متأخر .

ولعل افتقار المذهب الى زعامة قرشية أو شخصية مرموقة يلتف حولها الانصار ويدعون لها دعوة منظمة كان سببا في تفرق كلمتهم وانقسامهم الى طوائف تلتف حول قيادات محلية أو قبلية لا يجمعها رابط في العمل أو تشملها وحدة في الخطط والاهداف ، فما ان تجتمع جماعة منهم حتى يتواعدوا على اللقاء ، فاذا التقوا اظهروا العصيان (١٤) الامر الذي سهل على الحكام ملاحقتهم واستئصال شأفتهم جماعة في اثر اخرى . ولعل هذا هو ما يعنيه فلهوذن (١٥) بقوله « ان سياسة الخوارج كانت غير سياسية » . .

على أن من أهم أسباب اخفاق حركات الخوارج وفشل ثوراتهم ، تفشي الخلافات داخل جماعاتهم وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب الاختلاف في المبدأ والرأي (١٦) . فقد تباينت آراؤهم في مسائل جوهرية كمسألة القعدة والاستعراض (١٧) ، وأدى ذلك الى انقسامهم الى فرق الازارقة والاباضية والصفرية والنجديات . وتشعبت هذه الخلافات لتشتت شمل المذهب فسي أكثر من عشرين فرقة (١٨) .

ومما زاد من خطورة هذا الانقسام انه كان يحدث في الاوقات العصبية ابان حروبهم فكان يحرمهم من جني ثمار النصر ويؤدي بهم الى الهزائم . ومن أمثلة ذلك خروج عبد ربه الكبير على قطري بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) لان قطري «تأول فأخطأ» (١٩) ، فانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد ان كان النصر وشيكا ، وأتيح للمهلب سحقهما واحدا بعد الآخر (٢٠) .

وقد انقسم النجديات على أنفسهم كما انقسم الازارقة ، فخالف عطية ابن الاسود نجدة بن عامر الحنفي (٢١) وانفصل عنه وغادر البحرين الى المشرق وازداد الامر سوءا بخروج ابي فديك عبد الله بن ثور على نجدة وقتله ، وتفرق النجديات لذلك الى ثلاثة شيع متناحرة ، مما ادى في النهاية الى اضمحلالهم وزوال دولتهم في البحرين وحضرموت والطائف واليمن سنة ٧٢ هـ (٢٢) (٦٩١ م) .

ولم يسلم الصفزية كذلك من آفة الانقسام ، فقد خالف مصقلة بن مهلهل الضبي شبيب بن يزيد الشيباني سنة ٧٧ هـ (٦٩٦م) وفوت عليه انتصاراته الحافلة على جيوش الحجاج الثقفي لانسحابه بمعظم الجيش احتجاجا على ما أعلنه شبيب من البراءة من سلفه صالح بن مسرح (٢٣) .

وقد استغل خصومهم هذا الانقسام في ملاحقتهم والقضاء عليهم ، فلم يدخر الخلفاء والولاة وسعا في مناهضتهم ، واتبعوا في ذلك شتى الوسائل من عنف وخداع واستنفار للجماعة الاسلامية لمواجهة ثوراتهم والترص بأية حركة أو نشاط لهم . كما استخدموا اسلوب اللين والاقناع والمحااجة ، واتبعوا سياسة الترغيب واغراء زعمائهم بالمراكز المرموقة والمناصب الرسمية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . فمعاوية بن أبي سفيان كثيرا ما استنفر أهل الكوفة للمشاركة في قتال الأزارقة (٢٤) كما ان عامليه على الكوفة والبصرة - المغيرة ابن شعبة وابن عامر - جندا كتائب من الشيعة من أهل المهرين لقتالهم (٢٥) . وكان هذا العمل من البراعة بمكان ، اذ كفل ضرب الشيعة بالخوارج - وكلاهما عدو لبني أمية - ليضعف بعضهما بعضا فيسهل بعد ذلك استئصال شأفتهما. كل على حدة . والى المغيرة بن شعبة خاصة يمزى الفضل في تطبيق تلك السياسة بنجاح فكان يستخدم اسلوب التهديد والترغيب ويلزم القبائل نفسها بالقضاء على أي نشاط للخوارج داخلها (٢٦) ليكفي نفسه مؤنة قتالهم .

واثمرت تلك السياسة في عهد زياد بن أبيه « فكانت القبائل اذا أحست بخارجي فيهم أو ثقوه وأتوا به زيادا ، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله (٢٧) » كما أفلحت سياسته في الترغيب والترضية ، فكان يستميل من يقبل عليه من زعماء الخوارج ويتخذهم صنائع وعمالا ، ويفدق عليهم الهبات والمطايا (٢٨) . لكنه لم يتورع عن البطش والتنكيل بمن يعرض عنه ويتأوى حكمه ، حتى النساء لم يسلمن من أذاه فكان يقتلهن ويمثل بهن (٢٩) .

وقد أسرف ابنه عبيد الله في سياسة العنف هذه وبالح فيها (٣٠) فكان القتل جزاء من يشتهيه في ميله للمذهب الخوارج . ويذكر الدينوري (٣١) انه قتل تسعمائة رجل « بالتهمة والظنة » عدا ما لاقاه الآلاف في السجون من صنوف

الارهاب والتعذيب (٣٢) واستمرأ عبيد الله هذه السياسة وتفنن فيها، حتى انه كان يرغم المسجونين من الخوارج على قتل بعضهم بعضا امعانا في التنكيل والتشفي (٣٣) .

ولما آل الامر لعبد الله بن الزبير في العراق عول على القضاء على الخوارج واستئصال شأفتهم (٣٤) . فرماهم بالمهلب بن أبي صفرة الذي كان يسير في طلبهم من بلد الى بلد ويواقعهم وقعة بوقعة (٣٥) .

على ان محنة الخوارج الشديدة كانت في عهد عبد الملك بن مروان ، فقد رماهم بالحجاج والمهلب في آن واحد . وتفيض المصادر بأمثلة من قسوة الحجاج وعسفه ، فكان يأمر بقتلهم جماعات « بالتهمة لا بالخطيئة » (٣٦) ، وكان سيافه يضرب أعناقهم في حضرته وبين يديه (٣٧) ، ثم تصلب أجسادهم بعد التمثيل بها ، أما المهلب فقد اعتمد في حروبه مع الخوارج على الخداع والدهاء أكثر من اعتماده على السيف ، وحقق بذلك انتصارات لم يستطع احرازها في ميادين القتال فاستطاع أن يحدث تصدعا في جيوشهم عن طريق بث الخلاف والشقاق بين زعمائهم بما كان يثيره من مسائل فقيية يشغل بها الخوارج عن قتاله بقتال بعضهم البعض ، فاذا ما وهنت شوكتهم تمكن من هزيمتهم طائفة في اثر أخرى . وحسبه انه استطاع بذلك أن يضع حدا لحركات الازارقة في المشرق الاسلامي (٣٨) .

وانحسرت موجة العنف ابان خلافة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك فقد نجح عمر بن عبد العزيز في تجميد نشاط الخوارج في عصره بسياسة المحاجاة والحسنى والاقتناع (٣٩) . بينما عبد هشام الى اسلوب الاغراء بالاموال والمناصب أو شراء زعمائهم بالمال ايثارا للعافية (٤٠) . وذلك كان دليلا على فتور همة الخوارج واضمحلال شأنهم حتى ان مروان بن محمد لم يجد صعوبة في القضاء على حركاتهم في بلاد العراق والجزيرة ثم في مدن الحجاز واليمن « فركدت ربيع الخوارج من يومئذ الى أن ظهرت الدولة العباسية » (٤١) .

هكذا وصلت أحوال الخوارج في المشرق الاسلامي في أواخر القرن الاول

الهجري وأوائل القرن الثاني الى مثل هذا الضعف والانحلال ، بحيث لم يعد في وسعهم مواصلة نشاطهم في قلب العالم الاسلامي . وكان عليهم أن يغيروا في اسلوبهم بنيد طريق الثورات السافرة واتباع اسلوب الدعوة والتنظيم السياسي ، والانتقال الى اطراف العالم الاسلامي بعيدا عن حاضرة الخلافة . فاتجهوا الى بلاد المغرب .

ثانيا : بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج :

نجم عن سياسة الامويين الاواخر موجة من السخط عمت كافة الامصار الاسلامية وقد استغل الهاشميون والخوارج حالة السخط هذه في تاليب الجماعة الاسلامية ضد الحكم الاموي فبينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق في فارس وخراسان ، عمد الخوارج الى بث دعائهم في بلاد المغرب التي كانت اذ ذاك ميدانا خصبا لتقبل مبادئهم .

فقد عانت بلاد المغرب كغيرها من الامصار الاسلامية - من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية حتى ليذهب بعض الدارسين (٤٢) الى اعتبارها دافعا أساسيا لثورات البربر على الحكم الاموي . فالثابت ان غالبية عرب الفتح الذين استقروا بالمغرب كانوا من اليمينية (٤٣) ، وهم الذين آزرروا موسى بن نصير خلال ولايته التي استمرت حتى عام ٩٦هـ . ولما عزل موسى واستبدله الخليفة سليمان بن عبد الملك بمحمد بن يزيد - وكان قيسيا (٤٤) - كان هم الوالي الجديد وشغله الشاغل تصفية نفوذ آل موسى ، فأخذ يتتبعهم ويبطش بهم ويستولي على أموالهم بتحريض من الخليفة لنقمته على موسى بن نصير (٤٥) ، فأودع محمد بن يزيد عبد الله بن موسى السجن وقرض عليه من المغارم ما هو فوق طاقته (٤٦) ، وما فتئ يعذبه حتى مات (٤٧) .

وفي ولاية يزيد بن أبي مسلم (١٠١ - ١٠٣ هـ) (٧٢٠ - ٧٢٣ م) عاد نفوذ اليمينية من جديد (٤٨) وانتقم يزيد بن أبي مسلم من سلفه محمد بن يزيد ، فرمى به في السجن وأشبعه جلدا وتعذيبا انتقاما لما حل باليمينية على يديه من عسف واضطهاد .

وآلت ولاية المغرب الى بشر بن صفوان بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم ، وكان بشر من غلاة اليمنية (٤٩) فامعن في اضطهاد القيسية ، وبلغ به التعصب لعشيرته انه استخلف على البلاد قبل موته نفاش بن قرط الكلبي (٥٠)، فعات فيها (٥١) واسرف في اذلال القيسية .

وعاود القيسية الظهور حين ولي هشام بن عبد الملك عبيده بن عبد الرحمن القيسي، فبيت النية على البطش بعمال بشر بن صفوان (٥٢) ، وأمعن في اقتفاء اثر آل موسى بن نصير حتى استأصل شأفتهم (٥٣) . واستمرت محنة اليمنية في المغرب في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذي تقلد الولاية سنة ١١٦ هـ (٧٣٥ م) ، ولأقى اشياعهم على يديه عننا شديدا (٥٤) .

والى جانب انشغال الولاة بالخصومات القبلية ، كانوا يتناقسون في جمع الاموال ارضاء للخلافة من ناحية ، وكسبا للانصار واشباعا لنهمهم من ناحية اخرى . فعكفوا على ارسال الحملات والجيوش تضرب في اطراف المغرب او تهاجم الجزر البحرية في البحر المتوسط بشية السلب والنهب . فيزيد بن ابي مسلم غزا صقلية سنة ١٠١ هـ (٥٥) (٧١٩م) في وقت كان الموقف بالمغرب عصيبا . وفي سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧م) غزا بشر بن صفوان نفس الجزيرة واهاب منها سبيا كثيرا (٥٦) بعد ان هلك من جيشه خلق كثير (٥٧) . وغرق الاسطول الذي بعثه عبيدة بن عبد الرحمن الى صقلية في العام التالي بقيادة المستنير بن الحبحاب (٥٨) . وغزا عبيد الله بن الحبحاب في بلاد السوس وارض السودان ، لكنه لم يجن من وراء غزواته سوى مغائم الذهب والفضة وسبايا البربر (٥٩) . كما بعث بجنده الى جزيرة سودانية سنة ١١٧ هـ (٧٣٦م) فنهبوا وغنموا وعادوا (٦٠) ، ثم غزا صقلية وعادت حملته بالاموال والسبايا (٦١) وفي كل تلك الجيوش كان البربر يشكلون غالبية رجالها ، فكانوا اداة لخدمة اطماع الولاة .

ويجمع كثيرون من المؤرخين (٦٢) على سوء معاملة عمال العصر الاموي الاخير للبربر وارهاقهم بالمغارم والجبايات . واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب حتى بعد اعتناقهم الاسلام جريا على سياسة الخلافة الاموية في سائر الامصار الاسلامية (٦٣) وحاول الخليفة عمر بن عبد العزيز وضع حد لتسلط

الولاة واستعادة ثقة البربر في الحكومة الاسلامية ، فعين على المغرب واليا تقيا هو اسماعيل بن عبيد الله (٦٤) ، وأمره باسقاط الجزية على من أسلم من البربر وتحرير من استرق من نسائهم ، كما أمره « باقرار القرى في يد غنائمها بعد أخذ الخمس » (٦٥) لتؤول الارض الى اصحابها فيجنون ثمارها ويدفعون عنها خراجها المعلوم (٦٦) . وقد حرص عمر بن عبد العزيز على أن يجمع اسماعيل بن عبيد الله بين أعباء الادارة والحرب الى جانب جمع الخسراج والصدقات (٦٧) ليحول دون جور الجبابة واستبدادهم .

لكن هذه السياسة انتهت بوفاته ، وعادت الخلافة الاموية الى سيرتها الاولى فقد استبدل الخليفة يزيد بن عبد الملك اسماعيل بن عبيد الله بيزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠م) فاستبد بالبربر ، وقضى على الاصلاحات التي أنجزها سلفه . وكان يزيد بن أبي مسلم ينفذ مشيئة الخلافة الاموية التي أعادت فرض الجزية على من أسلم من الموالي (٦٨) ليتسنى لها الحصول على مزيد من الاموال والتوصل من دفع مزيد من الاعطيات للجنود المسلمين من الموالي . ومهما كان الامر فقد اشتط يزيد في معاملة البربر ، ونسب اليه انه اهدر كبريائهم بوشم حرسه من البربر ، فكان يشم الرجل في يده اليمنى باسمه وفي اليسرى بكلمة « حرسى » وأدى ذلك الى شعور البربر بالمهانة فأنفوا منه وأنكروه (٦٩) .

وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العسف هذه حتى « جمع من الاماء والجواري والعبيد والخصيان والدواب والذهب (٧٠) » الشيء الكثير . وتفاقت الاحوال ولزددت سوء ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب الذي اسرف في سياسته فجنده الجيوش لسلب البربر وسبيهم في اقاصم المغرب (٧١) ، ونشر الهلع والرعب في تلك الاصقاع . وعين ابنه اسماعيل عاملا على طنجة وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة واعتبرا البربر فيشا ، اسلموا أم لم يسلموا - وعاملوهم معاملة الرقيق (٧٢) وهكذا تسبب الولاة الامويون في المغرب في إثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء مما اوجد مناخا ملائما لانتشار مذهب الخوارج .

ويحاول بعض الدراسين الدفاع عن الخلافة الاموية وتبرئتها من تبعات

ما حدث في المغرب من مساوىء بالقاء اللوم على الولاة وحدهم . فيذكر دبور (٧٣) ان «سليمان بن عبد الملك إنكر على موسى بن نصير سبلوكه في المغرب ، وأنه كان حانقا عليه لمبالغته في السبي وعدم عدله في البربر » . ويمضي الدكتور السيد عبد العزيز سنالم في نفس الاتجاه (٧٤) فيقول « ٠٠ وكان سليمان بن عبد الملك يستهجن سياسة عبد الله بن موسى القائمة على العنف والتسلط في معاملة البربر » ويستشهد بعبارة أوردها الرقيق (٧٥) مدلا بها على نزاهة الخليفة وعدله أذ أوصى واليه الجديد على المغرب بقوله « يامحمد بن يزيد ، اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل » ويظهر نفس هذا الاتجاه عند الدكتور مؤنس (٧٦) اذ يقول : « ٠٠ وليس الى الشك سبيل في ان خلفاء بني أمية لم يكونوا ليرضوا عن سياسة يزيد بن أبي مسلم وبشر بن صفوان في افريقية ، اذ انهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن الوسائل التي كانا يلجآن اليها في عسف البربر والاستبداد بهم . ومن دلائل ذلك أن يزيد بن عبد الملك لم يفضب حين علم بقتل البربر يزيد بن أبي مسلم ٠٠ » (٧٧) ونعتقد أن المحدثين قد تأثروا في هذا الصدد برواية لصاحب كتاب أخبار مجموعة في فتح الاندلس تقول « ٠٠ وقد يقول من يطعن على الائمة أنهم انما خرجوا ضيقا من سير عمالهم ، وأن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان المسلية ٠٠٠ وهو قول أهل البغض للائمة (يقصد الخوارج) ٠ » ومن المعروف ان هذا المؤرخ المجهول يعد الوحيد بين المؤرخين القدامى الذي تصدى للدفاع عن بني أمية . ولا غرابة في ذلك اذا علمنا أنه كان اندليسيا يعيش في كنف الدولة الاموية بالاندلس ، وبديهي ان يتعصب لبني أمية ضد أعدائهم .

اما ما ذكره دبور من حنق سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير لعدم عدله في البربر ، فقول يؤخذ بحذر . فمن الثابت ان حقه هذا يرجع لاسباب شخصية اوردناها سلفا (٧٨) . ونفس الشيء يقال في تفسير حنق سليمان بن عبد الملك على عبد الله بن موسى ، وليس كما يذكر الدكتور سنالم استهجانا لتسلط عبد الله على البربر . فما أورده من دليل في هذا الصدد لا يؤيد ما ذكره ، اذ أن نصيحة الخليفة لواليه الجديد باتباع « الحق والعدل » أمر تقليدي اصطلاح عليه في تعيين الولاة والعمال . وتؤكد الوقائع

هذا التفسير ، فقد أسرف الوالي الجديد في اضطهاد اليمنية وتعقب آل موسى بن نصير واتباعهم ومصادرة أموالهم وذرائعهم مرضاة للخليفة (٧٩) .

ولا نشك في أن ولاية المغرب كانوا يمثلون مشيئة الخلافة وينفذون سياستها وأن الخلفاء درجوا على اختيار عمال يأترون بأمرهم ، والا فما تفسير سني الإصلاح والعدل التي شهدها المغرب إبان ولاية اسماعيل بن عبيد الله ؟ ، لقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عرف بالورع والتقى على اختيار عماله من العدول الاتقياء ، وكان اسماعيل أحدهم . والظلم الذي حاق بالبربر على يد يزيد بن أبي مسلم إنما تم تحت سمع الخلافة وبصرها ، فالخليفة يزيد بن عبد الملك عرف بالطمع والجشع وحب المال الذي جمع له عماله منه ما لم يجمع لاحد من قبل (٨٠) . ولا غرو فقد كان ممثنا لسياسة عامله في المغرب الذي أشبع له أطماعه فقال فيه عبارته الشهيرة « ما مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناره » (٨١) . وفي تسليم الخليفة بما حدث من قتله سنة ١٠٢ هـ (٧٢١م) واختيار محمد بن يزيد بدلا منه لا يؤيد وجهة نظر الدكتور مؤنس ، فقد كان عليه ان يسلم بالامر الواقع ريثما تهدأ الخواطر من جراء الاثار السيئة لحكم يزيد في نفوس البربر ، ثم رماهم بعد شهور ببشر بن صفوان الذي انتقم من قتلة يزيد . وبعد موت يزيد بن عبد الملك تولى اخوه هشام الخلافة فأقر بشرا على المغرب لانه « بعث اليه بأموال عظام وهدايا فاخروه » (٨٢) ولا يخامرنا شك في ان اشتطاط ابن الحبحاب في سياسته المالية بالمغرب كان مرضاة للخليفة ، فقد كان الخلفاء بالشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون في طلبها الى عمال افريقية . ويذكر ابن عذاري (٨٣) انه لما أفضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير . ويخبرنا ابن خلدون (٨٤) ان الخلفاء كانوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات والاردية العسلية الالوان وأنواع طرف المغرب ، فكانوا يتشالون في جمعهم ذلك وانتحاله حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبج لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد منها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه .

ولدينا من الروايات ما يؤكد ان الخليفة رفض السماح لوفد من البربر جاء اليه يشكو جور ابن الحبحاب وعسفه ، وعاد بعد أن تيقن رجاله من تواطؤ

الخلافة مع عماله (٨٥) ، وأن الخلافة بسبب جشعه للحصول على الاموال « هو الذي يكره العمال على امتصاص دم الرعايا » على حد قول فلهوون (٨٦) . ولعل ما حدث فيما بعد من رفض عبد الرحمن بن حبيب الازعان لمشيئة المنصور قائلا عبارته المتواترة « ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السببي منها والمال » (٨٧) ما يشير الى ما كان سائدا في العصر الاموي الاخير من طمع الخلفاء في اموال البربر وسببايهم ويؤكد مسؤولية الخلافة الاموية فيما كان يقوم به عمالها في بلاد المغرب .

كان الظلم الاجتماعي الذي اشتد في بلاد المغرب اذن من صنسج الخلافة وعمالها ، وهو امر ساعد البربر الذين كانوا قد أسلموا على اعتناق مبادئ الخوارج التي تحض على الثورة على الجائرين من الحكام (٨٨) .

لقد بدأ انتشار الاسلام بين البربر منذ وطأت أقدام العرب بلاد المغرب، وكان لعقبة بن نافع دور بارز في هذا الصدد (٨٩) ، فقد بنى مدينة القيروان سنة ٥٥ هـ (٦٧٥م) فدخل كثيرون من البربر في الاسلام . وثبت الاسلام بها (٩٠) « وواصل ابو المهاجر سياسة عقبة في نشر الاسلام وتدريب البربر، وحسبه اكتساب كسيلة وقومه الى الاسلام واتخاذة حليفا (٩١) ، كما صالح عجم افريقية وأدخلهم في حظيرة الاسلام والعروبة (٩٢) » .

والى حسان بن النعمان يعزى الفضل في المؤاخاة بين البربر والعرب، فقد جند من البربر اجنادا وعهد إلى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الاسلام واللغة العربية ، وخدم هؤلاء في الجيش العربي جنبا الى جنب مع العرب المسلمين . ومنذ ذلك الحين اطردت حركة بناء المساجد في سائر ارجاء المغرب وأصبحت بمثابة مراكز ثابتة لنشر الاسلام والحضارة العربية بين البربر (٩٣) . أما موسى بن نصير فقد بث الاسلام في بلاد المصامدة (٩٤) وفقه البربر في تلك الانحاء في قواعد الاسلام وأصول الشريعة (٩٥) . كما أشرك البربر المسلمين في فتح الاندلس وجعل لاحدهم قيادة الجيش الاسلامي وهو طارق بن زياد (٩٦) ، وفي ذلك دلالة على رسوخ

الاسلام عند البربر وقيامهم بحمل رسالته الى أوروبا في أواخر القرن الاول الهجري (٩٧) •

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز تم اسلام البربر وتعريبهم ، اذ بعث الى المغرب واليه اسماعيل بن عبيد الله ، وجعل برفقته عشرة من كبار الفقهاء لتبصير المغاربة بأصول الاسلام وفروعه وتعليمهم اللغة العربية (٩٨) • واستجاب البربر لتعاليم الفقهاء وأقبلوا جميعا على الاسلام حتى «غلب على المغرب» (٩٩) « ولم يبق يومئذ من البربر احد الا أسلم » (١٠٠) باستثناء جماعات طفيفة العدد متناثرة من المسيحيين ليست ذات بال (١٠١) • وهكذا تم اسلام البربر وتعريبهم « في سرعة وعمق وشمول » (١٠٢) على عكس دعاوى بعض المستشرقين (١٠٣) الذين ذهبوا الى أن حركة التعريب لم تسير انتشار الاسلام في المغرب ، وأن البربر لم يتعلموا العربية الا في وقت متأخر •

ووجد البربر المسلمون تناقضا صارخا بين تعاليم الاسلام ومبادئه بما تنطوي عليه من عدل ومساواة وبين سياسة الامويين الاواخر الجائرة، فاقبلوا على اعتناق مذهب الخوارج وهو في جوهره مذهب «ثوري ديمقراطي اشتراكي» ان صح التعبير ميور (١٠٤) وليس الى الشك سبيل في أن مبادئ الخوارج بما تنطوي عليه من تمسك بالشريعة في جانبها العقائدي (١٠٥) ، وثورية في قوامها السياسي وبساطة ووضوح في جوانبها الفكرية وجلت مناخا ملائما في ظروف المغرب الاسلامي وطبيعة سكانه •

فاذا كانت الديمقراطية هي محور مذهب الخوارج وقوامه باعتباره الامامة حقا متاحا لكل مسلم (١٠٦) ، فبيدهي ان يلقي ذلك المذهب قبولا لدى البربر الذين طال حرمانهم من المساواة مع العنصر العربي الحاكم • ومن الطبيعي ان تتولد لديهم نزعة قومية مغربية لازاحة نفوذ الاقلية العربية عن مكان الصدارة والحكم في إطار شرعي يكفله الدين • ولما كان مذهب الخوارج يقول بالثورة على الجائرين من الحكام (١٠٧) فقد وجد البربر في اعتناقه مبررا لاتفاضهم على الحكم العربي • وبمعنى آخر ، اكتسبت نزعة الاستقلال عند البربر – بفضل مذهب الخوارج – طابعا ثوريا دينيا (١٠٨) ، فالتقى البربر مع الخوارج في موقفهم من عدو مشترك ممثل في السلطة الاموية • وفضلا عن

ذلك فان وضوح فكر الخوارج والتزامه بظاهر الدين وعدم ميله للفلسفة والتأويل (١٠٩) جعله يتلاءم مع عقلية البربر (١٠٩) وبعبارة أخرى كان فكر الخوارج متسقا مع طبيعة البربر المعروفين «بأقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله» (١١٠) .

ومن مظاهر هذا الاتساق أيضا أن صفات الصلابة والقوة ممثلة في قول الخوارج بالاستعراض ورفض التقية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١١١) يقابلها عند البربر شدة المراس وقوة البأس والميل للتطرف (١١٢) .

وهكذا كانت مبادئ الخوارج متوائمة مع طباع البربر الفطرية و متمشية مع أهدافهم السياسية وروحهم القومية . وهذا ما عبر عنه السلوي (١١٣) في إيجاز رائع بقوله :

« .. وحسن موقعها (يعني مبادئ الخوارج) لديهم بسبب ما كانوا يعانون منه من وطأة الخلافة القرشية ، وجور بعض عمالها ، فلنقنهم أهل البدع أن الخلافة لا يشترط فيها القرشية بل ولا العربية .. ودسوا اليهم مع بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم ، وأروهم ما هم عليه من التصلب في دينهم . فظهر للبربر ببادي الرأي أن تعمقهم ذلك إنما هو من آثار الخشية لله والخوف منه ، وأن ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا .. » .

قصارى القول — ساعدت أحوال بلاد المغرب في أواخر القرن الاول الهجري وأوائل القرن الثاني على نزوح الخوارج المضطهدين في المشرق الى بلاد المغرب (١١٥) لنشر دعوتهم بين البربر وتحقيق ما فشلوا فيه من قبل من أهداف .

ثالثا : انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب

كان فشل الخوارج في الشرق في تحقيق أهدافهم سببه ان حركاتهم كانت تفتقر الى التنظيم السياسي (١١٦) ، وتعتمد الى القيسام بثورات دون تنظيم او اعداد سابق (١١٧) مما سهل على الخلافة الاموية وولاتها مهمة مناهضتها واستئصال شأفتها أولا بأول . وبانتهاء القرن الاول الهجري

اختفت مؤقتا الازارقة والنجدات وهما من اهم فرق الخوارج • وكان من الطبيعي ان تلجأ فرقنا الصفرية والاباضية الى أسلوب مغاير قوامه تنظيم الدعوة السرية وبث الدعاة في اطراف العالم الاسلامي لنشر تعاليم المذهب ، فاذا ما ازداد الانصار عددا وأنسوا من أنفسهم قدرة على الثورة بادروا بالخروج •

كانت بلاد المغرب أهم أقاليم الاطراف التي اتجهت اليها جهود دعاة الخوارج العراقيين (١١٨) فمتى تم ذلك ؟ وأي فرق المذهب قدر لها ان تنتشر في البلاد ؟؟

لا نستطيع ان نحدد في وضوح تاريخ بدء دعوة الخوارج بالمغرب بسبب تضارب الروايات واختلاطها • فابن حوقل (١١٩) يرجع بداية الدعوة الى معركة النهراون سنة ٣٨ هـ (٦٥٨م) فيذكر ان « عبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن اباض لجأ الى جبل نفوسة منذ وقت انصرافهم عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب من سلم معهم من أهل النهروان وأقاموا هذا الجبل دار هجرة لكن الراسبي عرف انه قتل في النهروان (١٢٠) ، كما ان ابن اباض لم يرد له ذكر بين من نجوا من القتل في المعركة (١٢١) ، الامر الذي يشكك في صحة هذه الرواية • ليس ببعيدا أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان قد اعتصموا بجبل نفوسة ، لكنهم لم يتركوا هناك أثرا يذكر لكن الانتشار الحقيقي للمذهب الخوارج في بلاد المغرب يعود الى أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني الهجريين (١٢٢) •

اما عن فرق مذهب الخوارج التي انتشرت ببلاد المغرب ، فانه قد اختلط أمر تحديدها على بعض المحدثين الذين أروخوا للخوارج في المغرب ، اذ زعم بعضهم (١٢٣) ان البلاد شهدت انتشار فرق الخوارج جميعها ، وشك البعض الآخر (١٢٤) في وجود فرقتي الاباضية والصفرية على أساس « ان مبادئ الفرقتين ليست مما يجذب البربر ، فهما أكثر فرق الخوارج ميلا للمسالمة والتسامح مع المخالفين» : علما بأن الصفرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا ، لا ننكر انهم اتخذوا موقفا وسطا بين الازارقة المسرفين في التطرف والاباضية المعتدلين (١٢٥) ، لكن ثوراتهم اتسمت بالقسوة والعنف سواء في المشرق

أو المغرب ، فلم يكونوا يقلون عن الازارقة في هذه الناحية (١٢٦) .

ونعتقد أن من أشرت اليهم من المؤرخين المحدثين انما تأثروا بما ذكره صاحب كتاب أخبار مجموعة (١٢٧) ، فما بال التحكيم فشافهم ورُفع المصاحف وحلق الرؤوس اقتداء بالازارقة وأهل النهروان » . لكن الذي نؤكد أن الازارقة قضى عليهم نهائيا بعد قتل قائديهما قطري بن الفجاءة وعبيد بن هلال سنة ٧٧هـ (٦٩٦م) على يد المهلب بن أبي صفرة واختفوا نهائيا بعدئذ من مسرح السياسة (١٢٨) . أما النجدات فقد قتل عمر بن عبيد الله بن معمر قائد عبد الملك بن مروان زعيمهم أبا فديك سنة ٢٢ هـ (٦٩١م) وقتل معه ستة آلاف من اصحابه بالبحرين ، فتضائل شأنهم بعد ذلك (١٢٩) .

معنى هذا أن فرقتين فقط من فرق الخوارج قد ظهرتا ظهورا واضحا في أحداث بلاد المغرب وهما فرقة الصفرية وفرقة الإباضية . فما تاريخ ظهور الفرقتين ؟؟

ينتسب الخوارج الصفرية الى عبد الله بن الصفار (١٣٠) ، وإن كانت كتب (١٣١) الفرق ترجع بهذا النسب الى شخص يقال له زياد بن الاصفر . وأيا ما كان الامر فلا محل لتصديق روايات أخرى ترجع تسميتهم لصفرة وجوهم من كثرة العبادة (١٣٢) « او لانهم خرجوا من الدين صفرا » (١٣٣) ، فكثرة العبادة من صفات الخوارج عموما وليست حكرا على الصفرية ، كما أن التفسير الثاني من نسج فقيه أباضي معاد للصفرية . ولا صحة للقول الذي ينسبهم الى المهلب بن أبي صفرة (١٣٤) أعدى أعداء الخوارج . ولا يمكن أن نقبل الروايات التي تنسبهم الى عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير أو أبي بلال مرداس (١٣٥) ، فلم يكن الخوارج قد افترقوا بعد الى فرقتهم المعروفة ، بل أطلق عليهم اذ ذاك « المحكمة الاولى » (١٣٦) . انما ظهر الصفرية حين خالف عبد الله الصفار نافعا بن الازرق حول مسألة العقدة سنة ٦٥ هـ (٦٨٤م) ، وهو خلاف فقهي بالدرجة الاولى (١٣٧) اتخذوا فيه موقفا وسطا بين الازارقة المتطرفين والاباضية المعتدلين فلم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد (١٣٨) .

والواقع أن عقائد الصفرية تمثل تطورا عمليا ملحوظا في فكر الخوارج

وعقائدهم ، اذ تجنح الى التخفيف من غلواء التطرف الذي أفضى بحركاتهم الى
الفشل من قبل . فهم لم يسقطوا الرحم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين
وتكفيرهم كالازارقة . كما نادوا بجواز التقية في القول دون العمل (١٣٩) ،
واجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية (١٤٠) .
وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الاسلامية بدلا من اشهار عداوتهم لها ، الامر
الذي اتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة ، وحقق لمذهبهم الانتشار .
لكنهم كانوا أكثر تطرفا من الاباضية في موقفهم من مرتكبي الكبائر ومن ثممن
مسألة الكفر والايان ، فينما رأى الاباضية أنهم موحدون قال الصفرية
بتكفيرهم (١٤١) . وفي ذلك تفسير لنزعة القسوة والعنف التي لازمت
سياسة الصفرية في معاملة اعدائهم .

وعلى كل حال - استفاد الصفرية من أخطاء الازارقة والنجدات ومن
كان قبلهم من المحكمة الاولى ، فترثوا قبل دخولهم معترك الحياة السياسية .
فلم نسمع عن حركات لهم قبل ثورة صالح بن مسرح ضد الامويين سنة ٧٦هـ
(١٤٢) . كما امتازت ثورتهم بالتركيز على منطقة الموصل والجزيرة
ودييار بكر ، واتخذوها مقرا تتجمع فيها قواتهم لتتجه في اعداد كبيرة نحو
البصرة والكوفة ، وقد سقطت الكوفة نفسها في ايديهم مرتين الاولى فسي
ثورة شبيب سنة ٧٧هـ (٦٩٦م) (١٤٣) والثانية في ثورة بسطام بن يشكر
المعروف بشوذب سنة ١٠٠هـ (٧١٨م) (١٤٤) الامر الذي يؤكد ان حركاتهم
كانت تهدف الى اقامة دولة للخوارج .

ان التطور الجديد في فكر الخوارج الصفرية بتجويز مبدأ التقية، والاتجاه
العملي في حركاتهم بالمشرك (١٤٥) يؤكد جنوحهم الى أسلوب الدعوة السرية
المنظمة في المغرب . لا ننكر ان هذه الناحية اكثر وضوحا عند الاباضية بسبب
وفرة المادة التاريخية المتعلقة بهم ، لكن تاريخ الصفرية لا يخلو من اشارات
تؤكد الاتجاه الذي أشرت اليه ، هذا الاتجاه الذي يتجلى في جهود دعائهم
في نشر مذهبهم ببلاد المغرب .

تذكر المصادر الاباضية (١٤٦) ان «أول من جاء يطلب مذهب الاباضية
ونحن بقرى وادى افريقية سلمة بن سعيد . قال : قدم علينا من ارض البصرة

ومعه عكرمة مولي بن عباس على بعير ، سلمة يدعو الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية » .

معنى هذا أن القيروان كانت مركز الدعوة في المغرب (١٤٧) ، لكننا لا نعرف على وجه الدقة متى حضر عكرمة - رأس دعاة الصفرية - الى افريقية . والراجع أنه وصلها خلال السنوات الخمس الاولى من القرن الثاني الهجري (١٤٨)

كان عكرمة هذا من أصل مغربي (١٤٩) ، وكان من موالي ابن عباس الفقيه ذائع الصيت . وقد أتاح له ذلك مخالطة كبار الفقهاء والمحدثين كابي هريرة والسيدة عائشة ، فسمع منهم وأخذ عنهم حتى اضحى من الاعلام الثقا في الفقه والحديث (١٥٠) . ثم دان بالمذهب الصفري وصار من فحول فقهاه . ومن الغريب الا نجد له ذكرا في حركات الصفرية في شمال العراق . وقد يفهم من ذلك انه مال الى تعاليم الصفرية في وقت متأخر . وقد عهد اليه نشر المذهب في بلاد المغرب بعد اتجاه الخوارج الصفرية الى اتباع اسلوب التنظيم والدعوة .

ولا يستفاد من النص السابق ان الصفرية والاباضية التاما في نظام واحد او أن دعائهما تلازما في نشر تعاليمهما ، فلم نقف على ما يشير الى مثل هذا العمل المشترك في الجهود التي قاما بها بين البربر . بل أن كلتا الجماعتين اختطت لنفسها طريقا خاصا . ولم تتورعا عن التنافس والصراع الذي انتهى باقتتالهما في بعض الاحيان كما أن دعاة الفرقة الاباضية اتجهوا الى الاقاليم الشرقية من بلاد المغرب ، بينما اتجهت الدعوة الصفرية الى قبائل المغرب الاقصى (١٥١) .

على كل حال نزل عكرمة بالقيروان حيث أمكنه الاتصال برؤساء القبائل من أمثال ميسرة المطفري . زعيم مطفرة - الذي تلقى العلم على يديه مختفيا ، فقد اشتغل بالسقاية في سوق القيروان حتى لا يكتشف امره . وعلى الرغم من كونه سييدا لعصبية لها خطرهما ، لم يتورع عن الاشتغال بتلك المهنة امعانا في التستر والحيطة . وقد تسنى له بذلك اخذ تعاليم المذهب عن عكرمة ثم عاد فنشرها بين قومه من بربر مطفرة (١٥٢) .

كما اتصل أبو القاسم سميكو بن واسول شيخ مكناسة بعكرمة فسي القيروان (١٥٣) كذلك ، وليس بالمشرق كما اعتقد البعض (١٥٤) ولازمه حتى موته في سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م) او سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥م) حسبما يرجح (١٥٥) وتبحر في أصول المذهب وفروعه حتى وصف بأنه من مشاهير حملة العلم (١٥٦) وبأنه « مقدم الصفرية » (١٥٧) بعد وفاة عكرمة . واستطاع أبو القاسم نشر المذهب بين قومه من مكناسة ، ثم اتجه نحو المناطق الصحراوية الجنوبية لبحث الدعوة فيها ، وعمد - شأنه شأن ميسرة - الى اتباع اسلوب التستر والتخفي فرحل الى واحة تافيلت - وهي ملتقى القبائل الرعوية جنوبية مغربي المغرب الأقصى - وتظاهر بتربية قطعان الماشية . وعكف على بث تعاليم المذهب بين الرعاة حتى تحولت خيمته الى مجمع للخوارج الصفرية في تلك النواحي (١٥٨) .

ولم يقتصر انتشار المذهب الصفري على بربر مطفرة ومكناسة ، ذلك أن بربر برغواطة اعتنقوا هذا المذهب في وقت مبكر على يد طريف بن شمعون الذي لقي عكرمة بالقيروان كذلك (١٥٩) .

واذا كانوا قد تخلوا عنه بعد ذلك واتبعوا تعاليم صالح بن طريف (١٦٠) فلا يمكن اغفال دورهم البارز في ثورة الصفرية الكبرى بالمغرب الأقصى التي تزعمها ميسرة المطفري سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) . والراجح أن ميسرة كان على صلة وطيدة بطريف بن شمعون « القائم بدعوة الصفرية » (١٦١) في برغواطة قبل تقلده زعامة الحركة (١٦٢) فلما قام بثورته أزروه ووقفوا الى جانبه ، لكنهم ما لبثوا أن ارتدوا عن الصفرية حين نحي ميسرة عن زعامتها ، فانهازوا الى دعوة صالح بن طريف .

وانتشر المذهب الصفري أيضا في زناته « فقد ضرب بنو يفرن فيسه بسهم وانتحلوه » (١٦٣) ، كما أقبلت بعض بطونها في المغرب الأدنى على اعتناقها وساهمت في حركات الصفرية بعد ذلك بصورة محدودة .

ولم يقتصر انتشاره على البربر وحدهم بل تعداهم الى العناصر الأخرى ، فبعض العرب المقيمين بأفريقية دانوا بالمذهب الصفري وقد تسرب هؤلاء الى المغرب بصحبة الجيوش القادمة من الشرق ، حتى ذاع عن بعض الولاة اعتناقهم لهذا المذهب او على الأقل تعاطفهم مع معتنقيه (١٦٤) فقد اتهم يزيد بن أبي

مسلم بأنه من الخوارج الصفرية (١٦٥) ، وإن كان لم يستطع الجهر بذلك خوفا وتقية حتى قيل بأنه « يعلم الحق ويكتمه » (١٦٦) .

كما انتشر المذهب الصفري بين جماعات الافارقة ، وهم أصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم واعتنقوا ديانتهم أو من الاجانب المستوطنين الذين طال وجودهم في بلاد المغرب حتى أصبحوا افارقة (١٦٧) . وهؤلاء كان لهم نمط خاص في حياتهم باعتبارهم أكثر تحضرا من سكان البلاد الاصليين ، وكانت لهم لهجتهم الخاصة التي لا يعرفها غيرهم (١٦٨) . وقد أقبلوا على اعتناق الاسلام رغبة منهم في الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المرموقة ، لكن الولاة الامويين الاواخر عاملوهم معاملة البربر . فلما انتشر المذهب الصفري بين بربر المغرب الاقصى لم يعجم الافارقة عن اعتناقه ، فقد تلقاه زعيمهم عبد الاعلى بن جريج عن عكرمة بالقيروان ثم نشره بين قومه (١٦٩) وحسبنا دليلا على ذلك اشتراك الافارقة في ثورة ميسرة سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) وتقليده عبد الاعلى واليا من قبله على طنجة بعد فتحها (١٧٠) .

وامتدت تعاليم الصفرية كذلك عن طريق ابي القاسم سمكو بن واصول الى جماعات السودان القاطنين جنوبي الصحراء . فمن المعروف ان قوافل التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان كانت تمر عبر واحة تافيلت حيث أقام أبو القاسم وأخذ يعمل على نشر المذهب الصفري . وكانت جماعات منهم تقطن هذه الواحة وتعمل في التجارة عبر الصحراء . وقد رحب هؤلاء بمبادئ الخوارج لما تنطوي عليه من مساواة دون اعتبار للعنصر أو اللون . ووجد أبو القاسم سمكو فيهم أتباعا مخلصين فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبهم . واخذت جموعهم تزداد وتستقر في اقليم تافيلت بصفة دائمة بعد اعتناقهم للمذهب الصفري ، وليس أدل على ذلك من أن قوتهم فاقت في هذا الاقليم قوة الصفرية من البربر ، حتى اذا ما شرع الصفرية في اقامة دولتهم بسجلماسة سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) اختاروا اول أئمتهم من السودان وهو عيسى بن يزيد الاسود (١٧١) .

وهكذا تفلغل المذهب الصفري في سائر أرجاء المغرب الاقصى وبعض نواحي افريقية والمغرب الادنى بين البربر والعرب والافارقة والسودان على

السواه • ولعل هذا الانتشار السريع وشموله كافة الاجناس والعناصر الموجودة ببلاد المغرب وتسربه حتى جنوبي افريقية هو الذي دفع ابن خلدون (١٧٢) الى القول بأن « الصفرية قد فشلت مقالاتها في سائر القبائل بأفريقية » وصار لهم فيها عدد كثير وشوكة قوية « على حد قول النويري (١٧٣) •

اما المذهب الاباضي فينسب الى عبد الله بن اباض المري التميمي (١٧٤) وان كان بعض مؤرخي الاباضية ينكرون ذلك (١٧٥) • ويجمع المؤرخون (١٧٦) على ان المذهب الاباضي ظهر - شأنه شأن الصفرية والنجدات والازارقة - سنة ٦٤ هـ (٦٨٣م) عندما خالف عبد الله بن اباض نافع بن الازرق فسي تكفيره للقعدة عن القتال واتخذ بذلك موقفا معتدلا •

والواقع ان الاعتدال هو السمة الواضحة لعقائد الاباضية ، اذ انهم يحرمون دماء المسلمين وسبي ذرائعهم وغنيمة اموالهم (١٧٧) • كما انهم اعتبروا دور مخالفتهم دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغى (١٧٨) • وأجازوا مناهجتهم وموارثتهم وغنيمة اموالهم من السلاح والكراع عند الحرب، وحرمو قتلهم وسبيهم في السرغيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحج (١٧٩) وقالوا في مرتكبي الكبائر انهم موحدون ، وان كفروا كفر النعمة لا كفر الملة • وتوقفوا في اطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام • ولصل طابع الاعتدال في عقائد الاباضية هذه هو ما جعلهم اقرب فرق الخوارج الى اهل السنة (١٨٠) •

والملاحظ ان الاباضية - كالصفرية - بدأوا حركاتهم السياسية في وقت متأخر فقد خرج عبد الله بن اباض على مروان بن محمد (١٨١) اخر خلفاء بني أمية، فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بقتالة وهزمه وقتله (١٨٢) ، معنى هذا ان ابن اباض لم يقدم على الثورة على اثر انفصاله عن نافع بن الازرق سنة ٦٤ هـ (٦٨٣م) انما اثر التريث حيث وجد في عصر مروان بن محمد الحائل بالاضطرابات فرصة مواتية للخروج • لكن فشله وقتله دفع أتباعه الى اتباع اسلوب العمل في الكتمان ونشر الدعوة في الاطراف ، فسي خراسان (١٨٣) وجنوبي الجزيرة العربية (١٨٤) والمغرب •

وكانت البصرة مركزا للدعوة ، ومنها كان الدعاة - الذين عرفوا بحملة العلم - يتوجهون الى الامصار بعد تلقيهم اصول الدعوة على أيدي فقهاء المذهب وشيوخه والمعروف ان انصار المذهب بالبصرة كانوا يمارسون مهامهم في طي السرية والكتمان ، فكانت مجالسهم في سراديب تحت الارض • وامعانا في التخفي • كان يجلس امام باب السرداب رجل يعمل القلاف وعلى فمه سلسلة يحركها اذا ما رأى شخصا مقبلا لينبه من في الداخل الى التزام الصمت ريثما يمر من يشتبه في أمره • (١٨٥) • وغالبا ما كانت هذه المجالس تقام في بيوت النسوة العجائز منعا للشبهة (١٨٦) ، بل ان روادها كانوا يتكفرون في ملابس النساء (١٨٧) •

وتطلق المصادر الاباضية على هذه المجالس اسم « الحلقة » (١٨٨) وفيها يتلقى الاتباع الاصول والفروع والسير (١٨٩) والتوحيد والشريعة وآراء الفرق الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (١٩٠) • هذا فضلا عن تبصيرهم بفنون الحكم واساليب السياسة، واعدادهم لتقلد المناصب والاضطلاع بأعبائها في مرحلة الظهور (١٩١) • وبعد ذلك يرحلون الى الامصار يدعون للمذهب ثم يشرعون في «المجاهرة بالعمل» ما توافر لهم « ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الرجال » (١٩٣) •

ويرجع الفضل في تنظيم اسلوب الدعوة الاباضية الى جابر بن زيد الذي حظى بمنزلة عالية عند الاباضية حتى اعتبره بعضهم (١٩٤) اول الائمة • لكن الاجل لم يمتد به ليشهد نجاح جهوده ، فقد توفي سنة ٩٦ هـ (٧١٥م) (١٩٥) • وخلفه احد تلامذته ويدعى ابا عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٩٦) الذي قيل انه ظل يتلقى العلم اربعين عاما وبمدها نصب نفسه لتعليمه (١٩٧) ومن هنا كانت شهرته الواسعة بتصفه في العلوم على اختلافها (١٩٨) فكان ندا لاعلام المعتزلة كواصل بن عطاء ، وكان يحاورهم ويجادلهم (١٩٩) • وقد سجن زمن الحجاج وأفرج عنه بعد موته ليتصدى لتنظيم جماعة الاباضية في البصرة خلفا لجابر بن زيد وساعده في ذلك كبار أعوانه من امثال ابي نوح وأبي مودود حاجب والربيع بن حبيب (٢٠٠) • وفي عهده ارتفع شأن الدعوة واشتد ساعدها ، فقد تسنى له جمع الكثير من الاموال وتمكن من شراء الاسلحة

ليستعين بها دعائه في الإصرار على « إقامة دين الله » (٢٠١) .

وليس من شك في أن بلاد المغرب ظفرت من أبي عبيدة باهتمام كبير (٢٠٢) فقد كانت ميدانا خصبا لنشر المذهب ، فبعث بداعيته سلمة بن سعيد فسي أوائل القرن الثاني الهجري لنشر الدعوة الاباضية بين المغاربة . وتجمع مصادر الاباضية (٢٠٣) على حماس سلمة الشديد في نشر المذهب حتى انه « كان يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره » . ويبدو انه اتخذ من بلاد المغرب الأدنى ميدانا لنشاطه حيث استطاع أن يكسب انصارا في اقليم طرابلس وجبل نفوسة (٢٠٤) . ولم يمتد به الاجل طويلا ، فحل محله أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الذي تتلمذ على أبي عبيدة بالبصرة (٢٠٥) ، واشتهر « بشدة الشككية وقوة العريكة » (٢٠٦) ، وفي أيامه تم انتشار المذهب بين بربر نفوسة في مستهل القرن الثاني الهجري (٢٠٧) . ومنذ ذلك الحين أصبح جبل نفوسة « دار هجرة » للمذهب الاباضي في بلاد المغرب (٢٠٨) .

وكان رسوخ قدم المذهب الاباضي في جبل نفوسة سببا في انتشاره بين القبائل الاخرى مثل حوارة ولماية وزناتة وسدراتة وزواغة ولواتة (٢٠٩) . اما مطاطة ، فلم تعتنق المذهب . الا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٢١٠) .

على كل حال - فإن انتشار المذهب الاباضي على هذا النحو بين كثير من قبائل المغربيين الأدنى والوسط كان في حاجة الى تدعيمه بمزيد من العلم بتعاليم المذهب وأصوله الفقهية ، وحسب سلمة بن سعيد وابن مغيطر انهما كسبا الانصار وبثا الدعوة بين القبائل . ولذلك تم اختيار ممثلين عن الجهات التي انتشر فيها المذهب للسفر الى البصرة لمزيد من الدرس ، فاختر عاصم السدراتي من غرب الاوراس ، وأبو داود القبلي النضراوي من نفزاوة جنوبي ادرقية ، واسماعيل بن دزار الغدامسي من غدامس جنوبي طرابلس ، وانضم اليهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان (٢١١) . وتوجه هؤلاء الذين عرفوا « بحملة العلم » الى البصرة حيث ظلوا في صحبة ابي عبيدة مسلم خمس سنوات (٢١٢) يتلقون العلم على يديه ويعلمون العدة للظهور ويتعلمون أصول الحكم وفنونه .

وجدير بالذكر ان ابا عبيدة أشار عليهم بأحد أتباعه من العرب ويد
ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمع المعافري (٢١٣) ليتولى « امامة الظهور
اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا » كما أعد اسماعيل بن درار الغدامسي لتولي
القضاء ، فعلمه اصول الفقه والافتاء (٢١٤) . وأوصاهم بمداومة الاتصال به
واستفتائه فيما يمن لهم من مسائل واخباره بنشاطهم اولا بأول (٢١٥) .

وعاد « حملة العلم » الى المغرب ، وواصلوا جهودهم في تثبيت دعائم
المذهب . ولما اشتد ساعدتهم عقدوا العزم على اعلان امامة الظهور سنة ١٤٠ هـ
(٧٥٧م) .

مكثا أصبحت بلاد المغرب ممكلا لنشاط الخوارج بعد انتشار المذهب
الصفري (٢١٦) بين بربر المغرب الاقصى وبعض نواحي المغرب الاوسط ،
والاباضي في المغربين الادنى والاوسط . وبدأ الخوارج حقبة جديدة فسي
تاريخ البلاد حيث عمت الثورات كافة ربوعها ، وهو ما سنفصله في الباب
الثاني .

الباب الثاني

ثورات الخوارج في بلاد المغرب في عصر الولاة

أنتهينا الى ان مذهب الخوارج بشقيه الصفري والاباضي انتشر انتشارا واسعا في بلاد المغرب حتى صار للخوارج «عدد كثير وشوكة قوية» (١) وقد سبق ان اوضحنا ما اوصى به رؤساء المذهب في الشرق دعائهم في المغرب «بالظهور» بعد اتمام الدعوة ان استطاعوا الى ذلك سبيلا . ومرحلة الظهور هذه تعني «الثورة على أئمة الجور» (٢) حسبما تعنيه مبادئ الخوارج وتحض عليه ، وان اعتبرت تمردا «وتطاولا» (٣) في نظر الخلافة وعمالها في بلاد المغرب .

والواقع أن ظروف المغرب كانت مواتية لاندلاع ثورات الخوارج سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) بعد تفاقم مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب . فعلى الرغم مما عرف به من درية ودراية بفنون الحكم والسياسة (٤) ، كانت سياسته في بلاد المغرب «سببا لانتفاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة» كما ذكر ابن عذارى (٥) ، ففي عهده احتدت الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية ولما كان قيسيا ، فقد لاقى العرب

اليمنية على يديه عنتا واضطهادا شديدا (٦) . وولى على طنجة وما والاها عمر بن عبيد الله المرادي ، فأساء السيرة وتمدى في الصدقات والقسم ، وأراد أن يخمس البربر ، وزعم أنهم في المسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، (٧) . كما عهد الى ابنه اسماعيل بولاية السوس الاقصى ، فاستبد بالبربر هناك ، وكثر عبثه بذوارهم ، وجوره على اموالهم (٨) . ولا شك ان ابي الحبحاب كان راضيا عن سيرة عماله ، فقد كان عليه ان يفي بوعوده للخليفة هشام بن عبد الملك بارسال المزيد من الاموال والسبايا (٩) مما يجلبه هؤلاء العمال . ولعل حرصه على ذلك يفسر عهده الى حبيب بن ابي عبيدة بقيادة حملة ضخمة جابت بلاد المغرب حتى اقصاها . واصابت من السبسي والذهب امرا عظيما ، وبثت الرعب والفرع في تلك الانحاء (١٠) .

وقد اتخذ ابن الحبحاب من البربر اداة لخدمة اطماعه خارج بلادالمغرب فرمى بهم في الحملات التي انفذها الى سردينية وصقلية (١١) ؟ الامر الذي زاد في كراهيتهم للحكم العربي وتصميمهم على الثورة . وقد ساعد على ذلك غياب معظم الجيش العربي الافريقي خارج البلاد في الحملة التي قادها حبيب بن ابي عبيدة على صقلية سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) (١٢) ، وانسفال الخلافة الاموية اذ ذاك بمشاكل الحكم (١٣) وبعد بلاد المغرب الاقصى عن مقر الولاية بالقيروان . لذلك كانت الظروف مواتية تماما لبربر المغرب الاقصى الذين اعتنقوا المذهب الصفري لاعلان الثورة «والظهور» وهو ما عبر عنه ابن خلدون (١٤) بقوله «... ان الخارجية حين رسخت في البربر عروق من غرائسها تطاول البربر الى الفتك بأمر العرب» .

اولا : ثورات الخوارج الصفرية

أنتهينا الى أن المذهب الصفري انتشر بين قبائل المغرب الاقصى كمطرفة ومكناسة وزناتة وبرغواطية وعنصري الافارقة والسودان . كما امتد نفوذه الى بعض جهات المغربيين الادنى والاوسط - وان كانت السيادة فيها للمذهب الاباضي - عن طريق القبائل البدوية دائمة الترحال مثل هوارة وزناتة ونظرا لمواتة ظروف الخوارج في المغرب الاقصى لقيام الثورة ، ولغلبة المذهب الصفري

وسيادته بين قبائله ، كان الخوارج الصفرية سباقين الى تخطي مرحلة الدعوة الى «مرحلة الظهور» وعلان الثورة (١٥) بينما شغل الاباضية اذ ذاك باتمام نشر المذهب وتلقيه معنقيه وارسال بموئهم الى البصرة للاعداد لمرحلة الثورة . وعلى ذلك فلا محل لتصديق الرواية المتواترة (١٦) القائلة بانضواء خوارج المغرب اباضية وصفرية تحت لواء ميسرة المطغري في ثورة عام ١٢١هـ ، فتلك بلا شك كانت ثورة صفرية خالصة .

والروايات تختلف حول اصل ميسرة قائد الثورة ، فتذهب بعضها الى أنه من اصل (١٧) عربي وتنسبه الى قبيلة الازد ، بينما تؤكد الاخرى (١٨) . وهو الأرجح - انتماء الى قبيلة مطغرة من البربر . كما اختلفت ايضا حول لقبه ، فقول ميسرة الحقيير (١٩) او الخفير (٢٠) ، وقيل الفقير (٢١) . ويخيل الينا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرا لشأنه ، او لما عرف عن اشتغاله بالسقاية في سوق القيروان (٢٢) . والذي لا شك فيه ان ميسرة كان سيد قومه وشيخ قبيلته ، فابن خلدون (٢٣) - العالم بأنساب البربر - يدعو «رئيس مطغرة» والسلوي (٢٤) يصفه بأنه «مقدم الصفرية» . وما اشتغاله بالسقاية الا يقصد التستر والتمويه على الخصوم حينما كان يتلقى اصول المذهب الصفرى على عكرمة مولى ابن عباس في القيروان ، ولما تتيحه مهنة السقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اشارة لشكوك الخصوم .

وقد سبق التعريف بدور ميسرة في نشر المذهب الصفرى بين قبيلته مطغرة ، ويبدو ان دعاة المذهب في المغرب أجمعوا على زعامته بعد موت عكرمة مولى ابن عباس ، فتخبرنا المراجع ان مكناسة أزرتة واشتركت في ثورته (٢٥) ، كما انضوى الافارقة بزعامة عبد الأعلى بن جريج تحت لوائه (٢٦) ، وكذلك فعلت يرغواطة وزعيمها طريف (٢٧) ، وقد اتخذ ميسرة من ابنه صالح ناصحا ومشير (٢٨) . وهكذا تسنى له توحيد القبائل الصفرية في كافة ربسوع المغرب الاقصى تحت زعامته (٢٩) .

ويخبرنا (٣٠) الطبري ان ميسرة تزعم وفدا من البربر رحل به الى الشام ليشكو للخليفة هشام بن عبد الملك جور عماله ، وأن جوهر الشكوى يكمن في حرمانهم من غنائم الحروب التي خاضوها في حملات ابن الحبحاب رغم

حسن بلائهم ، وحيف عماله بهم بنهب أموالهم وسبي ذرائعهم • ونعتقد ان الهدف الحقيقي هو الوقوف على مسؤولية الخلافة عن سياسة عمالها في المغرب وأخذ الحجة عليها تبريرا لقيامهم بالثورة حسبما ينص عليه مبدأ الخوارج في «الثورة على أئمة الجور» (٣١) وهو ما ذكره الطبري بأن الجماعة أرادت ان تعرف «أعن رأى أمير المؤمنين هذا أم لا» على كل حال ، فقد حيل بين الوفد وبين لقاء الخليفة ، وأدرك ميسرة وجماعته ان الخلافة متواطئة مع عمالها فيما حدث بالمغرب من ظلم وجور ، وعقدوا العزم على الثورة •

ثم بويع ميسرة بالامامة على اثر عودته (٣٢) وزحف بجموع الصفرية الى طنجة ففتحها وقتل عاملها عمر بن عبيد الله المرادي (٣٣) ، وعين عبد الاعلى بن جريج الافريقي واليا عليها (٣٤) • واتجه بعد ذلك الى السوس فدانث له بعد أن قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب (٣٥) • وتمت له السيطرة على المغرب الاقصى واقتطاعه عن نفوذ القيروان بعد وقائع صغيرة بلغت من الكثرة ما جعل المؤرخون يمزفون عن سردها ؟ وقد وصفها ابن عذارى (٣٦) بأنها «وقائع يطول ذكرها» • ومما سهل من مهمته ان القبائل الموالية له كفته مئونة افتتاح سائر اجزاء البلاد «فهب كل قوم من البربر على من يليهم» فقتلوا وطردوا (٣٧) « بينما اتجه بنفسه الى مقر الولاية في افريقية (٣٨) •

وقد بادر ابن الحبحاب بمواجهة خطر الصفرية ، فبعث ما لديه من جند بقيادة خالد بن أبي حبيب القهري (٣٩) ليحول دون وصول ميسرة الى القيروان • كما أسرع في استدعاء حبيب بن أبي عبيدة وجيشه الذي كان قد انفضه الى صقلية (٤٠) ، وأمره بالتوجه في اثر خالد بن أبي حبيب • وعبر خالد بجيشه وادي شلف - وهو نهر بمقربة تاهرت - والتقى بميسرة على مغربة من طنجة • أما جيش صقلية الذي وصل على الاثر ، فقد رابط عند مجاز النهر (٤١) •

واقترن خالد وميسرة قتالا شديدا ، انصرف بعده ميسرة الى طنجة (٤٢) والراجع انه هزم في تلك المعركة ، والا فما الداعي لانسحابه ولجؤه الى الدفاع بعد الهجوم (٤٣) لعل ذلك كان سببا في تنحيته عن القيادة واختيار الصفرية خالد بن حميد الزناتي ليحل محله (٤٤)

على كل حال - لجأ خالد الزناتي الى الحيلة ، فقسم جيشه قسمين واجه أحدهما جيش خالد الفهري بينما قام الآخر بحركة التناقص من خلفه لبعوق اتصالاته بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابط عند مجاز وادي شلف (٤٥) وليحول بين جيش خالد الفهري وبين امكانية الهرب . وبذلك وقع جيش الفهري في «كمين البريز» كما ذكر ابن الاثير (٤٦) ، وكانت النتيجة ان قضى عليه برمته قضاء مبرما (٤٧) . وقتل في المعركة «حماة العرب وفرسانها وكماثها وأبطالها» فسميت من ثم «معركة الاشراف» (٤٨) .

أما حبيب بن أبي عبيدة فقد لاذ بتلمسان حيث علم بتواطؤ واليها موسى بن أبي خالد مع الصفرية ، فعاقبه بقطع أطرافه (٤٩) .

وأسفرت هزيمة الاشراف عن تمرد العرب بالقيروان على واليها عبيد الله بن الحبحاب وتنحيته عن الولاية (٥٠) . وصادف ذلك هوى في نفس الخليفة هشام بن عبد الملك فيبحث في استدعائه ، فقفل اليه في جمادي الاول من عام ١٢٣هـ (٧٤١م) (٥١) .

وقد غضب (٥٢) الخليفة لما حل بالعرب في موقعة الاشراف ، فبعث جيشا ضخما بقيادة كلثوم بن عياض القشيري (٥٣) الى المغرب وجعله على ولاية افريقية (٥٤) . كما عهد الى بلج بن بشر بالامر من بعده ، فان قتل تولاه ثعلبة بن سلامة العاملي (٥٥) . وبلغ جيش كلثوم ثلاثين الفا من أهل الشام ومصر - عشرة آلاف من بني أمية وعشرون الفا من بيوتات العرب (٥٦) - فضلا عن انضم اليه من المتطوعة وجند افريقية وعددهم اربعين الفا (٥٧) . وأمدّه بالادلاء والمرشدين من أمثال مغيث مولي الوليد بن عبد الملك وهرون القرني لخبرتهما بمسالك المغرب وطبائع البربر (٥٨) . كما أتاح له سلطات واسعة وحرية في العمل بما يتناسب وجسامته ما عهد اليه من مهمة استرداد نفوذ الخلافة وفأباح له الاباحات ووضع له الاطواء (٥٩) .

وبالرغم من ذلك كله ، كانت عوامل الضعف في جيش كلثوم تنذر بالفشل والهزيمة . فقد افتقر الى النظام والالفة بين عناصره من قيسية ويمنية ومتطوعة وأموية (٦٠) . وكانت قيادته للقيسية (٦١) ، كما كان قائده طاعنا

في السن قليل الهيبة، في حين كان بلج بن بشر مقدم الخيل صلفا (٦٢) ،
فشارت الخصومات القبلية وتصدع الجيش العربي قبل التقائه بالثوار من البربر
الصفريّة . واحتدم الصراع بين كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة شيخ اليمينية
بالمغرب ، ولم يتصالحها الا على مضض حين توجهوا لقتال الصفريّة (٦٣) بقيادة
خالد بن حميد الزناتي (٦٤) عند وادي نهر سبسو (٦٥) في موضع يقال له
بقدورة (٦٦) .

فلم يلبث الخلاف ان دب بينهما حول أسلوب القتال ، اذ عرض كلثوم
عن مشورة حبيب بن أبي عبيدة بمقاتلة الصفريّة «الرجالة بالرجالة» ، والخيل
بالخيل» (٦٧) كما أهمل بلج بن بشر نصيحة هرون القرني ومغيث باحتماء
الرجالة وراء الخنادق والكراديس في الوقت الذي يلتف فيه الخيالة خلف
صفوف الصفريّة لمهاجمة قراهم وذرايعهم ، وأصر على النزال وجها لوجه
استهانة بهم لقلة ما لديهم من سلاح (٦٨) هذا في الوقت الذي بلغ فيه حماس
الصفريّة ذروته ، فبرزوا ، عراة متجردين ليس عليهم الا السراويلات (٦٩)
واقعدوا بخوارج المشرق ، فحلّقوا رؤوسهم وتمالت أصواتهم بالتحكيم ، اذكاء
للحماس (٧٠)

وأمر كلثوم بلجا باقتحام صفوف الصفريّة بخيله ايمانا بقدرتها على
احراز النصر . لكن خاب ظنه حين رماها الصفريّة «بالاوضاف» (٧١) وهي
والجلود اليابسة فيها الحجارة» (٧٢) . كذلك عمد الصفريّة الى «الرمك الصعبة»
فعلّقوا في أذانها القرب والانطاع اليابسة ، ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم ،
فكانت خيله تنفر وتلوذ بالفرار (٧٣) . وهكذا شل الصفريّة تفوق العرب
بما لديهم من خيل وأحبطوا آمالهم في احراز النصر (٧٤) . وعبثا حاول كلثوم
اقناع حبيب بن أبي عبيدة بتولي القيادة استنقاذا للموقف ، فقد ابى حبيب
لتيقنه من حلول الهزيمة بالعرب (٧٥) . وحاول بلج بن بشر ان يكسر صفوف
البربر بخيله مرة اخرى ، ونجح بالفعل ، لكن الصفريّة تمكنوا من الالتفاف
حوله وعزله عن الجيش العربي ثم فتكوا بغالب خيله وفرسانه (٧٦) . واختلط
الجيشان في «معركة رجالة» (٧٧) كان الصفريّة فيها اكثر عددا (٧٨) واشد
مراسا واستبسالا وحلت الهزيمة بالجيش العربي بعد قتل كلثوم وحبيب بن

أبي عبيدة (٧٩) • اما بلج فقد تمكن من الفرار نحو طنجة على رأس عشرة آلاف من جنده (٨٠) • وعادت فلول الجيش المهزوم الى افريقية في نحو عشرة آلاف كذلك • وهكذا أسفرت معركة بقدورة سنة ١٢٣هـ (٨١) (٧٤١م) عن انتصار الصفرية (٨٢) على جيش كلثوم الذي آل مصيره الى «ثلث مقتول ، وثلث منهزم ، وثلث مأسور» على حد قول صاحب قول الاخبار المجموعة (٨٣) •

تمت للصفرية بعد بقدورة السيطرة على بلاد المغرب الاقصى • وكان من الطبيعي ان يمتد نشاطهم الى المغربين الاوسط والادنى • ولما كان هدفهم الاستيلاء على القيروان مقر الولاية ، غدت بلاد افريقية واقليم الزاب بوجه خاص ميدانا لنشاطهم •

وتزعم هذه المرحلة عكاشة بن أيوب النخاوي وعبد الواحد بن يزيد الهواري (٨٤) • وهذا يعني ان قبيلتي نفزة وهوارة بالمغربين الادنى والاوسط لعبتا دورا أساسيا في هذا الصدد مستعینتان بزناطة • لقد تخلت زناطة - التي كانت قد انتزعت زعامة الثورة من مطهرة - عن صدارتها لنشاط الصفرية في المغرب الاوسط ، ولم تسهم بطونها الضاربة بالمغرب الاقصى برئاسة خالد بن حميد في الثورة بافريقية بعد ان تمت له السيطرة على المغرب الاقصى • انما لعبت قبائلها بالمغرب الاوسط دورا قليل الاهمية في هذا الصدد الى جانب قبيلتي نفزة وهوارة ذات النفوذ والغلبة في افريقية •

ومهما كان الامر فقد تولى قيادة ثورات الخوارج الصفرية ابتداء بميسرة شخصيات من البربر تبرا وبرانسا • فهوارة من بطون البرانس (٨٥) • بينما تنتمي زناطة الى البتر (٨٦) ، وفي تعاونهما معا رغم ما كان بين البتر والبرانسا من عداوة وصراع ما يدل على تغلب العامل الديني على النعرات العصبية والخلافات القبلية التقليدية ، وما يدل ايضا على التعاون والترابط بين حركات الصفرية في بلاد المغرب •

ففي الوقت الذي زحف فيه كلثوم بجيوشه لمواجهة صفرية المغرب الاقصى • قام عكاشة وعبد الواحد بالاستيلاء على قابس بعد ضربها بالمجانيق (٨٧) • كما استمد عكاشة العون من صفرية زناطة بالمغرب الاوسط

ونجح أخوه بفضلهم في حصار سوق سبرت واقصاء عامل كلثوم عنها (٨٨) • وكان من المتوقع ان يلتقي صفرية هواة بقيادة عكاشة بصفرية زناتة تحت زعامة أخيه لمحاصرة القيروان ، لكن المحاولة اجبطلت حين تمكن صفوان بن مالك عامل طرابلس من تبديد الجيش الزناتي والحيولة دون انضمامه الى صفرية هواة (٨٩) • وشجع ذلك مسلمة بن سودة الذي أسند اليه كلثوم بن عياض قيادة جيش القيروان على الخروج لقتال عكاشة ، لكنه هزم وعاد من حيث أتى (٩٠) • فثار عليه جنده وعقدوا اللواء لسعيد بن مجرة الغساني الذي اثر الاعتصام بالقيروان (٩١) ولم يفادها الا لمهاجمة قابس بالاتفاق مع عامل طرابلس • وفوت عكاشة الفرصة عليهما ، فترك قابس ويم وجهه شطر القيروان بعد خروج سعيد بن بجرة منها ، لكنه مني بالهزيمة على يد أمير صلاتها عبد الرحمن بن عقبة الغفاري (٩٢) ، وقتل كثير من رجاله وتفرق من بقي منهم (٩٣) ، فهرب بنفسه لاثذا بالصحراء سنة ١٢٤ هـ (٩٤) (٧٤٢م) •

وفي الوقت الذي حاول فيه عكاشة وعبد الواحد تنظيم الصفرية في اقليم الزاب والاستعانة بصفرية زناتة بزعامة أبي قره (٩٥) ، وصل حنظلة بن صفوان الى القيروان على رأس ثلاثين الف مقاتل من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك (٩٦) سنة ١٢٤ هـ (٧٤٢م) • وجدير بالذكر ان هشاما أبدى اهتماما فائقا بهذه الحملة لاحساسه بتحرج مركز الخلافة في المغرب وخشيته من اقتطاع الصفرية لافريقية بعد نجاحهم في سلخ المغرب الأقصى عن نفوذها، فأشرف بنفسه على تدبير الخطط • ولم يتوان عن ارسال الامداد (٩٧) •

حاول حنظلة افساد جهود عكاشة وعبد الواحد في لم شمل الصفرية، فبعث برسالة الى صفرية المغرب الأقصى والوسط يتخصم على التزام الطاعة ويشني عزمهم عن مؤازرة عكاشة وعبد الواحد (٩٨) • كما باغت عكاشة في اقليم الزاب ، وتمكن قائده عبد الرحمن بن عقبة من هزيمته • وحاول عبد الرحمن معاودة الكرة ، لكن عكاشة طفر به وقتله في نفس العام (٩٩) • كذلك كان مصير عامله على طرابلس معاوية بن صفوان الذي بعث اليه يعرضه على البطش بصفرية نفزة (١٠٠) ، فتمكنوا من أسره وقتله •

ثم توجه عكاشة الى القيروان عن طريق مجانة ، واستقر على بعد سنة

أميال منها في مكان يعرف بالقرن (١٠١) . كما نجح عبد الواحد الهواري في تعبئة صغرية تلمسان بقيادة أبي قررة ، وانضم اليه كذلك بعض قبائل الصغرية في المغرب الأقصى (١٠٢) ، وزحف بجيشه البالغ ثلاثمائة ألف مقاتل الى القيروان وعسكر في مكان يقال له الاصنام (١٠٣) ، بعد انتصاره على جيش أنفذه حنظلة ليحول دون وصوله اليها (١٠٤) . وهكذا فشلت جهود حنظلة في تفتيت قوى الصغرية (١٠٥) ، واضحت القيروان في متناول أيديهم .

ولجأ حنظلة بعد ذلك الى حفر خندق حول القيروان ، عساه ان يحول دون سقوطها ، كما عمل على تثبيط همة عكاشة ، فكتب اليه «يرغبه ويمنيه» دون جدوى (١٠٦) فلم ينتظر حتى يستشير الخليفة في الامر (١٠٧) ، انما عول على مواجهة الخطر الصغري توا ، فبذل الاموال والعطايا (١٠٨) ، وعبأ جيشه وأحسن تنظيمه (١٠٩) ، ونجح في استمالة أهل القيروان على اختلاف طبقاتهم وعناصرهم (١١٠) . وتمكن من هزيمة عكاشة (١١١) . ويذكر ابن الاثير (١١٢) انه كان نصرا خاطفا أحرزه حنظلة قبل ان ينهض عبد الواحد لدخول القيروان . لكن الرقيق (١١٣) يؤكد ان القتال ظل سجالا حتى حلت الهزيمة بالصغرية « وقتل منهم خلق كثير» وأمر عكاشة وقتل سنة ١٢٥ هـ (١١٤) (٧٤٣م) .

ثم بادد حنظلة بلقاء عبد الواحد ، وانتصر الصغرية في البداية، لكنهم هزموا بعد ذلك ، وقتل عبد الواحد وتكسل بجيشه ، وفرت فلوله الى جلولاء (١١٥) . واجتهد حنظلة بانتصاره في معركتي القرن والاصنام، وطير خبره الى الخليفة مزهوا (١١٦) .

والحق - ان هاتين المعركتين كانتا نصرا عظيما للخلافة الاموية (١١٧) وردا لاعتبارها بعد هزيمتي الاشراف وبقدرة . وحال هذا النصر بين افريقية وبين الانسقوط في يد الصغرية ، وأكد نفوذ الخلافة في المغرب الاوسط .

لكن النفوذ الاموي في بلاد المغرب ما لبث ان تداعى بضعف الخلافة الاموية على اثر وفاة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) . ولعل مر

أبرز الأحداث دلالة على ضعف هبة الخلافة بالمغرب تغلب عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة (١١٨) على إفريقية سنة ١٢٧ هـ (٧٤٥م) ، وإرغام حنظلة بن صفوان على مغادرتها ، وتسليم الخليفة مروان بن محمد مضطرا بشريعة ولايته (١١٩) .

والحق أن عبد الرحمن بن حبيب استطاع عن طريق الحيلة (١٢٠) والعنف معا قمع حركات الصفرية التي قامت في عهده ، ففضى على ثورة عروبة بن الوليد الصديقي بتونس (١٢١) ، كما بدد الائتلاف الصفرى الذي قام بين عبد الله بن سكرديد وثابت بن وريدون الصنهاجي في باجة (١٢٢) لكن أمر الصفرية لم ينقطع من المغرب كما ذهب ابن خلدون (١٢٣) ومن أخذ عنه (١٢٤) ، بل ازدادت ثوراتهم شدة بعد موت عبد الرحمن بن حبيب . ووجدوا في انشغال الخلافة العباسية بمشاكلها (١٢٥) ، وفي الصراع حول الامارة بين آل بيت عبد الرحمن بن حبيب فرصة مواتية لاستئناف حركاتهم .

ومرة أخرى تزعمت نفراوة هذه الحركات ، فقد استطاع عاصم بن جميل زعيم ورفجومة (١٢٦) - وهي من بطون نفراوة - (١٢٧) ان يوحد سائر بطون القبيلة ، فانضم اليه رؤساء البطون وأيدوه ، ومنهم عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم (١٢٨) .

ويبدو ان عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن أخيه أظهر الولاء لابي يلجأ اليها لمناصرته ضد ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن (١٢٩) . ووجد عاصم بن جميل في ذلك الفرصة المواتية ، فرحب به ووقف معه في وجه خصومه ، ولم يعبأ بتعهدات حبيب عندما طلب اليه تسليم عمه والتخلي عن مناصرته . والحق به الهزيمة عندما عمد الى محاربته (١٣٠) .

ويبدو ان عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن أخيه أظهر الولاء لابي جعفر المنصور (١٣١) . ولصلته بعاصم بن جميل ، اعتقد أهل القيروان ان عاصم ايضا من أنصار الخلافة العباسية .

وليس ببعيد ان يكون عاصم بدوره قد أظهر الولاء لبني العباس ليكسب أهل القيروان ، والا لما أقدم أهل القيروان على استدعائه ، بعد أن أخذوا عليه

المهود والمواثيق والدعاء للمنصور (١٣٢) . وبذلك جذب أعدادا غفيرة منهم ،
فانضموا الى جيشه (١٣٣) .

أما حبيب بن عبد الرحمن فقد توجه لللاقة الصفرية بعد ان استخلف
على القيروان قاضيها (١٣٤) . لكن عاصم تمكن من هزيمته ففر الى قابس ،
واتخذ عاصم طريقه نحو القيروان . وخرجت جماعة القيروانيين بزعامته
القاضي أبي كريب للحيلولة دون دخوله المدينة ، لكن زملاءهم في جيشه
أثنوهم عن عزمهم ودعوهم الى طاعته (١٣٥) ، فاستجابوا لهم وتركوا قاضيهم
في جماعة قليلة من الفقهاء أجهز عليهم الصفرية (١٣٦) بظاهر القيروان سنة
١٣٩ هـ (١٣٧) (٧٥٦م) . ودخل الصفرية المدينة واستولوا عليها (١٣٨) .

ثم استخلف عاصم على القيروان عبد الملك بن أبي الجعد ليتفرغ
للملاحقة حبيب بن عبد الرحمن ، وتمكن من هزيمته عند قابس ، ففر الى الاوراس
لاثذا بأهله (١٣٩) فاقتفى عاصما أثره ، والتحم معه في معركة هزم فيها
الصفرية ولقى حاتم حتفه (١٤٠) .

وحاول حبيب بن عبد الرحمن استرداد القيروان فزحف اليها بأنصاره،
لكنه هزم وقتله عبد الملك بن أبي الجعد سنة ١٤٠ هـ (١٤١) (٧٥٧م) . وبذلك
قضى الصفرية على الفهريين في المغرب وأضحت لهم السيطرة الكاملة على
القيروان وسائر افريقية » (١٤٢) .

ويبدو ان الصفرية بعد ان اقتطعوا المغرب الاقصى والوسط ودانت
لهم افريقية والقيروان ، أصبحوا خطرا على بلاد المغرب الادنى التي كانت
الغلبة فيها للمذهب الاباضي . ولعل ذلك يفسر ما حدث من صراع بين
الاباضية والصفرية ، وقيام أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المسافري
بالاستيلاء على القيروان واقصاء الصفرية عنها . وتبدو وجاهة هذا القول اذا
ما ادركنا حقيقة اهداف الاباضية في انشاء دولة لهم ببلاد المغرب بعد نجاح
دعوتهم بين بربر المغرب الادنى . وقد سبق القول بأنهم شرعوا في ذلك
على اثر عودة دعائهم من البصرة سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) بعد اجماعهم الرأي مع
فقهاء المذهب ومشايخه على ابتداء امامة الظهور . ولما كان نجاح الصفرية

يشكل حجر عثرة أمام مشروعاتهم في قيام دولة أباضية ، أصبح الاحتكاك بين القوتين الخارجيتين أمرا مؤكداً .

وعلى ذلك فلا محل لتصديق ما تقدمه المصادر السننية والاباضية (١٤٣) على السواء من تعليقات غير مقنعة لتبرير خروج أبى الخطاب وحروبه مسح الصفرية في القيروان ، اذ تذكر ان أبا الخطاب ما خرج «الا غضبا لله ولدينه» (١٤٤) استجابة لدعوة أهل القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية .

تصارى القول - فان أبا الخطاب بعد ان بايحه انصاره بالامامة توجه بجيشه نحو قابس فحاصرها حتى سقطت ، فترك عليها عاملا من قبله وارتحل لمقاتلة الصفرية بالقيروان (١٤٥) . وبث عبد الملك بن أبي الجعد فصائل من جيشه لتحول دون وصول الاباضية ، لكنها منيت بالهزيمة . فخرج بنفسه على رأس الصفرية والتقى بأبي الخطاب خارج القيروان ، فهزم جيشه وقتل في المعركة (١٤٦) . ودخل أبو الخطاب المدينة سنة ١٤١ هـ (٧٥٨م) وولى عليها عبد الرحمن بن رستم (١٤٧) ، ثم غادرها على وجه السرعة لمواجهة جيوش الخلافة التي أنفذها المنصور . وعين عبد الرحمن بن رستم عماله على سائر أقاليم افريقية التي تخلصوها من الصفرية (١٤٨) .

ويخيل إلينا أن انهزام الصفرية في افريقية ادى الى ارتفاع نجمهم مرة اخرى في بلاد المغرب الاوسط ، حيث نجح أبو قرّة الصفري في تكوين امارّة مستقلة بنواحي تلمسان كما تمكن أبو القاسم سمكو بن واسول من ارساء دعائم دولة بني مدرار في سجلماسة على الرهزيمة الصفرية في القيروان سنة ١٤٠ هـ .

انتقل اذن مركز الثقل في نشاط الصفرية من افريقية الى المغرب الاوسط بعد تكوين أبو قرّة الصفري امارته الصغيرة في تلمسان . والواقع ان الغموض يكتنف أصل أبي قرّة ، فمن المؤرخين ما يرجع بنسبه الى قبيلة مغيلة ، ومنهم من ينسبه الى بني يفرن من زناطة (١٤٩) . ويرجع الخلاف الى العرف الشائع عند البربر من انحراط القبائل تحت زعامة أكثرها قوة ونفوذاً . حقيقة ان بني يفرن « كانوا أشد قوة وأكثر جمعا » : لكن مغيلة كانت « أشهر بالخارجية من بني يفرن » (١٥٠) .

ولما كانت القبيلتان متجاورتين (١٥١)، فقد حدث اللبس حول اصل
أبي قررة .

ومهما كان الامر ، فان أبا قررة تزعم صفرية المغربيين الاوسط والاقصى
بعد خالد بن حميد الزناتي (١٥٢) . واشترك في حصار القيروان الى جانب
عبد الواحد الهواري سنة ١٢٤ هـ ، ثم عاد أدراجه الى تلمسان على أثر هزيمة
الاصنام . ويضيف الرقيق (١٥٣) ان عبد الرحمن بن حبيب هزمه هزيمة
ساحقة سنة ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) فتت في عضده ، فلم يسهم في حركات صفرية
نفرأوة ضد حبيب بن عبد الرحمن ، وتركها تتلقى سوء المصير على يد أبي
الخطاب الاباضي سنة ١٤٠ هـ . ولعل ذلك يفسر مبايعته بالامامة في وقت
متأخر سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) - كما يذكر ابن خلدون - بعد ان انضوى
صفرية المغرب الادنى تحت زعامته فضلا عن صفرية الاجزاء الساحلية والغربية
من المغرب الاوسط (١٥٥) .

وفي تلك الاثناء كان محمد بن الاشعث الخزاعي (١٥٦) يوطد نفوذ
الخلافة العباسية في افريقية (١٥٧) ، فاستطاع اقضاء الاباضية عن القيروان،
والحق بهم عدة هزائم دانت بعدها بلاد المغرب الادنى وافريقية لسلطانهم
« وأطفا نار الفتنة فيها » (١٥٨) . ويدهي أن يتجه بعد ذلك الى محاولة
استرجاع المغربيين الاوسط والاقصى ، لذلك عول على انفاذ قائده الاغلب بن
سالم التميمي على رأس جيش لمحاربة أبي قررة والصفرية في تلمسان (١٥٩)
سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) . ويخيل الينا ان اضطراب الجند العربي وثورتهم
على ابن الاشعث (١٦٠) حالت دون قيام هذا الجيش بما أزمع القيام به ، اذ
لا تطالعنا المراجع (١٦١) بأخبار عن الصراع مع أبي قررة الا ابان ولاية الاغلب
ابن سالم في نفس العام . فقد « بعث اليه المنصور عهده بولاية القيروان » .
ثم اضطربت عليه الامور لخروج أبي قررة عليه واشتغاله بحربه .

على كل حال وجد أبو قررة في ثورات الجند الخلافي في افريقية فرصة
مواتية لاعداد قواته للقيام بالثورة واسقاط الحكم العباسي في القيروان(١٦٢) .
وأدرك الاغلب خطورة الموقف فعمل على الخروج اليه قبل أن تدممه جيوش
الصفرية في مقر الولاية (١٦٣) والتقى الخصمان في اقليم الزاب ، فأثر أبو

قرة الانسحاب ، وقرر الاغلب اقتفاء أثره وضرب معقل قوته في تلمسان (١٦٤) وربما تجاوزت مطامحه تلمسان ذاتها ، فرلى ببصره الى تحرير بلاد المغرب الاقصى كلها حتى طنجة (١٦٥) . وكان ذلك سببا في ثورة جنده عليه وانصرافهم عنه ، تلك الثورة التي انتهت بمقتله سنة ١٥٠ هـ (١٦٦) (٧٦٧ م) . وقبع أبو قرة في تلمسان (١٦٧) بعد العدة لجولة أخرى .

وفي هذا الوقت كان عمر بن حفص والي القيروان قد رحل الى اقليم الزاب (١٦٨) وحصن طبنة باقامة سور حولها (١٦٩) ليحصل دون هجوم الصفرية على القيروان وليتخذ منها قاعدة للانطلاق الى معقلهم في تلمسان . ويبدو ان الخلافة كانت قد عهدت الى عمر بن حفص بتصفية نشاط الخوارج في المغرب اباضية وصفرية (١٧٠) . ولعل ذلك كان سببا في ائتلاف الصفرية والاباضية لأول مرة في بلاد المغرب ، فاجتمعوا على محاصرته بطبنة (١٧١) . فمن الاباضية اشتركت جيوش أبي حاتم المزروزي وعبد الرحمن بن رستم والمسور بن هانيء في الحصار (١٧٢) . كما أسهم رؤساء الصفرية كذلك ، فكان جيش أبي قرة أربعين ألفا (١٧٣) ، ووصل عبد الملك بن سكرديد على رأس الفين من صنهاجة (١٧٤) فضلا عن صفرية مديونة بزعامة جرير بن مسعود (١٧٥) . وضرب الجميع الحصار حول طنبه وبها عمر بن حفص في خمسة عشر ألف من العرب سنة ١٥٣ هـ (١٧٦) (٧٧٠ م) .

وتجمع المصادر على ان عمر ابن حفص أغرى أبا قرة بالمال لينسحب هو وأتباعه من الصفرية . لكنها تختلف في ذكر التفاصيل . فبعضها (١٧٧) يرجع انه رفض الرشوة وقبلها أخوه الذي ارتحل بالمسكر ، فاضطر أبو قرة للانسحاب في حين يقرر البعض (١٧٨) الآخر ان عمرا استمال أبا قرة وليس أخاه . بينما نجد رواية ثالثة مؤداها (١٧٩) ان أبا قرة قبل الرشوة هو وابنه وارتحل بقومه من الصفرية . وأمام هذا الاختلاف نشكك في الرواية من أساسها . والراجع أن يكون انسحاب الصفرية نتيجة اختلاف مع الاباضية، اذ ان تعاونهما في بلاد المغرب ليس مألوفاً ، والمعروف ان الفرقتين الخارجيتين كانتا على خصومة وعداء كثيرا ما وصل الى درجة الصراع والتناحر . وهذا يفسر قيام أبو حاتم بمحاصرة القيروان (١٨٠) من دون الصفرية (١٨١) . بينما عاود أبو قرة قتال الحامية التي قرعها عمر بن حفص بطبنة (١٨٢) بعد أن

غادرها ليحول دون وقوع القيروان في يد الاباضية . وفي عودة أبي قرّة لمحاربة أتباع عمر بن حفص ما ينفي ما قيل عن قبوله الرشوة .

على كل حال - تسبب الخلاف بين الصفرية والاباضية في فشل حصار طلبة ، ونجح عمر بن حفص في هزيمة عبد الرحمن بن رستم الاباضي ، كما تمكن قائده المهنا بن المخارق بن غفار الطائي من هزيمة أبي قرّة وردة الصفرية (١٨٣) . وعاد أبو قرّة الى مقره في تلمسان .

ولم تقم للصفرية قائمة بعد ذلك ، فضعف شأنهم ، حتى قضى عليهم يزيد بن حاتم الذي قسم الى المغرب سنة ١٥٥هـ (٧٧٢ م) على رأس جيش كثيف أوغل به في نواحي المغربين الاوسط والادنى (١٨٤) . كما كان الصراع بين الادارسة والرستميين حول تلمسان وما حولها من عوامل اختفاء الصفرية من المغرب الاوسط وتحول الكثيرين منهم في تلك الجهات الى الولاء للادارسة وأتباعهم من آل سليمان : بينما هاجر جزء كبير ممن بقي على مذهبه منهم الى سجلماسة التي أضحت ملاذا للصفرية في بلاد المغرب .

أما عن صفرية أفريقية والمغرب الأدنى فقد بطش بهم يزيد بن حاتم أيضا ، فقمعت حركة ورفجومة سنة ١٥٧هـ (٧٧٤م) على يد ابنه المهلب وقائده العلاء بن سعيد (١٨٥) . كما فشلت ثورة الصفرية في بلاد الزاب التي تزعمها أيوب الهواري سنة ١٦٤هـ (٧٨٠ م) بعد أن رماهم يزيد بن حاتم بالمخارقة ابن غفار الطائي (١٨٦) ، ومن بعده العلاء بن سعيد ، وإلى العلاء يعزى الفضل في قمع الثورة وقتل قائدها والتكيل بالصفرية أينما وجدوا في افريقية (١٨٧) حتى ان بربر ورفجومة رأس صفرية افريقية انقرض أمرهم وصاروا أوزاء في القبائل ، (١٨٨) .

هكذا قدر ليزيد بن حاتم أن يبديد شمل الخوارج الصفرية في افريقية والمغرب الاوسط ، وتمكن الادارسة من تأسيس دولتهم في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الصفرية ، وظلت دولة بني مدرار بسجلماسة موثلا لصفرية بلاد المغرب ومركزا لتجمعهم ، فقد حققت هدفهم من قيام دولة صفرية خالصة في بلاد المغرب .

ثانيا : ثورات الخوارج الاباضية

سبق القول بأن المذهب الاباضي غلب على بلاد المغرب الادنى فانتشرت بين قبائله وخاصة نفوسة وهوارة . ويبدو ان الخوارج الاباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري ، أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المافري سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) بينما سبق الخوارج الصفرية بزعامة ميسرة المطفري الى الظهور سنة ١٢١هـ (٧٣٩م) في المغرب الاقصى . ولعل السبب في تأخر ثورات الاباضية يكمن في قرب مواطنهم من القيروان مقر الامارة ومركز الجند العربي . يضاف الى ذلك قربها النسبي من عاصمة الخلافة الاموية وولاتها في مصر مما جعل مهمة الخلافة وولاتها في مصر والمغرب في قمع الحركات المادية أمرا أكثر سهولة من قمع ثورات الصفرية في المغرب الاقصى .

ويبدو أن نجاح حركات الصفرية في المغرب الاقصى أغرى اباضية المغرب الادنى بالتعجيل بالقيام بثورات مماثلة قبل أن يتهيئوا لها أو تتوافر الظروف المناسبة التي تساعد على انتاجها . وجدير بالذكر ان المصادر الاباضية تسقط من اعتبارها كل نشاط للاباضية في المغرب سابق على حركة أبي الخطاب عبد الأعلى سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) فتعتبره أول الائمة ، وتؤرخ لثورته باعتبارها « بداية لمرحلة الظهور (١٨٩) » . وإذا كانت ثورة أبي الخطاب - حقيقة - تعد أول ثورة اباضية ذات طابع شامل وشكل منظم ، فقد سبقتها حركات أخرى لم تتمخض عن شيء سوى اضعاف الحركة الاباضية قبل أن يشق عودها ، وتأجيل ظهور الاباضية على المسرح السياسي في بلاد المغرب .

كانت هذه الثورات ثلاثا ، قامت أولاها سنة ١٢٦هـ (٧٤٤م) بزعامة عبد الله بن مسعود التجيبي الذي ترأس بربر هوارة في منطقة طرابلس متحديا حكم عبد الرحمن بن حبيب . وأخذت هذه الحركة دون عناء بعد أن قبض أخو عبد الرحمن وعامله على طرابلس على التجيبي و « ضرب عنقه » (١٩٠) .

ثم اجتمعت هوارة على اثنين من زعمائها هما عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي (١٩١) . وزحف الحارث وعبد الجبار الى

طرابلس وضربا عليها الحصار حتى استسلم عاملها (١٩٢) وأخذوا بثأر التجيبي واقتصا من قاتله (١٩٣) . وأنفذ عبد الرحمن بن حبيب ثلاثة جيوش لاسترداد طرابلس هزمها الاباضية جميعا (١٩٤) . فلجأ الى الحيلة واستمال أحد شيوخ هوارة وبعثه « ليستألف الناس ويقطع عن عبد الجبار هوارة » (١٩٥) دون جدوى . فعقد العزم على الخروج بنفسه وقاد جيشا لاسترداد طرابلس وصل به حتى قابس ، ثم عاد أدراجه الى القيروان لما علم بتآمر أهلها على خلع (١٩٦) . لكن حادثا مفاجئا أفضى الى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة ١٣٦ هـ (٧٤٩ م) كفى عبد الرحمن بن حبيب مقوونة قتالهما .

وتختلف المصادر (١٩٧) حول دوافع هذا الحادث . والراجع انهما اختلفا حول مسائل فقهية أو تنازعا حول الحكم (١٩٨) ، فاحتكما الى السيف فقتل كل منهما صاحبه . ومهما كان الامر فقد تمخض هذا الحادث عن حدوث الشقاق (١٩٩) بين جماعة الاباضية بالمغرب على غرار ما كان يحدث بين الخوارج المشاركة . ولم تجد نفعا نصائح فقهاء المنصب بالبصرة بالكف عن ذكر هذه المسألة ، فظلت تشغل اباضية المغرب حتى تولى أبو الخطاب الامامة سنة ١٤٠ هـ (٢٠٠) (٧٥٧ م) .

أما ثالث تلك الثورات فكانت من نصيب قبيلة نفوسة ، اذ بادر زعيمها اسماعيل بن زياد النفوسي بعد أن « عظم شأنه وكبر بيته » (٢٠١) بالاستيلاء على قابس سنة ١٣٢ هـ (٧٥١ م) (٢٠٢) . فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب وأنفذ طلابه من الخيالة ليسبر غوره ، لكن شعيبا التحم بنفوسة الاباضية وقتل زعيمها وأمر كثيرا من رجالها (٢٠٣) واصطحب عبد الرحمن بن حبيب أسرى الاباضية الى طرابلس وذبحهم وامتحن الناس بهم « فكان يؤتى بالأسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله » (٢٠٤) . كما عهد الى عامله بطرابلس بتوزيع المغانم التي غنمها من الاباضية على جنده (٢٠٥) ، وأعاد بناء سور (٢٠٦) المدينة لتحصينها من خطر الاباضية ، ثم قفل عائدا الى القيروان في نفس العام .

ولا يخامرنا شك في أن جهود ابن حبيب وعماله على طرابلس في قمع

حركات الاباضية قد فتت في عضدهم •

ويخيل لنا أن هذا هو ما دفع زعماء الاباضية في المغرب الأدنى للرحيل الى البصرة للاسترشاد بمشايع المذهب في الاعداد للثورة المنظمة الشاملة • وقد عادوا الى المغرب بعد أن مكثوا خمس سنوات بصحبة أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة وجماعة شيوخ المذهب وقد تذرعوا بالاساليب والوسائل الكفيلة بانجاح حركتهم • وحسبنا أن أبا عبيدة ، أشار عليهم باختيار احد رجال المذهب من عرب المشاركة لزعامتهم لما له من دراية بأحوال المغرب ولجصاصته ودريته بأصول السياسة وفنون الحكم (٢٠٧) • ويبدو أنه أوصى أفراد الوفد المغربي بتعبئة قبائل الاباضية جميعا للاشتراك في الثورة ، فاشتراط ضرورة حشد القوى المادية والبشرية للقيام بالثورة (٢٠٨) • كما تخصص بعض أفراد الوفد في مسائل الفقه والشرعية لمواجهة ما يعن لهم من مسائل تتعلق بالثورة ومعاملة الخصوم وإدارة الاقاليم التي يتسنى لهم انتزاعها من الحكام العرب (٢٠٩) • الخ • وأخيرا أوصاهم بموافاته بتطورات حركاتهم وضرورة مشاورته فيما يعن لهم من أمور (٢١٠) •

وما أن عاد الوفد الى بلاد المغرب سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) ، حتى بإادر أعضاؤه بالاتصال بالقبائل وتهيئتها للقيام بالثورة • ويذكر أبو زكريا (٢١١) أن أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري - وهو الذي أشار أبو عبيدة بتقلده لزعامة الحركة - أبدى نشاطا ملحوظا « في الكتمان » ، فاتصل بمشايع القبائل للتشاور في اعلان « امامة الظهور » • وقد كللت مساعيه بالنجاح ، فانضم اليه جمهرة الاباضية و « كسب الكثير من الاتباع » (٢١٢) وأجمع رؤساء المذهب على مبايعته بالامامة (٢١٣) وانضوت قبائل نفوسة وهوارة وزناتة وغيرها تحت لوائه (٢١٤) • واستطاع أبو الخطاب مداهمة طرابلس على حين غفلة (٢١٥) ، وأرغم عاملها عمرو بن عثمان القرشي (٢١٦) على مغادرتها ، واستولى على بيت مالها (٢١٧) ، وأمن أهلها (٢١٨) •

وباستيلاء الاباضية على طرابلس اشتد ساعدهم ، فاتخذوها قاعدة للمذهب ، وبعثوا الى أبي عبيدة مسلم بالبصرة يعلموه « بظهور الامامة » ، فاعتبط لذلك ونصحهم بالتضامن واقتفاء أثر السلف الصالح (٢١٩) • وجنح

أبو الخطاب الى التوسع فاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م). (٢٢٠) ، كما ضم قابس في نفس العام (٢٢١) ، ودانت بلاد المغرب الادنى بطاعته ، فرنى ببصره صوب افريقية .

ثم كان استيلاء الصفرية على القيروان وخروج أبي الخطاب وصراع الصفرية وهزيمته لهم عند رقاده (٢٢٢) ، ودخول المدينة بعد مقتل عبد الملك ابن أبي الجعد مقدم الصفرية ، ونجاح عامله عليها - عبد الرحمن بن رستم - في بث نفوذ الاباضية في سائر جهات افريقية (٢٢٣) ، بعد مفادرة أبي الخطاب القيروان لمواجهة جيوش الخلافة التي بعثها المنصور لاستنقاذ افريقية (٢٢٤) .

وقد أنفذ المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي على رأس جيش زاد عدده عن خمسين ألف مقاتل الى بلاد المغرب سنة ١٤٢ هـ (٧٥٩م) ، ومهما اختلف المؤرخون (٢٢٥) حول دوافع ارسال هذا الجيش الضخم ، فلا شك ان مهمته الاساسية كانت استرداد نفوذ الخلافة وهيبتها في بلاد المغرب (٢٢٦) بعد أن أضحت قسمة بين الصفرية والاباضية من الخوارج . ويبدو ان ابن الاشعث هاله أمر الاباضية الذين سيطروا على المغرب الادنى وافريقية ، فأثر البقاء بمصر ، وأنفذ ثلاثه بقيادة أبي الاحوص عمرو بن الاحوص المجلي (٢٢٧) الى المغرب .

وهذا هو ما حدا بأبي الخطاب عبد الاعلى الى مفادرة القيروان على وجه السرعة للقاء أبي الاحوص ، فالتقى به في مغمداس (٢٢٨) بناحية سرت (٢٢٩) وهزمه واحتوى عسكره ، فعاد أبو الاحوص الى مصر مدحورا (٢٣٠) .

ويخيل لنا أن هذه الهزيمة فتت في عضد ابن الاشعث ، فبعث المنصور اليه يستصرخه بالتجهيل بالتوجه الى المغرب بنفسه (٢٣١) : وعول ابن الاشعث على الاستعداد الكامل قبل مفادته مصر ، فحشد في جيشه من القواد العظام « ثمانية وعشرين قائدا » (٢٣٢) من بينهم الاغلب بن سالم التميمي والمحارب ابن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائي (٢٣٣) .

واستعد أبو الخطاب للقاء ابن الاشعث ، فربط بأرض سرت في سبعين

الف (٢٣٤) من الاباضية • لكن خلافا وقع في معسكره تمخض عن انسحاب اباضية زناته لاعتقادهم بتحيزه - من دونهم - الى هواره (٢٣٥) • وبادر ابن الاشعث بالنزول بجيشه على موارد الماء بمكان يقال له تاورغا (٢٣٦) • ومنع عسكر ابي الخطاب من ارتياده (٢٣٧) • فلما نشب القتال دارت الدائرة على الاباضية ، فقتل أبو الخطاب مع آلاف من رجاله (٢٣٨) ، ونجى منهم نفر قليل لاذوا بالحصون والقلاع في الجبال (٢٣٩) • وعول ابن الاشعث على استئصال شأفة الاباضية ، فأرسل قائده اسماعيل بن عكرمة الخزاعي الى زويلة ودان فقتل من بها من الاباضية (٢٤٠) • كما لقي اباضية طرابلس عنقا شديدا من عامله المخارق بن غفار ، فقد أسرف في تقتيلهم وسبسي ذراهم (٢٤١) • ولم يسلم اباضية زناته من بطش ابن الاشعث على الرغم من خروجهم على ابي الخطاب وعدم اشتراكهم في معركة تاورغا ، فقتل زعيمهم أبو هريرة الزناتي مع ستة عشر ألف من أصحابه (٢٤٢) • وعلى الرغم من هزيمة أحد جيوشه أمام اباضية زهانة (٢٤٣) ، فقد ألقى الرعب في قلوب اباضية المغرب الادنى ، فهابوه ودانوا له بالطاعة (٢٤٤) •

وهكذا وضعت معركة تاورغا ١٤٤هـ (٧٦١ م) نهاية لامامة الظهور التي استمرت أربعة أعوام سيطر الاباضية ابانها على افريقية والمغرب الادنى فلم يبق الاباضية بعدها على الظهور واضطروا الى العمل في تستر وكتمان وهو ما يعرف في اصطلاحهم « بامامة الدفاع » •

تولى مهمة امامة الدفاع بعد مقتل ابي الخطاب يعقوب بن حبيب المعروف بابي حاتم الملوذي سنة ١٤٥هـ (٢٤٥) (٧٦٢ م) • ويختلف المؤرخون حول أصله ، فيذكر بعضهم (٢٤٦) انه من هواره ، وقيل من سدراته (٢٤٧) ، وفي قول ثالث انه من مغيرة (٢٤٨) • ونحن نرجح الرواية الاولى لان هواره من أشد قبائل الاباضية قوة وأكثرها عددا ومشاركة في ثورات الاباضية • اما سدراته فكان دورها ضئيلا في الحركة الاباضية بالمغرب ، بينما كانت مغيرة تدين بالذهب الصفري ، ومضاربها بنواحي تلمسان ، أي أنها بعيدة عن مسرح نشاط الاباضية في المغرب الادنى وافريقية (٢٤٩) •

على كل حال - بويح أبو حاتم بالامامة سنة ١٤٥هـ (٢٥٠) (٧٦٢ م) •

وظل مستترا طيلة أربع سنوات قضاها في جمع شمل جماعات الإباضية التي تفرقت على اثر حروب ابن الاشعث . وكان خلالها يرسل الصدقات الى عبد الرحمن بن رستم (٢٥١) الذي كان يعد العدة لقيام دولة بني رستم الإباضية في المغرب الاوسط .

ويبدو أنه في سنة ١٥٠هـ (٢٥٢) أنس من نفسه قوة « فأراد الخروج على جند طرابلس وعامل أبي جعفر » (٢٥٣) . ويبدو ان عامل طرابلس تنبه لذلك فخرج اليه على رأس جنده ، وطلب من الإباضية الاذعان لطاعته والدعوة للخليفة العباسي (٢٥٤) ، فرفضوا فاقتتلوا ، وانتصر الإباضية ودخلوا طرابلس ، وعتقد ان الإباضية أمعنوا في البطش بأهل طرابلس من العرب - على غير عادتهم - تشفيا وانتقاما لما حل بهم من قبل (٢٥٥) . وظل أبو حاتم مقيما بطرابلس حتى وصل عمر بن حفص الى افريقية سنة ١٥١هـ (٢٦٨ م) .

حاول عمر بن حفص استرداد طرابلس واقصاء الإباضية عنها ، فأنفذ ثلاثة جيوش لهذا الغرض هزمها الإباضية جميعا (٢٥٦) . كان أولها بقيادة الجنيد بن بشار الازدي ، فدهمه أبو حاتم بقباس وضرب عليه الحصار . فبعث الجنيد يطلب العون من عمر بن حفص ، فأنفذ اليه خالد بن يزيد المهلبى على رأس أربعمئة فارس عدا الرجالة لكن أبا حاتم هزمه أيضا وحال دون دخوله المدينة . فعززه عمر بجيش ثالث بقيادة سليمان بن عبادة المهلبى . طارده الإباضية فعاد من حيث أتى . وكان عمر قد غادر القيروان اذ ذاك الى طبة في اقليم الزاب ، فلم يتوان أبو حاتم في اقتفاء اثر سليمان بن عبادة (٢٥٧) ، وضرب الحصار على القيروان سنة ١٥٢هـ (٢٥٨) (٢٧٠ م) .

ثم غادر أبو حاتم القيروان ليسهم في محاصرة عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٣هـ (٢٧٠ م) ، ذلك الحصار الذي اشترك فيه الإباضية مع الصفرية جنبا الى جنب لأول مرة . وقد اشترك في الحصار عبد الرحمن بن رستم ومعه خمسة عشر ألف فارس (٢٥٩) ، والمسور بن هانيء الزناني في عشرة آلاف فارس (٢٦٠) ، فضلا عن جموع الصفرية بقيادة أبي قره لكن الحصار لم يستمر طويلا ، فقد حدث نزاع بين الإباضية والصفرية أسفر عن فشل الحصار

وآثر أبو حاتم العودة لحصار القيروان ، بينما انسحب عبد الرحمن بن رستم
برجاله الى تهودة . وهناك لحق به عمر بن حفص وأنزل به هزيمة عاد بعدها
الى تاهرت مدحورا (٢٦١) . اما المسور الزناني فالراجح أنه لحق بأبي حاتم
وانضم اليه في حصار القيروان (٢٦٢) .

شدد أبو حاتم الحصار ، وضيق على أهل القيروان بجيشه البالغ مائة
وخمسين ألفا (٢٦٣) . فاشتد الكرب بالمحاصرين ونفذ ما لديهم من المؤن
والاقوات (٢٦٤) . واضطر كثيرون منهم الى الخروج من المدينة والانضمام الى
الاباضية (٢٦٥) .

وترك عمر بن حفص طبنة على وجه السرعة لفك الحصار عن القيروان ،
وخرج الاباضية بأجمعهم ليجهزوا عليه قبل قدومه ، لكنه سلك طريقا مغايرا ،
فسلك طريق تونس بدلا من الاربس (٢٦٦) . وبادر بشحن القيروان بالمؤن
والاقوات والميرة والرجال وأدوات الحصار (٢٦٧) . وحفر خندقا على باب
أبي الربيع جعل عسكره من خلفه مؤثرا سياسة الدفعا (٢٦٨) .

وقد عادت هذه السياسة على ابن حفص بأوخم العواقب ، فلم يتوان
الاباضية عن قتاله ، واضطر للخروج لفك الحصار - الذي فرضه على نفسه -
لهزم وارتد الى خندق أبي الربيع معتصما به (٢٦٩) . وتبعه أبو حاتم حتى
جاوز مشارف الخندق ، كما وزع رجاله على سائر أبواب المدينة لمنع
المحاصرين داخلها من الخروج : وظلوا كذلك حتى نفدت أقواتهم (٢٧٠) .
وزاد الامر سوءا اختلاف قواد عمر بن حفص عليه وتقاعسهم عن القيام بمحاولة
يائسة لفك الحصار (٢٧١) . وحين وصله خبر قدوم يزيد بن حاتم لنجدته ،
استنكف الانتظار وأثر الموت ، فظل يقاتل الاباضية حتى قتل (٢٧٢) فسي
منتصف ذي الحجة من سنة ١٥٤هـ (٧٧١م) .

عقد أبو حاتم صلحا (٢٧٣) مع جميل بن منخر - الذي تزعم الجند بعد
مقتل أخيه لأمه عمر بن حفص (٢٧٤) ثم دخل القيروان « فاحرق أبوابها. وثلم
سورها » (٢٧٥) واستخلف عليها عاملا من قبله . واتجه الى طرابلس حين
علم بمقدم يزيد بن حاتم على رأس جيش من الشرق . لكنه اضطر للعودة الى

تونس لقيام ثورات الجند العربي على عماله في الزاب ، فنجح في تفريق بعضهم (٢٧٦) ، وعهد الى بعض قواده بمهمة القضاء على البعض الآخر (٢٧٧) ، ومضى الى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم (٢٧٨) . والواقع ان أبا حاتم كان في موقف لا يحسد عليه ، فضلا عن ضخامة حملة يزيد بن حاتم وحسن استعدادها (٢٧٩) ، دب الخلاف داخل معسكره ، فانحازت قبيلة مليلة الهوارية الى يزيد (٢٨٠) ، وكذلك بعض رجال نفوسة الذين استرشد بهم في الوقوف على عورات البلاد (٢٨١) .

على كل حال - تمكن أبو حاتم - بأدى ذي بدء - من هزيمة طلائع جيش يزيد التي قادها سالم بن سودة التميمي (٢٨٢) عند مغمداس (٢٨٣) وقتل منها اعدادا غفيرة (٢٨٤) . لكن حسن بلاه يزيد وقيادته الجيش بنفسه (٢٨٥) . اضطر أبا حاتم الى الاعتصام بجبل نفوسة في موضع حصين خلف خندق حفره الاباضية على وجه السرعة (٢٨٦) . غير ان يزيدا افسد خطته ، فتمكن من اجتياز الخندق ، والتجمت جيوشه بالاباضية فهزموهم وقتل أبو حاتم ومن معه من أهل البصائر ، (٢٨٧) في المعركة كما قتل جمهور عظيم من الاباضية (٢٨٨) بلغ ثلاثين ألفا (٢٨٩) واستبدت بيزيد شهوة النار لصفه عمر بن حفص (٢٩٠) ، فطلب الاباضية في كل سهل وجبل (٢٩١) وبطش بهم . ثم استعمل أحد عماله على طرابلس ونهض الى القيروان سنة ١٥٥ هـ (٢٩٢) (٢٧٢م) .

والحق ان تلك الضربة الماحقة التي الحقها يزيد بن حاتم بالاباضية تعد نهاية لنشاط الخوارج الاباضية في صورته الشاملة المنظمة . حقيقة ان حركاتهم لم تحبط بصورة نهائية في عهد يزيد ، لكنها كانت تقتصر الى التنظيم والشمول ، ومن ثم لم يجد امراء آل المهلب في افريقية عناء في قمعها وردعها . فتورة هواره بزعامة ابي يحيى بن فوناس سنة ١٥٦ هـ (٧٧٣م) بنواحي طرابلس انتهت بكارثة لاباضية هواره على يد عبد الله بن السمط الكندي الذي قتل أبا يحيى وعامة اصحابه (٢٩٣) . وحسبنا اننا لم نسمع عن أي نشاط للاباضية طوال حكم يزيد بن حاتم الذي امتد حتى عام ١٧٠ هـ (٧٨٦م) ، ولذلك حق لابن عذارى (٢٩٤) ان يقول « تهذنت افريقية ليزيد بن حاتم » .

وإذا كان يزيد بن حاتم قد قضى على ثورات الاباضية في شكلها الشامل المنظم، فإن خليفته داود بن حاتم تمكن من « حصد شوكتهم » (٢٩٥)، ففي عهده ثارت قبيلة نفزة الاباضية بجبال باجة بزعامة صالح بن نصير (٢٩٦)، ونجح صالح في هزيمة قوات داود، لكن سليمان بن الصبة احد رجال داود تمكن من هزيمته (٢٩٧) . كما حارب سليمان نفزة في معركة اخرى بشقنبارية (٢٩٨) لم يقم لها قائمة من بعدها (٢٩٩) . كما احبطت ثورة اباضية هواره سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦م) بزعامة عياض بن وهب الهواري (٣٠٠) . اما اباضية نفوسة، فقد استكانوا وغلبوا على امرهم بعد فشل حركة ابي حاتم . وقبل ذلك كان اباضية زناتة قد بطش بهم ابن الاشعث سنة ١٤٤ هـ (٧٦٠م) .

وهكذا تصدعت حركات الاباضية في المغرب الادنى وافريقية، بينما نجح عبد الرحمن بن رستم بموازة اباضية المغرب الاوسط في تأسيس دولة تباهرت سنة ١٦١ هـ (٧٧٧م) . تلك الدولة التي امتد نفوذها فيما بعد لتضم اباضية المغرب جميعا بعد ان دانوا بالولاء والتبعية لائمها، واقامت دليلا عمليا على نجاح ثورات الاباضية في تحقيق مراميها في تكوين دولة اباضية بالمغرب .

ثالثا - نتائج ثورات الخوارج في بلاد المغرب

نخلص من هذا العرض لثورات الخوارج - صغرية واباضية - في بلاد المغرب بعدة نتائج منها ان هذه الثورات كانت تتأثر - ان ضعفا وان قوة - بموقف الخلافة في الشرق اموية وعباسية، واحتماما بشؤون بلاد المغرب او انصرافها عنه . وحسبنا ان اندلاع ثورات الخوارج في المغرب واكب اضطراب الخلافة الاموية وانشغالها بالخصومات القبلية والصراعات حول السلطة بين افراد البيت الاموي (٣٠١) . وازدادت هذه الثورات تأججا وغلبت على بلاد المغرب جميعا بعد موت هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) الذي كان يولى بلاد المغرب عناية خاصة (٣٠٢) . فوقع الاضطراب بافريقية (٣٠٣) وطرق الخلل . لخفوت صوت الخلافة بالشرق (٣٠٤) . ويكفي ان عبد الرحمن

بن حبيب اغتصب حكم افريقية له ولآله من بعده ، ففي غيبة الخلافة وعمالها آنذاك بلغت ثورات الخوارج أوجها حتى غدت القيروان ذاتها ميدانا للصراع بين الاباضية والصفرية ، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون (٣٠٥) بقوله «واعضل أمر الخارجية ورؤسها» . ولم يكن ذلك الا «لانشغال بني أمية عن قاصية الثغور» (٣٠٦) .

ومن الطبيعي ان تتفاقم ثورات الخوارج ويزداد خطرهما بقيام الدولة العباسية التي اهتمت في عهد السفاح بأمور المشرق أكثر من اهتمامها بأمور المغرب (٣٠٧) ، فانتقال العاصمة من دمشق الى بغداد وسع الهوة بين بلاد المغرب ومقر الخلافة (٣٠٨) ، ومن ثم خرج عن طاعته « ما بين تاهرت وطبنة الى بلاد السودان وجميع مملكة الاندلس » (٣٠٩) .

وقد تغير الموقف تماما في خلافة المنصور ، فكانت سياسته قائمة على أساس الاحتفاظ بالمغرب وعدم التفريط فيه (٣١٠) . فاختار ولاته من خاصته الاكفاء « من ذوي الرأي الاصيل والخطر الجليل » (٣١١) كابن الاشعث وعمر ابن حفص ويزيد بن حاتم كما أنفق المال بسخاء في اعداد حملاته على المغرب مع ما عرف عنه من بغل وشح (٣١٢) . وتغلب على مشكلة طول المسافة وبعد الشقة بين بغداد والمغرب بأن عهد الى ولاته بمصر بمسئوليات اعداد الجيوش وقيادتها (٣١٣) . واقتفى الرشيد نفس السياسة من الاهتمام بأمور المغرب (٣١٤) ، فقد حرص على اختيار ولاته من ذوي « الخداع والدهاء والغدر » (٣١٥) . كما كان على صلة دائمة بهؤلاء الولاة ، وكثيرا ما ساهم في رسم سياساتهم ووضع خططهم في محاولة في معاربة الخوارج (٣١٦) . فاستطاع ان يحتفظ بافريقية بعد أن كادت تسقط في يد الخوارج (٣١٧) .

هذا وقد تأثرت ثورات الخوارج بشخصية الولاة وسياساتهم وما هم عليه من قوة أو ضعف ، وما لسياساتهم من آثار في جمع شمل الجند العربي أو بعثرته . فقد أدى نشوب الصراع القبلي بين القيسية واليمانية (٣١٨) الى ما حل بجيش كلثوم بن عياض القشيري من كارثة على يد الصفرية فسي موقعة بقدورة سنة ١٢٣ هـ (٧٤٠م) . واثبتت تلك الموقعة ان الخوارج كانوا يفيدون من انقسام الجند العربي ، وهي حقيقة يؤكدتها سقوط القيروان

واستيلاء الصفرية عليها ثم الاباضية بسبب الخلافات بين افراد الاسرة
الفهرية (٣١٩) .

وكانت ثورات الخوارج تزداد تأججا ونجاحا حين كان الولاة يشغلون
عنها بانفاذ حملاتهم خارج المغرب ، فكان الخوارج يجدون في غياب الجند
العربي فرصة مواتية لتعبئة الجهود وعلان الثورة . وحسبنا ان اولى ثورات
الخوارج التي تزعمها ميسرة قامت في الوقت الذي كانت فيه جيوش ابرن
الحجاب تغزو في صقلية (٣٢٠) . كما اندلعت هذه الثورات بصورة شاملة
حيث «استشرى داء البربر واضل امر الخارجية» (٣٢١) في وقت انشغال
جيوش ابن حبيب بغزو سردينية (٣٢٢) وصقلية . وقد استطاع ابن الاشعث
بفضل كفايته العسكرية (٣٢٣) ان يصدف الخوارج وان يضبط افريقية (٣٢٤)
ويحصن القيروان (٣٢٥) وطرابلس وطبنة (٣٢٦) ، غير انه لم يقدر لسه
النجاح في القضاء نهائيا على ثوراتهم بسبب ثورة الجند العربي عليه وطرده
من الولاية (٣٢٧) . وكان القتل من نصيب الاغلب بن سالم لعقده العزم
على استئصال شافة الخوارج ومهاجمتهم في معانهم بتمسان والمغرب الاقصى
فقد ثار عليه جنده وقتلوه سنة ١٤٨ هـ (٣٦٥م) (٣٢٨) واعطوا بذلك الفرصة
لاستفحال خطر أبي قرة الصفري .

كما ارتبطت هزائم الخوارج بكفاءة الولاة واستقرار احوال الجند
الافريقي ، ولا يخفى ما بلغه عمر بن حفص من شجاعة ودهاء وحسن بصيرة ،
ولعل في رحيله عن القيروان وتحصينه طبنة ما ينم عن ادراك واع لمكن الخطر
في نشاط الخوارج ، وافلاته من حصار خوارج المغرب اباضية وصفرية اضاف
الكثير الى قدراته الفذة . وفي نهايته البطولية وموته وهو يقاتل الخوارج
وحيدا ما جعل المؤرخين يطلقون عليه - بحق - لقب «هزار مرد» (٣٢٩) .
كما استطاع يزيد بن حاتم ان يتصدى لثورات الخوارج ، وبفضل كفايته
ومقدرته «سكن الناس في افريقية» (٣٣٠) واثمر هذا الهدوء في عهد
خلفه روح بن حاتم (٣٣١) . ثم قدم هرثمة بن أعين الى افريقية سنة ١٧٩ هـ
(٣٩٥م) ليقتضي على ما بقي للخوارج من رفق ، واعاد الحياة الامنة الى بلاد
المغرب (٣٣٢) .

من ناحية أخرى - استفاد الخوارج من أخطاء عمال الخلافة بالمغرب وكانوا يتخيرون الوقت للخروج اعتمادا على تلك الأخطاء . فقد خرج ميسرة في الوقت الذي كان فيه جيش ابن الحبحاب في صقلية . كما امتدت ثورات الخوارج وانتشرت ابان الازمات التي اصابته الخلافة في الشرق او إنشاء الفتن. القبلية بين الجند العربي قيسية ويمينية كالخصومة التي وقعت بين حبيب بن أبي عبيدة اليماني وبين كلثوم بن عياض القيسي ، او الصراع بين الجند العربي في افريقية وبين العناصر الفارسية والخراسانية في عهد ابي الاشعث والاغلب بن سالم . يضاف الى ذلك الصراع حول الولاية بين عبد الرحمن بن حبيب وبين حنظلة بن صفوان ، ثم الصراع الدموي داخل أسرة نبي حبيب ، فسنحت للخوارج الفرصة لتحقيق انتصاراتهم التي اشرنا اليها .

كما تميزت حركات الخوارج في المغرب بالشمول وسعة الانتشار . وذلك بفضل الثورة الاولى التي قادها ميسرة المطفري سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م)، فقد كانت نموذجا اقتفاه ثوار المغرب الاوسط والادنى من الصفرية والاباضية على السواء (٣٣٣) . وجدير بالذكر ان هذا الطابع المنظم لحركات الخوارج ساعد على انتشارها في سائر ربوع المغرب في وقت واحد . فما ان تظهر الثورة في ناحية حتى يمتد أثرها الى ما عداها من اقاليم المغرب فتجتاح البلاد من مشرقها الى مغربها (٣٣٤) .

كما اشتهر الخوارج في حروبهم بالشجاعة والاستبسال شأنهم في ذلك شأن الخوارج في الشرق فكانوا يحلقون الرؤوس، وترتفع اصواتهم بالتحكيم، (٣٣٥). اذكاء للحماس الذي عوضهم عن نقص السلاح .

لقد كان العرب يعتمدون في خططهم وحروبهم على الفرسان بينما كانت جيوش الخوارج في الغالب من الرجال . ومع ذلك ابتكر الخوارج من الوسائل ما كانوا يرهبون به خيل العرب وفرسانهم . فكانوا يوقفون تقدمهم برميها «بالأضواف» (٣٣٦) وهي «الجلود اليابسة فيها المجارة» (٣٣٧) كما كانوا يعتمدون الى «الرمك الصعبة فيملقون في اذنانها القرب والانطاع اليابسة ويوجهوها نحو الخيل فتنتفر» (٣٣٨) .

والى جانب الحماس والشجاعة تميزت ثوراتهم في كثير من الاحيان بالتنظيم المحكم الدقيق . وحسبنا ان انتصارات ميسرة جاءت نتيجة اعداد وتخطيط ، فكانت جيوشه تهاجم معاقل العرب في وقت واحد (٣٣٩) كما نجح خليفته خالد بن حميد الزناتي في تطويق الجيش العربي رغم ضخامته وايقاعه في « كمين البربر » (٣٤٠) . وحصار القيروان من ناحيتين على يد عكاشة النفزاوي وعبد الواحد الهواري في محاولة للاطباق عليها (٣٤١) كان نتيجة تدبير محكم بين القائدين الصفرين ، ولم يحل دون نجاحهما الا فطنة حنظلة بن صفوان لخطتهما وفسادها . ومن اسباب نجاح عاصم بن جميل في الاستيلاء على القيروان براعته في ايهام أهلها بأنه يوالي الخليفة المنصور (٣٤٢) . وكان انسحاب ابو قرّة الصفري امام جيوش الاغلب بن سالم تخطيطا ذكيا لجره الى اقاصي المغرب في بلاد كل سكانها من الخوارج الصفرية حتى يضمن القضاء عليها جميعا (٣٤٣) . وتفيض المصادر الاباضية بالكثير عن خطط الاباضية في اعداد الجيوش ومباغته الخصوم اعتمادا على وسائل التمويه والخداع . ومن أمثلة ذلك سياسة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع في اعداد جيوشه خارج طرابلس ثم دخوله المدينة وجنوده مستترين في حوايق يحملها الجمال والاستيلاء عليها في غفلة من أهلها (٣٤٤) على غرار ما هو مشهور عن حرب طروادة الا ان أبا الخطاب ذاته كان ضحية حيلة دبرها ابن الأشعث الذي تمكن بواسطتها من هزيمة الاباضية ، على الرغم مما تسوقه المصادر الاباضية من حجج تدلل بها على فطنة القائد الاباضي لحيلة ابن الأشعث (٣٤٥) .

وفضلا عن ذلك فقد اتسمت حركات الخوارج في المغرب بالاصرار المستميت على البقاء رغم ما حل بهم من نكبات وخاصة في عهد المنصور والرشيد . وحسبنا في هذا الصدد مذابح ابن الأشعث في الاباضية ، وما لاقاه الاباضية والصفورية على السواء في المجازر التي قام بها يزيد بن حاتم وعماله .

حقيقة أن هذه الضربات اوهنت حركات الخوارج وفتت في عضدها ، لكنها لم تقض عليها قضاء تاما . فكان الخوارج عقب تلك المحن يدايرون على

اعادة التنظيم ولم الشمل سرا بزعامة من سموه « بامام الدفاع (٣٤٦) » ، فأذا ما أنسوا من أنفسهم قوة عاودوا الخروج وأعلنوا الثورة على الولاة . وهذا يفسر استمرار هذه الثورات قرابة نصف قرن ، فلم تخب نارها حتى حققت أهدافها وقامت للخوارج دول ببلاد المغرب ذات طابع قومي .

ويتضح هذا الطابع القومي بشكل ظاهر في قيادة ثورات الخوارج ، فباستثناء أبي الخطاب المعافري الذي كان من أصل عربي - تصدرت ثورات الخوارج قيادات من البربر بئرا وبرانس . قميسرة من مطفرة ، وخالد بن حميد الزناتي من زناتة ، وعكاشة بن أيوب من نفزاوة ، وعبد الواحد الهواري من هوارة ، وعاصم بن جميل من ورفجومة ، وأبو قره من مغيرة وكلهم من زعماء الصفرية . أما زعماء الاباضية ، فقد كان عبد الله بن مسعود التجيمي من هوارة ، وكذلك كان الحارث وعبد الجبار . ومن نفوسة تولى اسماعيل بن زياد . وكان ابو حاتم الملوذي من هوارة . ولا شك ان تصدر هذه الزعامات لثورات الخوارج في بلاد المغرب تعبير حي عن شخصية المغرب الاسلامي . المستقلة وتجسيد لدوره الاسلامي بعد اعتناق البربر مبادئ الخوارج .

هذا ، ولم تسلم حركات الخوارج من نقائص وسلبيات ، ولعل أهمها انه لم يكن هناك ثمة تعاون بين فرقتي الصفرية والاباضية ، وهي آفة مورثة عن خوارج المشرق . ولا نعتقد انها كانت في المغرب من جراء التجمعات القبلية التي اعتمد عليها كل فريق . ذلك ان المنهيين الاباضي والصفري انتشرا بين البربر واعتنقت بعض بطون القبيلة الواحدة المذهب الصفري في حين اعتنق بعضها الاخر المذهب الاباضي كما هو الحال بالنسبة لزناتة وهوارة . انما كان عدم التعاون مرده الى الخلاف الجوهرى بين مبادئ كلتا الفرقتين وهو خلاف يحول دون التقائهما . فلم يكن قدوم داعيتي الفرقتين الى المغرب على ظهر يعبر واحد يعني تعاونا مشتركا او توحيدا للجهود كما توهم البعض - وخاصة ابن خلدون - ممن خلطوا بين نشاط الاباضية والصفرية في المغرب، بل اتخذت الفرقتان تجاها مغايرا . اذ بينما اتجه الاباضية الى الاقاليم الشرقية من بلاد المغرب ، يعم الصفرية وجههم شطر الاجزاء الوسطى والقصوى منه .

وإذا كانت بطون زنادة المنتشرة في سائر جهات المغرب قسمة بين الفرقتين ، فلم يقدر لها ان تكون همزة الوصل بينهما ، بل لا نبأ لهما اذا قلنا ان اباضية زنادة كانوا ممول هدم في حركات الاباضية ، وحسبنا دورهم المخرب في ثورة أبي الخطاب المصافري (٣٤٧) . وليس من شك في ان ما حدث من صراع بين الاباضية والصفرية على القيروان سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) كان من أهم اسباب اضعافهما ووقوعهما لقمة سائغة لجيوش ابن الاشعث فرقة بعد أخرى . وما يروي عن تعاون مشترك بينهما في حصار عمر بن حفص بطنبه سنة ١٥٣ هـ (٧٧٠م) أمر مشكوك في صحته .

ومن عيوب خوارج المغرب أيضا ما حدث من خلافات وانشقاقات داخل . كان يسبب النزعة الزناتية (٣٤٨) . ومن المؤكد ان برغواطة اعتزلت النشاط التقليدية التي عرفها تاريخ المغرب . فمثلا نعتقد ان الخلاف على ميسرة واقصائه عن زعامة الصفرية وتولييه خالد بن حميد الزناتي بدلا منه ، كان محاولة من زنادة لتزعج الحركة واقصاء مطفرة عن مركز الصدارة فيها . ولعل انسحاب مكناسة ورئيسها أبو القاسم نسكو بن واسول من الحركة الصفرية كان بسبب تلك النزعة الزناتية (٣٤٨) . ومن المؤكد ان برغواطة اعتزلت النشاط الصفري وارتدت عن المذهب وعن الاسلام ايضا من جراء ما حل بحليفها ميسرة المطفري من أهمال ونكران (٣٤٩) . وكذلك كان شأن الاباضية ، دب فيهم الخلاف والشقاق . وقد سبقنا الإشارة الى دور زنادة في تصدع حركة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح وتخليها عنه في وقت عصيب لاسباب قبلية كامنة في التنافس بينها وبين هواة . كما تخلى بعض رجال نفوسة (٣٥٠) وملييلة (٣٥١) عن أبي حاتم المزوزي وانضموا الى يزيد بن حاتم ، فادى ذلك الى هزيمة الاباضية سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠م) .

ويعاب على خوارج المغرب كذلك سوء فهمهم لمبادئ المذهب ، واسرافهم في تطبيق تعاليمه . لقد خضت مبادئ الخوارج على الثورة على أئمة الجور (٣٥٢) ، لكن خوارج المغرب أعلنوا الثورة في كثير من الاحيان على الحكام العرب بغض النظر عن تصديقهم أو عدلهم ونزاهتهم فلا شك ان بلاد المغرب حكمها دولة مستعيزون دأبوا على الإصلاح من أمثال عمر بن حفص ويزيد .

بن حاتم ، لكن ثورات الخوارج استهدفت الحكم العربي عموما ، فلم يسلم هؤلاء الولاة من خطر الخوارج ، كما أسرف الصفرية بوجه خاص في استخدام العنف والقسوة فكانوا يقتلون الاطفال ويسبون النساء والذاري اعتمادا على تطرف المذهب الصفرى في معاملة الخصوم .

وأفة ثورات الخوارج عموما في المغرب عدم اتصالها وتنسيقها مع حركاتهم في الشرق ، ولو أحكم مثل هذا الاتصال لكانت نتائجها أكثر نجاحا ، ولما قدر للخلافة ان تصفي نشاط خوارج الشرق بمثل السهولة التي تمت بها (٣٥٣) .

ومع ذلك كانت لثورات الخوارج آثار واضحة في تاريخ المغرب ذلك ان هذه الثورات احتوت سائري قبائل البربر يترا وبرانس . ولم تكن حكرا على قبيلة زناتة كما يذهب جوتييه الذي نظر الى ثورات الخوارج على أنها ثورات زناتة دون سواها . الامر الذي جعلنا نقف عند رأيه هذا محاولين ان نناقشه متبينين ما فيه من خطأ او أسرف .

يقول جوتييه « ما هي مراكز تلك الثورات ؟ وما هي القبيلة التي رفعت العلم الذي تركه كسيلة والكاهنة منكسا ؟ » . لقد اختلف المؤرخون العرب كعادتهم حول هذا الامر وأن أجمع معظمهم في اقتضاب على ذلك الشيء الواضح للعيان ، على زناتة . لقد قامت الثورة بأديء الامر في طنجة ، وما لبثت ان وصلت الاندلس على التو . ثم انتشرت على طول الطريق من طنجة الى القيروان . انتهت الثورة الاولى بمركة الاشراف على وادي شلف والثانية على وادي سبو ، والثالثة في القرن على مشارف القيروان ، اما الرابعة فقد وقعت في الشرق بنواحي طرابلس . وهذا يعني ان الاحداث البارزة في الفترة ما بين عامي ٧٤٣ ، ٧٥٢ م (١٢٥ ، ١٣٥ هـ) تركزت حول طرابلس وتونس وتلمسان . أما تلك التي وقعت في عامي ٧٥٧ ، ٧٥٨ م (١٤٠ ، ١٤١ هـ) فكانت القيروان ميدانها حين وقعت فريسة لورفجومة الصفرية وقد تمثل رد الفعل العربي في حملة ابن الاشعث الذي هزم الخوارج في سرت واسترد القيروان . لكنه أخفق في اقصاء الخوارج عن تلمسان التي

كانت مركزا لحركة أبي قرة اليفرنسي سنة ٧٦٥م (١٤٨ هـ) ثم استورد الخوارج طرابلس مرة أخرى ، ونصبوا الحصار حول القيروان . ويجمع المؤرخون على حصارهم طنية سنة ٧٧٠م (١٥٣هـ) ، ثم القيروان حيث صرع عمر بن حفص سنة ٧٧١م (١٥٤هـ) اثناء الحصار . وتمثل رد الفعل العربي في حملة يزيد بن حاتم وجهوده غربي القيروان في الارس وطبنة والزاب . وبعد ذلك حلت فترة سلام امتدت بين عامي ٧٧١، ٧٨٨م (١٥٤، ١٧٠هـ) وعلى ذلك فان ثورات الخوارج قد شغلت النصف الاخير من القرن الثامن الميلادي . فما هو اذن الميدان الذي دارت فيه تلك الاحداث التاريخية ؟ . لقد دارت في طنجة ووادي سبو وتلمسان ووادي شلف وهدنة وجنوب تونس وطرابلس ، وكلها تقع في سلسلة السهول والهضاب العالية التي تقطنها زناتة لقد كانت روح زناتة اذن هي الدافع وراء هذه الاحداث . وليكن معلوما ان هذا الزلزال العظيم الذي اجتاح بلاد المغرب كان يحركه - ضمن عوامل ، اخرى عامل مغربي خالص ظهر على الاقل في الثورات الاولى التي قامت في طنجة . ويجب الا يغيب عن البال ان حركات الخوارج انطوت على عناصر تنتمي الى عالم اليفانت (يقصد الفرس والخراسانيين والعرب) وعلى الرغم من اسهام بعض القبائل كصنهاجة وكنانة في ثورات الخوارج ، فمما لا شك فيه أن الزعامة في هذه الحركات كانت دائما لزناتة وعلى ذلك نسلم بداهة بأن ثورات الخوارج في المغرب ما هي الا ثورة زناتة ، وإن الدور الذي لعبته في هذا الصدد هو اولى ادوارها على مسرح التاريخ المغربي (٣٥٤)

ويخيل لنا ان مكن الخطأ في رأي جوتييه هو نظركه الى المناطق التي شهدت المعارك الكبرى بين الخوارج والعرب على انها مواطن قبيلة زناتة دون ان يفتن الى امرين : اولهما : أن مواطن القبائل البدوية لم تكن ثابتة ثبوتا قاطعا ، فهي دائمة الترحال والانتقال بقطاعاتها وراء المراعي ومواطن الكلاء وثانيهما ، ان قبيلة زناتة كانت منتشرة في بلاد المغرب من ادناها الى اقصاها مختلطة بغيرها من القبائل ، فمواطنها كما يقول ابن خلدون (٣٥٥) « فسي سائر مواطن البربر بأفريقية والمغرب ، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسنوس الأقصى ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقية وبجبل اوراس ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط ، ومنهم بالمغرب الأقصى أمم

أخرى . فالمعارك الكبرى اذن لم تقع في مواطن زناتة وحدها انما في «سائر مواطن البربر» .

ثم ان جوتيبي بنى رايه على أساس ان المؤرخين العرب القدامى ذكروا ان زناتة وحدها تزعمت ثورات الخوارج وساعدت على قيامها ، والحقيقة اننا لم نجد مؤرخا واحدا يشير الى مثل هذا الامر البتة . بل نجد عندهم مسن الاشارات ما يدل على عكس ذلك ، فابن خلدون (٣٥٦) مثلا يقول عن ثورات الخوارج في عهد عبد الرحمن بن حبيب : « فاستشرى داء البربر ، وأعضل امر الخارجية ورؤسها ، فانتفضوا من اطراف البقاع ، وتواثبوا على الامر بكل ما كان داعين الى بدعتهم ، وتولى كبر ذلك يومئذ طنهاجة » .

ويكفي ان نشير الى ثورات الخوارج لنتبين هذا الاسراف في القول . فاولى الثورات في بلاد المغرب سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) قامت بزعامة مطهرة أول الامر ثم تصدت زناتة بعد ذلك لقيادتها حين أقصى ميسرة وحل خالد بن حميد الزناتي محله في زعامة الثورة . واذا كانت زناتة قد برزت في هذه الحركة فذلك لا يعني انها كانت وقفا عليها بل ساهمت فيها قبائل المغرب الاقصى برمتها ، وهذا يفسر قول ابن الاثير بانها (٣٥٧) شملت المسلمين والكفار .

واذا كانت زناتة قد تزعمت هذه الثورة في مرحلتها الاخيرة ، فأن صوتها قد خفت بعد ذلك ، ثم عادت الى الظهور في حركة أبي قره الصفري . اما الثورة الصفرية الثانية التي تزعمها عكاشة بن ايوب النفزاوي وعبد الواحد الهواري سنة ١٢٤ هـ (٧٤٢م) فقد لعبت هواره ونفزة (٣٥٨) دور الصدارة فيها ، واشتركت فيها زناتة كحليف لمعيد الواحد الهواري (٣٥٩) . اما ثالث ثورات الصفرية التي مكنت الصفرية من القيروان سنة ١٣٩ هـ (٧٥٦م) ، فقد قامت على اكتاف قبيلة نفزة بصفة عامة وورفجومة بوجه خاص (٣٦٠) ولم نسمع عن صوت لزناطة في ثورات الصفرية في اقليم الزاب فقد كانت مقصورة على قبيلتي نفزة وهواره (٣٦١) .

ولم يكن لزناطة دور يذكر في ثورات الاباضية ، فقد كانت الزعامة فيها

لهوارة (٣٦٢) فحركة عبد الله بن مسعود التجيمي سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤م) وثورة الحارث وعبد الجبار التي استمرت حتى عام ١٣١ هـ (٧٤٩م) كانتا حكرًا على الاباضية هوارة في أحواز طرابلس (٣٦٣) بينما تزعمت نفوسة الحركة التالية بزعامة اسماعيل بن زياد النفوسي سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م) (٣٦٤) . ولا نجد لزناطة ذكرًا إلا في حركة أبي الخطاب المعافري سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م)، وهي حركة كانت هوارة مركز ثقلها بينما لعبت زناطة فيها دورًا غير مشرف (٣٦٥) . وثورة الاباضية العظمى التي قام بها أبو حاتم المزروعي كانت ثورة هوارة أيضًا ، فكان أبو حاتم نفسه من مليلة وهي بطن من بطونها (٣٦٦) . وظلت هوارة وحدها قائدة للحركات الاباضية التي قامت في سنتي ١٥٦ هـ (٣٦٧) (٧٧٣ م) ، ١٨٠ هـ (٧٩٦م) (٣٦٨) في المغرب الأدنى الى جانب ثورة نفزة ببناجة التي قمعها داود بن حاتم (٣٦٩) .

قصارى القول — ان زناطة أسهمت في ثورات الخوارج الصفرية مع غيرها من القبائل ، وكانت القيادة في هذه الثورات متداولة بين مطهرة وزناطة ونفزة وهوارة ومغيلة على التوالي . بينما يعتبر اسهامها في حركات الاباضية ضئيلا للغاية ، فند تصدرت هوارة دون منازع هذه الحركات من البداية حتى النهاية .

ومهما يكن من أمر فقد أسفرت ثورات الخوارج عن قيام دولتين ببلاد المغرب احدهما للصفرية سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) ومركزها سجلماسة والاخرى للاباضية وعاصمتها تاهرت سنة ١٦١ هـ (٧٧٨م) وكذلك كان قيام دولة الاغالبية في افريقية سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠م) بمثابة رد الفعل العربي لقيام دول من البربر ، فقد حرص الرشيد على ضمان استمرار نفوذ الخلافة في افريقية حتى ولو كان هذا النفوذ اسميا ، ومن ثم فقد أقر قيام الامارة الاغلبية لتحول دون زوال هذا النفوذ ولتقف حاجزا أمام خطر الدولة الادريسية العلوية والدولتين الخارجيتين المندراية والريستمية .

الباب الثالث

دول الخوارج في بلاد المغرب

انتهينا الى ان ثورات الخوارج الصفرية كللت بالنجاح في المغرب الاقصى على يد ميسرة وخليفته خالد بن حميد الزناتي ، كما نجح الخوارج الاباضية في بسط نفوذهم على المغرب الادنى بعد قيام « امامة الظهور » على يد أبي الخطاب المعافري سنة ١٣٩هـ (٧٥٦م) . غير ان نشاط الخوارج لازمه الفشل حين رنوا بابصارهم صوب افريقية لسببين رئيسيين ، أولهما : التنافس بين الصفرية والاباضية على امتلاك القيروان واندلاع الحرب بينهم سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) ، الامر الذي أضعفهم جميعا ، فوقعوا لقمة سائفة لجيوش ابن الاشعث سنة ١٤١هـ (٧٥٨م) . وتسبب هذا التنافس ايضا في فشلهم في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٣هـ (٧٧٠م) ، وأسفر اختلافهم عن تشكيل يزيد بن حاتم بهم جماعة في ائر أخرى سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) .

وثانيهما ، صحة الخلافة العباسية وحرصها على دعم نفوذها في افريقية بانفاذ الحملات المتتابة التي عهد بقيادتها الى قواد أكفاء من أمثال ابن الاشعث والاعلب بن سالم وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم .

ولذلك استحال استمرار نشاط الخوارج في افريقية وخاصة بعد قيام حكم آل المهلب الاقوياء في القيروان وعدم توانيهم عن ملاحقة حركاتهم

ومناقضتها • عندئذ اتخذت حركات الخوارج طابعا عمليا (١) ، فعزفوا عن مناطق النفوذ العربي نهائيا واتجهوا الى المناطق الصحراوية النائية بالمغرب الأقصى والايوسط حيث عول الصفرية على اقامة دولة في جنوبي المغرب الأقصى معقل الخوارج الصفرية كانت سجلماسة عاصمة لها • بينما آثر الاباضية اقامة دولتهم بالمغرب الاوسط حيث تغرب كثير من القبائل التي تدين بالمذهب الاباضي مثل زناتة ولماية وهوارة ولواته وسدراته وغيرها (٢) • واتخذوا من مدينة تاهرت عاصمة لها •

والواقع ان ظهور دولتي الخوارج يمثل نقلة هامة في تاريخ الخوارج وتاريخ المغرب على السواء • فقد توجت دعوتهم في بلاد المغرب بتحقيق اهدافها في اقامة دول خارجية (٣) بعد ان فشلوا في تحقيق ذلك بالشرق • وأتاح ذلك لهم أن ينعموا بالاستقرار السياسي بعد حروب استمرت ما يقرب من نصف قرن من الزمان • ومن ناحية أخرى فان قيام دولتي الخوارج كان بمثابة تعبير عن روح القومية والاستقلال عند المخاربة • فضلا عن الاثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها بلاد المغرب وهو ما سندرسه فيما بعد مفصلا •

اولا : دولة بني مدرار الصفرية

١ - قيام دولة بني مدرار

كان الخوارج الصفرية سباقين الى انشاء دولتهم في سجلماسة سنة ١٤٠هـ (٧٥٧ م) ؟ كما كانت لهم الاسبقية من قبل في المبادرة بالثورة سنة ١٢١هـ (٧٣٩ م) • غير ان المؤرخين الغربيين (٤) درجوا على التقليل من شأن هذه الدولة فاعتبروها مجرد دويلة لا يمتد بدورها في تاريخ بلاد المغرب • ويخيل الينا أن الباعث على ذلك يكمن في أمرين أساسيين ، أولهما : ان دولة بني مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور مباشر في التيارات السياسية العالمية - كدولة الاغالبة المعاصرة لها على سبيل المثال - واقتصرت نشاطها على المشاركة في حركة التجارة عبر الصحراء شمالا وجنوبا •

وتانيهما ، ندرة المعلومات عن هذه الدولة بدرجة جعلت المؤرخين يجمعون عن التاريخ لها ، فظل تاريخها يلفه الغموض والابهام (٥) .

وعلى كل حال - استطاع الخوارج الصفريّة في سنة ١٤٠هـ (٥٧٧م) أن يستفيدوا من اضطراب الاحوال في افريقية وقيموا دولتهم في سجلماصة على وادي ملوية (٦) ، فعمال الخلافة في المغرب شغلوا آنذاك عن الاقاليم الغربية والجنوبية بتدعيم نفوذها في المغرب الادنى وافريقية (٧) ، فوجد الصفريّة في ذلك فرصة مواتية لتأسيس دولتهم في مامن من نقمة الخلافة وعمالها .

وينم اختيارهم لاقليم تافيللت بأقاصي الصحراء ، الكبرى عن حكمة وذكاء ، ذلك ان هذا الاقليم النائي من بلاد المغرب يمثل نهاية العمران من ناحية الجنوب والغرب (٨) والطريق اليه غاية في الوعورة اذ يمتد خلال متاهات من القفار والرمال ، ولذلك فهو في حماية طبيعية اتاحت لبربر مكناسة أن يتخللوا من قصبة سجلماصة (٩) عاصمة لهم .

ومكناسة هي العصبية التي ارتكزت عليها دولة بني مدرار (١٠) وليست زناتة أو نفوسة (١١) ومواطنها على وادي ملوية (١٢) - حيث تقع سجلماصة في أعلاه وهذا الوادي يصب في البحر المتوسط ، وكذلك تقطن بعض بطونها في نواحي تازا وتسول بالمغرب الأقصى (١٣) وبربر مكناسة من البتر وبتونهم كثيرة منها « صولات وبوحاب وبنو ورفلاس وقيصارة وورقطنة وورصطف » (١٤) وكلهم من سكان الصحراء (١٥) .

وأسهمت عناصر أخرى غير مكناسة في قيام الدولة ، ولعل من أبرزها بربر صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الرض الاندلسيين ، ويفهم هذا من قول اليعقوبي (١٦) بأن عناصر شتى استقرت في سجلماصة . فقبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولتونة كانت تضرب في أخواز سجلماصة على طول المغازة بينها وبين غانة السودانية (١٧) . ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بالمدينة حتى ان البكري وصف سكانها بأنهم كانوا يلتزمون

النقاب (١٨) • ونعلم ان السودان أسهموا في قيام دولة بني مدرار ، فكانت جماعات منهم تقيم باقليم تافيللت بعد اعتناقهم المذهب الصفري على يد أبي القاسم سمكو بن واسول (١٩) • وحسبنا ان أول من تولى الامامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد الاسود •

وكان اشتغال بربر زويلة - ومواطنهم جنوبي سجلماسة - بالوساطة التجارية ومرافقة القوافل عبر المفاوز ما بين سجلماسة وبلاد السودان ، سببا في اعتناقهم المذهب الصفري ومشاركتهم صفرية تافيللت في انشاء دولة بني مدرار (٢٠) •

وعلى الرغم من استبعادنا للرواية القائلة بتأسيس ربط الاندلس لمدينة سجلماسة وان أول أئمة الدولة كان منهم (٢١) ، فلا شك في أنهم قاموا بدور واضح في تدعيم الدولة بعد نزول أعداد غفيرة منهم بسجلماسة واعتناقهم المذهب الصفري (٢٢) ، وخاصة فيما يتعلق بالنواحي المهنية والعمرانية •

على ان الفضل يعزى الى مكناسة في جمع شمل هذه العناصر جميعا في تنظيم سياسي واحد بعد ان كانت تضرب في اقليم تافيللت دونما صلة أو رباط يجمعها (٢٣) ، فتمكن زعيمها أبو القاسم سمكو بن واسول من تجميعها حول المذهب الصفري وضمها في كيان واحد • ويعزى دور مكناسة القيادي هذا الى أسبقيتها في اعتناق المذهب الصفري ، فقد وصلها في وقت مبكر فقد تلقاه المكناسيون عن أئمتهم ورؤسهم من المغرب (٢٤) فكان زعيمهم أبو القاسم سمكو على صلة بمكرمة منذ وصوله الى القيروان ، وهو من أشهر دعاة الصفرية في بلاد المغرب على الاطلاق • وبعد نشره المذهب بين قومه من مكناسة عكف على بثه بين سكان اقليم تافيللت ، وهذا يخالف قول صاحب الازهار الرياضية (٢٥) بأن المذهب الصفري انتقل الى مكناسة عن طريق أهل تافيللت في وقت متأخر أثناء شروعه في اقامة دولة بني مدرار • اذ الثابت ان بربر مكناسة وزعيمهم أبا القاسم سمكو اشتركوا في ثورة ميسرة المطفري سنة ١٢١هـ (٢٦) (٧٣٩ م) •

ولم نقف على دور لابي القاسم في ثورات الصفرية بعد ميسرة ، ويبدو

أن سيطرة زنادة على الحركة ، وتولي من هم أقل منه مكانة وسابقة في المذهب وعامتها ، جعله يعزف عن المشاركة فيها ، أو لعله زهد في أسلوب الثورة وأثر الانقطاع لنشر المذهب في الاصفقاع الجنوبية تمهيدا لانشاء دولة للصفرية هناك ، فتوجه الى تافيللت حيث تضرب جماعات من السودان وبعض بطون صنهاجة وهم غالبية سكانها (٢٧) . وجدير بالذكر ان هذه الجماعات « كانوا أهل بادية وحواضر وحراثات » (٢٨) فكانوا يعملون بالرعي والزراعة « (٢٩) الى جانب التجارة (٣٠) . كما عرفوا بالتدين وحب العلم والرغبة في طلبه الى جانب شدة البأس والنجدة وقوة العريكة ، « فهم أهل علم وسلاح » (٣١) . لذلك وجد فيهم أبو القاسم سمكو - الملقب بمدرار (٣٢) - ضالته المنشودة ، فكانوا عوناً له على انشاء الدولة التي نسبت اليه .

نزل أبو القاسم أرض تافيللت سنة ١٣٨هـ (٣٣) (٧٥٥ م) واشتغل بالرعي ، وأخذ يتصل بغيره من الرعاة الذين كانوا ينتجعون بقطائعهم موضع سجلماسة ، ويعلمهم أصول المذهب الصفري (٣٤) . وأصبحت خيمة أبي القاسم بمثابة مجمع يلتقي به أنصاره (٣٥) . ولما اشتد ساعده وكثر أتباعه نصبوا خيامهم الى جواره (٣٦) . ويذهب بعض المؤرخين (٣٧) الى ان أبا القاسم شرع في اعلان قيام دولته سنة ١٤٠هـ (٧٥٧ م) لما بلغ عدد انصاره أربعين رجلاً ، « فعندئذ بايع بالامامة عيسى بن يزيد الاسود وحمل قومه مكناسه على طاعته » .

على كل حال - كانت مبايعة عيسى بن يزيد الاسود بالامامة (٣٨) - وهو من موالي العرب (٣٩) - وانصياح صفرية مكناسة لبيعتة بعد أن حملهم أبو القاسم على الاعتراف بامامته (٤٠) تطبيقاً عملياً لرأي الخوارج في الامامة . ولما كان عيسى بن يزيد الاسود لا يرقى الى منزلة أبي القاسم سمكو من حيث السابقة في المذهب أو الافضلية في العلم ، فان اختياره للامامة يدل على ثقل وزن عنصر السودان ورجحانه على سائر العناصر الصفرية باقليم تافيللت . ومما يؤكد ذلك ان غالبية بربر مكناسة لم يكونوا قد انتقلوا بعد من مواطنهم الاولى ليستقروا في اقليم تافيللت ، فلم يحدث هذا الا بعد اختطاط سجلماسة ،

يؤيد ذلك قول ابن خلدون (٤١) « ٠٠٠ وبعد ان اختلطوا سجلماصة سنة ١٤٠هـ دخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحية في دينهم » .

أجمع الصفرية اذن على مبايعة عيسى بن يزيد بالامامة (٤٢) سنة ١٤٠هـ (٧٥٧ م) وفي نفس السنة شرعوا في اختطاط سجلماصة (٤٣) لتكون حاضرة للدولة (٤٤) . وقد أصبحت سجلماصة مركزا للامارة (٤٥) ومقرا للمذهب الصفري .

وقد حرص الصفرية على انشاء هذه العاصمة في مكان حصين ، فأقاموها في « موسطة الصحراء » (٤٦) جنوب تلمسان بعشرة مراحل ، وفي موضع التقاء فرعي نهر ملوية (٤٧) وأسس الصفرية حصنا في وسط المدينة أسموه العسكر ، كما أسسوا المسجد الجامع ودار الامارة (٤٨) . ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن (٤٩) . فاتسع العمران حتى جاوزت المدينة فرعي نهر ملوية (٥٠) وقد أسهم في بنائها معماريو الاندلس فضلا عن اليهود الذين استقروا بها لاستغلال التبر (٥١) . وقد أسس سورها سنة ٢٠٨هـ (٨٢٣ م) في عهد اليسع بن أبي القاسم ، وبه من الابواب اثني عشر بابا (٥٢) منها الباب القبلي والباب الغربي وبابغدير الجزائريين وباب موقف زناتة (٥٣) . ويصف ابن حوقل (٥٤) الذي زارها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري - أبنتها بأنها شاهقة كأبنية الكوفة . اذ انها بنيت بالصخر فبقيت قائمة عدة قرون حتى وصفها ابن مقديش (٥٥) بأنها « مسنة » .

ولما كانت سجلماصة محصورة بين فرعي نهر ملوية ، فقد توفرت لها المياه . لهذا عمل عيسى بن يزيد على تنظيم الافادة منها ، فشق القنوات « وصرف الى كل ناحية قدرها من مائة » ، واستكثر من غرس النخيل (٥٦) . وهذا يعني ان تأسيس سجلماصة ارتبط به تحول في حياة السكان من الرعي والبدو الى الزراعة والاستقرار (٥٧) ، ولا غرو فقد غدت سجلماصة مدينة النخيل والاعناب والفاكهة (٥٨) . وقد أفاض الجغرافيون (٥٩) والرحالة في وصف غروسيها التي غطت مساحة قدرها أربعين ميلا .

والى جانب الفاكهة تنوعت المحاصيل « حسب زرع مصر في » .

الفلاحة « (٦٠) مما حدا بالادريسي (٦١) الى أن يصف المدينة بأنها « كثيرة الخضر والنبات » وبفضل هذه المنتجات المتعددة قدر لها أن تلعب دورا تجاريا هاما في بلاد المغرب (٦٢) والسودان حتى أصبح سكانها « سداة مياسير بباينون سائر أهل المغرب بالمخبر والمنظر » (٦٣) .

ولا شك في أن هذا الازدهار الاقتصادي الذي واكب انشاء مجلماسة ساعد على تدعيم دولة بني مدرار ، فقد غنت قبلة للخوارج الصفرية في بلاد المغرب بأسره . وقصدها جموع الصفرية من كل صوب لائذين بها هربا من انتقام ولاة بني العباس من آل المهلب . وكان لذلك اثره في تدعيم الكيان السياسي لدولة كانت تعاني من نقص في السكان (٦٤) . وقد أدت هذه الهجرات بدورها الى نتائج سياسية غاية في الاهمية في التطور السياسي لدولة بني مدرار ، فقد هجرت بقية بطون مكناسة مواطنها الاصلية واستقرت بالمدينة الجديدة ، وغدت أكثر العصبية وأقواها ، وأهلها ذلك للزعامة السياسية والتطلع لمنصب الامامة .

ثم انتقلت الامامة الى أبي القاسم سمكو ، فقد سخط صفرية مكناسة على الامام عيسى بن يزيد ونحوه ، ولولا زعيمهم أبا القاسم سمكو مكانه . وما يسوقه المؤرخون من أسباب في هذا الصدد تتسم بالابهام وتفتقر الى التحديد . اذ يذكر بعضهم (٦٥) « أنهم نقموا عليه كثيرا في أحواله » ويعزي البعض (٦٦) الاخر ما حدث الى أن صفرية مكناسة « أنكروا عليه أشياء » ، دون ايضاح شيء من ذلك . وثمة رأي ثالث ساقه البكري (٦٧) اذ قال ان « أبا الخطاب قال يوما لاصحابه في مجلس عيسى ، السودان كلهم سراف حتى هذا ، وأشار على عيسى . فأخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعض » . كما ينهض ابن الخطيب (٦٨) الى أن الصفرية - بعد قتل عيسى بن يزيد - « ولوا على أنفسهم أبا الخطاب الصفري » . ويرجع الدكتور سعد زغلول عبد الحميد (٦٩) ان يكون أبو حاتم الاباضي أو عبد الرحمن بن رستم هو الذي أمر صفرية مجلماسة بعزل امامهم وقتله .

والحق - ان البكري ومن أخذ عنه قد جانبهم التوفيق . وليس أدل على ذلك من أن مقتل عيسى بن يزيد حدث سنة ١٥٥هـ (٧٠) (٧٧٢م) أي بعد أن ظل اماما لمدة خمسة عشر عاما (٧١) ، بينما قتل أبو الخطاب المصافري سنة ١٤٤هـ (٧٦١م) في معركة تاورغا . كما ان المصادر الإباضية - على وفرتها - لم تشر الى مثل هذا الامر ، فلم يكن من المألوف تدخل الإباضية والصفرية بالمغرب في شئون بعضهما البعض (٧٢) ، الامر الذي يشكك في هذه الرواية من أساسها .

ومع ذلك يستفاد منها أن عيسى بن يزيد انحرف عن خط المذهب ، وأسرف في تطبيقه واشتط في إحكامه . كما ان نقمة الصفرية عليه وتعمديه وقتله بطريقة قاسية تنم عن تطرف الخوارج الصفرية وميلهم الى العنف (٧٣) . لكن الذي نؤكد أنه الدافع الاساسي للثورة عليه هو ازدياد قوة مكناسة بعد قدوم بطونها من مواطنها الاصلية الى سجلماسة ، وتطلعها الى الحكم والسلطة .

على كل حال - آلت الامامة الى أبي القاسم سمكو ، وظلت من بعده حكرا على صفرية مكناسة التي اختصت باختيار الائمة من آل بيت أبي القاسم وأخذ البيعة لهم من جمهور الصفرية في سجلماسة وتوابعا (٧٤) .

وعكف أبو القاسم طيلة امامته (١٥٥ - ١٦٨هـ) (٧٥) (٧٧٢ - ٧٨٤) على ارساء قواعد دولته ، عازفا عن المشاركة في ثورات الصفرية في العصر العباسي الاول . ولعل هذا يفسر قول ابن خلدون (٧٦) ومن أخذ عنه (٧٧) بأن أبا القاسم خطب في عمله للمتنصور والمهدي من بني العباسي ، والواقع ان أبا القاسم لم يسهم في حركات الصفرية الاخيرة لا لكونه تابعا للخلافة العباسية - كما يذهب ابن خلدون - ولكن لاحساسه بعدم جدوى هذه الحركات التي اتخذت شكل ثورات غير منظمة ، ولانشغاله من ناحية اخرى بمشاكل دولته الجديدة . وليس ببعيد ان يكون قد اضطر امام هذه المشاكل الى مسألة الولاية العباسيين في المغرب ، ومن المحتمل أن يكون قد وعدهم بتبعية اسمية ليضمن سلامة دولته التي لم تكن قد استقرت بعد ، وان كان من الراجح أن دولة بني مدرار تمتعت باستقلال سياسي تام عن سلطة الخلافة وعمالها .

وهكذا - استطاع أبو القاسم سمكو بن واسول الكناسي « مقدم الصفرية (٧٨) » بالمغرب الأقصى تحقيق أهداف الخوارج الصفرية باقامة دولة لهم في بلاد المغرب توارثها بنوه من بعده .

ب - سياسة بني مدرار الداخلية

تأثرت سياسة بني مدرار الداخلية - بدرجة كبيرة - بعاملين أساسيين ، العامل العنصري ، والديني ، فتعيين الامراء وعزلهم ، وقيام الثورات والفتن ، واحتدام المنازعات بين أفراد البيت المدراري ، واتساع الدولة وتقلصها ، وقرتها وضعفها ، كل ذلك كان مرتبطا أشد الارتباط بالصراع القبلي أو الخلاف المذهبي .

وقد تمثل العامل العنصري القبلي في تباين الكيان الاجتماعي فسي سجللماسة واختلاف عناصر سكانها ما بين بربر وسودان وأندلسيين ، فضلا عما هو معروف من انقسام البربر الى بتر وبرانس . ولئن كان المذهب الصفرى اطارا جمع هذه العناصر جميعا وخفف من حدة التمرات العنصرية والتناحر القبلي داخل الدولة المدرارية ، الا اننا لا نعدم وجود أقليات دينية لعبت دورا واضحا في احداث الدولة . كان هنالك اليهود الذين هيمنوا على مصائر البلاد الاقتصادية باحتكارهم استغلال مناجم الذهب والفضة في درعة (٧٩) . والمعتزلة الذين كانوا يبعثون بزكاة أموالهم الى رئيسهم تباهرت يصرلها حيث شاء « (٨٠) كما وجد بسجللماسة أقلية من الخوارج الاباضية كان لها دورها البارز في تطور الاحوال السياسية داخل دولة بني مدرار (٨١) .

والحق - ان المصادر لا تمدنا بمعلومات وفيرة عن السياسة الداخلية (٨٢) ومع ذلك يمكن القول بأن الصراع العنصري ظهر واضحا في الاحداث المتعلقة بقيام الدولة . فنعلم أن تقليد عيسى بن يزيد الاسود امامة الصفرية كان مرتبطا بتفوق عنصر السودان على سائر العناصر الأخرى القاطنة باقليم تافيلللت . كما كانت هجرة مكنابية الى هذا الاقليم سببا في سيطرتها على

مصائر الدولة واحتكارها الامامة وتفوقها على سائر العناصر والقبائل الاخرى التي اختفى صوتها تماما فيما حدث من صراع على الامامة بين افراد بنسي مدرار المكناسيين .

اما العامل المنهبي فيظهر بوضوح في نشاط الاباضية بسجلماسة ، ومما يؤكد دورهم في تاريخها السياسي ما درج عليه بعض المؤرخين من الخلط بين أئمتهم وبين أمراء سجلماسة الصفرين، واعتبار بعضهم بعض أمراء آل مدرار من الاباضية . فابن الخطيب (٨٣) يذهب الى أن الصفرية بعد قتلهم عيسى بن يزيد الاسود « ولوا عليهم أبا الخطاب الصفري » الذي احتضن أبا القاسم سمكو وعقد له الامر من بعده . وقد سبق أن فندنا تلك الرواية وأثبتنا ان أبا القاسم سمكو المكناسي تولى الامامة على اثر مقتل عيسى بن يزيد سنة ١٥٥هـ (٧٧٢ م) واحتفظ بها حتى وفاته في سنة ١٦٨هـ (٨٤) (٧٨٤ م) .

ولم نقف على دور للاباضية في عهد الياس بن أبي القاسم الملقب بأبي الوزير (٨٥) ، ذلك لان المصادر لا تمدنا بأية أخبار عن أحوال الدولة في عهده الذي امتد حتى عام ١٧٤هـ (٨٦) (٧٩٠ م) . ويبدو انه كان خاملا فاطر المهمة مما جعل الصفرية ينقمون عليه حكمه « فانتفضوا عليه وخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع » كما يذهب ابن خلدون (٨٧) ، ولا يبعد أن يكون أخوه دبر أمر خلعه وإقصائه ليظهر بالامارة لنفسه حسبما ذكره البكري (٨٨) . ومع ذلك نعتقد ان فتن الاباضية قد تفاقمت في عهده ، وهذا يفهم من جهود خليفته اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي المنصور (٨٩) (١٧٤هـ - (٩٠) ٢٠٨هـ (٧٩٠ - ٨٢٣ م) في قمعه . فقد طمعوا في تقلد الامارة بعد استقلالهم بنواحي درعة الشهيرة بمعاداتها (٩١) . غير ان اليسع عمد الى تمسكة الجند والانصار (٩٢) الى أن تسنى له اعداد جيش قوي تمكن به من اخماد الفتنة « وظفر بمن عانده » (٩٣) . ويبدو أنه أسرف في البطش بخصومه حتى وصف بأنه « كان جبارا عتيذا » ، فظا غليظا « (٩٤) لقد قضى على الفتنة في مهدها » وأظهر منهج الصفرية « (٩٥) بعد أن « قاتل عليه » (٩٦) في حروب انتصر فيها جميعا حتى قيل بأنه « دوخ المغرب » (٩٧) وأسفرت هذه الحروب

من مد نفوذ الدولة حتى درعة ، وفرض الخمس على ما يستخرج بها من معادن (٩٨) .

ويبدو ان هذه الحروب الطويلة التي خاضها احدثت اضرارا بسجلماسة وتخريبا لمبائرها وسورها ، ولعل جموع الاباضية بالمدينة لعبوا دورا فسي هذا الصدد . وهذا ما يرجحه اقدم ابي المنصور اليسع على اخلاء المدينة واعادة تخطيطها فتخبرنا المراجع (٩٩) انه أمر القبائل بمبارحة سجلماسة وسكنى الصحراء . ثم أعاد بناء مسجدها الجامع واختط فيها المصانع والقصور حتى استردت بهامها وزينتها (١٠٠) . وشرع في تحصينها ببناء سور جديد أنفق فيه أموالا طائلة بذلها من ماله الخاص (١٠١) . وقد بنى اسفله بالحجارة وأعلاه بالطوب (١٠٢) وجعل به اثني عشر بابا صنع معظمها من الحديد (١٠٣) ولما انتهى من اتمام تعمير سجلماسة ، اعاد تقسيم خططها بين القبائل بما يكفل له الهيمنة على سائر أجزائها والسيادة على كافة سكانها (١٠٤) .

بذلك استطاع أبو المنصور اليسع أن يحقق أهدافه وأصبح لا ينازعه في الامامة منازع ومن هنا يمكن اعتبار حكمه عصر الازدهار والاستقرار في تاريخ دولة بني مدرار .

يؤكد ذلك تطلع جيرانه من بني رستم الاباضية الى كسب وده ليأمنوا جانبه من ناحية ويضمنوا الاستقرار والامن لآخوانهم في المذهب بسجلماسة من ناحية اخرى ، يفسر ذلك تزويج عبد الرحمن بن رستم إحدى بناته لاحد أبناء أبي المنصور اليسع ويدعى مدرار لربط الدولتين الخارجيتين بصلة المصاهرة (١٠٥) . وقد أثمرت تلك المصاهرة فاستكان الاباضية بسجلماسة لحكم أبي المنصور ودانوا بطاعته حتى وفاته سنة (٢٠٨هـ) و (٨٢٣م) .

لكن ثوراتهم اندلعت من جديد في عهد مدرار بن أبي المنصور اليسع الذي خلف أباه وتلقب بالمنتصر (١٠٦) ، اذ ما لبث الصراع بين الاباضية والصفرية في سجلماسة ان وجد طريقه الى البيت المدراري .

وتجمع المصادر (١٠٧) على أن المنتصر مدرار كان له ولدين يدعى كل

منهما ميمونا احدهما من زوجته الرستمية والاخر من زوجة اخرى تدعى بقية
 فعرف ابنها بميمون بن بقية (١٠٨) . وتضيف ان المنتصر كان يؤثر ابن
 الرستمية على أخيه حتى انه عهد اليه بولاية عهده (١٠٩) . وكان ذلك بداية
 انتصار الاباضية بسجلماسة . فأزور صفريتها ميمون بن بقية ، ودخل الطرفان
 في صراع استمر ثلاثة أعوام (٢٢١) - (١١٠) (٢٢٤ هـ) (٨٣٥ - ٨٣٨ م) كان
 المنتصر ابانها سليل الارادة . ثم أقدم المنتصر على خرق تقاليد الامامة فخلع
 نفسه وولى ابن الرستمية مكانه بعد طرده لابن بقية من سجلماسة (١١١) .
 وأغضب هذا التصرف شيوخ الصفرية بالمدينة لانتهاكه تعاليم المذهب من
 ناحية ، ولخوفهم من وقوع البلاد تحت سيادة الاباضية (١١٢) من ناحية اخرى
 فصمموا على خلع ابن الرستمية وتم لهم ما أرادوا . ويذكر النفوسي (١١٣)
 ان ذلك تم بتحريض من ميمون بن بقية لرؤساء الصفرية ومقدميهم . غير أنهم
 حين عرضوا عليه الامامة أبى واكتفى بطرد أخيه ابن الرستمية الى درعة (١١٤)
 فاعادوا آباء مدرارا للامامة (١١٥) .

لكن المنتصر ما لبث ان بعث في طلب ابنه ابن الرستمية من درعة ليوليه
 الحكم مرة أخرى . وعندئذ أرغمه الصفرية على التنحي وباعوا ميمون بن بقية
 سنة ٢٢٤ هـ (١١٦) (٨٢٨م) ولقبوه بالامير (١١٧) . وبادر ميمون الامير
 بطرد ابيه من سجلماسة الى بعض القرى (١١٨) . فظل بها حتى وفاته سنة
 ٢٥٣ هـ (٨٦٧م) (١١٩) . وبقي ميمون أميرا حتى توفي سنة ٢٦٣ هـ (١٢٠)
 (٨٧٧م) . ولا نعلم شيئا عن أخباره الا ما ذكره ابن خلدون (١٢١) من أنه كان
 مستبدا في حكمه وكان مضطرا الى ذلك لمواجهة فتن الاباضية ومؤامراتهم .
 ويبدو ان جمهرتهم هجرت سجلماسة الى درعة لاستجماع قواهم ومناصرة
 ميمون بن الرستمية على الظفر بالامارة ، وهذا ما حدا بمحمد بن ميمون
 الامير ان يقتفي أثرهم ويناهض حركاتهم ، اذ يخبرنا ابن الخطيب (١٢٢) بأنه
 «غزا وطهر بلاد القبلة» . ويبدو انه امتاصل شافة الاباضية في هذه الاصقاع،
 فلم تسمع عن حركات لهم طوال حكمه . وقد توفي سنة ٢٧٠ هـ (١٢٣) (٨٨٤م) .
 ويخيل لي ان الدولة المدراية في ذلك الحين تخلصت من مشاكلها الداخلية
 وحقت الامن والهدوء في سائر ربوعها ، فانصرفت الى التوسع خارج

حدودها • وقد اضطلع بتلك المهمة خليفة الامير محمد بن ميمون ويدعى
اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم (١٢٤) الذي لقب
بالمختصر (١٢٥) •

ويدهي أن يتطلع اليسع الى ضم صغرية مطفرة لدولته ويوحد صغرية
المغرب الاقصى تحت لوائه • وجدير بالذكر ان مطفرة اذ ذاك كانت تحت
حكم الادارسة الذين اسرفوا في اضطهاد الصغرية داخل دولتهم • ومن المحتمل
أن يكون شيوخها قد اتصلوا بالماهل المدراري لتحريرهم باعتباره امام الصغرية
ببلاد المغرب • ويذكر ابن الخطيب (١٢٦) ان اليسع المنتصر عقد العزم على
الاضطلاع بتلك المهمة ، فشرع في تجنيد الجيوش لهذا الغرض ، ولم يثنه عن
عزمه سوى مداومة الخطر الشيعي لسجلماسة نفسها •

ففي عهده وقعت حادثة الغزو الشيعي لسجلماسة التي انتهت بقتل
اليسع وسقوط الدولة المدرارية سنة ٢٩٧ هـ (٩١١م) وهو ما سنفصله في
الباب الرابع •

وهكذا – لعبت الخلافات المنصرية والقبيلية والمذهبية دورا موجها في
سياسة دولة بني مدرار الداخلية •

ج – علاقات بني مدرار الخارجية

كانت دولة بني مدرار دولة داخلية صحراوية ، فلم تسهم بدور كبير
في احداث عصرها ، بل انصرف هم امرائها الى الحفاظ على استقلالها
السياسي ، ومذهبها الديني ، ومصالحها الاقتصادية • لكنها مع ذلك لم تكن
بمناى عن التيارات السياسية في العالم الاسلامي عموما وفي بلاد المغرب بوجه
خاص ، فكان على امرائها ان يتخلوا موقفا – ان وديا وان عدائيا – حيال
القوى الاسلامية الكبرى أو ما يدور في فلكها من الدول الصغرى ببلاد المغرب •
حقيقة أن دورهم كان سلبي على وجه العموم ، ونادرا ما بادروا بالخروج عن
دائرة العزلة السياسية التي فرضتها طبيعة بلادهم الجغرافية ومع ذلك يمكن
أن نشير الى علاقاتهم السياسية بطابعها الودي او العدائي ، وبجوانبها السلبية

او الايجابية مع كافة القوى الاسلامية المعاصرة في بلاد المغرب ، فضلا عن
الدولة العباسية والاندلس (١٢٧) .

على كل حال كانت سياسة بني مدرار الخارجية تتألف من خطين
بارزين ، علاقات عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الاغالبة ودولة الادارسة
ثم علاقات ودية مع بني رستم والامويين بالاندلس .

١ - العلاقات العدائية :

١) بني مدرار والعباسيون :

اتخذت علاقات بني مدرار بالخلافة العباسية وعمالها في المغرب طابعا
عدائيا . حقيقة أن هذا العداء لم يصل الى درجة قيام الحروب بين الامة
سجلماسة وامراء القيروان ، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزة
خصومه ، وحالت الظروف السياسية والعوامل الجغرافية دون تناصرهم ،
فانصرف هم الخلافة وعمالها الى الاحتفاظ بافريقية واسقطوا اقاصي بلاد
المغرب من حسابهم بعد أن انسלخت تماما عن نفوذهم .

كما أثر الامراء المدراريون حياة الهدوء والمواذعة داخل بلادهم النائية
بعدما تعرضت له حركات الخوارج على أيدي ولاة بني العباس منذ ولاية محمد
بن الاشعث حتى عهد هرثمة بن أعين . ومن ثم قنع العباسيون باستخلاص
افريقية وحمايتها من أخطار الخوارج كما زهد امراء سجلماسة في مناجزة
ولاة القيروان ولم يكللوا انفسهم مشقة اعداد الجيوش بسجلماسة في أقصى
الجنوب لغرض حروب غير مأمونة العواقب في أقصى الشمال ، وانصرفوا
لمواجهة المشاكل الداخلية في دولتهم ، فضلا عن الاهتمام بمصالحهم التجارية
كوسطاء في حركة التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

وقد أدى هذا الى أن بعض المؤرخين اعتبروا امراء سجلماسة عمالا للعباسيين
بسبب عزوف الطرفين عن محاربة بعضهما البعض ، فيذكر مرسية (١٢٨)
أن «بني مدرار كانوا يعترفون بالتبعية للعباسيين ، أما فورنل (١٢٩) فيقرر

«أن أمراء سجلماسة كانوا يدعون لبني العباس» • وكذلك بل (١٣٠) فإنه يقول وليس غريبا أن يدخل أمراء سجلماسة في علاقات التبعية للعباسيين رويدا رويدا • وربما كان بروفنسال (١٣١) أكثر انصافا في قوله « كان المراديون في كثير من فترات حكمهم يتبعون بغداد اسماء » • ويخيل إلينا أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا على نصين عند ابن خلدون ، يذكر في (١٣٢) أحدهما أن أبا القاسم سمكو بن واسول «خطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس» ، وفي الآخر (١٣٣) أن الشاكر لله أعلن ولاءه لبني العباس عندما قام بحركته ضد الفاطميين كما اعتمدوا أيضا على رواية أخرى مشكوك فيها تفيد أن اليسع بن مدرار أمير سجلماسة أودع عبيد الله المهدي السجن على اثر رسالة من الخليفة العباسي يأمره فيها بالقبض عليه •

وإذا صح ما ذكره ابن خلدون من خطبة أبي القاسم سمكو للمنصور والمهدي في سجلماسة ، فإنه يكون قد فعل ذلك خوفا من عمال الخلافة في المغرب من أمثال يزيد بن حاتم وخلفائه ممن عرفوا بالقوة والبطش في ملاحقة حركات الخوارج • واقدام أبي القاسم على هذا العمل يدخل في إطار « مبدأ التقية » الذي تجيزه تعاليم المذهب الصوفي (١٣٤) تحاشيا لآخطار محدقة بدولته وهي لم تزل في المهد •

أما مناداة الشاكر لله بالدعوة لبني العباس ، فمن المعتقد أنها كانت لهدف سياسي هو تأليب أهل السنة ببلاد المغرب ضد الفاطميين الشيعة ، وهو ما فعله أبو يزيد مغلد بن كيداد في ثورته على الفاطميين • وحسبنا أن الشاكر لله ضرب العملة باسمه من دون الخليفة العباسي (١٣٥) - كما لقب نفسه «بأمير المؤمنين» (١٣٦) بما يؤكد صدق قول القلقشندي (١٣٧) «فدعا لنفسه موها بالدعاء لبني العباس» •

أما عن الرواية المتواترة عن حبس اليسع بن مدرار للمهدي بسجلماسة وفقا لمشينة الخليفة العباسي ، فالمعتقد أنها مشوبة بالخط والاضطراب الأمر الذي يشكك في صحتها • يقول ابن خلدون (١٣٨) « ••• ولحق عبيد الله

الشميعي وابنه أبو القاسم - بسجلماسة لعهد . وأوعز في مقدمته (١٣٩) ان «المعتضد أوعز الى الاغالبية أمراء افريقية بالقيروان وبني مدرار بسجلماسة بأخذ الافاق عليهما «المهدي وابنه » واذكاء لعينون في طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفة» . وفي رواية ثالثة (١٤٠) . يقول ابن خلدون « وذهب عبيد الله الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فأكرمه . ثم جاء كتاب زيادة اليه ، ويقال كتاب المكتفي بأنه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه» .

ولا يمكن أن تكون هذه الروايات المضطربة ذريعة للقول بأن العلاقات كانت ودية بين بني مدرار وبني العباس كما ذهب بل (١٤١) والاكثر غرابة أن يقال أن « أمير سجلماسة كان سنيا » (١٤٢)

وممكن الاضطراب في روايات ابن خلدون قوله في أولى رواياته ان الخليفة المعتضد هو الذي أوصى الى ابن مدرار بالقبض على المهدي ، بينما يذكر في روايته الثالثة ان ابن مدرار استجاب لطلب الخليفة المكتفي وليس المعتضد . وفضلا عن ذلك فان هذه الروايات لا تتحد ما اذا كان الخليفة العباسي أم الامير الاغلبى ، هو الذي بحث بكتبه ليستحث اليسع بن مدرار القبض على المهدي .

ومهما كان الامر ، فان عبيد الله المهدي كان معروفا لدى أمير سجلماسة الذي كان يجله ويكرمه (١٤٣) . وكان المهدي ينفق الهدايا والصلوات على حكام البلاد التي مر بها أو أقام فيها ، فمنهم من لم يعرفه وأكرمه لذلك ، ومنهم من عرفه وترك التعرض له لما كان منه اليه . ومنهم من عرفه وقدره» (١٤٤) ولم ينكر المهدي نسبه وأنه « يدعو الى الرضى من آل محمد » حين سأل ابن مدرار ، بل كتم عنه صلته بداعيته ابي عبد الله الشميعي ونفى معرفته به (١٤٥) .

ويخيل لنا أن ابن مدرار حين قبض عليه وحبسه لم يقصد بذلك «مرضاة الخليفة» أو لانه كان على طاعته «كما ذهب ابن خلدون . بل أقدم

على ذلك حين علم ، « بأنه هو الذي يدعو الى بيعته أبو عبد الله الشيعي بافريقية (١٥٦) » الذي كان خطرا على سائر دول المغرب حدودها بالزوال (١٥٧) وقد نعى ذلك الى علمه « من جهات كثيرة (١٥٨) » وليس عن طريق الخلافة العباسية وحدها .

قصارى القول أن واقعة حبس المهدي بسجلماسة لا تدل على تبعية آل مدرار لبني العباس بقدر ما تدل على خوف الامير المدراري على دولته من الخطر الشيعي الجديد فالقول بتبعية الاسرة المدرارية للخلافة العباسية أمر يتعارض والظروف السياسية التي قامت فيها دولة بني مدرار ، كما لا يستقيم مع طابعها الديني المذهبي المتطرف ، وواقع صلاتها السياسية بالقوى المعادية لبني العباس .

فقيام دولة بني مدرار بسجلماسة كان على حساب النفوذ العباسي في بلاد المغرب ، فاقطع هذا الجزء نهائيا عن سلطان الخلافة ، واستقل به أمراء بني مدرار « عن ولاية القيروان والعرب (١٥٩) » ، وخلصوا طاعة الخلفاء (١٦٠) ولما كانت دولة بني مدرار بمثابة مجمع للخوارج الصفرية أساسا ، فقد غلب عليها الطابع الديني المذهبي . وجدير بالذكر ان مذهب الخوارج عموما لا يعترف بامامة بني العباس باعتبارهم مفتصبين للخلافة « وكلهم يجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وعزلهم ان أمكن أو قتلهم ان أمكن » (١٦١) . واذا لم يكن بمقدور صفرية المغرب الاقدام على ذلك ، فلا أقل من مناصبتهم العداء وانكار شرعية امامتهم . وليس من المقبول أن يدين صفرية سجلماسة لبني العباس في الوقت الذي كان اخوانهم في المذهب يعانون من سطوة الخلافة بالشرق ، ففي السنوات ١٦٢هـ ، ١٦٩هـ ، ١٧١هـ ، ١٧٨هـ ، (٧٧٩ ، ٧٨٦ ، ٧٨٨ ، ٨٩٥هـ) عمد العباسيون الى استئصال شأفة الخوارج الصفرية في تونس وأرض الموصل والجزيرة وأرض السواد ، فأبادوا جموعهم وقتلوا زعماءهم وبطشوا بجيوشهم (١٦٢) . واستمرت تلك السياسة طوال القرن الثالث الهجري حتى ضعفت شوكة الخوارج الصفرية في المشرق الاسلامي (١٦٣) . ولا غرابة بعد ذلك اذا أضمر أمراء بني مدرار بسجلماسة العداء للخلافة العباسية وعمالها في المغرب .

٢ - بنو مدرار والاغالبة :

من الطبيعي ان تكون علاقات الاغالبة ببني مدرار امتدادا لعلاقات بغداد بسجلماسة . فدولة الاغالبة التي قامت بافريقية سنة ١٨٤هـ (٨٠٠ م) كانت تدين بالولاء السياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي . وحسبنا انها كانت تمثل البقية الباقية لنفوذ الخلافة في بلاد المغرب . وقاعدتها لاسترداد سلطاتها المفقود في هذه الجهات . ولا غرو فقد سمح الرشيد بقيام هذه الدولة حرصا منه على استمرار نفوذه في افريقية من ناحية ، واسترداد هذا النفوذ في الاجزاء التي انسلخت عنه من ناحية أخرى لو استطاع الاغالبة الى ذلك سبيلا (١٦٤) . ومن ثم عادى الاغالبة أعداء الخلافة في المغرب ومنهم بنو مدرار .

لكن الذي لا شك فيه ان هذا العداء لم يبلغ حد التنافر والتصارع بين الدولتين فانصرف الاغالبة عن مشاكل المغرب لتحقيق أهدافهم التوسعية في حوض البحر المتوسط . وربما كان وجودهم وسط حشد من الاعداء (١٦٥) دافعا لهم على تولية الظهر للقارة والاتجاه الى البحر . وبديهي أن يخفف هذا الاتجاه من حدة عدائهم لبني مدرار وخاصة ان الاخيرين كانوا بعيدين عن متناول خصومهم حيث قامت الدولة الرستمية حائلا بين الطرفين (١٦٦) وتعرضت بذلك للاحتكاك مع الاغالبة .

واذا كانت دولة بني مدرار قد سلمت من مناجزة أمراء القيروان وتطاولهم ، فذلك لا يعني انتفاء عداوتهم ، أو بمعنى اخر لم يكن عدم قيام الحروب بين سجلماسة والقيروان دليلا على الود المتبادل كما ذهب فورل (١٦٧) . والحقيقة ان كلا من الطرفين لم يعبأ بالآخر ، طالما لم يكن بوسعه ان يسير الجيوش لقتاله . ومن ثم اتخذت عداوتهما طابع الاغفال وعدم الاكتراث .

ومن الخطأ أن يفسر ذلك على انه استكانة من جانب بني مدرار وقناعة منهم بالتبعية للاغالبة ، فقد ذهب ابن أبي دينار (١٦٨) الى أن « اليسع بن مدرار كان يحكم سجلماسة لبني الغلب » . ويخيل الينا أنه استنتج هذا

القول من حادثة القبض على عبيد الله المهدي بسجلماسة على اثر رسالة بمثلها الامير زيادة الله بن الاغلب وفقا لرواية بعض المصادر (١٦٩) ، أو أرفقها برسالة أخرى للخليفة العباسي في رواية أخرى (١٧٠) وقد سبق ان ذكرنا ان الامير المدراري أقدم على سجن المهدي اتقاء للخطر الشيعي السني هدد دولته .

لقد كان قبض أليسع على المهدي وسجنه بسجلماسة من قبيل التوافق غير المقصود بين أهداف الخلافة والامارة الاغلبية وبين مصالح الاسرة المدرارية التي تهددها خطر الشيعة ، ولا يعني هذا الحادث وجود أدنى نفوذ للاغالبية على أمراء بني مدرار .

لقد كان الخلاف السياسي والمذهبي بين الامارتين الاغلبية والمدرارية يحول دون أدنى تقارب بينهما ، ولا غرو فقد هادن بنو مدرار جيرانهم الرستميين كيما يتفرغوا لمواجهة الاغالبية عدوهم المشترك . كما التقوا بأموي الاندلس للوقوف أمام اطماع الاغالبية في المغرب والحيلولة دون تسربهم الى ما وراء حدود افريقية .

ولعل من أهم ما يبرز أسباب الجفوة والعداء بين المدراريين والاغالبية ما تعرض له الخوارج الصفرية من بطش واضطهاد في القيروان ، فقد كان اعتناق المذهب الصفري تهمة تصم صاحبها بالمروق والعصيان والزندقة (١٧١) وعلى الرغم مما يقال (١٧٢) عن تسامح الاغالبية مع أهل المذاهب الاخرى بالقيروان ، فقد تعرض الصفرية - بوجه خاص - لاضطهاد شديد ، بعد ولاية سحنون قضاء القيروان - فقد حظر عليهم الاجتماع والصلاة في المسجد الجامع (١٧٣) ، وبددت حلقاتهم فيه (١٧٤) ، كما منعو من مزاوله مهنة تعليم الصبيان وتأديبهم (١٧٥) ، وتعرض من خالف ذلك منهم لمزيد من البطش والتعنيف (١٧٦) .

كل ذلك كفيلا بأن يذكر العداء بين بني مدرار والاغالبية ، وينفي بشكل قاطع أي قول بوجود علاقات ودية بينهما ، كما يدحض الزعم القائل بتبعية أمراء سجلماسة لبني الاغلب .

٣ - بنو مدرار والادارسة :

تحفل المراجع بكثير من القرائن والشواهد (١٧٧) التي تؤكد العداء الصارخ بين بني مدرار والادارسة . فقد قامت دولة الادارسة بالمغرب الاقصى سنة ١٧٢ هـ (٧٨٩ م) على حساب نفوذ الخوارج الصفرية ، اذ نعلم انهم اقتطعوا هذه الجهات من الخلافة وولاتها بالقيروان منذ ثورة ميسرة سنة ١٢١ هـ (٧٣٩ م) فلما نجح ادريس الاول في اقامة دولته ذوي شأن الصفرية فيها ، وتمرضوا للبطش والاضطهاد من جانب آل ادريس . وزاد هذا العداء (١٧٨) حدة بسبب الخلاف المذهبي ، فالادارسة من الشيعة الزيدية ، وبنو مدرار من الخوارج الصفرية ، ولا يخفى العداء التقليدي بين الشيعة والخوارج .

لا ننكر وجود حاجز جبلي يفصل بين الدولتين ، وان هذه الطبيعة الجبلية في المغرب الاقصى شكلت نوعا من الحماية لكلتا الدولتين (١٧٩) الى حد كبير ، لكن ذلك لم يكن عائقا دون امكانية غزو احدها للآخرى . فتمسك طريق مهاد يبدأ من فاس الى صفروى فقلعة مهدي فتادلة فوادي شعب الصفا . ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد سجلماسة (١٨٠) . وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق ، فتخرج ، « من باب الفوارة بفاس الى مدينة سجلماسة » (١٨١) حيث تتوافر الزروع والمياه في اقليم غمامات الموجود على يساره (١٨٢) . بل لا يخالجننا شك فيما ذهب اليه جورج مارسيه (١٨٣) بأن ادريس الاول وخلفائه كانوا عازمين على استئصال شأفة صفرية تافيلت . ويخيل لنا انهم عزفوا عن تحقيق ذلك بسبب صراعهم الحاد مع الاغالبية الذين نجحوا في اثارة القلاقل وحيك المؤامرات في وجه أئمة فاس ، فاغتالوا ادريس الاول (١٨٤) والثاني (١٨٥) ومولاهما (١٨٦) راشد وألبوا وزراءهم وكبار رجال دولتهم عليهم واستمالوا بعضهم الى جانبهم (١٨٧) . كذلك كان ضعف الدولة بعد موت ادريس الثاني ونسب الخلافات بين افراد الاسرة الادريسية (١٨٨) من اسباب تقاعس الادارسة عن غزو سجلماسة ، واكتفاهم بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم ، فضلا عن استقطاع بعض اطراف الدولة المدوارية .

أما عن بني مدرار ، فلم يكن بوسعهم - أمام مشاكلهم الداخلية -

الشروع في غزو بلاد الادارسة خاصة في عهدي ادريس الاول والثاني . وحين
أُتيح لهم القيام بهذا الدور في عهد الياسع بن مدرار ، دهمه الخطر الفاطمي
الذي قضى على بني مدرار والادارسة معا . لكن بني مدرار لم يعدوا وسائل
الكيد والدس لجيرانهم ، واثارة الفلاقل في دولتهم عن طريق صنائعهم من
الصفرية في الدولة الادريسية .

وقد اتخذ هذا العداء السياسي بين فاس وسجلماسة مظاهر من الفعل
وردد الفعل ، كان الادارسة يسكنون فيها بزمام المبادرة ، بينما لا بد بني مدرار
ازامها بالصمت حيناً وتصعدوا لمواجهة حيناً آخر .

وتجلت مظاهر العداء فيما قام به ادريس الاول من حملات لاستئصال
شافة صفرية تلمسان من بني يفرن الزناتيين (١٨٩) بعد ان بايعته القبائل
الصفرية الاخرى قسراً ، ومن بينها بعض بطون مكناسة (١٩٠) .

ففي منتصف رجب من عام ١٧٣هـ (٧٩٠م) توجه ادريس على رأس
حملة الى تلمسان وأخضع أهلها دون عناء (١٩١) ، وظل مقيماً بها حتى عام
١١٧٤هـ (٧٩١م) ليوطد نفوذه فيها . ثم أسند حكمها الى أخيه سليمان (١٩٢)
وعاد الى ويلي . وهكذا قدر له الاستيلاء على كل معاقل الصفرية في بلاد
المغرب الأقصى فيما عدا سجلماسة . غير ان اغتياله المفاجيء شجع صفرية
تلمسان على الانتفاض ، وظلوا خارجين على الادارسة حتى عام ١٩٧ هـ
(٨١٣م) حين عول ادريس الثاني على اعادتهم الى طاعته فأعد الحملة التي
جهزها . « لمحو آثار دجوة الخوارج الصفرية (١٩٣) » في تلك السنة واستمر
يحاربهم طيلة ثلاث سنوات (١٩٤) - الى أن أذعنوا لطاعته (١٩٥) .

ولم يستطع صفرية سجلماسة مد يد العون لآخوانهم بتلمسان
واستنقاذهم من ضربات الادارسة ، ويعزى ذلك الى استحالة الاتصال بين
سجلماسة وتلمسان الا عبر أراضي الدولة الادريسية ، فكان الطريق اليها
يسر بدرعة وأنعام وتادلا وفاس ومنها الى تلمسان (١٩٦) .

وعول خلفاء ادريس الثاني على اقتطاع الاجزاء المجاورة لدولتهم والتابعة

لبنى مدرار ، فتمكن عبد الله بن ادريس - الذي تولى أغمات والسوس الأقصى
وبلاد نفيس - من مد نفوذه على صنهاجة اللثام الضاربة حول سجلماسة
واستولى على بعض الحصون التابعة لبني مدرار (١٩٧) . كما اقتطع يحيى
ابن ادريس بلدة تامدلت - قرب درعة - وهدد بحرمان بني مدرار من مناجم
درعة الفنية بالذهب والفضة (١٩٨) .

وتمثل رد الفعل من جانب بني مدرار في تحريض الصفرية في فاس على
الثورة ضد الامير علي بن عمر بن ادريس . وبالفعل نجح أحد صنائهم
ويدعى عبد الرزاق الصفري في لم شمل صفرية مديونة وغياثة ومكناسة
وغيرهم ، واستولى على مدينة صفروي - جنوبي فاس - وبايعه كافة الصفرية
في نواحيها . ثم اتجه بجموعه الى فاس وهزم علي بن عمر بن ادريس الذي
فر لالذا بقبيلة أوربة ، وتمكن عبد الرزاق من دخول العاصمة ، وخطب له
على منابر عدوة الاندلسيين . لكن حركته لم تستمر طويلا ، فقد استدعى
أهل عدوة القرويين يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعدام وبايعوه
بالامامة . وتمكن العدام من طرد عبد الرزاق الصفري من عدوة الاندلسيين ،
وظل يقاتل الصفرية في عدة وقائع حتى قل شوكتهم وقتل زعيمهم سنة
٢٩٣هـ (١٩٩) (٩٠٧ م) . ونحن نرجح ما ذهب اليه جورج مارسيه (٢٠٠)
من ان حركة عبد الرزاق الصفري هذه كانت من تدبير بني مدرار في
سجلماسة ، ومما يرجح ذلك قيامها في المناطق المجاورة للامارة المدرارية
وامتدادها الى الشمال حتى وصلت الى فاس قصبة دولة الادارسة .

ولعل ما أحدثته تلك الحركة من تصدع في دولة الادارسة ، وما وصلت
اليه دولة بني مدرار من قوة واستقرار على عهد الياسع بن مدرار ، هو ما جعل
الامير المدراري يعد العدة لبسط نفوذه على اخوانه في المذهب المقيمين داخل
الدولة الادريسية فعول على تجهيز جيش يغزو به دولة الادارسة لتحقيق هذه
الغاية ، لكن جهوده في هذا الصدد لم تتم بسبب تعرض بلاده للخطر
الشيخي (٢٠١) . وهكذا غلب طابع العداء على العلاقات السياسية بين
سجلماسة وفاس .

ب - العلاقات الودية :

١ - بنو مدرار والرستميون :

اتخذت علاقات بني مدرار ببني رستم طابعا وديا ، تمثل في سياسة حسن الجوار التي حرص كل منهم على مراعاتها . ومن ثم انصدمت الحروب بينهما على الرغم مما كان بين الصفرية والاباضية من توافر وصل الى درجة الصراع ابان ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

وفي تقديري ان هذا التقارب مرتبط بالظروف السياسية القاسية التي واجهتها حركات الخوارج في المغرب على اثر الحملات الضخمة التي عكف بنو العباس على انفاذها لقمع ثورات الخوارج في المغرب ابتداء بحملة ابن الاشعث سنة ١٤١هـ (٧٥٨م) تلك الظروف الصعبة التي احدثت تحولا عمليا في سياسة الخوارج في المغرب حيث لجأوا الى اقاصي الجنوب وأقاموا دولتين متجاورتين احدها للصفرية في سجلماسة سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) والاخرى في تاهرت للخوارج الاباضية سنة ١٦٢هـ (٧٧٩م) .

فوحدة الظروف السياسية المتمثلة في الصداة لبني العباس وعمالهم بالقيروان وكذلك الادارسة ومصادقة أموي الاندلس ، ووحدة الظروف الجغرافية والتشابه في نمط الحياة القائمة على البداوة واختلاط القبائل وانتقالها بين الدولتين المتجاورتين ، فضلا عن وحدة المصير ، كل ذلك حدا ببني مدرار وبني رستم الى المودة وتحاشي الشقاق والخلاف وكل ما يوجب الخصومة والعداء (٢٠٢) . لكن الثابت ان العلاقة بينهما لم تتعد مجرد تجنب الخصومة والعداء ، فلم تتطور الى مرحلة التحالف أو حتى التعاون المشترك بسبب الخلاف المذهبي والعداء التقليدي بين الصفرية والاباضية في المغرب . وعمدت الدولتان الى تجنب الحروب ، وتحاشي التدخل في الخلافات التي كانت تنشعب بين الاقليات الاباضية في سجلماسة وبين أمراء بني مدرار ، أو تلك التي حدثت بين صفرية تاهرت وبين أئمتها (٢٠٣) ، فقد صم حكاهم كل دولة آذانهم عما تعرض له اخوانهم في المذهب داخل الدولة الاخرى حرصا على السلام .

فالمعروف ان عدة آلاف من الاباضية أقاموا بدولة بني مدرار (٢٠٤) ، وقد سبقت الإشارة الى دورهم في مناهضة أمراء بني مدرار ، وطمعهم في السلطة ، وما قام به أمراء سجلماسة من قمع حركاتهم والبطش بهم ، وحسبنا أنهم كانوا موالين لرؤسائهم من مشايخ المذهب بتاهرت أكثر من ولائهم للدولة التي كانوا يعيشون في كنفها ، فقد درجوا على ارسال زكاة أموالهم الى مشايخهم بتاهرت ليصرفوها حيث شاءوا (٢٠٥) ولا مرأ في ان مشكلة الاباضية في دولة بني مدرار كانت أهم المشاكل التي واجهها أمراء سجلماسة على الإطلاق .

كذلك لم تخل تاهرت من وجود أقلية من الخوارج الصفرية لها وزنأ (٢٠٦) وقد استقرت غالبيتهم في حصن « تالفمت » المشرف على المدينة (٢٠٧) . وبديهي ان يسهموا في أحداث الدولة الداخلية ويقفوا موقف المعارضة من أئمة تاهرت . فيخبرنا ابن الصغير (٢٠٨) أنهم لعبوا دورا بارزا في الثورة على أبي حاتم يوسف بن محمد ، حيث انضموا لاهل تاهرت من غير الاباضية ضد الامامة الرستمية .

وقد حرص حكام سجلماسة وتاهرت على تحاشي التدخل في هذه الفتن ، فأحجموا عن اذكائها او تشجيعها ، ولولا تفاضيههم عنها « لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتابة » ، حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام الى امام مذهب ويظهر التظلم حقا أو باطلا من مخالفته في المذهب الحاكم عليه» (٢٠٩) بل بادر بعضهم الى توفيق أوامر الود بين الدولتين عن طريق المصاهرة ، فطلب اليسع بن أبي القاسم سمكو من عبد الرحمن بن رستم تزويج ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمن (٢١٠) مؤملا تصعيد حكمه في سجلماسة بجيرانه الرستميين وقبل الامام الرستمي «رغم اعتراض المعترضين والمنكرين» مستهدفا «توثيق علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقة منهم طارق سوء ، ولا يأتيه من قبلهم ما يكدو راحته أو يوجب له خلعا أو خللا في داخلته (٢١١) .

وعلى الرغم من قصور هذه المصاهرة عن تحقيق أهدافها في إيجاد حل لمشكلة الاقليات المذهبية داخل الدولتين ، الا انها أدت الى حرص المنزاريين

والرستمييين » على تحقيق التضامن والوثام بين دولتي الخوارج كما ذهب جوتييه » (٢١٢) واحجام كل منهما عن التدخل في الاحور الداخلية للآخرى ؛ فقد مارس حكام كل من الدولتين سيادة كاملة على سائر الاقليات المذهبية داخل دولتهم من الاباضية والصفرية والواصلية (٢١٣) جميعا ، ولم رستاموا من وجود صلات بين هذه الاقليات وبين شيوخها سواء في تاهرت أو سجلماسة (٢١٤) .

٢ - بنو منرار وامويو الاندلس

لم يحل الاختلاف المذهبي بين بني منرار وامويو الاندلس ، ولا البعد الجغرافي بين سجلماسة وقرطبة دون وجود صلات ودية بينهما ، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسية والاغالبة والادارسة . وقد سبق ان وقفنا على اسباب الجفوة بين سجلماسة وبغداد والقيروان وفاس . ولا يخفى العداء التقليدي بين قرطبة وبغداد ، فحسبنا ان قيام الحولة الاموية بالاندلس تم على حساب النفوذ العباسي هناك . ولما كان الاغالبة على ولاء لبني العباس (٢١٥) ، فقد ورثوا عداوتهم لامراء الاندلس ، وازداد هذا العداء حدة بسبب التنافس البحري بينهما في وسط وغرب البحر المتوسط . بل ان نجاح الاغالبة في هذا التنافس البحري وتهديدهم للنفوذ الاموي في جزر البليار كان من العوامل التي دفعت عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ - ٢٣٨هـ) (٢١٦) (٨٢١ - ٨٥٣م) الى توثيق صلاته مع امارات المغرب . واذا كانت الامارة الاموية في قرطبة قد أخفقت في توطيد صلتها بالادارسة (٢١٧) ، الا انها نجحت في اقامة علاقات طيبة مع بني رستم وبني حدرار الذين التقوا في مصالحهم السياسية مع اعداء الامارة الاندلسية . ذلك ان المصالح السياسية سميت على الاختلاف المذهبي بين بني منرار الصفرية وبني أمية السنة ، كما ان وحدة المصير تغلبت على الاحقاد القديمة بين الخوارج والامويين ، ولم تحل شقة البعد بينهما دون امكانية الاتصال حقيقة لم يكن لبني منرار عوائق على ساحل البحر المتوسط (٢١٨) ، لكنهم لم يمدوا وجود منافذ على ساحل الاطلنطي كانت على صلة دائمة بمواني الاندلس كاسبينية وشاطبة (٢١٩) .

ومن ثم فليس من المستغرب ان تحفل مدن الاندلس في ذلك الحين بعناصر صفرية من سبجلماسة ، كما غصت سبجلماسة بالكثيرين من اهل الاندلس (٢٢٠) .

والواقع ان المؤرخين لا يقدمون معلومات وفيرة تساعد على تبسح هذه الصلات الودية قبل عهد الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨ - ٢٧٣هـ) (٨٥٣ - ٢٢١) ، لكنه من الراجح انها ترجع الى عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢هـ) (٢٢٢) (٧٥٥ - ٧٨٨هـ) (٢٢٣) المعاصر لامراء بني مدرار الاوائل والذي استقل بالاندلس في ظروف مماثلة لتلك التي اقام فيها بنو مدرار دولتهم بالمغرب . ونعتقد أن نجاحه في ذلك شجع بني مدرار على الاقدام على اقامة حكمهم المستقل بسبجلماسة .

ويبدو ان هذه العلاقات الودية قد تأثرت اواخر عهد الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ) (٧٩٧ - ٨٢١م) على اثر ثورة الربض بقرطبة ونزوح أعداد غفيرة منهم الى سبجلماسة (٢٢٤) . لكن تلك الجفوة لم تدم طويلا ، فسرعان ما استعادت العلاقات طابعها الودي في عهد خليفته عبد الرحمن الثاني الذي وثق صلاته ببني مدرار وخاصة بعد استفحال الخطر الاغربي في البحر المتوسط . ومن المحتمل ان يكون ميمون بن مدرار الملقب بالامير قد آزر صديقه الاموي عبد الرحمن الثاني في مواجهة القحط الذي حل ببلاد الاندلس سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م) ، فبعث اليه ما توافر لديه من الحنطة والسكر والتمر (٢٢٥) وازدادت صلات الود في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الذي اتسم عصره بالاستقرار السياسي (٢٢٦) في الوقت الذي نعم فيه أمراء سبجلماسة بالامن والهدوء في عهدي ميمون الامير واليسع المنتصر حتى أدى ذلك الى أن يعتبر المؤرخون الامير الاندلسي صاحب سيادة فعلية على أمراء سبجلماسة . يقول ابن عذاري (٢٢٧) « ٠٠٠ كان الامير محمد مأمولا محبوبا في جميع البلدان ، وكان محمد بن أفلح صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسبجلماسة » ، كما يضيف ابن الخطيب (٢٢٨) قوله « ٠٠٠ وخدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته تباهرت وسبجلماسة » . ولا شك ان هذا القول ينطوي على مبالغة لا سند لها

من الواقع فليس ثمة ما يشكك في الاستقلال التام التي تمتعت به دولتي بني مدرار وبني رستم .

كان من البديهي أن تتوطد صلات المودة والصداقة هذه وتزداد رسوخا بظهور الخطر الشيعي في بلاد المغرب وتطلهم الى الاندلس اذ اهتم أمويو الاندلس بمتابعة أخبار الدعوة الفاطمية عن طريق أصدقائهم في سجلماسة وتاهرت وخاصة بعد الانتصارات المتوالية التي أحرزها داعيتهم أبو عبد الله الشيعي على دولة الاغالبة (٢٢٩) . ولا شك ان بني مدرار قد ارتاعوا بدورهم لهذا الخطر ، ومن المحتمل أن يكونوا قد بذلوا جهودا للاشتراك مع أمويي الاندلس في مجابهته . لكن هذه الجهود لم تسفر عن شيء ، فقد سقطت دولة بني مدرار سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) في يد الشيعة دون أن يحرك أمير الاندلس ساكنا ، ولم تقم قرطبة بجهود لمناوئة الفاطميين في المغرب الا في عهد عبد الرحمن الناصر (٢٣٠) . وهكذا لم تتمخض صلات الود والصداقة بين سجلماسة وقرطبة عن نتائج سياسية ذات بال .

والخلاصة أن علاقات بني مدرار الخارجية تأثرت بظروفها السياسية ومصلحتها الاقتصادية وطبيعتها الجغرافية ومذهبها الديني .

ثانيا : دولة بني رستم الإباضية

١ - قيام دولة بني رستم

يرتبط قيام دولة بني رستم بمؤسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي قاله يعزى الفضل في تكوين دولة للخوارج الإباضية كان حكمها في أسرته من بعده . وليس غريبا أن يرضخ بربر المغرب الاوسط لزعامة امام من غير البربر ، فان كافة الدول التي قامت ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية اعتمدت على شخصيات من غير البربر تمتعت بمنزلة دينية خاصة (٢٣١) في معظم الاحيان .

وغني عن الذكر ان المصادر جميعا تتفق على انتماء عبد الرحمن بن رستم الى الفرس ، وتجمع على نسبته لطبقة الحكام الاكاسرة ، لكنها تختلف في

التفاصيل . فابن خلدون (٢٣٢) يذكر انه « من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية » ، والبيكري (٢٣٣) ينسبه الى « سابور ذي الاكتاف الملك الفارسي » بينما ترجع تواريخ الخوارج (٢٣٤) صلته « بكسرى أنو شروان ملك الفرس » .

وتضطرب تواريخ الإباضية حين تتحدث عن نشأة عبد الرحمن وتورد من الروايات ما يشير الى أن أمر المغرب سيؤول الى الفرس (٢٣٥) ، وتصور رستم والد عبد الرحمن على أنه كان يدرك هذه النبوة التي سوف تتحقق على يد ذريته ، فانتقل الى العراق ومنها الى مكة على أمل الرحيل الى المغرب لتحقيق نبؤته . ورواية ابن عذاري (٢٣٦) عن نشأة رستم وابنه عبد الرحمن بالحجاز أكثر قبولاً ، فهو يذكر أن بهراما والد رستم كان من موالي عثمان بن عفان . ولما مات رستم والد عبد الرحمن تزوجت أمه من أحد الحجاج المغاربة السني اصطحبه معها الى بلاد المغرب . والراجع ان وصول عبد الرحمن الى المغرب حدث في أواخر القرن الاول الهجري (٢٣٧) ، فنعلم انه كان شاباً يافعا عندما قدم سلمة بن سعيد يدعو للمذهب الإباضي في بلاد المغرب ، ويخبرنا الشماخي (٢٣٨) عن لقاء عبد الرحمن بسلمة وشغفه بتعاليمه ، « وتعلق قوله بقلبه » .

ثم توجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة وانضم الى اخوانه المغاربة في حلقة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة سنة ١٣٥هـ (٧٥٢م) حيث قضى خمس سنوات في حضرته يتلقى أصول المذهب وفروعه ويعد مع اخوانه « حملة العلم المغاربة » مع مشايخ المذهب في البصرة لاقامة « امامة الظهور » عقب عودتهم الى بلاد المغرب .

ولما عادت بعثة المغاربة الى المغرب سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) وتولى أبو الخطاب المعافري الامامة ، اختار عبد الرحمن بن رستم قاضيا على طرابلس (٢٣٩) . وعندما أقصي أبو الخطاب الصنفري عن القيروان ودخلها سنة ١٤١هـ (٧٥٨م) تولى عبد الرحمن بن رستم حكمها نيابة عن أبي الخطاب (٢٤٠) الذي توجه للقاء جيووش ابن الاشعث ، فكان عبد الرحمن لذلك « خليفة على الفريقية » (٢٤١) .

وقد خرج عبد الرحمن بجيش القيروان لنجدة ايامه حين داهمته جيوش ابن الاشعث ، لكنه توقف عند قابس عندما وصلته أنباء قتله وهزيمة جيوشه . واضطر للعودة الى القيروان لثورة أهل قابس عليه ، لكنه أسرع بمبارحتها عندما علم بثورة أهلها على نائبه فيها (٢٤٢) . وتخطى تواريخ الاباضية (٢٤٣) حين تزعم ان عبد الرحمن بن حبيب استولى على القيروان اذ ذاك ، وانه ظفر بابن رستم وهم بقتله لولا شفاعاة بعض القيروانيين فيه ، فاطلقه ابن حبيب على أن يفادر القيروان توا ، لان هذه الاحداث وقعت سنة ١٤٤هـ (٧٦١م) بينما قتل عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣٧هـ (٢٤٤) (٧٥٤م) ، وانتهى حكم أسرته بمقتل ابنه حبيب على أيدي الصفرية سنة ١٤٠هـ (٢٤٥) (٧٥٦م) والمعقول ان يكون عبد الرحمن قد نزل القيروان في محاولة لجمع شمل الاباضية فيها ، ثم أسرع بمغادرتها لثورة أهلها على الاباضية من ناحية ولوصول ابن الاشعث وجيوشه اليها من ناحية اخرى (٢٤٦) .

وبديهي أن يتجه عبد الرحمن الى المغرب الاوسط لانذا بالقبائل الاباضية هناك . وكانت رحلته هذه شاقة وعسيرة ، اذ أثر المسير في الطريق الجنوبي المار بقسطنطينية - وهو طريق وعر وطويل - الى ان وصل الى جبل سوفنج (٢٤٧) فاتخذ منه ملاذا لمناعته (٢٤٨) . ثم أخذت جموع الاباضية تفد اليه ، فقصده شيوخ المذهب ورؤساؤه من طرابلس وما جاورها (٢٤٩) ، كما توجه اليه علماء الاباضية وأعلامهم من سائر أقاليم المغرب (٢٥٠) . وعول عبد الرحمن على جمع شمل أتباع المذهب بهدف استرداد نفوذه ، ولعل هذا ما حدا بمحمد ابن الاشعث الى اقتفاء أثره بقصد القضاء عليه قبل استفحال خطره . فتحصن عبد الرحمن بالجبل وخذلق على نفسه (٢٥١) . وضرب ابن الاشعث وجيشه الحصار على ابن رستم ورجاله دون طائل ، فاضطر للعودة من حيث أتى بعد ان حل الوباء بجيشه وأفنى كثيرين من رجاله (٢٥٢) ، فضلا عن خوفه من تمرد أهل القيروان عليه ولما يكن قد وطد فيها سلطانه بعد (٢٥٣) .

وبرحيل ابن الاشعث أتيح لابن رستم ومن معه من شيوخ المذهب وأعلامه الاتصال باباضية المغرب الاوسط ، فغادر سوفنج الى تاهرت القديمة ، وكانت تنزل حولها قبائل من هواة ولواته ومكناسة ومزاته ولماية وأغلبها

اباضية (٢٥٤) • وقد أحسن ابن رستم الاختيار لنزوله في اقليم عامر بالخوارج الاباضية (٢٥٥) • ويدهي ان ترحب هذه القبائل بمقدمه وخاصة اباضية المائة « لتقديم حلف بينه وبينهم » (٢٥٦) أيام كان نائبا لابي الخطاب على الريفية • لم يعتمد ابن رستم اذن - كما زعم جوتيه (٢٥٧) على قبيلة زناتة •

على كل حال - أثمرت اتصالات ابن رستم باباضية المغرب الاوسط ، فأزروه في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥١هـ (٧٦٨ م) ، وكانت هزيمتهم في تهودة في نفس العام سببا في اقتناعهم بضرورة تأسيس دولة تلم شمل اباضية المغرب وانشاء مدينة تكون قسبة للدولة ومركزا للمذهب •

وقد تريت الاباضية في اختيار موضع مدينتهم ، وحرصوا على اقامتها « في مكان جيد الهواء ، كثير المياه • خصب الارض ، قابل للعمارة ، مأمون من العدو » (٢٥٨) وطلق الرواد يعجبون أطراف الاقليم بحثا عن الموضع المختار ، وأجمعت آراؤهم على استحصان موضع تاهرت (٢٥٩) • وكان هذا الموضع في مكان مسطح مرتفع (٢٦٠) ، فهو ملائم ليكون مكانا لعاصمة « أمثال هؤلاء السكان الجبليين » (٢٦١) ، فضلا عن ملامته للرعي ، فهو بمثابة «منتجع صيفي للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء» (٢٦٢) ، هذا بالإضافة لوقوعه في «قلب ديار الاباضية ومنازلهم » (٢٦٣) ، ووقوعه بين نهر يأتي من الجنوب يسمى مينة واخر ينبع من عيون ويشق مجراه الى أن يصب في وادي شلف (٢٦٤) • فهذا المكان اذن غيضة بين ثلاثة أنهار (٢٦٥) ، توجه انظارها نحو الداخل وتولي ظهرها للبحر الذي تبعد عنه بمسيرة ثلاث مراحل (٢٦٦) •

ولهذه الميزات الفريدة ساوم الاباضية سكان موضع تاهرت من بربر صنهاجة (٢٦٧) على بيعه فأبوا لكنهم سلموه اليهم على ان يستصلحوه ويكون لهم نصيب من خراجه • ثم شرع الاباضية في تأسيس المدينة ، فشرعوا في ازالة الاجام وحرقت الاشجار تمهيدا لاختطاطها (٢٦٨) وقد استعانوا بالاموال التي كانت ترد اليهم من اباضية طرابلس في اختطاط المدينة وتمجيرها (٢٦٩) ثم بادروا باختطاط تاهرت سنة ١٦١هـ (٢٧٠) ، فبدأوا ببناء المسجد

الجامع ، فاقاموه على اربعة بلاطات (٢٧١) في المكان الذي خصصوه لصلاتهم عندما كانوا يزيلون الاشجار ويمهدون الارض (٢٧٢) . وقلسى ذلك. بناء القصور والبيوت (٢٧٣) والاسواق والحمامات والفنادق (٢٧٤) . ويبدو أن نزاعا نشب بين الاباضية وبين بربر صنهاجة آنذاك ، فيخيرنا البكري (٢٧٥) « انهم كانوا يبنون النهار ، فاذا جن الليل وأصبحوا ، وجدوا بنيانهم قد تهدم » . والراجح أن الاباضية ردعوهم بالقوة وأجلوهم عن المكان برمته حتى قال ابن رستم « هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا (٢٧٦) » . وبديهي أن يهتموا بتحصين المدينة وحمايتها ، فاقاموا سورا حولها (٢٧٧) جعلوا له أبوابا أربعة (٢٧٨) . واصبحت المدينة الجديدة في مأمن من اعدائها ، ولا غرو فقد اطلق عليها « معسكر عبد الرحمن بن رستم » (٢٧٩) وقيل « المعسكر المبارك » (٢٨٠) ، وأضحت تاهرت على اثر ذلك حاضرة للدولة ، وقصبه لعديد من المدن والقرى والقلاع والحصون التابعة لها (٢٨١) .

بادر رؤساء الاباضية ومشايخهم باختيار امام بعد اختطاط تاهرت حتى تستكمل دولتهم طابعها السياسي وتبلغ امامتهم « مرحلة الظهور » . والواقع أن ثمة خلاف بين المؤرخين حول توقيت مبايعة ابن رستم بالامامة ، وهذا الخلاف يدور حول ما اذا كانت المبايعة قد تمت على اثر مقتل أبي الخطاب ونزول عبد الرحمن بن رستم على اباضية المغرب الاوسط ، او أن ذلك لم يحدث الا بعد اختطاط تاهرت . يقول البكري (٢٨٢) « بعد ان هرب عبد الرحمن باهله وما خف من ماله وترك القيروان اجتمعت اليه الاباضية واتفقوا على تقديمه » ويقول ابن خلدون (٢٨٣) « لحق عبد الرحمن بن رستم باباضية المغرب الاوسط من البرابرة ونزل على لماية . . فاجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة » أما النفوسي (٢٨٤) فيذهب الى « أن علماء المذهب بعد انشاء المدينة تداولوا وقالوا : قد علم ما حل بنا من الشتات والافتراق بعد وفاة امامينا (يقصد ابا الخطاب وأبا حاتم) . ومبارحتنا طرابلس ، وقد أجمعنا على اختيار مكان غير ما يليق بمنصب الامامة ويكون ملجأ للاسلام . واذا رزقنا بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصب امام » (٢٨٥) .

وفي تقديرى ان عبد الرحمن بن رستم يبيع بالامامة مرتين : الاولى على اثر موت ابي الخطاب سنة ١٤٤ هـ (٧٦١م) ونزوله على اباضية المغرب الاوسط والثانية سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) بعد تأسيس قاهرت . كانت مبايعته الاولى على انه « امام دفاع » نظرا لما تعرض له الاباضية من بطش على يد جيوش ابن الاشعث ، ولا ينفي هذا ما حدث من مبايعة اباضية طرابلس لابي حاتم الملزوزي في ذات الوقت بامامة الدفاع (٢٨٦) ، ففقه الاباضية يجوز وجود امامين في وقت واحد ، اذا وجد بينهما عدو يخشى باسمه ، او لبعده المسافة (٢٨٧) ، فلا غرابة في وجود امامين للاباضية احدهما في المغرب الادنى والاخر في المغرب الاوسط . وفي ضوء ذلك يمكن تفسير ارسال ابي حاتم الاموال لابن رستم لتكون له عونا على بدء « امامة الظهور » (٢٨٨) فلما استتب الامر لاباضية المغرب الاوسط بعد انشاء قاهرت وتحصينها سنة ١٦١ هـ (٧٧٨م) لم يكن هناك ما يحول دون تجديدهم مبايعة عبد الرحمن بن رستم « لامامة الظهور » سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) وخاصة بعد نزوح كثير من اباضية المغرب الادنى الى قاهرت ليعيشوا في كنف الامامة الجديدة بعد مقتل ابي حاتم الملزوزي « امام الدفاع في طرابلس » (٢٨٩) .

أجمع مشايخ الاباضية اذن على اختيار عبد الرحمن (٢٩٠) « لدينه وسابقته ومكانه وغير ذلك من حميد الصفات (٢٩١) » وحسبه انه كان « احد حملة العلم الخمسة الى المغرب ، وعامل ابي الخطاب على افريقية (٢٩٢) فضلا عن انه « ليس له من قبيلة تمنعه اذا تغير او تبدل (٢٩٣) » ، ومن ثم ارتضته القبائل لتتحاشى تسلط احداها عليها اذا ما ظفر رئيسها بالامامة (٢٩٤) .

وقبل عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة ١٦٢ هـ (٢٩٥) (٧٧٩م) . وعلى سنة الله ورسوله وآثار الخلفاء الراشدين (٢٩٦) « بعد أن عاهد رؤساء المذهب وعلى الطاعة قيما وافق الحق وطابقه (٢٩٧) » واصبح أول أئمة الدولة الرستمية التي اشتهرت اسمها من اسمها .

وشرع عبد الرحمن بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وارساء دعائم دولته ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام الدول سواء فيما يتعلق بسياساتها

الخارجية او الداخلية • وجدير بالذكر انه كرس جهوده لمواجهة الاعباء الداخلية ملتزما بسياسة المهادنة في الخارج ، فقد حرص على مواصلة عمل بني العباس في افريقية (٢٩٨) - كما اصهر الى اليسع بن ابي القاسم رغبة في مسالمة بني مدرار (٢٩٩) •

ولما اطمأن الى سلامة دولته من الاخطار الخارجية شرع في ارساء دعائمها • وكان عليه ان يبسط نفوذه على سائر القبائل داخل حدودها ويستكمل انشاء عاصمتها ، ويرسي نظمها في الحكم والادارة ، والواقع انه كان بحاجة الى الاموال ليستعين بها على مواجهة تلك المهام فضلا عن تعبئة الجند وشراء الاسلحة واسترضاء الاتباع (٣٠٠) • ويخيل لنا انه استعان باباضية المشرق في هذا الصدد ، وبديهي ان يخفوا لمعونة وشد آزره لتحقيق امالهم في اقامة دولة اباضية كبرى (٣٠١) • فبادروا بانفاذ بعثة محملة بالاموال الى تاهرت (٣٠٢) •

وتفيض مصادر الاباضية (٣٠٣) بمزيد من التفاصيل حول بعثة المشاركة في تاهرت واعجابهم بحكم الامام عبد الرحمن وما هو عليه من زهد وعدل وورع ، وتسليمهم الاموال له ، وحرصه على استشارة اهل الرأي في كيفية توزيعها وانفاقها ، وتبليته مشورتهم بأن تتفق في ثلاثة اوجه «ثلاثا في الكراع وثلاثا في السلاح وثلاثا توزع في فقراء المسلمين وضعائهم» •

واستطاع عبد الرحمن بهذه الاموال تسليح رجاله من الاباضية ، وتمكن بفضلهم من بسط سيادة الدولة على سائر قبائل البربر الضاربة داخل حدودها وانضوت كافة الجماعات داخل تاهرت وخارجها تحت لواء المذهب الاباضي في شكل ائتلاف شمل البربر وما عداهم من العناصر الاخرى (٣٠٤) •

وفضلا عن ذلك فقد أولى عبد الرحمن النواحي الاقتصادية والعمرانية اهتماما كبيرا وتذكر المصادر جهوده في غرس البساتين وشق القنوات واقامة المطاحن عليها (٣٠٥) • كما زاد في تعمير تاهرت واقام الفنادق والمباني الخاصة للتجار ورتب الاسواق ونسقها ، ونظم الاحتساب عليها ، فقصدتها التجار من سائر أرجاء العالم الاسلامي وخاصة من فارس والعراق والقيروان

وسجلنا متبة (٣٠٦) فضلا عن بلاد السودان (٣٠٧) • وقد أسهم هذا الازدهار الاقتصادي في تعميق الدولة الرستمية ، وليس أدل على انتعاش احوال الامامة في ذلك الحين من رفض عبد الرحمن معونة اخرى بعثها اليه اباضية المشرق (٣٠٨) ، الذين ابتهجوا لاستقرار الامامة واشتداد ساعدتها فاعترفوا بها « ووصلوا الامام بكتبهم ووصاياهم » (٣٠٩) •

وعكف عبد الرحمن على تنظيم دولته وتوطيد سلطانه ، ولا شك انه استفاد من عبقرية الفرس في الحكم والادارة ، ومع ذلك فقد غلب الطابع الديني المذهبي على ما اتخذه من اجراءات في هذا الصدد ، فكانت نظم الادارة والقضاء والشرطة والاحتساب وادارة بيت المال ونظم الجباية والصدقات كلها تسير وفقا لتعاليم المذهب الاباضي (٣١٠) ، مع مراعاة ظروف السكان باعتبار غالبيتهم من البدو الرحل (٣١١) •

وبذلك استطاع ابن رستم ان يرسي قواعد الدولة ويضع نظمها الادارية (٣١٢) والمالية (٣١٣) ويكسبها «رونق الملك» (٣١٤) ، وحسبه نجاحا قدرته على التصدي للمشاكل الداخلية والخارجية الكثيرة التي واجهته فبفضل سياسته في مهادنة القيروان وسجلناسة ، وبفضل قدرته على ايلاف العناصر والمصيبات المختلفة داخل الدولة ولم ينقم عليه أحد في خصومه ولا حكومة (٣١٥) ، « ولم يكن على يديه افتراق » (٣١٦) •

وكي يضمن استمرار الاستقرار لدولته أوصى قبل وفاته (٣١٧) بتعيين مجلس شعوري يختار أمام الدولة من بين اعضائه •

وهكذا - نجح عبد الرحمن بن رستم في اقامة دولة اباضية في تاهرت ، وتنويع ثورات الخوارج الاباضية في بلاد المغرب بتأسيس اسرة حاكمة ضمت معظم اقاليم المغربيين الادنى والاوسط ، ظل أثمنتها يتناوبون حكمها قرابة قرن وربع قرن من الزمان •

ب - سياسة بني رستم الداخلية

اضطربت احوال الدولة الرستمية بعد عبد الرحمن بن رستم ، فامتلات

بافتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصري مما حدا بالمؤرخ جوليان (٣١٩) الى القول بأن تاريخ تاهرت لم يكن سوى سلسلة من القلاقل والخلافات الداخلية . والواقع ان تلك الظاهرة كانت أكثر بروزاً ووضوحاً في الدولة الرستمية أكثر منها في أي دولة أخرى من دول المغرب المعاصرة لها . حقيقة ان هذه الاضطرابات رغم كثرتها لم تؤد الى سقوط الاسرة الحاكمة في تاهرت ، لكنها على كل حال فتت في عضدها وأوهنت من نفوذها في كثير من أقاليمها وخاصة الاجزاء الشرقية منها بحيث لم تمارس عليها سوى مجرد تبعية اسمية ، بل كثيراً ما انسلك عن نفوذ تاهرت بعض هذه الجهات مثل جبل نفوسة ونغازة وجربة وطرابلس وسرت .

ونعتقد ان هذه الاضطرابات يرجع بعضها الى أسباب فقهية مذهبية ، بينما يعزى بعضها الاخر الى عوامل عنصرية أو قبلية أو طائفية . ويلاحظ ان معظم القلاقل الداخلية في عهد الائمة الثلاثة الاول اتخذت في الغالب الاعم طابع الانشقاق المذهبي ، في حين وضع الطابع العنصري القبلي في سائر الحركات التي قامت في عهد الامامين الرابع والخامس ، بينما حفل عهدي الامامين الاخيرين بالصراع على الحكم بين أفراد البيت الرستمي ، فضلاً عن ظهور الطوائف المذهبية غير الاباضية كعامل جديد في هذه الصراعات . ولم تخل هذه الاضطرابات السياسية - في كثير من الاحيان - من وجود مؤثرات خارجية . وعلى ذلك يمكن التمييز بين أدوار ثلاثة واضحة في مسار التطور السياسي الداخلي لدولة بني رستم ، كان الدور الاول فيها - ويشمل عهدي عبد الوهاب بن رستم وابنه أفلح - يمثل سطوة الامامة وقوتها وقدرة على احباط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبي سواء بالقوة كما فعل الامام عبد الوهاب أو عن طريق السياسة كما فعل أفلح بن عبد الوهاب .

اما الدور الثاني ، فيشمل عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي اليقظان محمد ، وهو يمثل الصراع العنصري والقبلي ، وفيه خفت صوت الامامة ووهنت قوتها ، ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت ، ولم يستردها البيت الرستمي الا بتعصيد عناصر أخرى . ولم يحل دون سقوط الامامة سوى ضعف العصبية من جراء الصراع بينها ، واسلوب الملاينة والموازنة السني

اتبعه أبو اليقظان-محمد في موقفه من هذه العصبيات .

ويتسم الدور الاخير من الحكم الرستمي - ويشمل امامتي أبي حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبي اليقظان - بتداعي الامامة وضمحلها ، وتحكم عامة تاهرت في تعيين الائمة وعزلهم ، وطمح الطوائف والفرق غير الاباضية في تقلدها انهاء للحكم الرستمي الاباضي ، وانقسام الصلة بين عاصمة الدولة وأقاليمها الشرقية . كما زادت الحالة سوءا بتفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وتذبذبهم المؤامرات والاعتيالات ضد بعضهم البعض لتسلم الحكم . وقد تضافرت هذه العوامل جميعا على سقوط دولة بني رستم سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) .

وفيما يلي تفصيل دراسة هذه الاطوار الثلاثة في سياسة بني رستم الداخلية :

الدور الاول (١٧١هـ - ٢٥٨هـ) (٧٨٨ - ٨٧٣م) : الانشقاقات المذهبية :

تم اختيار عبد الرحمن بن رستم للامامة سنة ١٦٢هـ (٧٧٩م) وفقا لمبايعة أهل الحل والعقد واجماع كافة مشايخ القبائل ، كما كانت سياسته الادارية والمالية تقوم على المساواة وعدم التعصب لعصبية دون سواها ، وبالاجمال كانت امامته متمشية مع تعاليم المذهب الاباضي ، الامر الذي هيا لحكمه الثبات والاستقرار .

على ان الخروج عن هذه السياسة في عهد ابنه عبد الوهاب (١٧١هـ - ٢٠٨هـ) (٧٨٨ - ٨٢٤م) وحفيده أفلح (٢٠٨ - ٢٥٨هـ) (٧٨٨ - ٨٧٣م) سبب الاضطرابات والقتال التي حفل بها حكميهما . فقد تحولت الامامة عن مبدأ الاختيار الى فكرة التنصيب بالتوريث (٣٢٠) ، كما ظهرت سياسة الميل لعناصر دون سواها وتمكينها من الاستئثار بمراكز الدولة ووظائفها ، مما شكل خروجا عن تعاليم المذهب الاباضي ، وتمزقا للوفاق الذي ربط بين عناصر وعصبية شتى . ونتج عن ذلك انفراط العقد الذي جمع هذه القوى جميعا

لتبرز حزااتها في شكل حركات وثورات على الائمة اتخلت في أغلبها طابع الانشقاق المذهبي (٣٢١) .

وكانت أولى هذه الثورات وأخطرها حركة يزيد بن فندين وجماعته التي عرفت « بالنكار » (٣٢٢) وتكنم الدوافع الاساسية لتورة ابن فندين في رفض امامة عبد الوهاب لعدم اعترافه بجماعة المشورة - التي اقترح ابن فندين استرشاد الامام برأيها (٣٢٣) - ولان جماعة المذهب لم يجمعوا على امامته لذلك (٣٢٤) ، ولان في جماعة الاباضية من يبرز عبد الوهاب علما (٣٢٥) ، ومن ثم يصبح مفتضبا للامامة . يضاف الى ذلك نقمته على سياسة عبد الوهاب الادارية ومحاباته لبعض العناصر والقبائل واختصاصهم بمناصب الدولة دون غيرهم (٣٢٦) ، وبالأذات نفوسة (٣٢٧) والعجم (٣٢٨) .

وقد نجح ابن فندين في استمالة العديد من الانصار (٣٢٩) ونحى بهم خارج المدينة حيث تأهبوا لقتال عبد الوهاب وجماعته (٣٣٠) .

ويبدو ان القتال نشب بين الجماعتين بالفعل ، وان الدائرة دارت على عبد الوهاب ، يفهم من رواية للنفوسي (٣٣١) يقول فيها « ان الامام اضطر الى طلب الهدنة ووضع أوزار الحرب حقنا للدماء الى أن يكتبوا لاخوانهم المشاركة بايضاح القضية » ، وقبول ابن فندين مبدأ تحكيم فقهاء المذهب في الشرق في قضية الامامة (٣٣٢) ، مما يؤكد ايمانه بعدالة موقفه وشرعيته ، ومما يدحض دعوى المصادر الاباضية في أنه ثار لاسباب شخصية صرفة (٣٣٣) .

على كل حال - يذهب مؤرخو الاباضية - الى ان شيوخ المذهب في مصر - وعلى رأسهم شعيب بن المعرف - أفتوا في صالح عبد الوهاب فقالوا « الامامة تامة والشرط باطل (٣٣٤) » . وكذلك جماعة فقهاء المذهب في مكة ورئيسهم الربيع بن حبيب (٣٣٥) الذين بعثوا جوابهم (٣٣٦) الى عبد الوهاب وابسن فندين حيث أفتوا ، بأن الامامة صحيحة والشرط باطل « وانه يجوز تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم منه (٣٣٧) » .

ويخيل الينا ان فتوى المشاركة كانت في صالح ابن فندين بدليل وصول فقهاء مصر ورئيسهم شعيب بن المعرف والاضامهم الى ابن فندين في الثورة

على عبد الوهاب (٣٣٨) ، ثم ورود عبارة عند الشماخي (٣٣٩) توضح أن « المشاركة عابوا على عبد الوهاب أشياء وأمروه أن يرجع عنها » ، وكذلك صنف الرواية الإباضية الوهبية التي تصور تريت الربيع وأخوانه في إصدار فتواهم ريثما يجتهدوا ويتباحثوا (٣٤٠) في مسألة تعدد من بديهيات الفقه الإباضي . ومهما كان الأمر ، فإن ما تذكره المصادر الإباضية (٣٤١) من أن شعيب بن المعرف « خرج من مصر في نفر من أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الإمارة » ، مبالغ فيه ، والأقرب للتصديق أنه توجه لنصح عبد الوهاب وإنهاء الخلاف في تاهرت ، فلما لم يجبه انضم إلى ابن فندين ، وخرجت جموع النكار إلى الجبال المحيطة بتاهرت واستقروا في كدية عرفت « بكدية النكار » . أما الرواية المتواترة (٣٤٢) التي توردها هذه المصادر عن تدبير النكار مؤامرة اغتيال عبد الوهاب فهي ذات طابع أسطوري بحث ، كما أن أسلوب الاغتيال كان مرفوضا عند الخوارج (٣٤٣) .

على كل حال - تأهب الطرفان للقتال ، فكان النكار « يدخلون المدينة ويخرجون منها بالسلاح (٣٤٤) » ، كما « أمر الإمام رعيته وأصحابه بامساك السلاح (٣٤٥) » . وانتهاز النكار فرصة غياب عبد الوهاب عن تاهرت وبادروا بمهاجمتها والاستيلاء عليها . ولما كانت المدينة محصنة ومسورة ، فقد أغلق الوهبية أبوابها ، ونجح أفلح بن عبد الوهاب (٣٤٦) بسن معه في صدهم ، ثم تتبعهم وهزمهم وقتل ابن فندين وكثير من النكار - ولأدت فلولهم بالجبال واستقروا في كديتهم . أما شعيب بن المعرف فقد هرب إلى طرابلس ، وأخذ يؤلب إباضيتها على الإمامة في تاهرت (٣٤٧) .

ونشك أيضا فيما يروى من اغتيال النكار لميمون بن عبد الوهاب وتمثيلهم بجثته (٣٤٨) ، فهذا الأسلوب غير مألوف عند الخوارج عموما - كما سبق القول - ، ولو صح قول اليكري (٣٤٩) أن ميمونا هذا كان ابنا لعبد الرحمن ابن زستم وليس لعبد الوهاب ، لبطلت تلك الرواية من أساسها وأغلب الظن أن مؤرخي الإباضية الوهبية اصطنعوها لتبرير حملة عبد الوهاب على النكار بقصد استئصال شأفتهم . ومهما يكن من أمر ، فقد أفلح عبد الوهاب في هزيمتهم وقتل منهم أعدادا غفيرة (٣٥٠) . لكنه لم يقض عليهم نهائيا ، فظلوا

معتصمين بكديتهم في جبال تاهرت ، ثم ظهوروا على المسرح السياسي بعد ذلك في ثورة بربر سدراته ومزاته الذين أنكروا امامة عبد الوهاب .

وكان من الطبيعي ان تتصل الغلول الباقية من النكار - بعد ان وهنت شوكتهم (٣٥١) - بقباثلهم المقيمة خارج تاهرت ليعاونوهم على محاولة الخروج على الامام عبد الوهاب (٣٥٢) ، وكانت غالبيتهم تنتمي الى قبيلتي سدراته ومزاة الضاربتين على جانبي حدود الدولة الاغلبية في اقليم الزاب (٣٥٣) . ولا يخامرنا شك في تحريض الاغالبه لهم على اثارة العراقيل في تاهرت . وعلى كل حال ، فقد قدموا الى ذويهم بكديّة النكار (٣٥٤) خارج تاهرت (٣٥٦) . وأحس عبد الوهاب بخطرهم ، فذهبهم وأطبق عليهم بأنصاره وقتل منهم خلقا كثيرا « الا من شد ولى » (٣٥٧) لاثدا بمواطنهم الاولى ويبدو ان هذه الهزيمة فتت في عضدهم وأوهنت شوكتهم ، فلم تقم لهم بعدها قومة طوال عهد الدولة الرستمية (٣٥٨) . وتمكن عبد الوهاب بذلك من قمع حركة « الانشقاق الاباضي الاول » (٣٥٩) المعروف بثورة النكار .

ومما لا شك فيه ان حركات النكار رغم اخمادها ، شجعت على قيام ثورات أخرى على الحكم الرستمي ، وصلى النفوسي (٣٦٠) اذ قال بأن الامامة « أضحت مرمي لسهام الطاعنين والطاعنين » . وجدير بالذكر ان هذه الثورات طلت طوال عهدي عبد الوهاب وأفلح ذات طابع مذهبي في الغالب ، سواء ما قام به جمهور الاباضية وتمخض عن انشقاقات داخل المذهب ، أو ما قامت به الطوائف المذهبية الاخرى كالواصلية على وجه التحديد .

فقد تشجع الراصلية الضاريون في كنف الدولة الرستمية ، وهبوا لناوة الامامة الاباضية في تاهرت اعتقادا منهم بخروج عبد الوهاب على الشريعة واغتصابه الامامة قسرا . ولو صبح ذلك ، فالراجح انهم تدرعوا بهذه الدعوى اخفاء لمطامعهم في الانسلاخ عن الحكم الاباضي وانتهاز فرصة انشغال عبد الوهاب بثورات النكار (٣٦١) لتحقيق هذه المطامع . وليس من المستبعد أن يكون « عزمهم في الخروج من حكم الامام » (٣٦٢) تمهيدا للانضمام لـ«اخوانهم بدولة الادارسة » فتذكر المصادر ان حركتهم لم تقتصر على واصلية للدولة الرستمية فحسب ، بل ضمت كافة عناصرهم « من كل أوب » (٣٦٣) ، حيث

تجمعوا خارج تاهرت لقتال الاباضية (٣٦٤) وهذا أمر طبيعي اذا ما أدركننا سياسة عبد الوهاب القائمة على التعصب والحماية . وقد أذكى هذا التنافر بين الواصلية والامامة الرستمية عوامل مذهبية وقبلية ، اذ لا يخفى العداء التقليدي بين الخوارج والمعتزلة - أو الواصلية - الناجم عن الخلاف الفكري بينهما (٣٦٥) ، وحسبنا ما كان يحدث من مساجلات ومعارك جدلية بين أقطاب الاباضية في الشرق وبين واصل بن غطاء رأس الواصلية (٣٦٦) . كما زاد التشاحن القبلي من غلواء هذا العداء ، فمن المعروف ان قبيلة لواته الاباضية كانت على عداء مريز لبعض بطون زنادة الواصلية ، بل يذهب مسكراي (٣٦٧) الى ان هذه البطون الزناتية لم تمتنع مذهب الواصلية الا نكاية في لواته التي دانت بالمذهب الاباضي .

ومهما كان الامر فقد كان الواصلية يشكلون اقلية لها وزنها عدتها ثلاثين الفا يسكنون الخيام ويضربون خارج تاهرت (٣٦٨) . هذا فضلا ممن اقام منهم ببلدة أيزرج - قرب تاهرت - عاصمة الرستميين (٣٦٩) . ولكن غالبيتهم من زنادة فقد نجحوا في اثارة كثير من بطونها ضد عبد الوهاب (٣٧٠) .

واجتمع الثوار من الواصلية خارج تاهرت. وهددوا بالقضاء على الامامة الرستمية حول عام ١٩٥هـ (٣٧١) (٨١١م) .

وقد جرت بين الطرفين مساجلات كلامية ، تلتها معارك حربية كان الظفر فيها للواصلية (٣٧٢) . واضطر عبد الوهاب لعقد هدنة مع خصومه ، في الوقت الذي بعث فيه الى أتباعه بجبل نفوسه طلبا المدد (٣٧٣) . وتسرف المصادر الاباضية (٣٧٤) في ذكر روايات مبالغ فيها عن القدرات الخارقة التي تميز بها النفوسيون سواء في فنون الحرب أو في أساليب الجدل والمناظرة . كما تبالغ في وصف اللقاء بين الاباضية والواصلية والانتصار الذي أحرزه الامام في القتال (٣٧٥) . والراجع ان عبد الوهاب استطاع بمساعدة نفوسه هزيمة الواصلية وتفريق جمعهم ، اذ لم تقف لهم بعد على حركات طوال عهد الدولة الرستمية . وهو ما عناه الشطاحي (٣٧٦) بقوله : « فوضعت الحرب أوزارها ، ودخل المعتزلة في طاعة الامام » .

على ان حركة تمرد أخرى أقل خطرا واجهت عبد الوهاب ، قامت بها بعض بطون قبيلة هواة الضاربة جنوبي تاهرت (٣٧٧) * ونحن نخالف ابن الصغير (٣٧٨) رأيه في اعتبار هذه الحركة ثاني الانشقاقات الاباضية ، ذلك ان الانشقاق الثاني حدث عند ظهور فرقة الخلفية الى جانب الوهيبية والنيكار * وحسبنا ان تمرد هواة كان خلوا من أي حافز مذهبي ، ولم يحدث نتيجة خلاف ففهي حول قضية عامة ، وانما وقع كرد فعل لتناقس بين الامام عبد الوهاب وبين زعيم الاوس - وهي بطن من بطون هواة - حول الزواج من احدى بنات شيخ قبيلة لواته (٣٧٩). النازلة جنوبي تاهرت على وادي مينا. (٣٨٠) فقد ازمع زعيم الاوس مصاهرة شيخ لواته ، لكن عبد الوهاب حال دون ذلك بان تزوج اللواتية * فارتحل زعيم الاوس (٣٨١) بمجموعة من هواة عن مضاربهم ونزلوا بمكان يبعد عن تاهرت بمسافة اقيال عرف « بوادي هواة » ومن هناك طفقوا يغيرون على أتباع عبد الوهاب وأنصاره ، الامر الذي جعله يستعين بأحلافه من نفوسة وغيرها ويعد جيشا قوامه ألف فارس عدا حشود هائلة من الرجالة (٣٨٢) * وباعت عبد الوهاب خصومة على غره ، ودارت معركة طاحنة عند نهر أسلان قتل فيها الكثير من الجانبين وانتهت بهزيمة الثوار وفرار فلولهم الى جبل ينجان (٣٨٣) *

وكانت اخر الثورات التي واجهت حكم عبد الوهاب حركة خلف بن السمع في شرقي الدولة الرستمية ، وهي التي أسفرت عن ثاني الانشقاقات الاباضية * اذ ما كاد عبد الوهاب يفرغ من مواجهة الحركات والثورات التي اندلعت في تاهرت وما حولها حتى داهمته في اخر عهده حركة انفصالية-نسي منطقة طرابلس وجبل نفوسة (٣٨٤). التابعة للامامة في تاهرت (٣٨٥) - اتخذت طابعا دينيا. * واستفحل خطر الحركة واقتطعت غالبية أجزاء الدولة الرستمية الشرقية خلال السنوات الاخيرة من حكم عبد الوهاب وردحا. طويلا من عهد ابنه أفلح *

وكان خلف بن السمع زعيم الانشقاق الاباضي الثاني سليل بيت عريق في خدمة المذهب الاباضي في بلاد المغرب ، فهو جفيد أبي الخطاطبة عبد الاعلى ابن السمع « أول أئمة الظهور » وأبوه السمع بن أبي الخطاطبة وزير

الإمام (٣٨٦) عبد الوهاب وساعده الايمن ، وعامله على جبل نفوسه لذلك اكتسب آل أبي الخطاب منزلة كبيرة بين اباضية المغرب الادنى ، يفسر هذا اقدامهم على مبايعة خلف بن السمع بالولاية على اثر وفاة والده السمع بن أبي الخطاب (٣٨٧) . ويخيل الينا ان الامام عبد الوهاب خشى على نفوذه في هذه النواحي من جراء قيام حكم وراني فيها ، فأنكر على آل أبي الخطاب ما استباحه هو وأسرته من الخروج على مبدأ الاختيار الى مبدأ الوراثة في الحكم ، ومن ثم لم يقر شرعية ولاية خلف بن السمع (٣٨٨) ، كما ضرب صفحا عن توسلات اباضية الجبل لابقائه واليا عليهم من قبله (٣٨٩) .

على ان غالبية الاباضية في هذه النواحي أصروا على موقفهم ، وأعلنوا خروجهم على امامة عبد الوهاب ، وبايعوا خلف بن السمع بالامامة (٣٩٠) محتجين بجواز ازدواج الامامة ما وجد عدو يفصل بين أتباع المذهب ، أو لصعوبة الاتصال وطول المسافة بينهم وبين تاهرت (٣٩١) . لكن وجد بين اباضية الجبل من تمسك بامامة عبد الوهاب ، وتذهب مصادر الاباضية (٣٩٢) الى أن غالبيتهم كانوا من جماعة المشايخ والفقهاء ، فبعث اليهم عبد الوهاب رسالة أمتدح فيها موقفهم (٣٩٣) وولى عليهم أحدهم ويدعى أبا عبيدة عبد الحميد الجنائوني (٣٩٤) . ومن ثم حدث انشقاق سياسي اتخذ صيغة فقهية مذهبية وجوهر الخلاف كمن في امرين : أولهما : مدى حقوق الرعية في تعيين عمالها ، والاخر شرعية وجود امامين في وقت واحد . وفي تقديرنا ان تعاليم المذهب الاباضي ترجح رأي خلف وأصحابه (٣٩٥) ، ولعل ذلك يفسر انضمام غالبية أهل الجبل اليه ومهما كان الامر ، فقد احتد الخلاف بين الحزبيين وطرحت القضية برمتها على فقهاء المذهب بالشرق للفتاء فيها (٣٩٦) . وتذكر المصادر الاباضية (٣٩٧) - كمعادتها - أنهم أفتوا في صالح الامام وخطأوا موقف خلف وأتباعه .

وأيا ما كانت الفتوى ، فقد نجح خلف في الاستحواذ على معظم أنحاء الجبل دون أن يحرك عامل عبد الوهاب ساكنا أو ان يخف الامام لمواجهته بنفسه : ويخيل الينا ان عبد الوهاب وعامله حين أعوزتهما القدرة على ردع التوار لجأ الى الحيل ، فاتبع عبد الوهاب اسلوب التجسس (٣٩٨) للايقاع

بين خلف وأتباعه ، كما بعث الى المبرزين من أنصار خلف يستملهم ويمنيهم بالاموال والضياع (٣٩٩) . لكن ذلك لم يجد فتىلا .

ومات الامام عبد الوهاب (٤٠٠) ومعظم اجزاء الدولة الشرقية في حوزة خلف بن السمح (٤٠١) . واستمرت حركة خلف وتلقاها خطرهما خلال نحو عشرين عاما من حكم أفلح بن عبد الوهاب ، فيخبرنا أبو زكريا (٤٠٢) انه حتى عام ٢٢١ هـ (٨٣٦م) كان خلف لا يزال يعمل على اقضاء أبي عبيدة عبد الحميد . الذي أقره أفلح على ولايته - عن المناطق التي في حوزته . ويعتقد لويسكي (٤٠٣) ان خلفا كان يسمى لضم كافة الاقاليم التي كانت في نطاق حكم جده أبي الخطاب وقد تمكن بالفعل من مد نفوذه حتى بلدة تيمتي وما ورامها شرقا (٤٠٤) منتهزا تقاعس أفلح عن مساعدة عامله الكهل الذي آثر المافية (٤٠٥) . وضمن خلف بذلك السيطرة على الاراضي الخصبة والمراعي الغنية فضلا عن يقيم بها من الاباضية ، فقد دخلوا في « رأيه وبدعته » على حد قول أبي زكريا (٤٠٦) . وتصور المصادر الاباضية (٤٠٧) قيام خلف بالاغارات المتواصلة على أملاك أبي عبيدة بقصد السلب والنهب وأن الاخير نجح في ردعها . لكننا نشك في ذلك اذا علمنا من هذه المصادر ذاتها ان أبا عبيدة كان يستجدي مسالة خلف وموادعته (٤٠٨) وأن خلفا خيره بين انكار امامة عبد الوهاب والدعوة له وبين قتاله (٤٠٩) . ومن المؤكد ان أبا عبيدة لم يستجب لدعوته ، فقد اجتاحت خلف مجموعة (٤١٠) أراضي خصمه سنة ٢٢١ هـ (٤١١) (٨٣٦م) ، والتقى بأبي عبيدة ورجاله (٤١٢) عند سفح الجبل في معركة يذكر مؤرخو الاباضية (٤١٣) انها انتهت بهزيمة خلف وانسحابه الى تمتي ، فلم تقم له قائمة بعدها الى « أن مات بزيفة » . لكننا نعلم ان حروبا وقعت بين خلف وبين أيوب بن العباس خليفة أبي عبيدة - هزم فيها خلف عند فاغيس - قرب تمتي (٤١٤) - الامر الذي يشكك في رواياتهم .

ويخيل لنا أن خلفا ظل يتمتع بنفوذ في معظم جهات طرابلس وجبل نفوسة حتى وفاته ، وأن أنصاره من نفوسة وزواغة الذين عرفوا « بالخلفية » ظلوا مواليين لابنه المشروف بالطبيب حتى اواخر عهد الدولة الرستمية .

وكانت هذه الاقاليم الشرقية ايضا مرتعا لحركة أخرى مناوئة للامامة في تاهرت تزعمها فرج بن نصر المعروف بنقات ، وأسفرت عن ثالث الانشقاقات في الجماعة الاباضية (٤١٥) .

كان الانشقاق الاول نتيجة خلافات فقهية حول مسألة الامامة وسياسة عبد الوهاب في تعيين عماله ، وكان الانشقاق الثاني بسبب قضية تعدد الائمة ، وحق الرعية في اختيار عمالها اما الخلاف الثالث فكان من جراء الاخلال بشرعية الامامة واهدار رسومها (٤١٦) على يد أفلح بن عبد الوهاب ، فضلا عن سياسته « في استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت المال من الرعية » . (٤١٧) .

وعلى الرغم مما تورده المصادر الاباضية (٤١٨) من تفسير لحركة نفاث باعتباره مارقا على الامامة لاسباب ودوافع ذاتية ، فان ذلك لا ينفي قط كون نفاث ثائرا صاحب آراء واجتهادات في المذهب الاباضي (٤١٩) ، وداعية (٤٢٠) لانقاذ الامامة الاباضية مما تردت فيه من امتحان على عهد أئمة بني رستم . فقد آلت الامامة الى أفلح بن عبد الوهاب توا بعد وفاة أبيه سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣م) مما يؤكد استقرار مبدأ الوراثة واختفاء مبدأ الاختيار في الحكم الرستمي . وكان مثل هذا الانتهاك لتعاليم المذهب كفيلا بأثارة عالم فقيه مثل فرج بن نصر الذي أعطى في العلم منزلة عظيمة ، والفقه والفهم (٤٢١) . ومن ثم فقد عول على الخروج على أمانة أفلح ، واتخذ من قريته المجاورة لقنطرة مركزا لدعوته وأنصاره . ولقيت دعوته اقبالا كبيرا بين اباضية نفوسة وزواغة (٤٢٢) وعبثا حاول عامل قنطرة اقناعهم بالعدول عن آراء نفاث والالتزام بطاعة الامام (٤٢٣) .

فقد وجدوا في (النفاثية) مبررا لتصلهم من دفع الاموال والجبايات والرسوم التي كان يحصلها عمال الامام (٤٢٤) وكذلك لم تفلح تحذيرات أفلح لعماله بأخذ رعاياهم بالشدة وتجنبيهم الدخول في طاعة نفاث (٤٢٥) . فيبدو أن هؤلاء الرعايا أعلنوا الثورة على عمالهم ، فبمث الامام اليهم متلفا واعداء اياهم بإجابة مطالبهم في تغيير من يشاؤون من هؤلاء العمال (٤٢٦) كما أرسل الى نفاث بالكف عن دعوته وحبيه في العودة الى الطاعة (٤٢٧) .

ونعتقد ان سياسة التودد والملاينة هذه قد أثمرت في تثبيت عزيمته
نفاث ، وتصدى الكثيرون من مشايخ نفوسة لمناقضته (٤٢٨) ، وانصراف معظم
اتباعه عنه . فتخبرنا المصادر ان نفاثا اثر الرحيل الى الشرق حيث نزل بفداد
وانكب على دراسة كتب المنهوب ونسخ ما تسنى له نسخه منها ، فلما عاد وجد
أنصاره قد وهنوا وتفرقوا (٤٢٩) . وان كنا نشك فيما زعمته من أنه « تاب
ورجع عن مسائله التي خالف فيها (٤٣٠) » بدليل وجود كثيرين ممن اعتنقوا
آراهم حتى أواخر القرن الخامس الهجري (٤٣١) .

وإذا كانت الانشقاقات المذهبية قد تقشفت في الاجزاء الشرقية من الدولة
الرستمية ، فان خطرا جديدا ظهر في آخر حكم أفلح هدد قلب الدولة ذاته ،
ونعني به صراع العصبية العنصرية والقبلية . لكن أفلح استطاع بذكاؤه
وحذقه السياسي (٤٣٢) تجنب الامامة في عهده شر هذا الخطر ، واتبع في
ذلك وسائل شتى تدل على براعته في الحكم والسياسة الى جانب ما اتصف
به من شجاعة نادرة (٤٣٣) .

ومن هذه الوسائل تخليه عن مبدأ المركزية في الحكم - وهو مبدأ
تكرهه القبائل البدوية كثيرا - وعاد الى مبدأ الشورى - فكان يأخذ برأي
مشايخ القبائل ورؤسائها في تعيين ولاته وعماله ضاربا صلحا عن اعتراضات
آل بيته في هذا الصدد (٤٣٤) . وفضلا عن ذلك فقد فرض رقابة دائبة على
هؤلاء العمال والولاة حتى لا يتمادوا في ارهاق الرعية بالمفارم والجبايات ،
والزمهم بمراعاة تعاليم المذهب في سياستهم المالية ، ثم أتاح لهم مزيدا من
السلطات داخل عملاتهم (٤٣٥) فضمن بذلك اقرارا لعدالة مع لامركزية الحكم
وهو الاسلوب الامثل في دولة يشكل البدو غالب سكانها . كما عول أفلح
على استمالة القبائل اليه (٤٣٦) ، وتخبرنا المراجع (٤٣٧) عن حرصه على
اتخاذ تراجمة يجيدون لغة البربر . وأفلح في احداث نوع من التوازن بين
هذه القبائل جنبه مشقة الدخول في صراع معها . واتبع في ذلك شتى ضروب
الحيل ، فقد أخذ بالمبدأ المشهور « فرق تسد » (٤٣٨) ، فأرشى ما بين كل
قبيلة وما جاورها (٤٣٩) ، « وألقى موجبات التخالف بين كل مقدم واتباعه ،

وبث الجواسيس بين شعوب تلك القبائل بطرق سياسية وتدبيرات باطنية
كفته مئونة القتال » (٤٤٠) .

لهذا اتسم عهد أفلح بالهدوء والاستقرار السياسي (٤٤١) ، وحظي بحب
الاباضية واعجابهم (٤٤٢) . « فالقي بيده يمينا وشمالا ، وتمكن في امامته ،
واطردت له الامور » (٤٤٣) ، « ولم يبق في أيامه منازع ، ولا أجمع جهاته الا
طائع (٤٤٤) » . واعتبر مارسية (٤٤٥) عهد أفلح العصر الذهبي للدولة
الرستمية ، اذ بعد موته في سنة ٢٥٨هـ (٤٤٦) (٨٧٣م) ضعفت هذه الدولة .

وهكذا اتسمت هذه المرحلة من تاريخ بني رستم بكثرة الثورات والفتن
التي تلونت في غالبيتها بالطابع المذهبي واتخذت شكل الانشقاقات المذهبية في
كيان الجماعة الاباضية . لكن هذه الثورات وإن تمخضت عن انسلاخ بعض
البقاع الشرقية عن سلطان الامامة في تاهرت ، الا انها لم تشكل خطرا على
سلامة الدولة ذاتها ، وبفضل سياسة العنف والشدّة التي اتبعها عبد الوهاب ،
وبفضل دهاء أفلح وحذقه السياسي تخطت الدولة الرستمية هذه الاخطار
لتواجه مرحلة عصبية في تطورها السياسي .

النور الثاني (٢٥٨-٢٨١هـ) (٨٧٣-٨٩٥م) - الصراع القبلي والعنصري :

قلنا ان الطابع الديني غلب على المرحلة السابقة ، فشكل احداثها ولونها
بمسحة مذهبية واضحة وسبق القول ايضا ان قيام الدولة الرستمية كان على
أساس مذهبي حيث اجتمع الاباضية من شتى العناصر والقبائل في المغرب
ففي كنف الامامة الرستمية وليس على أساس عصبية قائمة بذاتها . ومن ثم
كان المذهب الاباضي هو الرابطة الوحيدة التي جمعت بين هذه العصبيات
المختلفة ، وبالضرورة فإن انتهاك تعاليم المذهب او تحول الامامة الى ملك .
قضي على هذا الرباط الوثيق الذي جمع هذه العصبيات ، وفجر ما بينها من
حزائات عصبية قبلية ونعرات عنصرية .

وقد بست بوادر التناحر القبلي العنصري داخل الدولة الرستمية في عهد
عبد الوهاب الذي تمكن من فض ائتلاف قبيلتي هواة ولواته ، ومحق تسمرد
هواة حين أزمعت العصيان . كما ان أفلح بن عبد الوهاب أخر من اندلاع

هذا الصراع حيناً بفضل حسن سياسته ، لكنه اسهم من ناحية اخرى بسياسته القائمة على التفرقة بين القبائل في اذكاء النزعات القبلية والعنصرية التي « بقيت في الصدور الى ان اختارته المنية » (٤٤٧) ثم تفجرت بعد وفاته في شكل حروب دامية انهكت هذه العصبية من ناحية وضعضعت نفوذ الائمة وهيبة الامامة من ناحية اخرى .

فقد ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر كهوارة ونفوسة ومزاته ولواته وسدراته ولماية ، فضلا عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الافريقي . وقد ساعدت فترة السلام الطويلة التي نعمت بها تاهرت انان حكم افلح بن عبد الوهاب على احداث تحول خطير في احوال هذه العناصر والقوى المختلفة . فالقبائل البدوية - كلواته وهوارة ومزاته - جنح معظمها الى الإقامة حول تاهرت وآثرت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة حيث جنت منها ارباحا طائلة « فاتخذت العيين والخيول ، ونالها من الكبير ما نال اهل المدينة (٤٤٨) » اما نفوسة التي أقامت بعض بطونها في العدو فقد نالت حظوة الائمة وآثروها بالوظائف العامة « فكانت تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق (٤٤٩) » .

.. وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأوا كبيرا لكون الائمة من أصل فارسي فأوكلوا اليهم قيادة الجيوش وأسمى المناصب ، فضلا عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية (٤٥٠) ، فاقاموا القصور والمنازل حول تاهرت وشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية على حد قول فروخي (٤٥١) .

كما وفدت على تاهرت جموع من العرب والجند الافريقي بعد فشل ثوراتهم على الامراء الاغالبية (٤٥٢) ، فأقبلوا على سكنتى تاهرت هربا من بطش هؤلاء الامراء من ناحية ، وطمعا في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي ازدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية اخرى . ثم هناك قوة اخرى كانت ممثلة في أجناد الائمة من افراد البيت الرستمى الذين عرفوا بالرستمية (٤٥٣) « فضلا عن اتباع السمع بن أبي الخطاب الذين انشقوا على خلف بن السمع وهربوا الى تاهرت ودخلوا في خدمة بني رستم ، وعرفوا لذلك « بالسمحية (٤٥٤) » ويمكن تقسيم هذه القوى جميعا الى قسم موالى

للامامة الرستمية ويشمل نفوسة والفرس والرستمية. والسمحية والاخرى
متناوئة لها يضم العرب والجنود الافريقي فضلا عن بعض القبائل الضاربة حول
تاهرت ، وان تأرجحت بعض هذه القوى بين الولاء والعداء لبني رستم احيانا .

تأججت نار الصراع القبلي والعنصري على اثر وفاة أفلح بن عبد الوهاب
فبادرت نفوسة بتنصيب ابنه أبي بكر اماما رغم اعتراض فقها المذهب (٤٥٥) ،
على خلاف ما أورده النفوسي (٤٥٦) بأن أهل الحل والعقد من سائر القبائل
والعصبيات هم الذين قاموا ببيعته . ومما زاد الطين بلة ان أبا بكر بن أفلح
لم يكن جريئا قويا كجده عبد الوهاب ولا داهية حصيفا كأبيه أفلح ، بل كان
غرا لين المريكة شغوفا بالاداب والتواريخ (٤٥٧) ، ميلا الى الترف والملاذات ،
زاهدا في الادارة والحكم (٤٥٨) . ويبدو انه حاول الاستعانة بأحدى القوى
الموجودة بتاهرت من دون نفوسة التي كانت تمتقتها بقية العناصر الاخرى ،
فوطد صلاته بالجنود والعرب وصاهر زعيمهم محمد بن عرفة وسلم اليه مقاليد
الدولة ، وركن الى الفعلة والخمول ، واستبد ابن عرفة بتصريف شؤون الامامة
من دون الامام «حتى كانت الامارة بالاسم لأبي بكر وبالحقبة لمحمد بن
عرفة» (٤٥٩) .

ونظرا للعداء التقليدي بين كافة العناصر بتاهرت وبين العرب ، فقد
حسر أبو بكر ولائها جميعا باستثناء بعض بطون هواة التي آزرته في حين
استاء بعضها الاخر من سياسته وغادروا المدينة واحوازها الى مواطنهم الاولى
ويبدو ان يعقم الرستمية عليه سياسته وينضموا لنفوسة التي سائها خذلانه
ايضا بعد ان اوصلته للامامة ، كما ساءبا ارتباضه في احضان الجنود
والعرب (٤٦٠) أما الفرس فقد آثروا الحياد والتريث ، لكنهم كانوا على
أهبة الاستعداد لاغتصاب الامامة كلما سنحت الفرص (٤٦١) . وفي تلك
الظروف وصل أبو اليقظان محمد بن أفلح - أخوه الامام - الى تاهرت (٤٦٢) ،
وعهد اليه أبو بكر ببعض مسؤوليات الادارة والقضاء ، فسيرها على احسن
ما يكون ، « حتى حمد له الشراة ذلك (٤٦٣) » .

واضمر أبو اليقظان حقدا على ابن عرفة وحزبه ، وساء استبداده
وتسلطه ، وشاركه في ذلك نفوسة والرستمية ، فحرص أخاه على اغتيال ابن

عرفه سرا (٤٦٤) ، وتم له ما أراد (٤٦٥) . ويحاول مؤرخو الإباضية انكار تدبير هذا الحادث ونفي قيام الامام بتنفيذه ، دفاعا عن آل البيت الرستمي . فأبوا زكريا (٤٦٦) والدرجيني (٤٦٧) اكتفيا بالإشارة الى ان الناس فوجئوا بأبن عرفة قتيلا دون أدنى إشارة الى ظروف مقتله . أما النفوسي (٤٦٨) فيبريء أبا اليقظان من تهمة التحريض على قتل ابن عرفة ، وينسبها الى أحد نصحاء الامام . لكن هذه الروايات جميعا تضعف أمام رواية ابن الصفيسر المالكي الذي يؤكد ان أبا اليقظان دبر الحادث . وأن أبا بكر نفذه . على كل حال - تمخض الحادث عن نوع من الفوضى السياسية عمت تاهرت ، وتحفزت سائر القوى للخروج من هذه الفوضى ظافرة بالامامة ، ودخل بعضها مع البعض الآخر في ائتلافات وتحالفات للانفاة من الظروف . فقد هب العرب والجنود مطالبين بشار زعيمهم ابن عرفة ، وانضموا تحت لواء احدهم ويدعي محمود بن الوليلي (٤٦٩) . كما وقفت الرستمية والسحمية الى جانب الامام أبي بكر (٤٧٠) . أما الفرس فقبموا في قصورهم خارج المدينة يدبرون أمر الاستيلاء عليها (٤٧١) . بينما لاذت قبائل البربر خارج تاهرت بالصمت مترقبة نتائج الصراع .

ونسب القتال بين الجند والعرب من ناحية وبين الامام والرستمية من ناحية أخرى ، وقتل من الطرفين خلق كثير (٤٧٢) . فاغتنم الفرس الفرصة وحاولوا الاستيلاء على تاهرت . عندئذ تضامن الرستمية مع الجند والعرب وتصدوا لقتال الفرس وأسروا منهم اعدادا غفيرة (٤٧٣) . ثم انسحب الامام والرستمية من حلبة الصراع ، وألحق الجند والعرب بالفرس عدة هزائم وأضرمو النيران في منازلهم . وخشي أبو اليقظان ونفوسة من خطر الجند والعرب فانضموا للفرس ، « وصارت كلمتهم وكلمة العجم واحدة » (٤٧٤) واحتدم القتال بين الفريقين ، وتبدلا النصر والهزيمة الى أن أسفر الصراع عن انتصار الجند والعرب .

وأرغم أبو اليقظان وحلفاؤه على مفاداة المدينة ، فنزل الفرس بموضع يقال له تنابيلت - على بعد مرحلتين من تاهرت - كما اعتصمت نفوسة بحصنها خارج المدينة ويعرف «بقلعة نفوسة» ، أما أبو اليقظان فلاذ بالرستمية

بمكان يسمى أسكيدال جنوبي تاهرت (٤٧٥) • وصفت المدينة للجند والعرب
بعد ان اعتزل ابو بكر الامامة • وانسلخ منها (٤٧٦) • ، ولحق باتباعه من
الرستمية والسمحية بأبي اليقظان سنة ٢٦٠ هـ (٤٧٧) (٨٧٤ م) •

لكن الجند والعرب لم يتعموا طويلا بالسيطرة على زمام الامور فسي
تاهرت ، فقد أقصاهم عنها بربر هوارة ، وآلت اليهم السلطة فيها طوال
ثمان سنوات • ونحن نعلم ان بربر هوارة كانوا قد تمردوا على حكم الامام
عبد الوهاب (٤٧٨) ، وأنه بطش بهم فتفرقت جموعهم ورحل معظمهم الى جبل
ينجان ، وعاد الباقيون الى مضاربهم جنوبي تاهرت ، كما نعلم ان فريقا من
هؤلاء آزر أبا بكر بن أفلح في بداية امامته بينما آثر فريق اخر اللحاق بجبل
ينجان • ثم كان ما جرى من صراع بين سائر القوى في تاهرت ، وظفر الجند
والعرب في النهاية بالسيطرة على زمام الموقف فيها • وأدى هذا الصراع الذي
استمر عامين الى اضعاف اطرافه جميعا ، فوجدت هوارة الفرصة مواتية
للسيطرة على تاهرت • وقد غادرت جموع هوارة مضاربها بجبل ينجان بزعامة
شيخهم محمد بن مسالة (٤٧٩) واقتحموا تاهرت دون عناء ، ونصبوا ابن
مسالة أميراً عليهم (٤٨٠) • وظل ابن مسالة « يدير شؤونها ويدير أحوالها
على حسب ما يراه » (٤٨١) ، ، وتخبرنا المراجع (٤٨٢) ان حكمه اتسم بالهدوء
والاستقرار •

لكن النزعات القبلية ما لبثت ان تجددت داخل تاهرت ، فوقع خلاف
بين هوارة ولواته انتهى بطرد اللواتيين خارجها ونزولهم بحصنهم القريب من
أسكيدال حيث أقام أبو اليقظان والرستمية (٤٨٣) • ثم حدث ائتلاف بين
لواته وأبي اليقظان ، فأجمعت على بيعته بالامامة سنة ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) ،
ثم بادرت غالبية القبائل ببيعته أيضا وانكرت حكم ابن مسالة (٤٨٤) وحاول
أبو اليقظان دخول تاهرت عنوة دون جدوى • وتكررت محاولاته طيلة سبع
سنوات ، لم يفلح فيها بطائل • فبعث يستمد العون من جبل نفوسة ، فأمدوه
واستطاع دخول المدينة بدون قتال سنة ٢٦٨ هـ (٨٨٢ م) بعد ان أمن أهلها على
أرواحهم وأموالهم (٤٨٥) •

وكان على الامام أبي اليقظان ان ينهج سياسة الاعتدال وتهذبة الخواطر

بعد ما عانتها البلاد من حروب أهلية شاملة • وقد نجح في ذلك الى أبعد الحدود بفضل وعيه وتقواه وحرصه على مراعاة تعاليم المذهب في أحكامه ، ولا غرو فقد عرف بتفقهه في المذهب وبتواليه فسي أصوله وفروعه والرد على مخالفيه (٤٨٧) •

وقد حرص أبو اليقظان على اجتناب سياسة التعصب وإثارة بعض القبائل والعناصر بمناصب الدولة دون البعض الآخر • وعلى الرغم من مساعدة نموسة ومعاونتها له على دخول تاهرت ، قلل مما كانت تتمتع به من امتيازات في عهود أسلافه ، فحرّمها من تولي القضاء وأبقى لها إدارة بيت المال والحسبة (٤٨٨) •

وأتخذ أبو اليقظان مجلساً للمشورة يضم شيوخ القبائل ووجهاء كافة العناصر المقيمة بتاهرت (٤٨٩) ، ولم يأنف من مخالطة رعاياه والجلوس اليهم لبحث شكواهم (٤٩٠) كما تسامح مع اتباع المذاهب والفرق الأخرى من الكوفيّين والصفرية والمعتزلة والمالكية ، وأباح لهم الصلاة في المساجد جميعاً فيما عدا المسجد الجامع (٤٩١) • ويحدثنا ابن الصغير (٤٩٢) ان شيوخ هذه الفرق كانوا يدخلون في محاورات ومناظرات مع فقهاء الأباضية في جو مفعم بالحرية والتسامح • واختار عماله ممن عرفوا بالورع والتقوى ، وزودهم بنصائحه وتوجيهاته وأمرهم بقراءة نداء وجهه الى رعاياه ، حضهم فيه على اجتناب الفرقة ، واتباع سنة السلف الصالح (٤٩٣) •

لذلك ، استقامت له الأمور حتى شبهه النفوسي (٤٩٤) بجده عبيد الرحمن بن رستم ، كما روى عنه ابن الصغير (٤٩٥) اقوالاً وأفعالا جعلت حكمه يحوز رضى كافة العناصر على اختلافها « فلم ينقم عليه أحد شيئاً مما ولى من أفعاله ، ما خلا أولاده فانهم ربما خرجوا عن الواجب من أفعالهم (٤٩٦) » •

والواقع أن ابن الصغير يكشف عن ظاهرة خطيرة بدأت بوادرها في آخر عهد أبي اليقظان وتفاقت بعد موته (٤٩٧) لتودي بالدولة الرستمية ، وهي مفاسد البلاط الرستمي ، وتفشي الخلاف الاسري والتناحر على الحكم ، وما صاحب ذلك كله من سقوط هيبة الامامة واضمحلال المذهب الاباضي ،

وظهور الطوائف المذهبية المخالفة للإباضية وأثرها في توجيه أحداث العصر
الرستمي الأخير .

**الدور الثالث (٢٨١ - ٢٩٧ هـ) (٨٩٥ - ٩٠٩ م) • النزاع الاسري وفتن
الطوائف غير الإباضية :**

أفضى التناحر القبلي والصراع العنصري الى اضمحلاف شوكة سائر
العصبيات ، كما أدى الى انهيار هيبة الائمة وانتهاك مكانة الامامة ، حيث أصبح
تنصيب الائمة وعزلهم لعبة في أيدي عامة المدينة وغواها . كما برز نفوذ
البلات ونساء الاسرة الرستمية كعامل موجه لاحداث هذه الحقبة .

وجدت الطوائف الدينية والمذهبية في تلك الظروف فرصة سانحة
«لتببيت خبر الإباضية (٤٩٨)» واغتصاب الحكم في تاهرت ، فعمدت الى
التدخل في النزاع بين أفراد البيت الرستمي واذكاء الخصومة بين المتنازعين
منهم على منصب الامامة تمهيدا للوثوب عليها . والراجع ان هذه الطوائف
تواطأت مع قوى خارجية كالعباسيين والغالبة والادارسة والشيعة الفواطم
لاستقاط الحكم الرستمي .

فقد كانت تاهرت وما حولها موطنًا لكثير من ممتنقي المذاهب والفرق
غير الإباضية . فكانت أقلية لها وزنها من الخوارج الصفرية تعيش في كنف
الدولة الرستمية ولهم حصن خاص بهم يسمى « تالغمت » بضواحي تاهرت (٤٩٩)
كما كانت جموع المعتزلة تضرب خارج تاهرت متوثبة للانتقام لما حل بها على
يد عبد الوهاب بن رستم . ويشير ابن الصغير (٥٠٠) الى وجود كثير من
الكونيين والمالكية في تاهرت ذلتها ، في حين ان أبا زكريا (٥٠١) يذكر ان
المذهب الشيعي كان له أنصار في عاصمة الرستميين .

وقد ارتفع شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت في أواخر العصر
الرستمي بسبب ضعف القصبليات القبلية والعنصرية من جراء الصراع بينها ،
وبسبب سياسة التسامح التي اتبعها أبو اليقظان محمد في أواخر سني حكمه
مع اتباع هذه المذاهب والفرق ، وحسبنا على ذلك دليلا أن خطب علي بن أبي
طالب كانت تتلى على منابر تاهرت (٥٠٢) . فلا مشاحة بعد ذلك اذا مسا

وجدنا هذه الطوائف والفرق غير الإباضية - فضلا عن الصيغ الإباضية المعادية للبيت الرستمي - تتآمر على إسقاط حكم الرستميين بعد وفاة أبي اليقظان محمد وتولية ابنه أبي حاتم يوسف سنة ٢٨١ هـ (٨٩٥ م) .

والواقع ان تنصيب أبي حاتم ينم عما وصلت اليه الامامة الإباضية من تدهور ومهانة . فقد اختصه ابوه قبل وفاته بولاية عهده تحت تأثير زوجته غزالة (٥٠٣) . وبعد موت أبي اليقظان بادر العوام والفتيان دون القبائل «بمبايعته» فكبروا حوله وحملوه على الايدي والاعناق حتى اوصلوه الى داره، ثم أرسلوا الى القبائل فبايعته (٥٠٤) . وأثار ذلك استياء الرستمية فحارلوا - دون جدوى - الحفاظ على هيبة الامامة بحجب الامام ومنعه من مخالطة العوام «التي أرادت الدنو اليه في كل الاوقات على ما كانت تعرف قبل امارته» (٥٠٥) ولهذا رحل يعقوب بن أفلح - عم أبي حاتم - عن تاهرت ونزل عند زواغة الخلفية (٥٠٦) .

وشجع ذلك على تداخل الكوفيين وغيرهم من الطوائف المذهبية في الامر ، وتوسيع شقة الخلاف بين الامام والرستمية وبين عوام المدينة (٥٠٧) حتى اندلعت الحرب في تاهرت من جديد (٥٠٨) . والواقع ان مؤرخي الإباضية (٥٠٩) يتفاضون عن ذكر هذه المهازل التي تردت فيها امامة ابي حاتم ، فصوروه وقد «اطردت له الامور ، ولم ينقم عليه احد من رعيته في حكم ولا فعل» . لكن ابن الصغير المالكي الذي عاصر تلك الفترة وعان احدائها كشف لنا عما حاول هؤلاء المؤرخون اخفائه . فيذكر ان حشايخ الكوفيين - على وجه الخصوص - نجحوا في تأليب العامة على أبي حاتم ، ودبروا مع زعمائهم امر اغتياله . وتنبه أبو حاتم لما دبر له ، فطرد هؤلاء الزعماء خارج تاهرت . لكن المشايخ انفسوا للعامة وثاروا على أبي حاتم وطردوه ومن معه من الرستمية فضلا عن انصاره من نفوسة والعجم ، وأعادوا زعماءهم الى المدينة (٥١٠) .

وعول أبو حاتم على تأليب القبائل ضد اجل المدينة ، وبذلك الاموال لهذا الغرض ولجأ الى قبائل صنهاجة من غير الإباضية . وقد له ان يحشد بمشورة صغيرة من لوائه صنهاجة والعجم فضلا عن نفوسة والرستمية زحف

بهم الى المدينة وضرب عليها الحصار في ثلاثة مواضع (٥١١) . وكاد المحاصرون ان يستسلموا لابي حاتم ويعترفوا بامامته لولا اصراره على تسليم زعماء العامة وشيوخ الفرق ، فرفضوا واستأنفوا القتال ، وبعثوا في استدعاء يعقوب بن أفلح من زواعة ، فاقبل ، وبايعوه بالامامة سنة ٢٨٢هـ (٥١٢) (٨٩٦م) .

وفتت ذلك في عضد أبي حاتم، وفارقت له لواته وانضمت لعمه يعقوب (٥١٣) لكن ذلك لم يمنعه من معاودة الهجوم على تاهرت ، فهزم وفارقه العجم كذلك (٥١٤) . ثم عقدت هدنة بين الطرفين بفضل مساعي شيخ مزاته (٥١٥) وتمكن ابو حاتم خلالها من استمالة كثيرين من زعماء المدينة عن طريق الاموال والهبات ، ففقدوا العزم على بيعته . ولما علم يعقوب بن أفلح بذلك غادر المدينة بمن معه من شيوخ الطوائف وتوجه الى زواعة (٥١٦) بعد ان مكث في الحكم أربعة أعوام (٥١٧) . ودخل ابو حاتم تاهرت سنة ٢٨٦هـ (٩٠٠م) في حماية زعماء عمامتها (٥١٨) .

وتمتد أن أبا حاتم لم يكن بوسعه استرداد نفوذه الحقيقي على المدينة بعد عودته اليها بفضل زعماء العامة فيها . وبديهي ان ينعكس نفوذ أهل تاهرت على ما اتخذ من اجراءات عقب تقلده الامامة ، فلم يكن بمقدوره الا ان يصدر عفوا عاما على سائر أهلها (٥١٩) ، وقد كان الى عهد قريب يشترط تسليم زعمائهم والاقتصاص منهم حتى يفك الحصار الذي ضربه على تاهرت . كما أعوزته القدرة على البت في سياسة الدولة بمفرده ، فقد شاركه فيها مشايخ المدينة « اباضية وغير اباضية (٥٢٠) » . ولم تعد مناصب الدولة حكرا على نفوسة والعجم ، بل برزت عناصر جديدة لم تتول مثل ذلك من قبل (٥٢١) . وتحولت السلطة الحقيقية في تاهرت الى هؤلاء العمال ، فكان صاحب الشرطة « يأخذ بالهمة ، ويضرب بالسوط على الظنة (٥٢٢) » ، اما الامام فلم يكن له في السلطة سوى الاسم .

ويبدو ان يعقوب بن أفلح ومن هرب معه من مشايخ الكوفيين كانوا من وراء حركة الطيب بن خلف بن السمع في شرقي الدولة الرستمية ، ذلك ان يعقوبا غادر تاهرت ونزل على زواعة بأحواز طرابلس سنة ٢٨٦هـ (٩٠٠م) كما أن زواعة كانت لا تزال على ولائها لتعاليم خلف بن السمع ، والتفت حول

ابنه الطيب بعد وفاته . ولما كانت مضاربها مجاورة لمنازل نفوسة الموالية
للاسرة الرستمية ، فقد كان الاحتكاك بينهما أمرا لا محيد عنه . والواقع ان
معلوماتنا في هذا الصدد مستمدة من المصادر الاباضية التي تصور حركة
الطيب وزواغة على انها تمرد من جانب زواغة لخروجها على زعامة نفوسة (٥٢٣) .
ومع ذلك فالراجع ان يعقوب بن أفلق كان من وراء هذه الحركة مستهدفا اثارة
القتال في وجه أبي حاتم ، فليس من محض الصدف أن يثور الزواغيون في
هذا الوقت بعينه .

على كل حال - تحفل تواريخ الاباضية (٥٢٤) بذكر انتصارات الياس
بن منصور على الطيب وانصاره من الخلفية الذين ولوا الادبار لائذين بجزيرة
حربة وسيوف النفوسيين تجهز على فلولهم (٥٢٥) . وتشير هذه
المصادر (٥٢٦) الى ان الطيب اعتصم بقصر احد شيوخها ممن كانوا على
مذهب خلف ، وان الياس بن منصور رشاه بالمال ، فسلم اليه الطيب بدون
قتال وعاد به الى الجبل حيث « عاد الى مذهب اهل الحق » وقضى على حركته .

ونعتقد ان السححية من زواغة ويعقوب بن أفلق لم يركنوا للدعة بعض
القبض على الطيب بن خلف وسجنه بجبل نفوسة على يد الياس بن منصور
عامل الجبل من قبل أبي حاتم ، فقد كانوا على صلة بأفراد البيت الرستمي
المناوئين لامامة أبي حاتم ، واشتركوا معهم في تدبير مؤامرة اغتياله ، وكان
الشيخ الزواغي السححي أبو الخطاب وسيل بن سنين همزة الوصل بين
يعقوب بن أفلق والمتأمرين من البيت الرستمي (٥٢٧) حتى تمت المؤامرة
بنجاح ، وقتل ابو حاتم يوسف على يد ابنه اخيه سنة ٢٩٤هـ (٥٢٨) (٩٠٦م) .

وآلت الامامة الى احدهم ويدعى اليقظان بن أبي اليقظان محمد . ولا نعرف
عن اخباره شيئا لمزوف مؤرخي الاباضية عن ذكر امامته باعتباره مفتصبا (٥٢٩)
والراجع ان عهده اتسم بالقتال والفتن سواء من جانب الطوائف الدينية غير
الاباضية التي كانت تطمح في الامامة دون أن تنالها - او من جانب ابنه أبي
حاتم يوسف وأتباعهم للاخذ بشار أبيهم . وهذا يفهم من رواية لابي زكريا (٥٣٠)
تقول بأن بنت أبي حاتم وأخيها توجهتا الى أبي عبد الله الشيعي ودعوه لدخول

تأهزت والانتقام من قتل أبيهما ، وان المالكية والواصلية والشيعة والصفرية
«شكوا اليه اعادة الفرس» .

مهما كان الامر فقد وضع الغزو الشيعي لتاهرت سنة ٣٩٧ هـ (٩٠٩م)
حدا لامامة اليعقظان بن أبي اليعقظان ونهاية للدولة الرسمية برمتها .

وهكذا - كان تاريخ بني رستم سلسلة من التلاقل والاضطرابات
الداخلية ، اتخذت شكل الانشقاق المذهبي، والصراع القبلي والعنصري والتناحر
الاسري والطائفي .

ج - علاقات بني رستم الخارجية :

تأثرت سياسة بني رستم الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها
الديني وظروفها السياسية ومصلحتها الاقتصادية . فقد كانت دولة صحراوية
داخلية ، ولهذا لم نسمع عن نشاط بحري لبني رستم ولم يسهموا في حركة
الفتوح التي احتكرها جيرانهم الاغالبية في الحوض الاوسط من البحر المتوسط .
وقد حتم الوضع الجغرافي للدولة الرسمية وتشابك حدودها مع دول الاغالبية
والادارسة وبني مدرار ، ان تدخل في علاقات مع هذه الدول على الرغم من
جنوح ائمتها الى العزلة والانصراف الى مواجهة مشاكلهم الداخلية . لقد
فرضت رابطة الجوار على بني رستم ان يحددوا علاقاتهم بامراء القيروان
العباسيين ومن بعدهم الاغالبية السنة ، والادارسة العلويين ، وبني مدرار
الصفرية ، ان عدا وان-ودا . . وقد تأثرت هذه العلاقات بجانبها السوداني
والعدائي - الى حد كبير - بمذهب الدولة الديني ، فلما كان بنو رستم من
الخوارج الاضحية فقد عاهدوا الحكم السني بالقيروان والعلوي بفاس ، وعادوا
خوارج سبجلماسة الصفرية . كما دعمت الظروف السياسية التي عاشتها
النبوة الرسمية سياسة العدا للقيروان وفاس وسياسة المهادنة لسبجلماسة ،
فقد قامت الدولة على انقاض نفوذ الخلافة العباسية في المغرب الاوسط ، وعجز
عمال الخلافة في القيروان عن الحيلولة دون قبيلها ، لهذا كان على الاغالبية -
عمال بني العباس - ان يضطروا بتنفيذ مشيئة الخلافة في مناضتها . واذا

كانت دولة الادارسة قد قامت في المغرب الأقصى على حساب نفوذ الخوارج، فلم يكن هناك مناص من عداء أئمة تاهرت لأئمة فاس لاقتطاعهم بعض الاجزاء الشمالية الغربية من الدولة الرستمية . وقد اجتمعت الدولتين الرستميتية والمدراية على عداء القيروان وفاس ، ولهذا حرص حكامهما على الالتزام بسياسة حسن الجوار ازاء بعضهم البعض . ولما كان أمويو الاندلس يعادون العباسيين والاغالبة والادارسة فقد عقد بنو رستم معهم اواصر الصداقة والود، كما وثقوا صلاتهم باباضية الشرق لما جمعهم من وحدة المذهب الديني والمصير السياسي . والحقيقة ان الرستميين انصرفوا لتوطيد صلاتهم بالجنوب مدفوعين بمصالحهم التجارية ، وساعد على ذلك ما كفلته الظروف الجغرافية من حماية طبيعية لقلب دولتهم ، فلم يناجزوا أعداءهم الا بما تقتضيه ضرورة الدفاع ، بل أحيانا كانوا يفضون الطرف عن أطماع جيرانهم في اطراف الدولة ، فلم يحركوا ساكنا حين ضم الادارسة تلمسان وما حولها وسلخوها عن نفوذ تاهرت . وقد كانت كافة حروبهم مع جيرانهم للدفاع فقط باستثناء مرة واحدة اتخذوا فيها موقف الهجوم ، لما حاصر عبد الوهاب بن رستم طرابلس سنة ١٩٦هـ (٨١٣م) . كما لم تتعد صلاتهم الودية اكثر من تبادل السفارات والهدايا ، ولم تصل قط لدرجة التحالف او التعاون لمواجهة العدو المشترك . وعلى ذلك يمكن القول بان سياسة بني رستم الخارجية قامت في جوهرها على تحاشي الاخطار والتزام سياسة الدفاع ، وكانت أميل الى السلم منها الى العدوان . ومع ذلك ، يمكن تقسيم هذه العلاقات الى شقين ، عدائية وودية ، فعلاقات بني رستم بالعباسيين والاغالبة والادارسة كانت ذات طابع عدائي . أما علاقاتهم مع بني مدرار وبني أمية بالاندلس واباضية الشرق ، فقد اسست بالمطامح الودية .

١ - العلاقات العدائية :

١ - بنو رستم والعباسيون :

لا يخفى ما كان بين بني رستم وبني العباس من خلاف منهجي وعصاة سياسي ، فقد تأصل هذا العداء مذ عمد العباسيون الى مناهضة حركات

الخوارج - ومنهم الاباضية - في الشرق والغرب على السواء * وحسبنا ان ما حل باباضية المغرب من كوارث انما تم على ايدي ولاة المنصور والرشيد بالقيروان منذ ولاية ابن الاشعث ومن تلاه من أمراء الاسرة المهلبية * وقد لجأ عبد الرحمن بن رستم الى جوف الصحراء حيث اسس دولته هربا من هؤلاء الولاة واتقاء لبطشهم *

والواقع ان اباضية المغرب وجدوا في دولة بني رستم ملاذا حصينا من خطر ولاة القيروان ، فلم يقدر لاي منهم اجتياح اراضي الدولة الرستمية بعد فشل محمد بن الاشعث في حصار عبد الرحمن بن رستم ومن معه من الاباضية بجبل سوفنج سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) * بل حاول ابن رستم وجماعته الانتقام لما حل بالاباضية من بطش جيوش ابن الاشعث ، فخرج على رأس خمسة عشر ألفا من رجاله لحصار عمر بن حفص بطننة سنة ١٥٤ هـ (٧٧١م) مع سائر اباضية المغرب وصفرية ، لكنه عاد مدحورا بعد هزيمته عند تهودة أمام جيش عمر بن معمر بن عيسى السعدي قائد عمر بن حفص (٥٣١) *

وبسبب هذه الهزيمة * وما لحق اباضية المغرب الادنى من بطش يزيد ابن حاتم (٥٣٢) ، أثر عبد الرحمن بن رستم الانصراف الى تأسيس دولته دون ان يمضي في مناجزة ولاة القيروان * فبعث الى روح بن حاتم طالبا مهادنته حتى يتفرغ لمواجهة الاعباء التي واكبت قيام دولته * ويبدو ان الخلافة العباسية اذ ذاك تطلعت الى دعم نفوذها في افريقية ، وغضت الطرف - الى حين - عن بسط سلطانها على بلاد المغرب الاوسط والاقصى ، فقبل - اليها علي القيروان موادة عبد الرحمن بن رستم (٥٣٣) *

ومن الطبيعي ان تظل هذه السياسة قائمة في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن لما حفل به حكمه من قلاقل وثورات في الوقت الذي جنح فيه روح بن حاتم الى السلم لتقدم العمر به * وقد اختلف المؤرخون في تحديد اي من الطرفين بادر بطلب الموادة ، فمنهم (٥٣٤) من يشير الى ان عبد الوهاب بن رستم هو الذي طلب من روح تجديد الهدنة ، ومنهم من يذكر (٥٣٥) ان روحا طلب الموادة * وان عبد الوهاب اجابه الى ما أراد * وقد خرج جوتييه من الرواية (٥٣٦) الاولى بأن أمراء القيروان اسقطوا من اعتبارهم استرداد نفوذهم

على المغرب الاوسط فتقاضوا عن مناة الدولة الرستمية . بينما استخلص فورنل (٥٣٧) من الرواية الثانية ان الدولة الرستمية اصبحت قادرة على الوقوف من ولاة القيروان موقف الند للند . ومهما كان الامر ، فالذي يعنيانا ان الطرفين جنحا الى السلم . وآثرا العافية على الدخول في صراع لم يكونا على استعداد لخوض غماره وتحمل مغبته .

واستمرت سياسة تحاشي الصدام بين ائمة تاهرت وأمرء القيروان قائمة حتى سنة ١٨٤هـ (٨٠٠م) ، حين قامت دولة الاغالبية في افريقية لترث أسباب العداء مع بني رستم وتنوب عن بني العباس في الاضطلاع بمناهضة حكمهم .

ومن الجدير بالتنويه ان المواعدة بين أمرء القيروان وائمة تاهرت لا تعني انتفاء العداء بينهما ، فالعداء بين تاهرت وبغداد ظل قائما ، ولم يتوان الخلفاء عن اغتنام ما سنج لهم من فرص في الكيد للدولة الرستمية واثارة المتاعب في وجه أئمتها . وأدرك الرستميون ما أضمره بنو العباس لهم من خصومة وعداء ، فاحجم عبد الوهاب بن رستم عن أداء الحج خشية الوقوع في يد «المسودة» (٥٣٨)، وبرر له فقهاء المذهب الاباضي عزوفه هذا « بعدم امان الطريق » . فامان الطريق - شرعا - من شروط الحج (٥٣٩) .

وليس ببعيد ان يكون العباسيون قد توجسوا خيفة من اتصال ائمة تاهرت باباضية الشرق لتدبير المؤامرات وتنظيم الثورات المناوئة لحكمهم (٥٤٠) ومن ثم درجوا على بث عيونهم لمراقبة وفود المغاربة في مواسم الحج . ولعل في حادث القبض على الامير الرستمي أبي اليقظان محمد بن أفلح بمكة وايداعه السجن ببغداد (٥٤١) ما ينهض دليلا على ذلك .

كذلك رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم ، ووجد هؤلاء في بغداد سلاما آمنا بعد اخفاق حركاتهم . والراجح ان العباسيين تعاونوا معهم على اسقاط الحكم الرستمي في تاهرت ، فنفاث بن نصر الناصر على أفلح بن عبد الوهاب الرستمي بادر بالهرب الى بغداد حين ضيق عليه عمال الاسام على جبل نفوسة حتى اوشكوا على الظفر به . وتقصيد مصادر الاباضية (٥٤٢) بما لقيه نفاث من حظوة وحفاوة في بلاط الخلافة ، حتى ان الخليفة اطلعه

على المحظور من أمهات الكتب والدواوين في المذهب الإباضي . وليس ببعيد أن يكون نفث قد تأمر مع الخلافة على بث الشقاق في الدولة الرستمية اثر عودته ، وإذا كان لم يوفق في النيل من سلطان تاهرت في اقاليم الدولة الشرقية ، فإن حسبة نجاحه في احداث انقسام مذهبي سياسي وتكوين فرقة عرلت « بالنفائية » ظلت معادية للسلطة الحاكمة في تاهرت طوال عهد الدولة الرستمية .

وقد وضع تأمر بني العباس على اسقاط امامة تاهرت في العصر الرستمي الاخير ، غطافة الكوفيين « بتاهرت لعبت دورا بارزا في مناوأة الامامة الرستمية في ذلك الحين ، وتواطأت مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية لاقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة (٥٤٣) . وفي وجود بكر بن حماد التاهرتي - أخو محمد بن حماد - زعيم عامة تاهرت - ببشداد (٥٤٤) قبيل وقوع تلك الاحداث ، وعودته الى تاهرت واشترائه في تنحية أبي حاتم ثم اعتذاره اليه راجيا عفوه بعد عودته للسلطة (٥٤٥) ، ما يشير الى تواطؤ الخلافة العباسية مع المارقين على بني رستم وتدبيرهم المكاييد ضد الدولة الرستمية . وهذا كله يؤكد ما ذهبنا اليه من تأصل العداء بين الطرفين .

٢) بنو رستم والاغالبة :

التحلت العلاقات بين بني رستم والاغالبة طابعا عدائيا صرفا ، وكان لذلك أسبابه المذهبية والسياسية والجغرافية . فالاغالبة كانوا سنة ، ومذهب مالك - المعروف بعادته لسائر النحل المتطرفة - ساد افريقية الاغلبية ، بينما تعصب بنو رستم للمذهب الإباضي ، وهو رغم اعتداله يذهب الى تكفير مخالفيه (٥٤٦) . وغضلا عن ذلك فالاغالبة كانوا عمال الخلافة العباسية وأداتها في افريقية ، ورمز نفوذها الوحيد في بلاد المغرب ، ولا غرو فقد قامت سياستهم الخارجية على مصادقة أصدقاء الخلافة ومعاودة أعدائها . ومن ثم كان على أمراء بني الأغلب أن يناهضوا أئمة تاهرت جريا على سنة الخلافة وتنفيذا لمشيئتها كما لم يتقاعس بنو رستم عن مناجزة جيرانهم الاغالبة - باعتبارهم

أعداء سياسيين ومذهبيين على الرغم مما عرّفوا به من المسألة والحرص على تحاشي أسباب التطاول والصراع (٥٤٧) .

لقد فرضت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا ، فلم يكن ثمة محيد عن الصدام أمام تشابك الحدود وعدم وضوح معالمها . لقد أحاطت الدولة الرستمية بأفريقية الاغلبية من الشرق والغرب والجنوب (٥٤٨) ، ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البدوية من الحركة والانتقال والاختلاط في مناطق الحدود (٥٤٩) ، ومن هنا اختلط الامر على بعض الجغرافيين (٥٥٠) فنسبوا بعض البلدان والكور الرستمية - كغدامس وتهودة وودان - الى دولة الاغالبية . والذي يعنيها هو ان الصدام بين رعايا الدولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع ، فإقليم الزاب ونواحي بلزمة شهدت صراعا دائما بين فقهاء المالكية وأتباع المذهب الاباضي (٥٥١) . وجليد بالتقوية ان جمهور الاباضية بتلك النواحي لم يكن برمته مواليا للرستميين ، فجماعة الخلفية من زواغة والنكار من هوارة - ومنازلها جنوب تونس (٥٥٢) - كانتا على عداء مع بني رستم ، وليس من المستبعد ان يكون الاغالبية قد اصطنعوا بمض هذه العناصر لاثارة العراقييل والقلال في الدولة الرستمية ، يفسر هذا قول تورنو (٥٥٣) بأن جماعات الاباضية بنواحي قسطنطينية - بلاد الجريد - لم يتعرضوا لاضطهاد الاغالبية لكن الذي لا شك فيه ان جمهور الاباضية الوهبية من لواته وهوارة في تلك الاصقاع لقوا عسفا وعنتا على أيدي بني الاغلب وعمالهم (٥٥٤) .

كما كانت حدود دولة الاغالبية الشرقية غير واضحة المعالم ، فقبائل نعوسة الاباضية كانت تضرب في قرب طرابلس التابعة لبني الاغلب ، وامتدت ديارها حتى مشارف القيروان ذاتها (٥٥٥) . ومن ثم كانت هذه المناطق ميدانا حافلا بالصراع بين الدولتين الاغلبية والرستمية .

وليس صحيحا ما ذهب اليه مؤرخو الغرب (٥٥٦) من انتفاء طابع العداء بين الاغالبية وبني رستم وقولهم بأن كليهما نعم بحدود آمنة عازفا عن شهر السلاح في وجه جيرانه . حقيقة لم يصل التشاحن بينهما الى حد يهدد وجودهما بسبب انشغال الاغالبية بمواجهة مشاكلهم الداخلية فضلا عن النشاط

البحري الذي ضربوا فيه بسهم وافر ، ونفس الشيء يقال عن بني رستم واهتمامهم بحركة التجارة مع الجنوب . هذا فضلا عن بعد المسافة ووعورة الطرق بين تاهرت وافريقية ، فقد كانت المسافة بينهما مسيرة شهر على ظهور الابل (٥٥٧) . لكن ذلك لا يعني قط احجام حكام الدولتين عن الاغارة على املاك بعضهم البعض على امتداد الحدود ، وخاصة في الجهات الشرقية ، بل دأبوا على بث الفتنة واثارة العراقل وتحريض العناصر المعادية للحكم . واذا كان الرستميون الاوائل قد احرزوا النصر في المرحلة الاولى ، فان الاغالبية ظفروا به بعد ذلك في اواخر العصر الرستمي .

بدأ النزاع الرستمي الاغلبى في منطقة طرابلس ، وسببه ان هذه المدينة كانت تابعة للاغالبية ، وقد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هواراة الاباضية الضاربة بجوارها ، وعدتها ثلاثمائة أسرة (٥٥٨) . وبديهي أن يطمح هؤلاء الاباضية في الاستقلال عن سلطان الاغالبية للدخول في طاعة بني رستم (٥٥٩) ، فدأبوا على اثاره المتاعب في وجه العامل الاغلبى على طرابلس ، وعمدت جماعات منهم الى الاغارة على المدينة وبث الرعب بين سكانها (٥٦٠) ، فكان عاملها يسرف في الانتقام من الاباضية بها حتى لقد خرجت جموع غفيرة منهم ولجأوا الى الصحراء (٥٦١) ، ويبدو أنهم استمدوا العون من جيرانهم اباضية نفوسة ، فقد نجحوا عام ١٩٦هـ (٨١٢م) في اجتياح طرابلس ، والحقوا بها الخراب والدمار . وهب ابراهيم بن الاغلب لاستنقاذ نفوذه ، فرمى الثوار بابنه عبد الله الذي أفلح في استرداد المدينة وأثخن في الاباضية تنكيلا ، ثم حصنها ببناء سور حولها (٥٦٢) . واستعان الاباضية بالامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن - وكان اذ ذاك بجبل نفوسة - فاستجاب لهم وخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها وضرب الحصار حول طرابلس (٥٦٣) . ولم يستطع عبد الوهاب اقتحام المدينة ، فقد أغلق عبد الله الاغلبى أبوابها وباشق القتال من باب واحد . وتمكن جنده من اغتيال بعض مشاهير الاباضية (٥٦٤) ، كما استطاع عن طريق جواسيسه افساد خطط المحاصرين (٥٦٥) .

وكاد عبد الوهاب أن يعود من حيث أتى ، لولا أن أسعفه الحظ بموت ابراهيم بن الاغلب واستدعاء ابنه عبد الله الى القيروان لتقلد الامارة (٥٦٦) .

فاضطرب عبد الله الى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام اباضية هواره الى دولتهم وانسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الاغلبى ، ونص في الاتفاق على أن «يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا عن ذلك لعبد الوهاب» (٥٦٧) . هكذا انتصر عبد الوهاب بسبب اضطراب عبد الله الى وقف الحرب وعودته الى القير وان ، بل شجعه ذلك على الاجترار على الاراضي الاغلبية ذاتها ، فضرب صفحا عن الاتفاق واستولى على قابس - وهي ميناء على البحر كان تابعا للاغالبية (٥٦٨) - وكذلك كُلت اليه بعض القرى والحصون الاخرى ثم عبرت جيوشه الى جزيرة جربة واستولى عليها ، وعاد عبد الوهاب الى جبل نفوسة ومنه الى تاهرت بعد ان ولى عمالا على هذه النواحي الجديدة (٥٦٩) .

وشغل الاغالبية الاول بمشاكلهم الداخلية عن تصحيح الوضع على حدودهم الشرقية ، كما قنع الرستميون بما احرزوه من مكاسب ، ولم يتبادوا في سياسة التوسع مفتنمين فرصة ثورات الجند في افريقية على الامارة الاغلبية . وهذا ما حدا ببعض الاحزاب المعارضة لعبد الوهاب أن تستنكر فتوره «وقلة محاربته للمسودة» (٥٧٠) .

ودرج افلح بن عبد الوهاب - الذي اشتهر بالدهاء والسياسة - على تحريض اتباعه من البدو الاباضية المقيمين ببلاد الجريد لاثارة الفلاقل في دولة الاغالبية . ويذكر ابن خلدون (٥٧١) انهم تمردوا على الصامل الاغلبى بقسطنطية وأردوه قتيلا ، وان الامير ابي عقال الاغلب سبر اليهم الجيوش واستاصل شأفتهم . ومن المشكوك فيه أن يكون ابو عقال قد قضى نهائيا على ثورات الاباضية في افريقية الجنوبية ، ويبدو ان ذلك كان دافعا لخليفة الامير محمد الاغلبى على الاهتمام بتوطيد نفوذه في تلك النواحي . ففي سنة ٢٣٩هـ (٨٥٤م) أسس مدينة جديدة سماها العباسية في بلاد الجريد لمواجهة اخطار الاباضية ، ولتكون قاعدة أمامية للاغارة على تاهرت ذاتها ، فضلا عن منافستها للعاصمة الرستمية في تجارة الصبور (٥٧٢) . غير ان افلح بن عبد الوهاب يادر بمواجهة الخطر الاغلبى ، وأفلح في تدمير العباسية ، وأضرم فيها النيران (٥٧٣) .

كما حاول اباضية نفوسة وهواره الاستيلاء على طرابلس في عهد أحمد

ابن محمد الاغلبى (٢٤٢ - ٢٤٩هـ) (٨٥٧ - ٨٦٤م) ولم ينقذها سوى جلب
واليها الامدادات من القيروان فحال دون سقوطها سنة ٢٤٥هـ (٨٦٠م) (٥٧٤) .
وهكذا اتمت سياسة بني رستم في عهدي عبد الوهاب وافلح بالقوة ، فامسكا
بزمام المبادرة ، في صراعهما مع الاغلبة ، ونجحا في مواجهة اخطارهم بل
واقطاع اجزاء من دولتهم . على ان الاغلبة سرعان ما رجحت كفتهم بعد موت
افلح بن عبد الوهاب ، اذ منيت الدولة الرستمية باخطار الصراع العنصري
والطائفي في الداخل . فلم يعدم الاغلبة وجود صنائع وأتباع عملوا لحسابهم
في مناهضة ائمة بني رستم في ذلك الحين (٥٧٥) . ولا يخفى دور شخص
يدعى خلف الخادم - من موالى الاغلبة - في تاليب الثوار على ابي بكر بن
افلح حتى اقصوه عن الامامة وطرده خارج تاهرت ويحدثنا ابن الصغير (٥٧٦)
انه كان يبذل الاموال للثوار بسخاء ، الامر الذي يدل على قواطع بني الاغلب
وتأمرهم على اسقاط الحكم الرستمي .

وفي سنة ٢٦٧ هـ (٨٨١م) اشتركت جيوش الاغلبة جنبا الى جنب مع
اباضية نفوسة في قتال جيش العباس بن أحمد بن طولون - الذي خرج من
مصر غازيا افريقية - ، وهذا لايعني عودة الوثام بين بني رستم والاغلبة ، فقد
قاتلت نفوسة العباس لا انقاذا لطرابلس وبني الاغلب من ظلمه ، كما ذهب
النفوسي (٥٧٧) ، ولا تلبية لطلب ابن قرحب عامل الاغلبة على طرابلس كما
قال سعيد بن مقديش (٥٧٨) ، وانما لان خطره هدد بني الاغلب وبني رستم
على السواء (٥٧٩) . فبعد استيلاء العباس على لبدة ، بطش بجمهور الاباضية
هناك وتعدى سودانه على بعض حرم البوادي وهتكوا الحجب (٥٨٠) ، ولما كان
هؤلاء من رعايا بني رستم ، فقد استنجدوا بمعلمهم على جبل نفوسة ويدعى
الياس بن منصور في الوقت الذي بعث فيه العباس اليه يدعو للدخول في
طاعته (٥٨١) . فهب العادل الرستمي لدرء خطر العباس دون سابق اتفاق
مع الاغلبة (٥٨٢) . مصداق ذلك خروج عامل طرابلس الاغلبى على رأس
جيش أنفذ اليه من القيروان والتحامه مع ابن طولون قبل قدوم الاباضية من
نفوسة (٥٨٣) فقد وصلوا في اليوم التالي (٥٨٤) ، واشتركوا مع الاغلبة
في قتال العباس (٥٨٥) . وحين هزم العباس واستأثر الاغلبة بالمغانم

والاموال الطائلة (٥٨٦) دون الاباضية الذين رفضوها « زهدا وتعففا » على حد قول المصادر الاباضية (٥٨٧) .

وعند ابراهيم بن أحمد الاغلبى الى اتباع طرق شتى في صراعه مع الرستميين الذين وقفوا موقف الدفاع ، ففي سنة ٢٦٩هـ (٨٨٣م) اوغلت جيوشه في مضارب القبائل الاباضية ببلاد الجريد ، وتمكن من وضع حد لشغبهم (٥٨٨) وبث الفرقة بين اباضية نفوسة باصطناع مسائل فقهية اختلف شيوخهم حول تأويلها (٥٨٩) .

ويبدو أنه فعل ذلك توطئة للاطاحة بمعتقل القوة في الدولة الرستمية ، بغزو جبل نفوسة . وهذا هو ما حدث فعلا سنة ٢٨٣هـ (٨٩٧م) . واختلفت الروايات في تفسير دوافع هذا الغزو ، فبعضها (٥٩٠) تعزو الى اعتراض نفوسة للجيش الاغلبى الزاحف نحو مصر الطولونية ، وبعضها (٥٩١) الاخر يزعم ان الامير الاغلبى كان قادما على رأس جيش من بغداد لغزو تاهرت ، فاعترضته نفوسة دفاعا عن عاصمة الرستميين ، بينما يذهب ابن عذارى (٥٩٢) الى ان جيش ابن الاغلب كان متوجها الى طرابلس لتأديب عاملها ، فاعترضته نفوسة ومنعته من المرور ، في حين يقول الشماخي (٥٩٣) باجتماع نفوسة على قتال الامير الاغلبى لانه « افسده » وتعدى . وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات ، فهي تجمع على اعتراض اباضية نفوسة للجيش الاغلبى عند مكان يقال له قصر مانو - بين قابس وطرابلس (٥٩٤) - ٢٨٣هـ (٨٩٧م) فقامت معركة بين الطرفين قضى فيها على غالبية النفوسيين (٥٩٥) . وعلى اثر الاجهاز على نفوسة نزل الجيش الاغلبى على اباضية قنطرة ونفزاوة فبطش بهم وأسر جندهم (٥٩٦) ، وسيق الاسرى الى القيروان حيث عذبوا ثم قتلوا (٥٩٧) . وفي العام التالي بعث الامير الاغلبى جيشا الى نفوسة أنخن فيها ، وعاد بثلاثمائة أسير قتلوا ومثل بهم « فنظمت قلوبهم في حبال علقت على باب تونس (٥٩٨) » .

وهكذا - شغلت الامامة في تاهرت بمشاكل الصراع حول السلطة عن تقديم العون لاباضية المغرب الادنى (٥٩٩) ، فتركوا وشأنهم يتلقون ضربات الاغالبية حتى وهنوا وضعفوا ، وبضعفهم تداعت الدولة الرستمية (٦٠٠) .

ولولا ما حل بدولة الاغالبية من اضطراب سياسي في عهدها الاخير - وانصراف
أمرائها لمجابهة الخطر الشيعي ، لامكنهم غزو تاهرت نفسها واسقاط الاسرة
الرستمية . لكن الدولتين المتعاديتين جمعتهما في النهاية وحدة المصير . فقد
رفعنا فريسة للغزو الشيعي سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) .

٣ - بنو رستم والادارة :

رغم ما ساد علاقات بني رستم بالادارة من عداة نتيجة خلافاتهم
المذهبية والاجتماعية والسياسية ، فان المصادر الاباضية تلوذ بالصمت التام
فلا تذكر شيئا البتة عن هذه العلاقات . وقد فسر كثير من الدارسين (٦٠١)
هذا الصمت على انه دليل على ما ساد هذه العلاقات من طابع الود وحسن
الجوار . لكن كتابا آخرين (٦٠٢) ذكروا حقيقة هذه العلاقات وانطوائها على
الخصومة والعداء . وسبب هذا العداء ان الادارة كانوا من الشيعة الزيدية
بينما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية ، كذلك كانت دولة الادارة دولة
حضر ، بينما غلب الطابع البدوي على الدولة الرستمية . هذا فضلا عما كان
بينهما من تنافر سياسي - بسبب صداقة بني رستم لبني مدرار والامويين
في الاندلس اعداء الادارة - على الرغم من اشتراكهما في معاداة الخلافة
العباسية .

وجدير بالذكر ان الادارة - مدفوعين بهذه الخصومة المذهبية والتباين
الاجتماعي والعداء السياسي - عولوا على الاغارة على املاك الرستميين
واقطاع بعض اجزائها بينما ركن الرستميون الى المسالمة لقصور في قوتهم .
فلم يكن بوسعهم مناجزة جيرانهم الاقوياء . واذا كانت غزوات الادارة لم
تشكل خطرا على حكومة تاهرت - حسبما اعتقد ماسكراي (٦٠٣) - فحسبهم
اقتطاع اقليم تلمسان - وسكانه من مقراوة وبني يفرن الزناتيين - من بني
رستم وضمه الى دولتهم .

ولم يكن ثمة ما يحول دون احتكاك الادارة بجيرانهم الرستميين ،
خاصة وان دولتهم ارتبطت في قيامها وتوسعها بخوارج المغربين الاقصى

والاوسط . فغالبية القبائل التي بايعت ادريس الاول كانت على مذهب الخوارج ، فزناطة وزواغة ولماية ولواته وسدراته ونفزه وهي اباضية المذهب رحبت بادريس الاول ودخلت في طاعته (٦٠٤) ، وان ظلت بعض بطوننا على مذهبها ولواتها لبني رستم . وكان على ادريس وحلفائه ان يدخلوا في صراع مع بني رستم اذا ما ارادوا التوسع شرقا لضم هذه البطون واستئصال شافة الخوارج في منطقة تلمسان واسافل شلف ، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل فيما يتعلق باباضية زناطة بالذات (٦٠٥) .

ففي سنة ١٧٣هـ (٧٨٩م) توجه ادريس الاول على رأس جيش للاستيلاء على تلمسان واخضاع مفرّاة وبني يفرن وغيرهم من الخوارج الصفرية والاباضية (٦٠٦) ، وتمكن من دخولها دون جهد كبير (٦٠٧) . ونجح في توحيد جموع زناته في غربي بلاد المغرب تحت لوائه ، واستولى على مدينة ذات أهمية استراتيجية خاصة - فتلمسان قفل بلاد المغرب (٦٠٨) ، وشهرة تجارية عريضة (٦٠٩) ، فضلا عن قوة بشرية كبيرة (٦١٠) سلخها عن نفوذ دولتي الخوارج .

ويبدو ان الامام عبد الوهاب الرستمي حاول استعادة نفوذه في هذه النواحي ، لكنه لم يجرؤ على غزو تلمسان (٦١١) . ولم يكن بوسعه سوى تأليب أصهاره من بني يفرن ، فقاموا بالثورة على الادارسة ، وطلبوا بمنأى عن نفوذهم الى أن اخضعهم ادريس الثاني سنة ١٩٧هـ (٨١٣م) . فدانوا له بالطاعة من جديد وتخلوا نهائيا عن مذهب الخوارج (٦١٢) . بل حاول زعماء مفرّاة وبني يفرن اغراء بني رستم للدخول في طاعة الادارسة ، فلم يستجيبوا ، وانصبوهم العداء ودخلوا معهم في حروب فتت في عضد بني رستم على عكس ما يذكره مارسيه من (٦١٣) « خروج تاهرت ظافرة من هذا الصراع » . فالتأيت أن الامامة الرستمية لم تقم بمحاولة جدية في هذا الصدد ، انما اقتصر الامر على مجرد اغارات محدودة قامت بها جماعات من نفوسة ردا على اعتداءات بني يفرن على رعايا الدولة الرستمية (٦١٤) .

وفضلا عن اغارات بني يفرن ومفرّاة على الاطراف الشمالية للدولة الرستمية ، حرص الادارسة على اثاره العراقل في تاهرت نفسها ، ولا يخامرنا

شك في أن أدريس الثاني كان من وراء تمرد الواصلية على عبد الوهاب الرستمى سنة ١٩٥هـ (٦١٥) (٨١١م) ، فمن المعروف ان طنجه كانت معقلا لواصلية المغرب (٦١٦) ، وأن أوروبة دانت بمذهب الواصلية ، كما أقبلت بعض بطون زناتة على اعتناقه كذلك (٦١٧) ، ومعلوم ان أوروبة كانت عصب دولة الادارسة ، وان ولاء زناتة الغرب تحول الى بني ادريس . وبديهي الاتقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلمهم في دولة الادارسة. وليس غريبا اقدام الادارسة على استغلال هذه الصلة في اثارة العراقيل أمام خصومهم من بني رستم ، مصداق ذلك قول ابي زكريا « فتكافت كلمسة الواصلية ، واجتمعوا من كل نقب ، وجاؤوا من كل اوب . . وأظهروا مخالفة الامام » . وأغلب الظن ان ثورات هواراة على الائمة الرستميين لم تخل كذلك من تحريض الادارسة ، فمواطنها الاصلية كانت داخل دولة الادارسة (٦١٨) حيث اتخذت من جبل ينجان معقلا وملذا حين تعرضت لبطش عبد الوهاب بن رستم . ومن المرجح ان تكون حركتها التي انتهت باستيلاء زعيمها محمد بن مسالة على السلطة في تاهرت سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤م) قد قامت بمساعدة آل ادريس وتحريض منهم .

ومن المحقق ان تلك المؤامرات التي امعن الادارسة في نسج خيوطها لم تقابل بادنى مبادرة من قبل بني رستم للرد عليها ، وذلك مما يشكك فسي تصور جوتييه (٦١٩) للعلاقات الرسمية الادارسية على أنها موجات من «الافعال وردودها» ، ولا محل لتصديقه في تحليل انشاء مدينة فاس بخوف ادريس الثاني من تأمر بني رستم على دولته بالتواطؤ مع العناصر الحانقة على آل ادريس داخل بلادهم .

لم يكن بوسع الائمة الرستميين مجاراة الادارسة في تدبير المكائد واحداث الشقاق ، كما عزفوا نهائيا عن محاولة استرداد نفوذهم المفقود فسي الاقاليم الشمالية والساحلية ، على الرغم مما حل بدولة الادارسة من ضعف وتفتت اثر وفاة ادريس الثاني سنة ٢١٣هـ (٦٢٠) (٨٢٨م) . فقد آلت تلمسان وما حولها الى آل سليمان (٦٢١) وأضحت ولاية حاضرة بين الدولتين . وقد تعرضت ولاية تلمسان للتجزئة والتمزق السياسي أيضا ، فقسمت الى

ثلاثة أقسام بين أبناء محمد بن سليمان ، اذ استقل ابنه محمد بمدينة تلمسان وعيسى بأرشقول ، اما جراوة فكانت من نصيب ادريس ثم آلت الى ابنه عيسى المكنى بأبي العيش (٦٢٢) . هذه الفرقة السياسية (٦٢٣) أفضت الى اضعافهم جميعا الامر الذي حدا بفورنل (٦٢٤) الى الاعتقاد باستعادة زناتة لنفوذها القديم في هذه الجهات . ومع ذلك لم تسلم الدولة الرستمية من أخطارهم ومؤامراتهم .

لقد ضعفت الدولة الرستمية بعد أفلاح بن عبد الوهاب ، وشغل أئمتها بأحداث تاهرت وما جاورها ، فاجتأ أمراء آل سليمان على اقتطاع بعض البلاد والقلاع التابعة لبني رستم (٦٢٥) ، كمدينة الخضراء وسوق ابراهيم وغيرها (٦٢٦) بعد البطش بسكانها من الاباضية (٦٢٧) دون ان يحرك أمة تاهرت ساكنا (٦٢٨) . وفضلا عن ذلك فقد أسهموا في إثارة الفتن والثورات التي أضعفت الحكم الرستمي في سنيه الاخيرة ، فبكر بن حماد - أخوه محمد بن حماد زعيم الثوار على أبي حاتم يوسف - كان على صلة مربية بأبي العيش عيسى بن ادريس العلوي حاكم جراوة (٦٢٩) ، وبأحمد بن القاسم بن ادريس حاكم مدينة كرت (٦٣٠) . ولما اخفقت الثورة واستعاد أبو حاتم الامامة هرب كثيرون من الثوار لائذين بآل سليمان والادارسة (٦٣١) .

هكذا - اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الادارسة بطابع العداء ، وأسفر الصراع بين الدولتين عن تطلب الادارسة واستكاثرة بني رستم .

ب - العلاقات الودية :

١ - بنو رستم واباضية الشرق :

سبق القول بأن اباضية الشرق عمدوا الى اساليب الدعوة السرية والتنظيم السياسي اثر فشل حركة عبد الله بن اباض التميمي في عهد مروان بن محمد الاموي ، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعائهم الى الامصار المتطرفة كخراسان وجنوبي الجزيرة العربية والمغرب لنشر المذهب الاباضي واقامة دولة اباضية خالصة . وأسفرت هذه الجهود عن فشل الدعوة في خراسان ، ونجاحها في الجزيرة العربية والمغرب .

ففي جنوبي الجزيرة العربية ، قامت دولة إباضية ضمت عمان واليمن وبعض أقاليم الحجاز برئاسة أبي عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق ، والتي سقطت سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨م) . غير أن فلول الإباضية تمركزوا في حضرموت برئاسة الجلندي الذي قتل سنة ١٣٤ هـ على يد الجيوش العباسية (٦٣٢) . ولم يحل ذلك دون قيام دويلات للإباضية في عمان ، كان آخرها إمامة الصلت بن مالك التي دالت سنة ٢٨٠ هـ (٦٣٣) (٨٩٦م) . وكانت هذه الحكومات الإباضية في عمان على نسق الدولة الرستمية في المغرب ومعاصرة لها . وكانت وثيقة الصلة بجماعة الإباضية الأم في البصرة ، فضلا عن مشايخ المذهب بمكة والمدينة (٦٣٤) ولم يكن هناك ثمة ما يحول دون التقاء إباضية عمان وإباضية المغرب - وأغلبهم من نفوسة (٦٣٥) - في مواسم الحج (٦٣٦) ، وإن كنا نشك في وجود صلات وثيقة بينهما ، فالمصادر خلو من ذلك تماما في الوقت الذي تزخر فيه بالكثير عن صلات إباضية البصرة بعمان وتأهرت وحرصهم على دعم الحكم الإباضي فيها (٦٣٧) .

لقد ظل التنظيم السياسي السري لإباضية البصرة قائما يتداول رئاسته فقهاء المذهب جيلا بعد جيل رغم عنف الضربات التي كالتها بنو العباس للخوارج في المشرق . واستمرت صلاتهم بإباضية المغرب إبان مرحلة الثورة وبعدها، لما جنحوا إلى الاستقرار السياسي وأقاموا دولة بني رستم .

وفي كلتا المرحلتين دأبوا على دعم إباضية المغرب ماديا وروحيا ، فأرسلوا إليهم الأموال ، وأفتوهم في مشاكلهم السياسية والمذهبية ، وتدخّلوا لتسوية خلافاتهم بإبداء النصائح وإرسال البعثات . كما حرص زعماء إباضية المغرب على الاستئثار بخبرة شيوخهم المشاركة في السياسة والحكم والاستزادة من تجاربهم في العلم وتفقههم في المذهب ، فدأبوا على إنفاذ بعوثهم للدراسة على مشايخ البصرة ، وحكّمهم فيما عن لهم من مشاكل وخلافات ، واستمدوا منهم الكتب والتأليف وخاصة ما تعلق منها بالمذهب الإباضي .

وقد سبقت الإشارة إلى دور أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في التنظيم والأعداد لإمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح ، ومتابعته لأحوالها ، وحرصه

على تجنب إباضية المغرب الخلاف والشقاق الذي سببته مسألة الحارث وعبد الجبار (٦٣٨) •

وبديهي ان تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بني رستم ، وحسبنا ان مؤسسها عبد الرحمن بن رستم تتلمذ في حلقة أبي عبيدة بالبصرة ، ونجاحه في تأسيس دولة اباضية بالمغرب اعتبر نصرا لاباضية المشرق أيضا ، فقد نظروا اليه باعتباره «امام الظهور» لسائر اتباع المذهب في كافة ارجاء العالم الاسلامي (٦٣٩) ويبدو ان جماعة هائلة من اباضية الشرق التجأوا الى تاهرت بعد انشائها هروبا من بطش بني العباس ورغبة في العيش في كنف الدولة الرستمية (٦٤٠) • فقد تطلع اباضية الشرق الى قيام دولة لهم تضم المشرق والمغرب معا (٦٤١) ، فانبروا يعضدون الدولة الرستمية ، وبأدروا بانفاذ المساعدات المالية ليستعين بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكل دولته أملين ان تكون نواة للدولة الكبرى المنشودة • وليس أدل على تعاطف ابن رستم مع اباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الاموال حين تدعمت دولته واشتد ساعدها (٦٤٢) •

كذلك جزعت جماعة المذهب في الشرق لما ظهرت الاضطرابات والانشقاقات في الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن وخاصة ما لمس الجانب المذهبي منها كانشقاقات النكار والخلفية وما انتهت اليه من افتراق الاباضية في المغرب • وجدير بالتنويه ان المتخصصين كانوا يحتكمون فسي خلافتهم الى مشايخ المذهب في الشرق ، فقد هادن يزيد بن فنديل - زعيم النكار - الامام عبد الوهاب ريثما ترد فتاوى المشاركة حول الامامة المشروطة، وسياسة الامام في تنصيب عماله (٦٤٣) • كما احتكم الامام عبد الوهاب وخلف بن السمع ايضا الى فقهاء المشاركة في مسألتي تعدد الائمة وحق الرعية في اختيار عمالها (٦٤٤) • ولم يتوان اعلام المذهب وفقهائه عن البت في تلك المسائل والقضايا • وعلى الرغم مما تصوره المصادر الاباضية من أن فتاوى المشاركة كانت في صالح الامامة ، فلا نعدم وجود ما يشير الى استيائهم من سياسة عبد الوهاب وانتهاكه لتعاليم المذهب وخروجه على احكامه (٦٤٥) • وعلى أية حال ، فان حرصهم على تحاشي الشقاق ورأب الخلاف أفضى بهم

الى تهدة الخواطر بإسداء النصح لاطراف النزاع جميعا (٦٤٦) .

كان حرص رؤساء التنظيم الام في البصرة على استمرار الامامة فسي تاهرت ودعما شغلهم الشاغل ، فقد افتوا بجواز تقاعد الامام عن الحج حرصا على سلامته (٦٤٧) ، كما كلفوا انفسهم مشقة نسخ آلاف التأليف والتصانيف لتزويد المكتبة «المعصومة» بتاهرت بها (٦٤٨) . ولا غرو فقد وجدت هذه الكتب اقبالا لدى الاباضية المغرب ، فاقبلوا على دراستها ، وتصدوا للانحرافات المنهجية وخروج الائمة في سياساتهم عن تعاليم المذهب (٦٤٩) على هدى ما ورد فيها .

كما حرص المشاركة على انفاذبعوئهم لتنقد أحوال الدولة الرستمية (٦٥٠) والتدريس في مساجدها (٦٥١) والافتاء في مشاكلها وقضاياها (٦٥٢) . فضلا عن ذلك فقد نقلوا معهم الى المغرب تقاليد الحضارة والفن الشرقي (٦٥٣) .

ومن المعروف أن المتاجر والسلع الشرقية كانت ترد الى تاهرت عن طريق الاباضية المشاركة ، فيخبرنا الشماخي (٦٥٤) أن الربيع بن حبيب - خليفة أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة - كان يبعث أخاه بصحبة ما يحتاجه الامام عبد الوهاب من صنوف البضائع والسلع الشرقية .

والصادر خلو من اية اشارة الى استمرار هذه العلاقات بعد امامة عبد الوهاب ، باستثناء اشارة عابرة اوردها بعض مؤرخي الاباضية (٦٥٥) عن اهتمام أفلح بن عبد الوهاب بتأليف اعلام المذهب من المشاركة - وخاصة ما كتبه ابو سفيان محبوب بن الرحيل - وحضه رعيته على اتباع سننهم . ولو صح ذلك ، لكان أفلح آخر أئمة بني رستم الذين اعترف جمهور الاباضية بامامتهم كما يذهب الورجلاني (٦٥٦) . ونعتقد ان استياء اعلام المذهب في الشرق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور الى رفض وانكار لامامة خلفائه ، فقد تحولت الامامة الى ملك وراثي ، وضاعت هيبتها ، وامتهنت رسوما ، فكان ذلك قمينا بعزوف اباضية الشرق عن مناصرة الدولة الرستمية والاتصال بحكامها .

٢ - بنو رستم وأمويو الاندلس :

اتخذت علاقات بني رستم بأموي الاندلس طابعا وديا رغم اختلافهما مذهبيا . فقد أوجبت الضرورة السياسية عقد أواصر الصداقة بين تاهرت وقرطبة ، اذ اشترك الطرفان في عداء بني العباس والاغالبة والادارسة (٦٥٧) ، وكان الاغالبة على وجه الخصوص خطرا عليهما معا ، فلم يكن ثمة بد من اتصال بني رستم بأحدى القوى الكبرى ، المعاصرة كما كان أمويو الاندلس ينشدون عقد صلات مع القوى المناوئة لبني الاغلب في المغرب ، ومن ثم التقي الطرفان حول مصالحهما السياسية المشتركة رغم خلافاتهما المذهبية والتاريخية .

وقد بالغ فورنل (٦٥٨) وماسكراي في تقدير مدى ما وصلت اليه هذه العلاقات ، فقالا بوجود « تحالف سياسي رسمي » بين تاهرت وقرطبة ضد عدوهما المشترك ، وبرر فورنل ومارسيه (٦٥٩) ذلك بما « كان من تحالف تقليدي بين أموي الاندلس وبين بربر زناتة الذين كانوا عصب الدولة الرستمية » والثابت ان دولة بني رستم قامت على اكتاف قبائل نفوسة وهوارة ولواته ولماية وغيرها (٦٦٠) ، بينما تحولت قبائل زناتة من مغراوة وبني يفرن - الضاربة في شمالي الدولة الرستمية - عن ولائها لبني رستم ودانت بالطاعة للادارسة (٦٦١) . ومن ناحية أخرى لم تعتمد علاقات بني رستم ببني أمية بالاندلس صلات الود وتبادل السفارات والهدايا - ولم تصل قط الى درجة التحالف أو القيام بعمل سياسي أو عسكري مشترك ضد اعدائهما ، رغم تعرض الدولة الرستمية لاغارات الاغالبة والادارسة ، وتهديد الاغالبة للنفوذ الاندلسي في حوض البحر المتوسط الغربي .

وقد أرجع بعض المؤرخين (٦٦٢) بداية هذه العلاقات الى وقت مبكر وذكروا ان عبد الرحمن بن معاوية الاموي « لاذ ببلاط بني رستم حينما من الدهر قبل اجتيازه الى الاندلس » ، وأكد مرسييه (٦٦٣) - اعتمادا على المقرئ - أنه قضى زمنا في تاهرت ونواحيها قبل رحيله الى الاندلس . وقول مرسييه هذا صحيح اذا كان يعني تاهرت القديمة ، وليست تاهرت التي أقامها ابن رستم سنة ١٦٦هـ (٧٧٨م) فمن الثابت أنه نزل عند قبيلة نفزة الضاربة بتلك النواحي وقضى هناك زمنا عند أخواله (٦٦٤) ، ثم اجتاز الى

الاندلس سنة ١٣٨هـ (٦٦٥) (٧٥٥م) . وقد حاول الميلي (٦٦٦) تبرير قول دوزي ومؤنس ، فذكر ان عبد الرحمن بن رستم أجاز عبد الرحمن الاموي الى قبائل المغرب الاوسط اعتمادا على نفوذه هناك قبل تأسيسه تاهرت . لكن رواية دوزي ومؤنس وتفسير الميلي فيها مبالغة ، فعبد الرحمن بن رستم فضلا عن عدم تأسيسه دولته في الوقت الذي وطأ فيه عبد الرحمن الاموي أرض المغرب سنة ١٣٣هـ (٧٥١م) ، لم يكن له نفوذ في بلاد المغرب الاوسط آنذاك ، فصلاته بقبيلة لماية بالمغرب الاوسط لم تقم الا بعد ولايته القيروان كئالب لابي الخطاب المعافري سنة ١٤١هـ (٦٦٧) (٧٥٨م) . ويخيل اليانا الامر التيسر على دوزي ومن نقل عنه ، فخلطوا بين شخصيتي عبد الرحمن بن رستم وعبد الرحمن بن حبيب أمير افريقية في ذلك الحين (٦٦٨) .

والمعقول ان تكون تلك الصلات قد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن بن رستم الى المغرب الاوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فيبدو ان ابن رستم استعان بخبرة الاندلسيين في انشاء المدن وتعميرها ، ولا غرو فقد سمي أحد أبواب المدينة « باب الاندلس (٦٦٩) » وان كان بروفنسال (٦٧٠) قد تشكك في وجود مثل تلك الصلات المبكرة ، لكن وجود مغاربة اباضية في بلاد الاندلس اذ ذاك يرجح ما ذهبنا اليه ، فقد غص اقليم الجزيرة بالكثيرين منهم ، ومنهم من تقلد بعض الوظائف العامة في امارتي عبد الرحمن الاول وابنه هشام (٦٧١) . ويبدو ان نفوذ هؤلاء الاباضية - ومنهم بعض أفراد البيت الرستمي (٦٧٢) قد ازداد بدرجة استنارت الاندلسيين في عهد الحكم الاول ، فانبرى الشعراء يهيبون به البطش بهم (٦٧٣) ، فخرج اليهم بنفسه ونزل الجزيرة « وحمل السيف على أكثر أهلها (٦٧٤) » .

وهذا يفسر قول ابن حبان (٦٧٥) بترحيب عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم بالثائرين على الحكم الاموي ، وتشجيعه لعبد الله البلنسي - عم الحكم - للوثوب على الامارة في قرطبة وانتزاع الحكم من ابن أخيه .

وزالت تلك الجفوة بين تاهرت وقرطبة بعد وفاة الحكم سنة ٢٠٦ هـ

(٨٢١م) ، وعادت الصلات الودية الى سابق عهدها في عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ (٦٧٦)) (٨٢١ - ٨٥٣م) ، فقد نقل بروفنسال (٦٧٧) عن ابن حيان ان عبد الوهاب الرستمي أوفد سفارة من أبنائه الثلاثة - عبد الفني ودحيون وبهرام - لتجديد أواصر الود مع عبد الرحمن وإن الاخير رحب بهم وابتهج لمقدمهم * وذكر ابن سعيد (٦٧٨) انه أنفق عليهم « ألف دينار » فضلا عن الهدايا والالطاف التي انعم بها عليهم قبل رحيلهم الى بلادهم *

واستمرت صلات المودة بعد موت عبد الوهاب بن رستم ، فعول عيسد الرحمن بن الحكم على « وصول البعوث الى دار المغرب (٦٧٩) » ، فوجدت في بلاط أفلح بن عبد الوهاب ايما ترحاب * وقرب الامير الاندلسي اليه كثيرين من آل البيت الرستمي ، واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقواد ، ونعرف ان شخصا يدعى عبد الرحمن بن رستم ولي الحجابة لعبد الرحمن الثاني (٦٨٠) ، وفيل الوزارة (٦٨١) في رواية أخرى * ويخبرنا ابن الدلائي (٦٨٢) ان الامير الاندلسي فوض قائده محمد بن سعيد بن رستم سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٩م) فسي قتال المجوس ، وقد تمكن بالفعل من ألنجاح في مهمته (٦٨٣) *

وتوطدت عرى الصداقة بين أفلح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن الاندلسي (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) (٦٨٤) (٨٥٣ - ٨٨٧م) ، فقد استقرت امور الاندلس في عهده وازدهرت احوالها (٦٨٥) ، وتطلع نحو بلاد المغرب لتدعيم صلاته مع تاهرت وسجلماسة (٦٨٦) * وقد زعم بروفنسال (٦٨٧) ان الامير محمد بعث بهداياه الى تاهرت حينما تقلد أفلح بن عبد الوهاب الامامة ، كما بعث اليه بأخبار انتصاره على المجوس عند نهر الوادي الكبير سنة ٢٣٠ هـ (٨٥٥م) * لكن أفلح تولى الامامة في تاهرت سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢م) ولم يتقلد الامير محمد حكم الاندلس قبل سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٣م) * وهذا ايضا مما يخطيء قوله عن هزيمة المجوس على يديه ، فالراجع ان ذلك لم يحدث الا سنة ٢٤٦ هـ (٦٨٨) (٨٦١م) * ولو صح ان الامير الاندلسي أرسل الى صديقه الرستمي بأنباء انتصاراته سنة ٢٤٦ هـ ، فان أفلح كان سباقا في هذا الصدد ، اذ بادر بارسال خبر احراقه مدينة العباسية التي بناها الاغالبة سنة ٢٣٩ هـ

(٨٥٤م) الى الامير محمد وتقربا اليه ، فبعث اليه الاموي مائة ألف درهم (٦٨٩م) ،
دليلا على اغتباطه وامتنانه ، وتأكيذا لواصل الصداقة في مواجهة الخطر
المشترك (٦٩٠) .

وظلت هذه العلاقات الودية قائمة بعد موت أفلح على الرغم مما تعرضت
له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسي ، ومع ذلك فلا محل لتصديق
قول ابن عذارى (٦٩١) - ومن نقل عنه (٦٩٢) - عن دخول الامام الرستمي
أبي اليقظان محمد في طاعة الامير محمد الاندلسي . والمعقول ان يكون الامام
الرستمي قد ناشد صديقه أمير قرطبة العون ضد خصومه ليس الا . وعلى
كل حال ، لم يظهر أبو اليقظان بطائل ، اذ غرقت الامارة الاندلسية في ذلك
الحين وحتى بداية حكم عبد الرحمن الناصر في مشاكلها الداخلية (٦٩٣) .
على ان تقاسم الامير محمد عن مساعدة صديقه لم يكدر صفو علاقتهما ، فظلت
صلات الود مرعية بين الطرفين ، وليس أدل على ذلك من اسراع عمر بن
حفصون - الثائر على أمراء قرطبة - بمغادرة تاهرت خشية ان يقبض عليه
امامها ويسلمه لصديقه أمير قرطبة ، وكان ابن حفصون قد نزل تاهرت لانذا
بصديق له من بلدة رية ومقيم بتاهرت (٦٩٤) .

بل نعتقد انه برغم تدهور أحوال الامامة الرستمية بعد أبي اليقظان
محمد ، وانشغال الامارة الاموية بالاندلس بمواجهة الثورات التي تفاقمت
خلال عهدي المنذر بن محمد وعبد الله بن محمد ، فقد أوجبت الضرورة
السياسية مزيدا من توثيق الصلات بين تاهرت وقرطبة . فقد استبدل الخطر
الاغلبي بخطر جديد لاحت نذره. مهددا كالفى القوى السياسية في المغرب
والاندلس على السواء ، وهو الخطر الفاطمي . وهذا ما حدا بأمرأ قرطبة الى
بث عيونهم في بلاد المغرب والاستعانة باصدقائهم حكام تاهرت في تفصي
أخبار الشيعة ومتابعة نشاطهم والاعداد لمواجهتهم (٦٩٥) . وبديهي أن يفكر
الرستميون الاواخر في الاستعانة بقرطبة للقيام بعمل مشترك ضد الخطر
الشيوعي (٦٩٦) . لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فقد سقطت الدولة الرستمية
بتاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، وبمدها سقط بنو مدرار والادارسة ، وفتح

المغرب برمته على يد الشيعة الفاطميين ، ولم يتم حكام قرطبة بجهود لمجابهتهم الا في عهد عبد الرحمن الناصر (٦٩٧) والحكم المستنصر ، ولا يخفى ما كان من اتصال الحكم المستنصر بالاباضية النكار الذين تصدوا لمقاومة الفاطميين بعد سقوط الدولة الرستمية (٦٩٨) .

وهكذا - تأثرت علاقات بني رستم - الى حد كبير - بظروف دولتهم الجغرافية ومذهبهم الديني ومصالحهم السياسية والاقتصادية .

الباب الرابع

الخوارج والفاطميون في بلاد المغرب

١ - الصفرية والفاطميون

١ - الفاطميون وسقوط دولة بني مدرار :

ارتبطت نهاية دولتي الخوارج في المغرب بظهور الدعوة الفاطمية ، فقيام الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) تم على أنقاض الدول المستقلة في المغرب ، ومن بينها دولتي بني مدرار وبني رستم الخارجيتين .

ومن المعروف ان بلاد المغرب كانت ميدانا للدعوة الفاطمية منذ وقت مبكر ، فقد عهد محمد الحبيب المقيم بسلمية - من أرض حمص - الى اثنين من دعاة بيت دعوته في بلاد كتامة ، ونجحا في التمهيد لما قام به أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي فيما بعد (١) . واستطاع أبو عبد الله الشيعي الذي نزل بلاد المغرب سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م) أن ينشر دعوته بين قبائل كتامة ، كما نجح في اعداد جيش (٢) منهم تمكن بفضل من مناجزة دولة بني الاغلب في افريقية سنة ٢٨٩هـ (٩٠٢م) ولم يمض وقت طويل حتى دانست لنفسه معظم أقاليمها الغربية .

وبعث أبو عبد الله في استدعاء مولاة عبيد الله المهدي سنة ٢٩٢هـ (٩٠٥م) ، فخرج اليه « يتصدى للسلطان ويخاطر في طلب الملك (٣) » برفقة

خاصته وثقافة رجاله (٤) . وأفلت من عمال بني العباس وعيونهم في مصر والمغرب لما بذله من أموال وهبات (٥) ، فضلا عن تشجيع بعض هؤلاء العمال لآل البيت (٦) . ووصل المهدي الى طرابلس ، وأنفذ أبا العباس محمد بن زكريا - أخ أبي عبد الله الشيعي - بصحبة بعض رجال كتامة الى أخيه ليعرفه بوصوله . وآثر الانتظار بطرابلس . لكن أبا العباس وقّع في أسر بني الاغلب (٧) ، فاضطر المهدي لمغادرة طرابلس الى قسطنطينية - ببلاد الجريد - وأحجم عن التوجه الى الشيعي بكتامة خوفا على حياة أخيه (٨) . ولما علم بأن زيادة الله الاغلب أرسل كتابا الى والي قسطنطينية في طلبه غادرها على التو ، ويم وجهه شطر سجلماسة في أقاصي الصحراء ليأمن شر الاغلبة وعمالهم (٩) .

وكان على المهدي أن يجتاز أراضي الدولة الرستمية كيما يصل الى سجلماسة ، فمر بوارجلان - شمالي سدراته - وهناك اكتشف أمره ، ولقي عنقا من أهلها (١٠) ، فغادرها الى سجلماسة (١١) .

ونزل المهدي بسجلماسة على أميرها اليسع بن مدرار ، ونعم هناك بحياة آمنة لما قدمه اليه من أموال وهدايا ، « فقرّبه اليسع وكف عنه (١٢) » . كما حظي باحترام أهل المدينة واجلالهم (١٣) ، وعاش طليقا منكما ، فسكن القصور واقتنى الخدم والاتباع (١٤) . ويخيل اليّنا أن التشيع وجد طريقه الى سجلماسة قبل مقدم المهدي ، ومن المؤكد انه لم يعدم أنصارا وأتباعا ييسن سكانها، فذلك ما توحى به بعض الروايات الشيعية (١٥) وغير الشيعية (١٦) . ولا غرو فقد كانوا يلجأون اليه للافتاء فيما عن لهم من مسائل فقهية ودينية (١٧) الا أن أبا زكريا بالغ في اظهار مكانة المهدي في سجلماسة الى حد الزعم بتوليّه الوزارة لليسع بن مدرار ، ومبايعة أهل سجلماسة له بالامارة بعد موت اليسع، وامتداد نفوذه حتى مدينة فاس عاصمة الادارة والظاهر ان هذه الرواية تخطئ بين مكانة المهدي أبان سني اقامته الاولى في المدينة ، وبين نفوذه غداة توليه الخلافة سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، ومع ذلك فلا تخلو هذه الرواية من دلالة على ما تمتع به المهدي في سجلماسة من هيبة ونفوذ خلال السنوات الثلاث الاولى من اقامته بها .

ولكن جد من الاحداث ما جعل اليسع بن مدرار ينكب المهدي ورجاله ويودعهم السجنون . والمصادر تختلف في أسباب ذلك ، فيذهب البعض (١٩) الى أن اليسع قبض على المهدي اثر رسالة من الامير الاغليبي زيادة الله الثالث، وقيل من الخليفة العباسي المعتضد (٢٠) أو المكتفي (٢١) ، بينما رجح اخرون (٢٢) ان الرسالة وصلتته من الخليفة العباسي والامير الاغليبي معا .

ومهما كان الامر فهذه الرسائل لا تنهض دليلا على ولاء اليسع بن مدرار لامير افريقية أو لخليفة بغداد كما ذهب البعض (٢٣) وأنه بسبب هذا الولاء قبض على المهدي وأودعه السجن ، فتمة احتمال ان يكون ليهود سجلماسة دور في هذا الصدد ، والظاهر انهم أوعزوا الى اليسع بالقبض عليه (٢٤) بعد أن أخبروه بأن أبا عبد الله الشيعي قام بدعوته من أجله ، فقد عاشت أقلية يهودية في دولة بني مدرار وهيمنت على مناجم الفضة في درعة وتجارة الذهب مع الجنوب (٢٥) . ومن الطبيعي أن يجدوا في الخطر الشيعي تهديدا لمصالحهم ، ولهذا تعرضوا للمسئ والاضطهاد اثر سقوط سجلماسة في يد الشيعة (٢٦) . وسواء أكانت الخلافة وعمالها أو يهود سجلماسة هم الذين نبهوا اليسع الى ضرورة القبض على المهدي ، فالذي لا شك فيه ان الامير المدراري استجاب للامر حرصا على سلامة دولته ليس الا بعد ان أدرك ان أبا عبد الله الشيعي يدعو اليه . فكان قبض اليسع على المهدي اذن من قبيل التوافق غير المقصود بين أهداف العباسيين والاغالبة وبين مصالح بني مدرار التي تهددها خطر الشيعة الاسماعيلية .

لقد كان اليسع يدرك أن المهدي علوي (٢٧) ، لكنه لم يقف على حقيقة علاقته بالدعوة الشيعية في المغرب (٢٨) . فلما نبه اليها ، استدعى المهدي وابنه « واستراب بهما » (٢٩) ، وسأل المهدي عن « نسبه وحاله ، وهل اليه قصد أبو عبد الله ؟ » ، فاعترف المهدي بالنسب اذ لم يسعه انكاره ، لكنه أنكر صلته بأبي عبد الله الشيعي ، وكذلك فعل ابنه (٣٠) ثم امتحن رجاله بالعذاب ، فلم يعترفوا (٣١) ، وهم باطلاق سراحهم لولا اعتراف أحدهم ويدعى أبو يعقوب البهرماني (٣٢) . عندئذ تحفظ على المهدي في منزل أخته ، وسجن أبا القاسم في إحدى حصون سجلماسة (٣٣) ، « ولم يكن منه في حقهما ما

يكره « (٣٤) ، « فكانا مبجلين معظمين في منزلئهما » (٣٥) . وليس أدل على ذلك من السماح للمهدي بالاتصال من سجنه ببعض أصحابه وأنصاره ، فكان هؤلاء همزة الوصل بينه وبين داعية أبي عبد الله الشيعي في كتامة .

وجدير بالتنويه أن الشيعي نجح في تتبع أخبار المهدي منذ وصوله الى بلاد المغرب « فكانت كتبه تترى بطلبه حيثما نزل » (٣٦) ، وكانت رسله على اتصال به بعد نزوله سجنلماسة تحمل اليه الاموال والهدايا وتخبره بأنباء انتصاراته في حروبه مع الاغالبة (٣٧) . ولم ينقطع هذا الاتصال بعد سجنه ، فقد كتب الشيعي الى المهدي بعد هزيمته لجيش الاغالبة بقيادة ابراهيم بن حبشي ، وسير الكتاب مع أحد ثقائه ، فدخل السجن متخفيا في زي قصاب يبيع اللحم ، وأوصل الكتاب للمهدي (٣٨) . وذكر جعفر الحاجب (٣٩) أن المهدي اصطفى أحد التجار القيروانيين في سجنلماسة - ويدعى المطليبي - وكان متشيعا ، وعهد اليه بمهمة مرافقة الشيعي عند قدومه لتحريره من سجنه بسجنلماسة . ويخبرنا صاحب كتاب الاستبصار (٤٠) ان المهدي لما أودع السجن بعث لداعيته بكتامة يستنفره لاتقاذه .

على ان الشيعي ما كان بمكنته أن يخف لئجلة المهدي قبل انتهاء صراعه مع الاغالبة فلما قضى على حكمهم في افريقية سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) ، شرع على التو في القضاء على بني رستم وبني مدرار (٤١) . واستخلف على القيروان أخاه أبا العباس وجعل معه أبا زاكي تمام بن معارك (٤٢) ، وخرج من رقاده في منتصف رمضان من نفس العام في جيوش عظيمة يرافقه كبار أصحابه (٤٣) . فاهتزت قبائل المغرب الاوسط لخروجه ، وخافته زناتة ، وبادرت القبائل بالدخول في طاعته (٤٤) . ثم عرج على تاهرت واستولى عليها (٤٥) وهو في طريقه الى سجنلماسة .

وبعث الشيعي برسله الى اليسع يتلطفه ويعدده بالانصراف عن بلاده اذا ما أطلق سراح المهدي (٤٦) ، فقتل اليسع الرسل ولم يجبه الى طلبه . وعادو الشيعي سياسة الملاينة متجنباً ذكر المهدي « تقية عليه » ، فقتل اليسع الرسل للمرة الثانية (٤٧) . فلم يجد الشيعي بدا من ضرب الحصار على سجنلماسة (٤٨) ، وقد اشتهر ببراعته في عمليات الحصار في حروبه حتى

لقبه المحدثون (٤٩) بالمحاصر **Poliorcete** • والتحم اليسع بن مدرار بجيوش الشيعة الذي قتل كثيرين من رجاله ، وكاد ان يظفر به لولا حلول الظلام • فعاد بعسكره الى خارج المدينة (٥٠) مهموما خوفا على حياة المهدي ، بينما لاذ اليسع بالهرب (٥١) •

والواقع ان ثمة خلاف بين المؤرخين حول مصير المهدي ، فمنهم (٥٢) من يؤكد سلامة المهدي لاشتباه اليسع في شخص اخر - يدعى بسطام - واعتقاده بأنه هو الذي يدعو له عبد الله الشيعي ، فلذلك لم يستجب لنصيحة أصحابه بقتله المهدي ، وأطلقه مع من اشتبه فيهم من الاسرى لينجو بنفسه • ومنهم (٥٣) من ذهب الى أن اليسع قتل المهدي قبل هربه « وان الشيعة حين اقتحم المدينة في صبيحة اليوم التالي ، وجد المهدي مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه - قيل انه يهودي (٥٤) - فخاف أبو عبد الله أن تنتفض عليه كتامة ورجاله ، فأخرج الرجل الى المساكر وقال هذا هو المهدي » • وقد تصدى مأمور لتجريح هذه الرواية على أساس عداة ابن خلكان للفاطميين ، وساق في ذلك عددا من الأدلة (٥٥) • ومع ذلك لا تزال مسألة مصير المهدي من مشكلات التاريخ الاسلامي • والحاصل - وفقا لغالبية المصادر - ان اليسع ابن مدرار غادر سجلماسة سرا مع أهله وذويه لاثدا بصنهاجة في جوف الصحراء (٥٦) ، بينما شغل أبو عبد الله الشيعي عنه - الى حين - بتحريض المهدي •

ولدينا روايتين ايضا عن كيفية تحرير المهدي ، احدهما (٥٧) ترجع قدوم المهدي الى داعيته في مقره خارج المدينة والتقاءه به • والاخرى (٥٨) تذهب الى أن أهل سجلماسة خرجوا في الصباح الى الشيعة وأخبروه بهرب اليسع ، وأرشدوه الى مكان المهدي والقائم ، حيث أطلق سراحهما •

وأيا ما كان الامر ، فبعد تحرير المهدي والاحتفاء به ، أنفدت الخيل في اثر اليسع بن مدرار • وذكر ابن عذاري (٥٩) ان قوما من البربر - يعرفون ببني خالد - قبضوا عليه وسلموه الى أبي عبد الله الشيعي تقربا اليه • وسبق اليسع الى المهدي حيث عذب وشهر به في سجلماسة هو ومن معه ، ثم أمر المهدي بقتلهم جميعا ، فقتلوا (٦٠) • وصادر المهدي أموال بني مدرار (٦١) ،

ونهبت كتامة المدينة ، وأرغم غالب سكانها على مبارحتها (٦٢) ، ولم تجد نفعا توصلات شيوخها الى المهدي ليكف رجاله أيديهم عنهم (٦٣) . ولقي اليهود - بصفة خاصة - على أيدي المهدي ورجاله عنتا شديدا ، فتعرضوا لشتى أنواع العذاب اعتقاداً بأن لهم يد في الواقعة بين المهدي واليسع بن مدرار - فقتل أثرياًؤهم ونهب أموالهم ، وأرغم من بقي منهم على احترام المهن الوضيعة (٦٤) . ثم أمر المهدي باحراق سجلماسة ، فأضرمت فيها النيران (٦٥) .

وغادر المهدي سجلماسة الى رقادة في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) بعد أن بويع بالخلافة فيها (٦٦) - وبعد أن عين عليها واليا من قبله (٦٧) . وهكذا سقطت دولة بني مدرار على يد الفاطميين سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م)، بعد انتصارات كتامة على مكناسة ، وتغلب البرانس على البتر ، وهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة .

ب - ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي :

اندلعت ثورات الصفرية في سجلماسة على اثر رحيل المهدي عنها الى رقادة سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) . ولم تفلح سياسة القمع والعنف التي لجأ اليها الفاطميون بانفاذ حملاتهم الفينة بعد الاخرى الى سجلماسة ، ولا سياسة اللين والدهاء باصطناع بعض أفراد البيت المراري وتنصيبهم ولاة يحكمون باسمهم، في دعم النفوذ الفاطمي في تلك الانحاء وتحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبني مدرار .

فقد تضافرت عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية لتزيد في عداة الخوارج الصفرية للحكم الفاطمي الشيعي واستمرار ثوراتهم عليه . فمن الناحية السياسية ، لم يرضخ الخوارج الصفرية لولاة الفاطميين بعد أن ألفوا الاستقلال السياسي في كنف دولة بني مدرار لما يزيد على قرن ونصف قرن من الزمان . وبديهي - وقد تاصلت فيهم نزعة الاستقلال أن يرفضوا الاذعان لحكم ولاة غرباء تسندهم حاميات من الجند الكتامي (٦٨) .

ولا ريب في أن الظروف السياسية في بلاد المغرب وقتذاك ساعدت على تفاقم هذه الثورات ، فقد شغل الفاطميون بمواجهة المشكلات العديدة التي واكبت قيام دولتهم عن الاهتمام بدعم نفوذهم في سجل ماسة بأقصى الصحراء . ولعل من أهم هذه المشكلات احتدام الصراع بين المهدي وأبي عبد الله الشيعي ، وما سببه اغتيال الشيعي من خلاف كتامة على المهدي وثورته عليه ، وما تجشمه الأخير من مشاق لقمع هذه الثورة (٦٩) . ومن ناحية أخرى تضعف النفوذ الفاطمي في المغرب الأقصى باستمالة عبد الرحمن الناصر الاندلسي لمغراوة وبني يفرن الذين ألحقوا عدة هزائم بالجيوش الفاطمية سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) ، سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) (٧٠) ، كما استولت جيوشه على مليلة وسبتة - من موانئ المغرب الأقصى - سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) وسنة ٣١٩هـ (٩٣١م) على التوالي . ودخل موسى بن أبي العافية أمير فاس في طاعته وعمل على استمالة أهل الصدوة المجاورين له (٧١) . وبذلك أصبح الجزء الأعظم من شمال المغرب الأقصى ، ومساحات شاسعة من المغرب الأوسط بمنأى عن سيادة الفاطميين ، وظل النفوذ الأموي قائما بالمغرب الأقصى حتى سقوط الخلافة الأموية بالاندلس ، وإذا كنا لا نجد من الشواهد والقرائن ما ينم عن تضامن الصفرية في المغرب مع أموي الاندلس بعد سقوط دولة بني مبرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، إلا أنه لا شك في أن تغفل النفوذ الاندلسي في المغرب الأقصى مكن من اندلاع ثورات الصفرية بسجل ماسة على الحكم الفاطمي .

وكانت سياسة الفاطميين الاقتصادية الجائرة من أهم الدوافع لقيام هذه الثورات ، فقد انتهج الفاطميون سياسة مالية متعسفة ، وما لبث المهدي أن تخلى عن سياسة داعيته أبي عبد الله الشيعي المعتدلة (٧٢) ، فاستولى على أموال الإحباس والحصون (٧٣) ، واشتط في جمع الضرائب وتفنن في زيادتها (٧٤) . وقد تعرضت سجل ماسة للسلب والنهب على يد رجاله كما كانت ثروات أهلها ، ومناجمها الفنية بالفضة مطعما لجيوشه (٧٥) . وقيل أن المهدي « تحصل له من التبر ومن الحلي وقرمات وعشرين جملا أدخلها رقادة (٧٦) » .

ومما دفع صفرية سجل ماسة إلى الثورة أيضا إصرار الفاطميين على نشر

المذهب الشيعي ، فقد ذكر ابن عذارى (٧٧) ان المهدي « أظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي وأزواجه ومنع الفقهاء أن يفتي أحدهم الا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد ، منه سقوط الحنث عن طلق بالنية ، واحاطة البنات بالميراث .. ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر فاستجازه » . ومع ما انطوى عليه قول ابن عذارى من مبالغة ، فالثابت ان المهدي عمد الى نشر مذهبه بعد السيف (٧٨) ، وغير من النظم والاحكام بما يتمشى وتعاليم المذهب الاسماعيلي . وبديهي أن يفزع صفرية سجلماسة من هذه السياسة الدينية حتى ليذهب دأشراوي (٧٩) الى أن حركة الشاكر لله سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م) قامت أساسا لمناهضة سياسة الفاطميين الدينية . ولا مراء في أن الصفرية من الخوارج فضلا عن عدائهم المقيت للشيعية ، نظروا في انكار وربة الى سياسة الفاطميين الدينية فاعتقدوا أنهم « يدفعون نبوة محمد (ص) ويدعون النبوة بعده ، ويدعون سننه وشريعته ويدعون الى غيرها (٨٠) » بل ارتبطت العقائد الاسماعيلية في تصورهم بالخرافات والاساطير فاعتقدوا أنهم « يعبدون رأسا عندهم يكلمهم ويسجدون له من دون الله ، وان هذا الرأس ينثر من فيه الدنانير (٨١) » . ولما كان الصفرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا في محاربة مخالفينهم ، فلم يتوانوا عن الجهر بعدواتهم للفاطميين ، والتمرد على أحكامهم ، ومناهضة عمالهم .

وقد كان تعصب الفاطميين لكتامة وصنهاجة واختصاصهم بالمناصب العليا في دولتهم سببا في تعميق عداوة مكناسة الصفرية لهم ، فقد أثاروا بسياستهم تلك الصراع بين البربر بترا وبرانس (٨٢) ، اذ لا يخفى أن غالبية صفرية المغرب كانوا من البربر البتر من مكناسة وزناتة وغيرها ، بينما قامت دولة الفاطميين بالمغرب على اكتاف كتامة من قبائل البرانس ، ومن ثم لم يكن من المقبول أن يرخص صفرية سجلماسة لعامل المهدي من كتامة وحاميته التي بلغت خمسمائة فارس من رجالات كتامة أيضا (٨٣) .

ولا شك في أن الظروف الجغرافية أيضا ساعدت صفرية سجلماسة على القيام بثوراتهم ، فكانت مدينتهم في اقاصي الصحراء (٨٤) ، والطرق الموصلة اليها من افريقية وعرة . لذا تقاعس الجند الفاطمي عن التوجه لقمع

تلك الثورات • ويخبرنا ابن حيون ان الكتامين كانوا يتشاقلون عن القيام بهذه المهام متذرعين بعدد سجلماسة ومشاق الطريق اليها رغم ما كان يبذله الخلفاء لهم من وفيير المعطاء ومسؤول الوعود •

قصارى القول ، فان اشتطاط الفاطميين في سياستهم الاقتصادية وتعصبهم المذهبي واحيائهم النعرات القبلية ، وعلامة الظروف السياسية والجغرافية في المغرب الأقصى ، كل هذه العوامل دفعت الصفرية الى الثورة على الحكم الفاطمي ونبذ مذهبهم الاسماعيلي ، والتشبث بالولاء لآل مدرار •

والواقع ان حكم الاسرة المديونية لم يزل بعد مقتل اليسع بن مدرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) كما اعتقد بعض المؤرخين (٨٥) ، وانما ظل قائما في سجلماسة متأرجحا بين الولاء والعداء للفاطميين ، واذا كان الفاطميون قد أفلحوا أحيانا في استمالة بعض افراد البيت المديوني والاعداق عليهم وتنصيبهم عمالا من قبلهم ، فان معظم المديونيين ثاروا على الفاطميين ورفضوا الاذعان لحكمهم واستقلوا بأمر سجلماسة عن نفوذهم •

فبعد مقتل اليسع بن مدرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، ولّى عبدة الله المهدي على سجلماسة قائمه ابراهيم بن غالب المراتي ، وترك معه خمسمائة فارس من كتامة (٨٦) • وما ان قفل المهدي متوجها الى رقادة حتى ثار الصفرية على عامله وقتلوه (٨٧) هو وجنده في نفس العام (٨٨) •

وبايعوا الفتح بن ميمون الملقب بواصول (٨٩) من بني مدرار • ولم يستطع المهدي استعادة نفوذه على سجلماسة لانصفاله بمواجهة الاضطرابات في افريقية بعد اغتياله الداعية أبي عبد الله الشيعي ، فاستقر الامر للفتح بن ميمون « تحت تقية من مطالبة الشيعي (٩٠) » •

ولما مات الفتح سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) بايع الصفرية أخاه أحمد بن ميمون ، فانفرد بالسلطة تسعة أعوام بمنأى عن نفوذ المهدي • وفي سنة ٣٠٩هـ (٩٢٢م) أنفذ المهدي قائده مصالة بن حبوس لدعم سلطانته في المغرب الأقصى (٩١) ، فدخل سجلماسة عنوة « وأخذ أهلها بالدعوة الشيعية (٩٢) » ، وقبض على أحمد بن ميمون وقتله ، وبعث برأسه الى المهدي (٩٣) وحاول استرضاء

الصغرية بإبقاء الحكم المديري ، فلم يعين عليهم واليا من قبله ، بل اصطنع المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار - وهو ابن عم احمد بن ميمون - ونصبه واليا عليهم من قبل المهدي « ليأمن جانيهم (٩٤) » . وقد نجحت هذه السياسة الى حين في الحفاظ على النفوذ الاسمي للفاطميين في سجلماسة ، فظل المعتز بن محمد على ولائه للفاطميين حتى وفاته سنة ٣٢١هـ (٩٥) (٩٣٤م) ، وذلك على عكس رواية ابن خلدون (٩٦) القائلة باستبداده بالامر من دون الفاطميين ، فقد كان ابنه وخليفته محمد الملقب بأبي المنتصر الذي حكم عشر سنوات (٩٧) وكذلك حفيده المنتصر سيمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان الفاطميين (٩٨) .

على ان سياسة الولاء للفاطميين لم تلبث أن تعثرت سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م) ، فانهز محمد بن الفتح بن ميمون - ابن عم المنتصر سيمكو - فرصة ضعف ابن عمه لكونه طفلا (٩٩) ، وانشغال الفاطميين بشورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، واغتصب الحكم بعد طرد ابن عمه خارج سجلماسة ودعى لنفسه وخلع طاعة الفاطميين (١٠٠) ، كما ضرب السكة باسمه وتلقب بالشكر لله (١٠١) .

على ان بعض المؤرخين (١٠٢) ذهبوا الى ان الشاكر لله « اخذ بمذاهب أهل السنة ورفض الخارجية ونادى بالدعوة لبني العباس » . وغالى البعض (١٠٣) فقال بأنه « كان سنيا على مذهب المالكية » . ونعتقد ان حركة الشاكر لله كانت حركة خارجية صغرية خالصة ، تمثل رد الفعل الصغري ضد الحكم الفاطمي ، فهي تماثل في هذا السبيل وتعاصر حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد الاباضي . ويبدو ان مؤرخي السنة تجاهلوا هذا الامر عن عمد إنكارا لفضل الخوارج في قيادة حركات المقاومة ضد الشيعة ، أو ان الامر التيس عليهم خاصة وان أبا يزيد قد استنفر السنة في المغرب للانضمام لحركته (١٠٤) ، كما دعى الشاكر لنفسه مموجا بالدعاء لبني العباس ، (١٠٥) حتى يؤازره سنيا المغرب .

ومن المستبعد ان يكون الشاكر لله قد تخلى عن المذهب الصغري واعتنق المذهب المالكي للدخول في طاعة الخلافة العباسية لان الشاكر لله لم يكن يطمح في مؤازرة الخلافة العباسية لحركته خاصة وقد زال نفوذها كلية من

بلاد المغرب بعد سقوط دولة الاغالبية ولم يكن بمقدور بني العباس مناجزة الفاطميين ببلاد المغرب وتعضيد الحركات المناوئة لهم لبعده المسافة ، ولضعفهم في العصر العباسي الثاني وخضوعهم لنفوذ الترك . ولو ان الشاكر لله دعى للخلافة العباسية حقا ، لما دعى « نفسه بالخلافة وتسمى بأمر المؤمنين وتلقب بالشاكر لله (١٠٦) » ، وضرب العملة باسمه (١٠٧) . ولو كان ينشد التبعية لقوة مناوئة للفاطميين ، لاعلن تبعيته لاموي الاندلس اصدقاء الاسرة المدراية ، واصحاب النفوذ الفعلي على أغلب جهات المغرب الاقصى . أغلب الظن ان الشاكر لله تشبه بمحاصرة الاباضي النكاري أبي يزيد مخلد بن كيداد فسي محاولة استمالة السنة بالمغرب وتعضيدهم لحركته ليس الا .

على كل حال - نجح الشاكر لله - بحسن سيرته (١٠٨) وتعبه لمذهبه وتفقده فيه . وظنه ان ليس الحق الا ما انتهى اليه (١٠٩) ، في جمع شمل الصفرية تحت لوائه والانفصال بسجلماصة عن طاعة الفاطميين - ويبدو انه فكر في بسط نفوذه على بعض نواحي المغرب الاقصى ، فحاول غزو امارة نكور سنة ٣٤٠ هـ (٩٥٣م) لكن الصفرية لم يجيبوه الى ذلك وقنعوا باستقلالهم السياسي وحربتهم الدينية محجيين عن الدخول في مشروعات توسعية (١١٠) وقد نعم الصفرية في عهده بالاستقرار والرخاء ، اذ تعلم ان العدل سعاد سجلماصة ابا . حكمه ، كما كانت عملته « طيبة للغاية » على حد قول السللاوي (١١١) .

وظل الشاكر لله في مأمن من الخطر الفاطمي طوال عهد المنصور الذي انصرف لدره ثورة أبي يزيد في افريقية ، تلك الثورة التي حددت بالقضاء على دولته . ولما ولي المعز الخلافة سنة ٣٤١ هـ (٩٥٤م) حاول تاديب أمير سجلماصة المدراي ، فاستنفر كتامة للقيام بتلك المهمة دون طائل ، فقد تناقلوا عن الخروج متذرعين بمشاق الطريق وبعد المسافة (١١٢) ويبدو ان تفاضي المعز عن ثوار سجلماصة شجع عماله في المغرب الاقصى على شق عصا الطاعة والدخول في طاعة عبد الرحمن الناصر كما فعل بعلي بن محمد اليفرني (١١٣) . بافكان - بشمال غرب تاهرت - واحمد بن بكر الجذامي أمير فاس (١١٤) . ودفعه ذلك الى اعداد حملة هائلة لاستعادة نفوذه المفقود في بلاد المغرب الاقصى سنة ٣٤٧ هـ (١١٥) (٩٦٠م) .

وقد عهد المعز الى قائده جوهر الصقلي بقيادة تلك الحملة التي حشد لها أعدادا غفيرة من كتامة (١١٦) وصنهاجة (١١٧) والاولياء (١١٨) ، فضلا عن عبيده وغلماثة (١١٩) . واجتمع برؤسائهم وحضهم على الاستماتة في القتال واعداء اياهم بحسن المثوبة منعما عليهم بجزيل العطاء (١٢٠) . ومضى جوهر الى سجلماسة ، وبعث الى اهلها بالقبض على الشاكر لله وتسليمه ، على ان يبذل لهم الامان ، دون طائفل (١٢١) . ف ضرب الحصار حول المدينة (١٢٢) طيلة شهور ثلاثة (١٢٣) ، تمكن الشاكر اثناءها من الهرب بأمواله وذويه وخاصته ، ونزل بحصن منيع يعرف بتاسجدلت (١٢٤) على بعد اثني عشر ميلا من سجلماسة (١٢٥) .

ودخل جوهر المدينة دون مقاومة ، واصدر عفوا عاما عن اهلها (١٢٦) ليكسب جانبهم . وتسلسل الشاكر لله الى المدينة في محاولة لتأليب أتباعه على القائد الفاطمي واسترداد نفوذه ، لكن رجلا من مطهرة تربص به وسلمه الى جوهر . فعاد به أسيرا الى القيروان (١٢٧) بعد ان عين على سجلماسة واليا من قبله سنة ٣٤٧ هـ (١٢٨) (٩٦٠م) .

وابتهج المعز بانتصارات قائده جوهر واسترداد سجلماسة وغيرها من مدن المغرب الأقصى التي تمردت عليه ، فطير مزهوا ابناءها الى الدعاة الاسماعيلية في الشرق (١٢٩) ، وآثر المعز الإبقاء على حياة الشاكر لله بعد أن شهر به بين أهل القيروان (١٣٠) ، فظل معتقلا في سقيفة قصره زمنا (١٣١) ثم نقل الى رقاده وظل سجيناً بها حتى وفاته سنة ٣٥٤ هـ (١٣٢) (٩٦٧م) .

ولم تغلح سياسة اللين والتسامح التي اتبعها المعز وقائده جوهر سواه في معاملة الشاكر لله او في العفو عن أهل سجلماسة ، في جذبهم لموالاته الفاطميين . فالعداء المذهبي المتأصل وتعلق الصفرية بالاستقلال السياسي وبالبيت المداري حال دون تحقيق ذلك . فقد تكرر ما حدث على اثر مفادرة المهدي لسجلماسة سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩م) ، اذ ثار صفرية سجلماسة على واليها الفاطمي وأردوه قتيلا . ونصبوا عليهم أحد أبناء الشاكر لله ولقبوه بالمنتصر لله (١٣٣) .

ولكي لا يتعرضوا لطائلة الانتقام ، بادروا فاتقنوا رسلهم الى المعز معتلين
 الابقاء على طاعته والولاء له • ولاذ المعز بالعافية قانعا بولائهم الاسمي له •
 وطلب الى شيوخهم القدوم اليه برفقة المنتصر لله ، فاجابوه الى طلبه • وقد
 اورد ابن حيون (١٣٤) تفصيلات مستفيضة عن لقاء شيوخ سجلماسة بالمعز ،
 وعفوه عنهم ، واقاراره المنتصر على الولاية وخلعه عليه ، واغداقه على مرافقيه •
 ومع ذلك لم يستتب الامر للمعز في سجلماسة ، ولم ينعم صنيعته المدرازي
 بالحكم طويلا ، فنزعة الاستقلال والكراهية للفاطمييين كانت من وراء الثورة
 التي قام بها أخ للمنتصر - ويدعى ابا محمد - على أخيه وقتله وقيامه بالامر
 مكانه وتلقبه بالمعز لله ، واعلانه الخروج عن طاعة الفاطمييين سنة ٣٥٢ هـ
 (١٣٥) (٩٦٥م) •

وزال نفوذ الفاطمييين نهائيا على سجلماسة منذ ذلك الحين ، كما ذوى
 شأن مكناسة والصفرية أيضا سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٩م) لما زحف خرزون بن فلغول
 المفاوي الى سجلماسة وقتل ابا محمد المعز وبعث برأسه الى قرطبة • وآلت
 سجلماسة بذلك الى التبعية لاموي الاندلس « وانقرض امر بني مدرار ومكناسة
 من المغرب أجمع ، وأدال منهم بمفراوة وبني يفرن (١٣٦) » •

وهكذا لم يستسلم الصفرية للحكم الفاطمي ، ولم تجد نفعا سياسة
 الفاطمييين ، المتأرجحة بين اللين والعنف في دعم نفوذهم في سجلماسة معقل
 الخوارج الصفرية في المغرب •

٢ - الإباضية والفاطميون

١ - الفاطميون وسقوط دولة بني دستم :

سقطت تاهرت في يد ابي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩م) دون
 قتال ، وذلك لبلوغ الدولة الرستمية في عصرها الاخير ذروة الضعف
 والاضمحلال وقد سبق ان اوضحنا مظاهر الفوضى السياسية التي تردت فيها
 تاهرت ، من تدهور هيبة الامامة ، وتضعف نفوذ الائمة بعد تحكم رعايا
 العاصمة في تعيين الائمة وعزلهم • وارتفاع شأن الفرق والطوائف المذهبية

عبر الاباضية ، وتدخلها في شؤون السياسة والحكم وخضوعها لقوى أجنبية بقصد اسقاط الإمرة الرستمية وتسليم السلطة في تاهرت . ثم ظهور نفوذ البلاط ونساء الإمرة الرستمية وسيطرتهم على الائمة ، وتطاول عمال الائمة وحراسهم وخدمهم على الرعية ، فنهبوا الاموال واغتصبوا الحرائر . بالإضافة الى صراع افراد البيت الرستمي حول الامامة وتكالبهم على الظفر بها ، فلم يتورعوا عن تدبير المكائد والمؤامرات لبعضهم البعض ، وراح بعضهم ضحية هذا الصراع ، وأففضى ذلك كله الى انهيار العصبية الرستمية « وبانهيارها شاخت الدولة وهرمت » (١٣٧) هذا الى انحلال نظم الحكم والادارة وضعف الروح العسكرية ، وتراخي قبضة الائمة على اجنادهم ، فلجأوا الى استعمال الدرهم والدينار ، بدل الرمح والسنان (١٣٨) « وترتب على ذلك كله انهيار المجتمع الرستمي واضطراب الامن ، وهو ما عبر عنه ابن الصغير (١٣٩) بقوله: « وكان البلد قد فسد . وفسد أهلها . واتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان أخذانا » ، وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة من « سفهاء زناتة » (١٤٠) .

وفضلا عن ذلك كله ، تعرضت الدولة الرستمية لضربة قاصمة قضت على البقية الباقية من قوتها ، بسبب ما حل باباضية نفوسة سنة ٢٨٣هـ (٨٩٧م) من كارثة في موقعة مانو - قلعة بين قايس وطرابلس (١٤١) - حيث اجهز الاغالبية فيها على جيوش نفوسة (١٤٢) ، ومن بعدها على اباضية قنطرة ونفزاوة (١٤٣) . وحرمت الامامة الرستمية في ذلك الحين من مصدر قوتها ، اذ كان النفوسيون عصب الدولة الرستمية وعونا لها على ما واجهها من أخطار . ولا غرو ، فقد حرم اليقظان بن أبي اليقظان - آخر أئمة بني رستم - من جيش يستطيع به التصدي للخطر الشيعي بعد انقطاع الامداد من جبل نفوسة ، وأدى ذلك الى سقوط تاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) .

كانت تاهرت اذن على وشك السقوط ، وكان بوسع أبي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين - الذي لانشك في أنه أرسل بعوثه الى تاهرت تدعو للتشيع - ان يطيح بالحكم الرستمي في وقت مبكر . غير أنه أثر التريث حتى يفرغ من حروبه مع الاغالبية - أعظم القوى السياسية في المغرب في ذلك الحين - فلم يقدم على فتح بلاد المغرب الاوسط والاقصى الا بعد سقوط

رقادة عاصمة بني الاغلب سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) .

وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدي ، وعرج نسي طريقه اليها على تاهرت فدانت له دون مقاومة .

من هذا يتضح أن تاهرت لم تسقط ابان عهد ابراهيم بن أحمد الاغربي (٢٦١-٢٨٩هـ) (٨٧٥-٩٠١م) كما ذكر المؤرخون (١٤٤) الذين اجمعوا على أن « أبا عبد الله الشيعي نزل كتامة سنة ٢٨٠هـ ، وأتاه البربر من كل مكان ، وعظم أمره . وبلغ أمره الى ابراهيم بن أحمد الاغربي فاستصغر أمر أبي عبد الله واستحققه . ثم مضى أبو عبد الله الى مدينة تاهرت فعظم شأنه ، وأتته القبائل من كل مكان . وبقي كذلك حتى تولى أبو مضر زيادة الله الاغربي » . وإن كانت تلك الرواية لا تخل من دلالة على تشييع كثيرين من سكان تاهرت وبعض القبائل الضاربة خارجها قبيل الغزو الشيعي . يؤكد ذلك قول ابن الصغير (١٤٥) أن خطباء تاهرت « كانوا على منابرهم لا يستعملون الا خطاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خلا خطبة التحكيم ولا يخفى ما قام به هؤلاء الشيعة من دور هدام في الاحداث السياسية التي حفل بها العصر الرستمي الاخير ، وهو عصر برزت فيه الطوائف والفرق الدينية غير الاباضية كما سبق أن اوضحنا » .

والواقع ان المصادر غير الاباضية لا تمدنا الا بالنذر اليسير عن سقوط دولة بني رستم ، فلم يرد بها اكثر من أن « أبا عبد الله الشيعي وصل الى تاهرت فدخلها بالامان وقتل من بها من الرستمية ، وبعث برؤسهم الى أخيه أبي العباس ، وطوفت بالقيروان ونصبت على باب رقادة » . ثم ولى أبو عبد الله على تاهرت ابا حميد دواس بن صولات اللهيصي وابراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوازي ، وكان يلقب بالسيد الصغير (١٤٦) » .

وقد سبق ان اوضحت كيف اغتيل الامام أبو حاتم يوسف على يد أبناء أخيه سنة ٢٩٤هـ (٩٠٦م) بالتواطؤ مع يعقوب بن أفلح - عم الامام - المقيم بزواغة ، وكيف اغتصب أحدهم ويدعى اليقظان بن أبي اليقظان الامامة . وقد تمخض هذا الحادث عن مزيد من الاضطرابات في تاهرت قسام بها الحزب المشايخ لابي حاتم وقد تزعمه ابنته المعروفة « بدوسر » . كما واصلت الطوائف

والفرق غير الإباضية - من المالكية - والواصلية والصفرية والشيعة (١٤٧) - مؤامراتها على حكم اليقظان بن أبي اليقظان * ونعتقد ان اليقظان نجح في اخضاع تلك الاحزاب المعارضة لحكمه ، ويبدو انه استعان بعمه يعقوب بن افلح وانصاره من السميحية الذين نزحوا الى تاهرت *

وقد فشلت دوسر ابنة أبي حاتم يوسف في الانتقام من قتلة أبيها ، وخبا أمل الطوائف غير الإباضية في « تببيت خبر الإباضية (١٤٨) » ، فلم يجدوا مناصا من مناشدة أبي عبد الله الشيعي وكتامة القدوم للقضاء على « امارة الفرس (١٤٩) » * والراجع ان هذه الاتصالات حدثت قبل فراغ أبي عبد الله من قتال الاغالبة ، فلم ير موجبا للتوجه الى تاهرت ولما يفرغ من صراعه مع الاغالبة * وعادت دوسر الاتصال به ، فاستجاب لها ووعدا بتحقيق مطلبها (١٥٠) *

وما أن دانت له رقادة بعد هرب زيادة الله الى الشرق سنة ٢٩٤هـ (٩٠٨م) حتى أعد حملة ضخمة توجه على رأسها الى سجلماسة حيث قبع عبید الله المهدي في سجن اليسع بن مدرار *

تذكر الرواية الإباضية (١٥١) ان رؤساء الطوائف غير الإباضية خرجوا اليه بعد أميال من تاهرت ووعدوه بالعون على فتح تاهرت ، وهرنوا له من شأن بني رستم *

وعرج الشيعي على تاهرت - في طريقه الى سجلماسة - وفتحها ليؤمن ظهره أثناء قتاله مع اليسع بن مدرار * فبعث في استدعاء اليقظان بن أبي اليقظان وبنيه ، فقدموا اليه ، وأمر بقتلهم جميعا (١٥٢) * وقد حرص الشيعي على استئصال شافة بني رستم حتى لا يناوئه أحد منهم ، ولم يسلم من القتل الا من لاذ منهم بالهرب الى وارجلان (١٥٣) *

وبمقتل أبي اليقظان فتحت تاهرت أبوابها للشيعي دون قتال (١٥٤) ، وانسابت جيوشه داخلها فاستباحتها (١٥٥) سلبا ونهباً وتغريبا (١٥٦) «حتى أهلكت الحرث والنسل» (١٥٧) *

وأمر أبو عبد الله بأحراق المكتبة الرستمية المعروفة « بالمعصومة » بعد ان

انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع (١٥٨) .
كما أضرَم النيران في تاهرت أيضا (١٥٩) وغادرها على عجل بعد ان ولى
عليها عاملا من قبله (١٦٥) ، ويم وجه شطر سجلماسة .

ووجه فرقة من فرسانه الى وارجلان في أثر يعقوب بن أفلح الذي هرب
اليها مع بعض أصحابه (١٦١) . ولم تستطع خيل الشيعي الوقوف له على
أثر (١٦٢) - فنجأ بذلك من المذبحة التي حلت بأسرته . وقد رحب أبسو
صالح ماجنون بن مريان - شيخ وارجلان - بمقدمه وعيضا حاول اقناعه
بتولي «إمامة الدفاع» ومناوئة الفاطميين (١٦٣) ، فقد أثر حياة الزهد والعزلة
حتى وفاته (١٦٤) .

وبسقوط تاهرت . وانقراض الرستميين ، انتهى حكم بني رستم الذي
استمر ما يزيد على مائة وثلاثين عاما (١٦٥) .

لكن سقوط الحكم الرستمي لم يقض نهائيا على النفوذ الاباضي فسي
بلاد المغرب ، فظلت وارجلان وجبل نفوسة معقلين رئيسين لاباضية المغرب .
وقد وجه الفاطميون جهودهم نحو فتح هذين المعقلين ، فبعد تحرير المهدي من
سجلماسة وجهوا جيشا الى وارجلان . وبادر إباضيها بإخلائها والاعتصام
بحصن مجاور لها عرف « بكدية بنهادين » (١٦٦) ، بعد شحنه بالمؤن والاقوات .
ولم يستطع الجند الفاطمي اقتحام الحصن ، فأثروا الانسحاب (١٦٧) . وبقيت
وارجلان معقلا للمقاومة الاباضية ضد الفاطميين .

أما جبل نفوسة ، فلم يخضع للحكم الفاطمي وذلك لمنعته الطبيعية (١٦٨)
واضحى بمثابة ملاذ لثورات الاباضية في سائر بلاد المغرب (١٦٩) . وعيضا
حاولت جيوش الفاطميين غزو الجبل ، فكانت في كل مرة تبوء بالفشل .

هكذا نجح الفاطميون في فتح تاهرت دون عناء سنة ٢٩٧هـ ، وأسقطوا
حكم بني رستم ، لكنهم لم يفلحوا في الاستيلاء على جبل نفوسة ووارجلان
لمناعة الجبل وتطرف الواحة في أقاصي الصحراء . وأضحى جبل نفوسة منذ
ذلك الحين معقلا للحركات الاباضية المناوئة للفاطميين . كما لم يفلح
الفاطميون في أرغام الاباضية في المناطق الخاضعة لحكمهم على التخلي عن

مذهبهم واعتناق المذهب الاسماعيلي . ولم تتمخض سياسة البطش والتعصب التي جرى عليها الفاطميون الا عن اندلاع ثورات الخوارج الاباضية ، تلك التي سببت لهم مزيدا من المتاعب ، وهددت بزوال دولتهم من بلاد المغرب في بعض الاحيان .

ب - ثورات الاباضية على الحكم الفاطمي :

زال الحكم الرسمي من تاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، وتبدد شمل الخوارج الاباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبي على يد الفاطميين ، والذي لا شك فيه أن الخوارج الاباضية - وهبية ونكارا - رفضوا الاذعان للمذهب الشيعي (١٧٠) ، واستكانوا الى حين للمسألة والرضى بالواقع ، انتظارا لسنوح الفرصة (١٧١) ، بينما لاذت اعداد غفيرة منهم بجزيرتي جربة وصقلية ليأمنوا عائلة الفاطميين (١٧٢) .

وكان تفتت القوى الاباضية وتشتتها ما بين جبل نفوسة وواحة وارجلان وبلاد الجريد وأحواز تاهرت وجزيرتي جربة وصقلية مما سهل على الفاطميين مواجهة حركاتهم والقضاء عليها . فقد ثار الاباضية بطرابلس سنة ٣٣٠هـ (٩١٢م) على ماقتون الاجابي عامل المهدي ، وكانت ثورة اقليمية محضة اذا اقتصررت على اباضية هواة بناحية طرابلس بزعماء شيخ يدعى محمد بن اسحق المعروف «بابن القرلين» . ونجح المهدي في حصار طرابلس بحرا ، كما قطع المؤن عنها ، فاستسلم الثوار بعد أن قدموا لابي القاسم بن المهدي مبلغا باعظا من المال ، وسلموا اليه ثلاثة من زعمائهم قتلوا برفادة (١٧٣) .

كذلك قضى بالفشل على محاولة أخرى لجمع شمل الاباضية تحت لواء أحد مشايخهم ويدعى أبو خزر تمهيدا للثورة على الفاطميين . وانتهى به الحال الى الهرب لجبل نفوسة يائسا ، واصبح الجبل منذ ذلك الحين مقرا للمقاومة الاباضية للحكم الفاطمي (١٧٤) .

وقد تمكن اباضية نفوسة من احياء الامامة الاباضية بعد سقوطها في تاهرت ، وبابح مشايخهم أبا يحيى زكريا الارجاني - المعروف بأبي بطة -

«بامامة الدفاع» (١٧٥) وشكلوا حكومة من مشايخ المنحصب • وحاول ابرو زكريا الاغارة على طرابلس لكنه هزم وقتل كثيرون من رجاله (١٧٦) • وتشجع المهدي فبعث بجيوشه لغزو نفوسة سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢م) ، فلم تفز بطائيل ، وهزمها الاباضية عند قرية الجزيرة (١٧٧) • وعاود المهدي المحاولة في العام التالي ، وتخبرنا المصادر (١٧٨) الاباضية ان جيوش المهدي لقيت الهزيمة مرة أخرى عند قرية تيركت بجبل نفوسة ، واذ كنا نعتقد ان النتيجة كانت غير ذلك ، لان ابا زكريا الارجاني قتل في تلك المعركة (١٧٩) ، كما يذكر الشماخي (١٨٠) ان مشايخ الجبل دأبوا منذ ذلك الحين على دفع المغارم لولاة القيروان الفاطميين الذين كانوا يغالون في تقديرها ، ويهددون بغزو الجبل اذا ما تقاعس النفوسيون عن دفعها •

ولم يتحرر اباضية نفوسة من هذه الاتاوات « وذل المسودة» الا فسي مشيخة زعيمهم أبي الفضل سهل النفوسي (١٨١) • ويبدو ان ذلك لم يتم الا بعد قيام ثورة الاباضية الكبرى بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، تلك الثورة التي احتوت كافة العناصر الاباضية – وهبية وخلفية ونفاثية ونكارا – في سائر بقاع المغرب • وهددت بزوال النفوذ الفاطمي منها •

لا شك ان حركة أبي يزيد تمثل من الناحية الاجتماعية حلقة من حلقات الصراع التقليدي بين البربر والبرانس كما تصور جوتييه (١٨٢) ، كما انها عبرت عن نزعة الاستقلال عند البربر من الناحية السياسية كما اعتقد بل (١٨٣) اما من الناحية الحضارية فانها تمثل صراعا بين اهل البداوة والاستقرار (١٨٤) وهي ايضا نزاع بين قوى مغربية في اطار صراع أعم بين الفاطميين والاندلسيين حسبا ، اعتقد برنشويج (١٨٥) • لكن المؤكد ان ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد كانت في المحل الاول رد فعل للخارجية الاباضية في مواجهة الشيعة الاسماعيلية ، فكانت حربا مذهبية شمر فيها سلاح المبادئ الخارجية للاطاحة بالعقائد الاسماعيلية الغربية على البربر • واذا كان البربر السنة قد أيدوا حركة أبي يزيد في مراحلها الاولى، فذلك لايعني أن ابا يزيد كان «سنيًا» (١٨٦) •

كان من أهم ما يميز الحركة طابعها الخارجي الاباضي (١٨٧) • فزعيمها

من «أهل الدعوة» على حد قول أحد مؤرخي الإباضية (١٨٨) ، تلقى تعاليمها بالشرق « ورأس في الفتيا في مذاهب الإباضية من الخوارج (١٨٩) » ، وكان أول الامر إباضيا وهيبيا ثم تحول الى مذهب النكار (١٩٠) الضاربين بجبل الاوراس وبلاد الجريد (١٩١) . ونعتقد ان هذا التحول تم في آخر أيام الدولة الرستمية حين ذوى شأن الإباضية الوهبية ، وعلا نجم النكار (١٩٢) ، وهم اكثر تشددا والتزاما بتعاليم المذهب الاباضي من الوهبية (١٩٣) . فأبو يزيد اذن ليس سنيا ، ولم يكن صغريا أيضا كما زعم جوتييه (١٩٤) ، أو «صغريا نكارياء» كما ذهب فورنل (١٩٥) نقلا عن ابن خلدون (١٩٦) الذي ذهب الى ان « النكارية من الخوارج الصغرية » . انما كان إباضيا نكارياجمعت حركته سائر فرق الإباضية في المغرب ، وهذا ما يعنيه قول ابن حوقل (١٩٧) : «خرج أبو يزيد في أضراب الكفر والنفاق والإباضية والنكارية المراق» .

وجدير بالتنويه ان أبا يزيد حاول استنفار أتباع كافة المذاهب والفرق الناقمة على الشيعة الاسماعيلية والاستفادة منهم . ذكر ابن عذارى (١٩٨) انه لم يفصح بآدء ذي بدء عن ميوله المذهبية لنفس الغرض « فدعى الى الحق بزعمه ، ولم يعلم الناس مذهبه ، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة » . حقيقة أن أبا يزيد لم يعلن في بادى الامر عن «نكارية» الحركة فأذاع انه « خرج غضبا لله (١٩٩) » « لاستخفاف الفاطميين بالشريعة والوضع من النبوة (٢٠٠) » لكن جموع الوهبية والسنة الذين آزره لم يخف عليهم حقيقة معتقداته ، انما أيدوه لاتفاقهم في الرغبة في الاطاحة بالحكم الفاطمي رغم ما كان بينهم جميعا من عداة مذهبي . فالإباضية الوهبية بايعوه بالامر على شريعة « انهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى » (٢٠١) . والسنة آزره نكاية في الفاطميين ، اذ افتي فقاؤهم ان قتالهم « افضل من جهاد أهل الشرك (٢٠٢) » وأنجموا على الانضمام لابو يزيد لان الشيعة في نظرهم « كفر بينما الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام (٢٠٣) » . فانضمام الوهبية الإباضية والسنة للحركة اذن كان بمثابة ائتلاف أو تحالف ضد عدو مشترك .

ومن المحقق ان أبا يزيد تطلع الى تكوين دولة إباضية كبيرة متأثرة

بتعاليم المذهب الاباضي ، ولذلك هادن كافة الاحزاب المناوئة للفاطميين واستخدمهم في الجهاد ضدهم . ولم يكن بوسعه اظهار مراميه الحقيقية في بداية حركته ، انما أثر التمويه وأعمال الحيلة ، فلم يمانع في قبول اشتراطات الوهبية اعداءه التقليديين ، ولم يجد غضاضة في خداع السنة حين « أمرهم بقرائة مذهب مالك (٢٠٤) » .

والحقيقة ان أبا يزيد كان يكن عداءه مرا لهؤلاء وأولئك لا يقل عن عدائه للفاطميين ، ومن المؤكد انه اضمر بهم غدرا، أو على الاقل اضعاف شوكتهم بضربهم بالفاطميين . فقد أرجأ الانتقام من الوهبية الى ما بعد الانتهاء من قتال الشيعة (٢٠٥)، كما «مكر بالسنة (٢٠٦)» اثناء حصاره المهدية ، وتخلي عنهم لتحصدهم جيوش القائم الفاطمي كما لم يتورع عن اظهار مراميه الحقيقية في النهاية حين استشعر من نفسه القوة بعد انتصاراته التي احرزها على الجيوش الفاطمية (٢٠٧) . كل ذلك يؤكد الطابع المذهبي للحركة باعتبارها - فسي المحل الاول - ثورة اباضية مضادة للحكم الفاطمي ، ورد فعل خارجي (٢٠٨) لسياسة الفاطميين في بلاد المغرب .

والذي يستقصي نشأة ابي يزيد يلتبس تلك الحقيقة على الرغم مما نسج حولها من القصص والاساطير . فحتى تلك الاساطير لا تخلو من دلالة على تطلع اباضية المغرب للاطاحة بالحكم الفاطمي تحت قيادة ابي يزيد (٢٠٩) .

على كل حال - أجمعت المصادر على انتمائه الى زناته ، وان اختلفت في التفصيلات (٢١٠) وعلى الرغم مما احاطت حياته الاولى من غموض (٢١١)، فقد كشفت المراجع ان اياه كان من قسطنطينية ببلاد الجريد ، وانه احترف التجارة مع بلاد السودان (٢١٢) . وقد ولد أبو يزيد من أم سودانية (٢١٣) وأب من زناته . ونشأ بمدينة توزر - من أعمال قسطنطينية - معقل الاباضية النكار ، الا انه حفظ القرآن ودرس اصول المذهب الاباضي الوهبي (٢١٤) . ثم ارتحل الى سجلماسة ودرس على ابن الجمع شيخ الاباضية هناك لمدة عامين (٢١٥) انتقل بعدها الى تاهرت (٢١٦)، حيث أفتى في الفقه الاباضي الوهبي (٢١٧) مدة ، ثم عاد أدراجه الى توزر . وفي توزر اختلط بشيوخ النكار فمال الى مقالاتهم وتبحر في اصول مذهبهم (٢١٨) . ولا يخالفنا شك في عودته الى

تاهرت بعد ذلك حيث راقب عن كثب الاحداث التي جرت فيها اواخر العهد
الرسيمي ، ومن المحتمل ان يكون قد أسهم فيها بدور اضمافا للامامة الوهبية .

على كل حال - لم يطلب له فيها المقام ، اذ سقطت في يد الشيعة سنة
٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، فغادرها الى تقيوس (٢١٩) من بلاد قسطنطينية (٢٢٠) .

وفي تقيوس عكف على تحفيظ الصبية (٢٢١) القرآن وتعليمهم المذهب
النكاري في مكان عرف بـ «عين النكارة» (٢٢٢) . والراجع انه بدأ من ذلك
الحين يعد العدة لجمع شمل الاباضية النكار تمهيدا للثورة على الفاطميين .
ولو صح قول المقرئ (٢٢٣) بانه شرح في سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) في تجميع
الانصار لهذا الغرض ، لكان معناه انه قضى حول ثلاثة عشر عاما في الاعداد
للثورة ، لانه لم يجهر بدعوته الا في عام ٣١٦هـ (٢٢٤) (٩٢١م) - ففي ذلك
العام كثر أتباعه وانصاره . واطهر مذهبه النكاري . وبدأ يحتسب على
الناس في افعالهم ومذاهبهم (٢٢٥) ، وانكر على الفاطميين سياستهم الدينية
والمالية (٢٢٦) .

كان طبيعيا ان يبعث المهدي لعامله على تقيوس يأمره بالقبض على
أبي يزيد (٢٢٧) . لكنه نجح في الهرب الى الشرق ، ولم يعد الى المغرب الا
بعد وفاة المهدي سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) .

نزل أبو يزيد بتقيوس مرة أخرى ، وشرع على الفور في الاعداد للثورة
على القائم ، فبعث رسلا الى جبل نفوسة مستنفرين الاباضية الوهبية لشسبد
ازره (٢٢٨) ، ثم انتقل الى توزر سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م) - حيث توجد اكثرية
من الاباضية النكار - وأعلن الثورة من هناك (٢٢٩) .

وبعث القائم الى والي قسطنطينية ليواجه الخطر الاباضي ، فبعث بدوره الى
عامله على توزر - ويدعى ابن فرقان (٢٣٠) - بالقبض على أبي يزيد ، فاعتقله
وأودعه السجن . وحاول شيوخ النكار الوساطة لذي ابن فرقان لاطلاق سراح
أبي-يزيد ، دون جدوى . فأجمعوا الراي على تحريره بالقوة (٢٣١) ، فكان
لهم ما أرادوا (٢٣٢) .

وعول أبو يزيد على استنفار سائر جماعات الاباضية وجمعهم في مكان آمن ، فنزل بوارجلان (٢٣٣) وبعث الى الاباضية بجبال الإوراس يطلب التأييد، فأجابوه . فغادر بوارجلان إلى الإوراس ، وانضم اليه بنو برزال - ومواطنهم جنوب المسيلة - وكذلك بنو زنداك من مغراوة (٢٣٤)، فضلا عن لواته وبنو كملان (٢٣٥) . واتفق شيوخ الاباضية - وهبية ونكارا - على بيعة إيسي يزيد سنة ٣٣١هـ (٩٤٤م) « على محاربة الشيعة » على ان يكون الامر شورى اذا ظفروا بالمهدية (٢٣٦) ، »

ويمكن تقسيم الصراع بين أبي يزيد والفاطميين الى ثلاثة مراحل أساسية بدأت المرحلة الاولى منها بحصار جيوش القائم لأبي يزيد بالإوراس سنة ٣٣١هـ (٩٤٤م) وانتهت بحصار أبي يزيد للمهدية سنة ٣٣٣هـ (٩٤٦م) ، وفيها كانت الغلبة للثوار . اما المرحلة الثانية ، فكانت الحرب فيها سجالا ، اذ تبادل الطرفان النصر والهزيمة . وبدأت هذه المرحلة باخفاق أبي يزيد فسي افتتاح المهدية وانتهت بحصاره لسوسة في جمادي الاخر سنة ٣٣٤هـ (٩٤٧م) . وفي المرحلة الثالثة كان أقول نجم أبي يزيد وهزيمة جيوشه وانتهاء الامر بقتله ، وفشل ابنه الفضل في الاخذ بثأره سنة ٣٣٦هـ (٩٤٩م) .

المرحلة الاولى :

من السمات البارزة لتلك المرحلة بزوغ نجم أبي يزيد واشتداد ساعده بانضمام جموع الاباضية كافة الى حركته فضلا عن مالكية القيروان ، وبفضلهم دانت له غالبية مدن افريقية وحصونها بعد حروب خالقه النصر فيها . ولم تجد نفعا محاولات القائم استرداد نفوذه ، فقبح بالمهدية متخذاً موقف الدفاع . وكاد الحكم الفاطمي ان يزول نهائيا من بلاد للفرب لولا انضمام صنهاجة الى القائم ، فقد أدى انضمامها الى تحول كبير في مسار الصراع .

لقد عول القائم بادي ذي بدء على مباغثة أبي يزيد بالإوراس سنة ٣٣١هـ (٩٤٤م) ولما يشتد عوده بعد . الا ان أبا يزيد أفلح في فك الحصار الذي ضربته جيوش القائم (٢٣٧) حول مقره وأحرز نصرا على هذه الجيوش ذاع بعده صيته ، فانضمت اليه كثير من القبائل منها مزاته (٢٣٨) . وعلى التو

شرع أبو يزيد في فتح مدن افريقية وحصونها الساحلية ، فاستولى على باغاية (٢٣٩) - جنوبى الاوراس (٢٤٠) - ومنها توجه الى قسطنطينية ففتحها (٢٤١)، وانضمت اليه جموع النكار فيها ، ونجح في الحيلولة بينهم وبين مقاتلة الاباضية الوهبية (٢٤٢) . ثم أمن أهلها وهدم أسوارها (٢٤٣) .

رواصل أبو يزيد فتوحاته فدانت له تبسا ومجانه - بوسط افريقية - كما فتح مرماجنة - جنوبى مجانة - ، وأهدى له رجل منها حمارا أصهب صار يركبه وبه كني ، ف قيل « صاحب الحمار (٢٤٤) » وتوجه الى الاريس - شمال غربى القيروان - ففتحها وأخرم فيها النيران . كما أنفذ عسكرا الى سببيه - قرب القيروان - استولى عليها بعد مقتل عاملها (٢٤٥) .

وأحدث سقوط الاريس حلعا كبيرا في المهديّة (٢٤٦) ، فأنفذ القائم جيوشا للدفاع عن رقادة والقيروان ، كما بعث بقائديه ميسور الفتى وبشرى الفتى للمناوأة أبى يزيد . غير أن بشرى هزم عند باجة - فوقعصت في يد أبى يزيد . وانصرف بشرى الى تونس فاستمال أهلها بالمال . فبعث أبو يزيد عسكرا في اثره دارت الدائرة عليه . لكن أهل تونس ثاروا على بشرى وكاتبوا أبا يزيد ، فأمهم وولى عليهم رجلا منهم يدعى رحمون . ثم توجه أبو يزيد نحو القيروان . فسبقه بشرى اليها وهزم طلائع الجيش الاباضى ، وبعث بالاسرى الى المهديّة حيث قتلوا (٢٤٧) .

واستعان بشرى بكتامة للاقاة أبى يزيد والحيلولة دون وصوله الى القيروان ، فخرجت للقائه ، لكنها عادت مدحورة الى القيروان ، واستولى أبو يزيد على رقادة وعاث فيها في الوقت الذي كان فيه قائده أيوب الزويلي يدق أبواب القيروان . ثم سقطت القيروان في صفر سنة ٣٣٣هـ (٩٤١م) في يد أيوب ، فقتل عاملها ، وأمن شيوخها ورفع النهب عنهم (٢٤٨) . أما ميسور الفتى فقد هزم على يد أبى يزيد عند مكان يقال له الاخوان (٢٤٩) عندما حاول استنقاذ القيروان (٢٥٠) . وطير أبو يزيد أنباء انتصاراته تلك الى عبد الرحمن الناصر في قرطبة (٢٥١) .

والواقع أن أبا يزيد بلغ قمة النصر بالاستيلاء على القيروان ، اذ انضم

أهلها من المالكية اليه وكونوا جيشا قويا انضوى تحت لوائه (٢٥٢) ، كما هوت مقاومة سوسة - ميناء شمالي شرقي القيروان - امام سرية من رجاله (٢٥٣) لكن لم تدم سيادته عليها طويلا (٢٥٤) ، وساد الهلع مدينة المهدية اذ أصبحت مهددة بالسقوط . ولم يستطع القائم مناهضة ابي يزيد ، فخذل على نفسه بالمهدية وناشد زيري بن مناد شيخ صنهاجة العون ، كما استنهض همه الكتامين للدفاع عن العاصمة (٢٥٥) .

ورحل أبو يزيد من القيروان ميمما وجهه شطر المهدية ، وخرجت جيوش القائم للقائه عند مكان يقال له «الوادي الملح» (٢٥٦) ، فبدد أبو يزيد شملها (٢٥٧) ولم يشأ تعقب فلولهم ، بل آثر استجماع كافة قواه لاقتحام المهدية ، فبعث في استدعاء ابنه فضل الذي وصل مسرعا على رأس امداد هائلة من القيروان (٢٥٨) . واتخذ أبو يزيد معسكره عند مكان يقال له «ثرنوط» على بعد ستة أميال من المهدية (٢٥٩) . لكن تحولا كبيرا في الموقف انضى الى فشل محاولات أبي يزيد في اقتحامها .

المرحلة الثانية :

كان الصراع في هذه المرحلة سجالا ، نتيجة حدوث صدع في معسكر أبي يزيد وتدعيم جيوش القائم . فقد دب الشقاق في صفوف الثوار ، وبارح الاباضية الوهبية والسنة المالكية معسكر ابي يزيد ، في الوقت الذي توافدت فيه جموع كتامة وصنهاجة للذود عن المهدية . ولا غرو فقد اخفق الثوار في اقتحامها ، وعمدت جيوش القائم الى استرداد نفوذه في افريقية ، بينما عول أبو يزيد على محاولة إعادة تجميع قواه والاعتماد اساسا على النكار بجبل الاوراس . واتسم الصراع بينه وبين القائم بالقسوة والضراوة ، فكانت الحرب سجالا تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة .

فقد عسكر ابو يزيد بثرنوط كما سبق القول ، ومنها حاول مرارا غزو المهدية دون جدوى .

ففي المرة الاولى ، وصلت جيوشه الى بابها - عند المصلي - واضحت على قاب قوسين من السقوط ، لكن انشغال عسكره بالمغانم ، واستبسال كتامة

في الدفاع ، ووصول صنهاجة لنجدة القائم ، غير مسار القتال ، فدارت الدائرة على أبي يزيد وكاد ان يقتل في المعركة لكنه نجا بأعجوبة ، وعادت جيوشه الى ثرنوط (٢٦٠) .

وحفر أبو يزيد خندقاً بثرنوط ، وأرسل يطلب المدد من نفوسة والزاب وأقاصي المغرب . ولما وصلت له الامداد ، كر الى المهديّة محاولاً اقتحامها للمرة الثانية ، الا انه عاد مدحوراً ايضاً . فبعث يستنجد بمامله على القيروان ، فخفف الى نجدته ، وزحف أبو يزيد في آخر رجب سنة ٢٣٣ هـ (٩٤٦م) على المهديّة لكنه هزم مرة أخرى . وفي آخر شوال قام بمحاولته الرابعة ، فشدد عليها الحصار ، وهدد من بداخلها بالموت جوعاً . لكن القائم نجح في مواجهة المجاعة لما كان قد اضره من حبوب وموّن من قبل ، وأمر كتامة بهاجمة قسنطينة - أكثر مدن إفريقية حصانة ومنعة (٢٦١) - فاضطر أبو يزيد الى انفاذ جزء من جيشه للحيلولة دون استيلاء الكتاميين عليها .

ودب الشقاق في معسكر أبي يزيد ، ففارقه الاباضية الوهبية والمالكية ولم يبق معه سوى النكار من زناته الاوراس وبني كملان وهوارة (٢٦٢) . ورد به بعض المؤرخين (٢٦٣) ذلك الى ياسهم من افتتاح المدينة لمناعتها ، وحرمانهم من الاسلاب والمغانم التي كانوا يطمعون فيها .

ونعتقد ان ابن خلدون (٢٦٤) اصدق في تفسير ذلك الانشقاق ، اذ أرجعه الى اظهار أبي يزيد حقيقة نواياه ، وغدره بالقيروانيين ، وتكره لما اخذه على نفسه من عهود ومواثيق فقد تنافس زعماء هذه الفرق في الظفر بالسلطة حين أضحي سقوط المهديّة وشيكا ، ومن ثم أوقع أبو يزيد بالسنة أثناء القتال مع جيوش القائم . فأمر رجاله بالتخلي عن القيروانيين أثناء المعركة ، وتركهم هدفا لسيوف الشيعة « فقتل من شيوخهم أربعة آلاف ما بين عابد وعالم صالح (٢٦٥) » . بأدرك الاباضية الوهبية مراحمي أبي يزيد في الانتقام منهم اذا ما دانت له المهديّة ، ففارقوه حتى « لا يتفرغ لافشاء كفره » (٢٦٦) .

ولعل ذلك يفسر غضبية السنة على أبي يزيد ودعوتهم للخلافة العباسية ، وملاحقة أبي يزيد لحركتهم ، وقتله زعيمها (٢٦٧) ، كما يفسر ايضاً طلبه

الامداد من الاباضية التكار بالاوراس بعد مقاطعة سائر الفرق الاباضية
ال اخرى لحركته (٢٦٨) ، وحين وصلته هذه الامداد ضرب الحصار من جديد
على المهدي ، وكادت تسقط هذه المرة بعد ان غادرها كثيرون من أهلها لاثدين
بصقلية وطرابلس ومصر ، لولا استبسال فرسان كتامة في النود عنها (٢٦٩)
والحاقهم الهزيمة بأبي يزيد الذي هرب الى القيروان تاركا معسكره غنيمة
لجيوش القائم (٢٧٠) .

ولهذا ثارت معظم مدن افريقية على أبي يزيد ودخلت في طاعة القائم (٢٧١)
وحاول أبو يزيد استرداد نفوذه المفقود ، فاسترد تونس في صفر سنة ٣٣٤هـ
(٩٤٧م) ، ثم فقدوها مرة أخرى بعد هزيمته عند اصطفورة - على مقربة من
تونس - واستعادها أيوب بن أبي يزيد من جديد كما استرد باجة وأضرم
فيها النيران (٢٧٢) .

وطلب القائم العون من عامله على المسيلة - من بلاد الزاب (٢٧٣) -
علي بن حمدون (٢٧٤) لاستنقاذ باجة ، لكن أيوب بن أبي يزيد بدد شمل
جيشه . وفي تلك الاثناء نجح القائم في دخول تونس واقصاء أبي يزيد عنها ،
فهر الى القيروان . في حين نجح علي بن حمدون في بسط نفوذ القائم على
مدينتي تيجس وباغاية (٢٧٥) (٢٧٦) .

وكان لا بد لأبي يزيد ليسترد هيئته ان يحوز نصرا كبيرا يعوضه عن
هزائمه السابقة ، فاعد جيشا ضخما مزودا بالات الحصار والمنجنقات ، فضلا
عن ثمانين ألف فارس واتجه نحو سوسة في جمادي الآخرة سنة ٣٣٤هـ
(٩٤٧م) وضرب عليها الحصار (٢٧٧) ، دون جدوى .

المرحلة الثالثة :

دارت الحرب سجالا حول سوسة . وفي تلك الاثناء توفي القائم فسي
رمضان من نفس العام (٢٧٨) . وتولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور .
وكتب المنصور خبر وفاة والده . ولم يغير شيئا من رسوم الخلافة كالمسكة
والخطة والبنود (٢٧٩) حتى لا يفت ذلك في عضد أتباعه .
وبادر المنصور بأنفاذ جيشه واسطوله الى سوسة لفك الحصار عنها .

وبالفعل تمكن رجاله من هزيمة أبي يزيد واستباحة معسكره ، كما أبلى اهل
سوسة في المعركة بلاء حسنا (٢٨٠) .

ونزل أبو يزيد القيروان ، فثار أهلها عليه وطرده منها ، فلجأ الى
سببة (٢٨١) . وقسم المنصور الى القيروان وأجرى على أهلها الارزاق
والعطايا (٢٨٢) . ونشب قتال بين أبي يزيد والمنصور في أرباضها دارت
الدائرة فيه على أبي يزيد في أواخر ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ (٩٤٧م) غير أن
أبا يزيد تمكن من إلحاق عدة هزائم بجيوش المنصور ، وبعث بسراياه لقطع
الاتصال بين المهدية والقيروان وسوسة ، فوعده المنصور بأن يسلم اليه آله
وحرمة القيروان على أن يرسل عنها ، فأجابته الى ذلك ، لكنه أخلف وعده ،
فقاتله المنصور وهزمه في خامس المحرم من عام ٣٣٥هـ (٢٨٣) (٩٤٨م) .

وعقد المنصور العزم على استئصال شافة الثوار ، فعبا جيوشه والتحم
مهم في معركة حاسمة في نهاية المحرم من نفس العام أجهز فيها على خيرة
رجال أبي يزيد (٢٨٤) ، وانتهب معسكره . وفر أبو يزيد تاركا أثقاله
وأسلحته لا يلوي على شيء الى باغاية . وتعبه المنصور ، فاعتصم ببني برزال
من النكار (٢٨٥) . ومرض المنصور فاستقر بالمسيلة ، وقدم عليه زييري بن
مناد فأغدى عليه (٢٨٦) ، كما وافاه محمد بن خزر الذي كان مواليا لأبي يزيد ،
فاكرم وفادته ، وعهد اليهما باقتفاء أثر أبي يزيد (٢٨٧) . وبانضمام صنهاجة
وعجيسة الى المنصور قضى نهائيا على حركة أبي يزيد بالمغرب (٢٨٨) . فعول
أبو يزيد على الهرب الى بلاد السودان لكن أتباعه منعه من ذلك ، فتحصن
بجبل كيانة (٢٨٩) .

وحاصر المنصور وزييري بن مناد الجبل وضيقا الخناق على النكار ،
فتخلت هوارة عن أبي يزيد وانضمت الى المحاصرين ، وقتل كثيرون من النكار
وأسر بعضهم . وآوى أبو يزيد الى قلعة (٢٩٠) برأس الجبل تعصمه من
الوقوع في يد عدوه ، لكن المنصور أضرم النيران في الشعراء المحيطة بها .
وحاول أبو يزيد الهرب ، فوقع متخفا بالجراح في قبضة المنصور وظل بأسره
حتى مات في المحرم سنة ٣٣٦هـ (٩٤٩م) متأثرا بجراحه ، ومثل المنصور
بجثته وشهر بها (٢٩١) . وأظهر اغتباطه لموت أبي يزيد فكتب الى سائس

عماله بالمغرب بأنباء انتصاره وانبرى الشعراء في امتداحه مهئينين بالقضاء على الثورة (٢٩٢) *

وحاول فضل بن أبي يزيد استنفار قلوب الاباضية - وهبية ونكارا - لمناهضة المنصور ونجح بالفعل في جمع أخلاط شتى جعل على رأسهم معبد بن خزر الزناتي * وبادر المنصور بانفاذ جيش قاده موليه شفيح وقيصر، وجعل معهما زيري بن مناد ، فبددوا شمل الحشود الاباضية (٢٩٣) ، وهرب الفضل لاثذا بمزاته * ويبدو ان الاباضية الوهبية خذلوه في حروبه * وألبو عليه مزاته أيضا فقاتلوه هو وأصحابه من النكار * وقدموا رأسه قربانا للمنصور توددا اليه ، فامتهم ، « وانطقا ذكر الفضل والنكار » (٢٩٤) * وأغلق المنصور على زعماء مزاته بالهدايا اعترافا بفضلهم (٢٩٥) *

وحاول أيوب بن أبي يزيد - الذي كان موفدا في سفارة من قبل والده الى الاندلس - رفع لواء الثورة على المنصور ، لكنه اغتيل على يد رؤساء مفراوة ايضا ، وتقربوا برأسه الى المنصور (٢٩٦) *

هكذا - أخفقت ثورة الاباضية الكبرى ، ولو قدر لها النجاح لاضحى زعيمها من مشاهير التاريخ (٢٩٧) - لقد وصل أبو يزيد الى أعقاب النجاح (٢٩٨) لكن عوامل شتى حالت دون تحقيقه * فاستبسال صنهاجة وكتامة في الذود عن الكيان الفاطمي كان عاملا جوهريا وراء فشل الثوار في الاستيلاء على المهديّة آخر معاقل الفاطميين (٢٩٩) *

ومن المحقق أن أبا يزيد اسهم بسياسته التي أثارت الشقاق بين أنصاره في هذا الفشل ، حقيقة انه نجح بدعائه في احتواء كافة العناصر الناقمة على الفاطميين وكسبهم الى جانبه ، لكنه لم يستطع الحفاظ على ولائهم لحركته بسبب تنافس هذه العناصر واطماعهم في الاستئثار بالسلطة بعد هزيمة الفاطميين * فاعمل أبو يزيد الحيلة للتخلص من هذه القوى واحدة تلو الاخرى ليصفو له الجو ، فكانت النتيجة أن فارقته جميعا ، وتخلت عنه في وقت عصيب كان النصر فيه وشيكا *

ويتحامل المؤرخون جميعا اباضية وسنية وشيعة على الرجل ، 'زيعزون' فشله الى فساد سيرته، وسوء سياسته ، ومروغه وزندقته - فالورجلاني (٣٠٠)

يعزو اليه «خراب افريقية» ويتهمه بأنه « صنع فيها الاقاويل ، واحتال على أهلها الاباطيل » . وأبو زكريا (٣٠١) يصمه بفساد الخلق « فكان يبيت كل ليلة على أربعة أبتكار » حسب زعمه والدرجيني (٣٠٢) يشبه وحشيته في حروبه ، « بما فعله نافع بن الازرق » والفراعنة وملوك أهل الكفر . ومؤرخو السنة (٣٠٣) نسجوا من القصص حول هذه المعاني بما لا يقل عن مؤرخي الاباضية « لان مذهبه يستحل أهل السنة ونساءهم (٣٠٤) » . وبديهي ان يردد مؤرخو الشيعة نفس العبارات فهو في نظرهم سفاح « كان يعمل اكواما من رؤس المسلمين ويأمر المؤذنين بالاذان عليها (٣٠٥) » كما كان « يستبيح نساء المسلمين (٣٠٦) » أيضا .

ولا يخامرنا شك في تجني تلك المصادر جميعا على أبي يزيد ، فحروب الاباضية في المغرب — عموما — انطوت على مثالية مفرطة في معاملة الخصوم . وتجد مصداقا لذلك في حروب أبي يزيد مما أورده أولئك المؤرخون أنفسهم . فحسبه وفاؤه باليهود التي كان يقطعها على نفسه ببذل الامان لسكان المدن المفتوحة . ولم يلجأ الى أساليب القمع والبطش الا حين تمردت عليه هذه المدن وانضمت لخصومه . والدارس لشخصية أبي يزيد ونشأته وتربيته يلمس مقدار علمه وتفقهه وما انطوت عليه أخلاقه من شمائل حميدة . وحسبنا زهده وتفقهه وارتدائه الثياب الخشنة وركوبه الحمار بدلا من الخيول المطهنة (٣٠٧) ، وتعلم خروجه بدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب ، فضلا عن تقواه وورعه حتى كان من أهل التقية ، ولا غرو فقد عرف « بشيخ المؤمنين (٣٠٨) » . ما أصدق تورنو (٣٠٩) حين قال عنه « كان رجلا مدهشا صاحب دعوة كرس لها حياته ، واستطاع في سن الشيخوخة أن يصبح زعيما سياسيا نابها ، وقائدا عسكريا حاذقا ، وحاكما فذا » . لقد كان أبو يزيد مثالا للرجل العظيم .

وعلى الرغم من فضل ثورة الاباضية الكبرى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٩م) ، فقد خلعت آثارا بعيدة الغور في تاريخ المغرب السياسي . فبالقدر الذي هزت فيه النفوذ الفاطمي وحددت بزواله ، كان خروج الفاطميين من الصراع طافريس عاملا هاما في دعم نفوذهم ببلاد المغرب .

ومن ناحية أخرى نهبت ثورة أبي يزيد خلفاء الفاطميين الى ضرورة تغيير سياستهم في حكمهم بلاد المغرب تغييرا تاما (٣١٠) ، فشعروا بخطورة النتائج المترتبة على انتهاج سياسة التعصب المذهبي ، ومن ثم ، جنحوا بعد الثورة الى تطبيق « عقيدة التقية » الشيعية (٣١١) . فيخبرنا القاضي عبد الجبار (٣١٢) ان « اسماعيل المنصور الخليفة الفاطمي الثالث قد تظاهر بعد هزيمة أبي يزيد بالعودة الى الاسلام ، فقتل الدعاة ونفى بعضهم الى الاندلس والى بلاد أخرى . وقال للامة ، من سمع منكم احدا يسب النبي فليقتله ، وأنا من ورائه . وقرب اليه الفقهاء والمحدثين ، واستمع اليهم . » كما خفف الضراب وأظهر ولما بالفقه .

وفيما يتعلق بمصير الاباضية في المغرب بعد فشل ثورتهم الكبرى ، فالثابت ان ثورة أبي يزيد تعد اخر الحركات الكبرى لاباضية المغرب ، وباخفاها لم تقم لهم قائمة ذات شأن بعد ذلك فالاباضية الوهبية بجبل نفوسة حاولوا في عهد بني زيري معاودة الثورة ، وبايموا أحد مشايخهم ويدعى أبو نوح سعيد ابن زنفيل بامامة الدفاع ، واتصلوا باخوانهم بوارجلان وافريقية ، وحاولوا الاستعانة بالخلافة الاموية في الاندلس ، دون جدوى . فقد أدرك أبو نوح « ان البلاد قد تغيرت والمرور قد تمكث » واضطر الى طلب الامان من المنصور ابن بلكين فأمّنه وأكرم وفادته (٣١٣) . واعتصمت فلولهم بجبل نفوسة وواحة وارجلان وبعض نواحي بلاد الجريد (٣١٤) . وعلى اثر غزو المرابطين لوارجلان هربوا في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الى وادي الميزاب ، كما تفرقوا الى بعض جهات مراكش وجبل دمر - شمال غربي جبل نفوسة - وظل قليل منهم بوارجلان (٣١٥) .

أما النفاثية من زواغة ، فاستوطنوا جزيرة جربة - المواجهة لقابس - كما سكن بقايا الخلفية جبل نفوسة (٣١٦) . ولم يكن هناك ثمة رابطة بين هذه الجماعات ، فعاشت في شبه عزلة ، ولم تقم بعد بادنى دور في تاريخ المغرب السياسي .

أما النكار ، فعلى الرغم من خفوت صوتهم في الحياة السياسية في بلاد المغرب لم « تنقطع آثار دعوتهم » - كما ذهب ابن خلدون (٣١٧) ، فقد

ظل بنو برزال يدينون بمذهب النكار ويثيرون العراقيل في وجه بن زيري لصالح أموي الاندلس (٣١٨) . وتمركزت فلولهم بين طرابلس وقابس ، كما أقامت جماعات منهم بجبال بجاية وقسنطينة وما والاها ، فضلا عن بلاد الجريد. وقد وصفهم التجاني (٣١٩) - في القرن الثامن - بسوء الخلق وحدة الطباع .

أما الخوارج الصفرية ، فقد ذوى شأنهم نهائيا من بلاد المغرب في أواخر القرن الرابع الهجري (٣٢٠) .

وهكذا - لم يرضخ الخوارج للحكم الفاطمي بسقوط دوليتهما في سجل ماساة وتاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) وظلت ثوراتهم تقض مضاجع الفاطميين ابتداء من المهدي وانتهاء بالمعز ، وكادت إحدى هذه الثورات أن تعصف بحكمهم نهائيا من بلاد المغرب . لكن فشل هذه الثورات أفضى في النهاية الى انتهاء دور الخوارج السياسي في بلاد المغرب الاسلامي ، ذلك الدور الذي وجه أحداث المغرب على مدار قرنين ونصف قرن من الزمان .

الباب الخامس

اثر الخوارج في المجتمع المغربي

انتهينا من ابراز دور الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب . لكن اثرهم كان عميقا في المجتمع المغربي بجوانبه المتعددة ، من نواحي الفكر السياسي ونظم الحكم فضلا عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وليس من شك في أن الخوارج بفكرهم ومبادئهم الداعية الى الثورة والمساواة أحدثوا نقلة هائلة في تاريخ المغرب نتج عنها تطور واضح في نظمه السياسية ، وازدهار الحياة الاقتصادية والثقافية فضلا عن تغيير كبير في مواقف القوى الاجتماعية ، وهو ما سنفصله فيما يلي :

أولا - الفكر السياسي ونظم الحكم :

لا شك أن نظرية الخوارج في الحكم أكثر نظريات الفرق الاسلامية ميلا الى الديمقراطية ، فعلى خلاف السنة الذين قصروا أحقية الامامة على قريش ، والشيعية الذين جعلوها في علي بن أبي طالب وأعقابيه (١) ، أقر الخوارج مبدأ جواز امامة أي مسلم عالم بالكتاب والسنة (٢) ، وأوجبوا الغاءها اذا ما تحققت العدالة والمساواة (٣) . ومن هذا نظر المحدثون الى (٤) فكر الخوارج السياسي باعتباره فكرا جمهوريا بالمفهوم الحديث .

ونعتقد ان تصارع الاحزاب الاسلامية حول الزعامة السياسية ، وما نتج عنه من فتن ومحن أملت بالمسلمين ، زهد جماعة القراء الذين (٥) أصبحوا فيما بعد زعماء الخوارج في منصب الامامة على أساس انها سبب البلاء والنكبات التي حلت بالجماعة الاسلامية اثر مقتل عثمان . والواقع ان سماحة نظرية الخوارج في الحكم مستمدة من شدة تدينهم وحرصهم على مراعاة تعاليم الاسلام وما تدعو اليه من مساواة وعدالة . فقد ظهوروا كفرقة سياسية دينية أثناء قضية التحكيم بين علي ومعاوية ، فأنكروا تحكيم الرجال ونادوا بأن « لا حكم الا لله (٦) » ، ورفضوا امامة علي ومعاوية ، وأنكروا احتكار قریش لها ودعوا الى الثورة على مخالفينهم باعتبارهم كفرقة مارقين (٧) . وينفي هذا دعاوى البعض (٨) بأن فكر الخوارج السياسي محصلة ظروف اجتماعية كامنة في كونهم من بدو تميم الذين يقصدون الحياة القبلية ويرفضون الخضوع لسلطان الدولة السياسي . فلم يكن الخوارج جميعا من تميم ، وإنما انتشر منذهبهم بين قبائل بكر وهمدان والأزد وغيرها من القبائل العربية الاخرى (٩) . ففكر الخوارج السياسي اذن مصدره الدين وليس العصبية وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله « ... الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم المصيبة القومية » انما تولد عن « خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية (١١) » متعلقة بالامامة ، ذلك هو ما أجمع عليه جمهرة من المحدثين الثقات (١٢) . وكان الطابع الديني سمة مميزة لنشاط الخوارج ونظمهم السياسية في المشرق ، فقد التزموا بتعاليم المذهب في اختيار الائمة ، وجباية الاموال والجهاد ومعاملة الخصوم .. الخ . كما كان التطرف الشديد من خصائص فكرهم السياسي ومن أسباب فشلهم أيضا حتى قيل بأن « سياستهم غير سياسية (١٣) » ، وليس أدل على ذلك من قولهم بالاستعراض. ورفض التقية وتشدهم في قبول المهجرة (١٤) .. الخ .

الا ان الطابع الديني وسمة التطرف في فكر الخوارج السياسي خفت حدتها. في أواخر القرن الاول الهجري . فاتخذت مبادئهم - طابعا عمليا وبنحت نحو الاعتدال . وظهر بشكل واضح في عقائد الاباضية والصفرية متمثلا في تجويز التقية (١٥) والتوسع في قبول المهجرة عن طريق الدعوة

والتنظيم السياسي (١٦) ، فضلا عن معايشة الجماعة الاسلامية بترك فكرة تكفير المخالفين في المذهب (١٧) .

ووجد فكر الخوارج السياسي في شكله المتطور طريقه الى بلاد المغرب بانتشار مذهبي الاباضية والصفرية بين البربر في أوائل القرن الثاني الهجري . والتزم خوارج المغرب بتطبيق تعاليم المذهب حتى السبعينات من القرن الثاني الهجري فيما قاموا به من نشاط سياسي وما أقروه من نظم في الحكم والادارة . اذ كانت تعاليم الخوارج تحض على « الثورة على أئمة الجور (١٨) » ، وتدعو أنصار المذهب الى العمل لاقامة « امامة الظهور » (١٩) . اذا ما توافر ما يوجب التولية من العدة والعدد من الرجال (٢٠) ، لذلك شرع خوارج المغرب في « المجاهرة بالعمل (٢١) » وأعلنوا الثورة على ولاة المغرب طوال نصف قرن من الزمان .

وتجلى التزام خوارج المغرب بفكرهم السياسي في عدة مظاهر ، فقد اختار الصفرية ميسرة اماما لا لانه رئيس مطهرة وانما لعلسه وفقهه وسابقته (٢٢) . ولم يقم ميسرة بثورته الا بعد وقوفه على مسئولية الخلافة عن مفاسد عمالها في المغرب (٢٣) وتيقنه من ان خلفاء بني أمية « أئمة جور » . وضمت الحركة عناصر مستضعفة من غير البربر كالأفارقة (٢٤) تطبيقا لمبدأ اللاعنصرية وخلع الصفرية ميسرة لما أدخل بشروط الامامة « وتغير عما كانوا بايعوه عليه (٢٥) » .

ولعل من أهم آثار فكر الخوارج السياسي في المجتمع المغربي تطبيق مبدأ وجود امامين في وقت واحد فقد تولى الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادي امامة الاباضية في طرابلس سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م) أحدهما للصلاة والآخر للحرب (٢٦) على غرار المحكمة الاولى حين اقتسم المنصبين عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير . وفي احتكام امامي الاباضية الى السيف حين دب الخلاف بينهما حتى قتل كل منهما الآخر - لو صححت رواية البرادي (٢٧) - ما يذكر بخلافات زعماء الخوارج في المشرق لاسباب فقهية . وفي انقسام جماعة المذهب بالمغرب واقتتالهم بسبب ما نسج حول الحادث من قضايا فلسفية وفقهية (٢٨) ما يؤكد اثر الفكر السياسي للخوارج في نشاطهم

ببلاد المغرب • ومن مظاهر ذلك أيضا اجماع الاباضية على امامة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمع سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) على الرغم من كونه عربيا (٢٩)، وثوراتهم كانت ضد الحكم العربي ، وقد حرص أبو الخطاب على مراعاة أصول المذهب فيما استنته من نظم ادارية ومالية ، واسترشد في ذلك بمشورة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ فقهاء المذهب بالبصرة (٣٠) •

ونعتقد أن فكر الخوارج السياسي قد تأثر بنظرية الشيعة عن الامامة الظاهرة والامامة المستترة فقد فرق فقهاء المذهب (٣١) الاباضي بين امامة الدفاع وامامة الظهور • اذ حينما يتعرض الخوارج لمحن سياسية ، يختارون اماما في الخفاء تكون مهمته جمع شمل الانصار وتسيير أمورهم والفصل في قضاياهم واعداد العدة للظهور اذا ما واتت الظروف وانقشعت المحنة • هذا هو ما حدث بعد مقتل أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمع سنة ١٤٢ هـ (٧٥٩م) وتعرض الخوارج لبطش الجند العباسي فاقتاروا ابا حاتم الملوذي اماما للدفاع في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن بن رستم يعد العدة لامامة الظهور (٣٢) • وتكرر الامر بعد سقوط دولة بني رستم ، وتكثرت الفاطميين بالخوارج فاجتمع الاباضية في نفوسة على أبي يحيى الازجاني وبايموه بامامة الدفاع على أمل أن يلتئم شمل انصار المذهب في بلاد المغرب فيقيموا امامة الظهور (٣٣) •

وظهر أثر فكر الخوارج السياسي فيما قام به الصفرية والاباضية من ثورات وما خاضوه من حروب التزموا فيها جميعا بتعاليم المذهب • فالخوارج الصفرية في المغرب كانوا يقتدون بأهل النهروان « في التحكيم ورفع المصاحف وحلق الرؤوس (٣٤) » في حروبهم • ونظرا لتطرف مبادئهم في معاملة الخصوم (٣٥) ، اتسمت حروبهم بالعنف والقسوة (٣٦) ، فكانوا يقتلون الاطفال والولدان ، ويستحلون سبي النساء والذراير (٣٧) • اما الاباضية فشككوا أقرب الى المثالية سواء في خوض الحروب أو معاملة الخصوم ، فكانوا لا يشبهون الحرب على أعدائهم الا بعد اعلامهم وأخذ الحجة عليهم ، ولم يتبعوا المدبر أو يجهزوا على الجرحى ، كما لم يخرّبوا الزروع ولم يهدموا سوى الحصون والاسوار • وتعففوا عن الفنائم من غير السلاح والعتاد ، ولم

يقتلوا الاطفال أو يسبوا الذراري ، تمسكا بتعاليم المذهب (٣٨) •

يظهر ذلك من حروب الحارث وعبد الجبار في طرابلس (٣٩) ، ومعاملة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمع للقيروانيين (٤٠) ، ومعاهدة أبي حاتم الملزوي مع جميل بن صخر (٤١) •

وظل التزام خوارج المغرب بمقائد المذهب في سياساتهم ونظمهم خلال السنوات الاولى من حكم أئمة بني مدرار بسجلماسة وبني رستم بتاهرت ، اذ طغت تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية (٤٢) •

فالخوارج الصفرية بايعوا عيسى بن يزيد الاسود من موالي العرب ، بالامامة سنة ١٤٠هـ (٤٣) (٧٥٧م) انطلاقا من مبدأ جواز تولية غير العرب من المسلمين ، وفي انشاء سجلماسة ما ينم على بروز العامل الديني المذهبي، اذ شيدت لتكون « مجمعا للخوارج الصفرية (٤٤) » من سائر العناصر وكافة العصبيات المغربية • ونفس الشيء يقال عن الاباضية ، فقد بايعوا عبد الرحمن ابن رستم بالامامة — وهو من الفرس — لفضله وعلمه وسابقته وكفائه وسلامة حواسه واعضائه (٤٥) • لقد بويع ابن رستم اماما للدفاع سنة ١٤٤ هـ (٧٦١م) على اثر مقتل أبي الخطاب — في المغرب الاوسط في نفس الوقت الذي كان فيه أبو حاتم الملزوي اماما للدفاع أيضا في طرابلس وجبل نعوسة (٤٦) • اذ ان الفقه الاباضي يجوز بيعه امامين في وقت واحد • ما وجد بين حوزتيهما عدو يخشى بآسه ، أو لشقة البعد بينهما (٤٧) • • ولم يحل ذلك دون تعاونهما لاقامة امامة الظهور التي تقلدها ابن رستم سنة ١٦٢هـ (٧٧٩م) ، فقد كان أبو حاتم يبعث الى عبد الرحمن بزكاة أمواله (٤٨) • وبيعة ابن رستم الثانية تمت بموافقة « أهل الحل والعقد » من مشايخ المذهب واجماع جمهور الاباضية (٤٩) ، ووفقا لشروط الامامة العامة في الفقه الاسلامي (٥٠) •

وكما أسست سجلماسة لتكون « مقرا للخوارج الصفرية » لقيمتها تاهرت لتكون « حصنا وحرزا للمذهب الاباضي » (٥١) الذي كانت تعاليمه مرعية في سياسة الدولة ونظمها في عهد عبد الرحمن بن رستم حتى أطلق عليها بعض الدارسين (٥٢) « مملكة الله » •

والواقع انه ليست لدينا معلومات عن النظم الادارية والمالية في سبيلماسة ، لكن المصادر حفلت باشارات عن نظم الدولة الرسمية . ويتضح منها ان عبد الرحمن بن رستم راعى تعاليم المذهب الاباضي في سياسته الداخلية . لقد استفاد عبد الرحمن من خبرة الفرس في هذا الصدد (٥٣)، لكنه لم يسمح لهم بأي تفوق سياسي أو تمييز اجتماعي في دولته (٥٤) فكان يختار عماله وقضاة وأصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يشق في عملهم وصلاحياتهم . وكان نظام الجباية والصدقات ونواحي انفاقها كل ذلك يجري حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليمه . وليس أدل على ذلك من قول ابن الصغير (٥٥) المالكي « . . . وقضاة مختارة وبيوت أمواله ممتلئة ، وأصحاب شرطته والطائفون به قائلون بما يجب ، وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال كل . . . » (هكذا بالأصل) من أهل الشاة والبعر ويقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون . فإذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعر ، فإذا صارت أموالا ، دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال ، فإذا عرف مبلغه ، أمر بأحصاء من في البلد وفيما حول البلد ، ثم أمر بأحصاء الفقراء والمساكين فإذا علم عددهم أمر بأحصاء ما في الأهرام من الطعام . ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفيا وجبابا صوفيا وفراء وزيتا . ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه . ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاة وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم من سنتهم ، ثم ان فضل، صرفه في مصالح المسلمين » .

وفي تصرف عبد الرحمن بن رستم في الاموال التي بعثها اليه خوارج المشرق سمع جعنتهم الاولى اليه ، واجتماعه برؤساء القبائل وشيوخ المذهب في المسجد الجامع وانفاقه هذه الاموال وفقا لنصيحة أهل الرأي منهم « ثلث في الكراع وثلث في السلاح وثلث في فقراء المسلمين (٥٦) » ما يقيم الدليل على مراعاته تعاليم المذهب في سياسته الداخلية . ولا غرو فقد حظي حكمه برضى

النشأة في المغرب وشيوخ المذهب في المشرق فوصلوه بكتبهم ووصاياهم (٥٧)»^١

على أن خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسي عند الخوارج ، ولم يرعوا تعاليم المذهب وشرائعه بعد حكم مؤسسي دوليتهما في سجلماسة وتاهرت . ففي سجلماسة برزت النعرات النصرية والعصبية وتحكمت في مقاليد الحكم ونظم الادارة . اذ ان الامامة تحولت الى ملك وراثي احتكرته قبيلة مكناسة في أسرة بني مدرار (٥٨) بعد صراع مع زنوج السودان وتنحية عيسى بن يزيد الاسود وقتله سنة ١٥٥هـ (٥٩) (٧٧٢م) . ومنذ ذلك الحين درج أمراء البيت المدراري على انتهاك تعاليم المذهب وتقاليده الامامة ، حتى ان احدهم خلع نفسه ليظهر أحد أبنائه بالحكم كيدا في ابنه الاخر (٦٠) . وبلغ الخروج على المذهب مداه بتولية الاطفال والنساء مقاليد الحكم ، فقد تولى المنتصر سمكو بن محمد الحكم سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م) ولم يتجاوز الثالثة عشرة سنة من عمره تحت وصاية جدته (٦١) . ولعل مما يؤكد تحول الامامة في سجلماسة الى ملك وراثي اتخاذ امراء سجلماسة ألقابا على غرار العباسيين كالمنتصر والمعتز ، وتخليهم عن حياة الزهد والبساطة التي اتسم بها آل البيت الخوارج واقبالهم على حياة البذخ والثراء واقتناء الاموال (٦٢) والتشبه بالملوك والامراء .

وقد حدث في تاهرت بعد موت عبد الرحمن بن رستم نفس ما حدث في سجلماسة بعد مقتل عيسى بن يزيد الاسود ، اذ تحولت الامامة الى ملك وراثي (٦٣) ، واتخذ الائمة الوزراء والحجاب (٦٤) . وغدت وظائف الدولة حكرا على عصبية بعينها استأثرت بها من دون العناصر الاخرى .

والمصادر الإباضية (٦٥) تحاول اظهار شرعية امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وانه « أجمع عليه أهل الشورى ، ثم يبيع بعد ذلك بيعة عامة لم يتخلف عنها أحد » التزاما بنصيحة والده الذي أشار قبل موته بعمل الامامة شورى بين سبعة أشخاص (٦٦) يختارون الاصلح من بينهم على غرار ما فعله عمر بن الخطاب .

والواقع ان اختيار عبد الوهاب لم يكن على سنة ما فعله عمر بن الخطاب، ذلك ان عمرا أوصى قبل موته بأن يكون ابنه عبد الله حكما في مجلس الشورى

دوّن ان يكون له أحقية تقلد الخلافة . اما عبد الوهاب فقد اختير للامامة قسرا، ذلك ان رأي أهل الشورى كان في جانب مسعود الاندلسي ، فقد مال «الاكثرون والعامّة الى تولية مسعود وبادروا الى مبايعته (٦٧)» لكن تعصب بني يفرن وحرصهم على اختيار عبد الوهاب أفضى الى تنصيبه . ذلك ان أم عبد الوهاب كانت يفرنية ، واستطاع أبو قدامة اليفرني أن يحول جماعة الشورى عن مسعود الاندلسي ليجعل الامامة من نصيب عبد الوهاب . وما تسوقه المصادر (٦٨) الاباضية من تبرير عدم اختيار مسعود الاندلسي بأنه اختفى زهدا في الامامة وهربا من مهامها ، أمر غير مقبول وقد أثار تنصيب عبد الوهاب حفيظة الجانب المتشدد في جماعة الشورى والذي مثله يزيد بن فنين، اذ اعتبر تولية عبد الوهاب انتهاكا لتعاليم المذهب وخروجا على سنن السلف . وبذلك لم يجمع جماعة الشورى على امامة عبد الوهاب « لان الاجماع الذي هو شرط الامامة معناه اتفاق مجتهدي الامة » كما تنص تعاليم المذهب الاباضي (٦٩) وقد مثل جماعة ابن فنين الذين عرفوا بالنكار الفرقة المحافظة على تعاليم المذهب والملتزمة حدوده ، فنادوا بوجوب جماعة يسترشد الامام برأيها ولا يقطع أمرا الا بمشورتها . وبذلك تكون الامامة « مشروطة (٧٠) » كما نادوا بضرورة مراعاة أصول المذهب في اختيار الولاة والعمال ، وأنكروا احتكار الفرس ونفوسة لوظائف الدولة (٧١) ودعوا لاختصاص أهل الخبرة والحصافة بها من بين جمهور الاباضية دولما تفرقة أو تمييز عملا بشرائع المذهب (٧٢) . وكان انتصار الامام عبد الوهاب على جماعة النكار يعني التغلب على الطابع الديني في نظم الحكم الرستمية ، وتحول الامامة الى سلطة مركزية أشبه ما تكون بالملكية المطلقة .

فقد آلت الامامة الى أفلح بن عبد الوهاب بعد وفاة أبيه تلقائيا . وقد حاول مؤرخو الاباضية (٧٣) تبرير ذلك ، فلهبوا الى ان أهل الحل والعقد بادروا بتنصيب أفلح اثر موت والده مخافة خطر العدو المتربص بتاهرت . وجليد بالتنويه أنهم لم يذكروا شيئا عن هذا العدو المزعوم أكثر من انه مقيم بجبال تاهرت والواقع ان جماعة النكار التي كانت تسكن تلك الجبال كانت قد تشقت شملها وعادت فلولها الى موطنها الاوّل منذ عهد عبد الوهاب . كما لم يحدث في آخر سني حكمه بسوى تمرد خلف بن السمع الذي لم يكن خطرا مباشرا

على مركز الامامة في تاهرت ذلك ان حركته اقتضت على نواحي طرابلس وجبل نفوسة . وقد فات هؤلاء المؤرخون ان عبد الوهاب عقد ولاية العهد لافلح قبل وفاته . وعقب انتصاره على بدو هوارية حيث قال « لقد استحق افلح الامامة » وبعدها « انقطع اليه المنقطعون ودارت الحوائج والعطاء من تحت يديه » (٧٤) كما كان افلح صاحب السلطة في تاهرت أثناء غياب والده بجبل نفوسة وصراعه مع الاغالبية حول طرابلس ، الامر الذي يؤكد ثبوت مبدأ التوريث في الامامة الرستمية .

كما جرى افلح على سنة والده في « استعمال العمال والجباية ومطالب بيت المال (٧٥) » مما أثار حفيظة الفقهاء فثاروا بقيادة نفاث بن نصر لانتهاك الامام رسوم الامامة وتقاليدها (٧٦) . الا ان افلح أرغم - امام ظهور خطر القبائل والعصبيات - على التراجع في سياسته ، وعاد الى تطبيق مبدأ اللامركزية والمساواة ، فأخذ بنصائح أهل الرأي والمشورة من شيوخ القبائل في تعيين الولاة والعمال (٧٧) ، كما ألزم عماله ضرورة مراعاة فقه المذهب في نظام الجباية في نفس الوقت الذي أتاح لهم فيه مزيدا من السلطات داخل عملاتهم (٧٨) . يتضح ذلك من رسالة له ل احد عماله جاء فيها « واما ما ذكرته من ان أجعل لك سبيلا وأطلق يدك ، وان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ، فلعمري انه لكذلك . ولكن ليس في هذا (يقصد الخراج) ، انما هي أسهم جعلها الله وأوقفها ، وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي الا على قدر الاجتهاد (٧٩) » . فاتباع افلح هذه السياسة لا يرجع الى حرص منه على مراعاة تعاليم المذهب ، بقدر اضطراره الى الاخذ بالتقاليد والاعراف البدوية .

ومن مظاهر ذلك اضطراره الى تعيين محكم الهواري قاضيا على الرغم من « انه نشأ في بادية ولا يعرف الذي القدر قدره ولا الذي الشرف شرفه (٨٠) » . وكان رؤساء القبائل هم الذين « أنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء ، وأجروا عليه من بيت المال قوله (٨٢) » .

لقد أخذت الامامة الرستمية منذ ذلك الحين توفق بين مطالب الحكم وبين الاعراف البدوية والتقاليد الفارسية وتعاليم الطوائف المذهبية المختلفة

في تاهرت • ويمكن الاثر الفارسي في الاصرار على مبدأ الوراثة والاخذ بالنظم والرسوم الفارسية في الحكم والادارة • فبعد موت أفلح بن عبد الوهاب آلت الامامة الى ابنه أبي بكر رغم اعتراض الفقهاء (٨٣) ، وليس كما يذهب النفوسي (٨٤) بأنه اختير نتيجة اجماع أهل الحل والعقد من رؤساء القبائل والعصبيات وشيوخ المذهب • كما تولى أبو حاتم يوسف الامامة بعد أن عهد والده اليه بولاية العهد (٨٥) • ومن مظاهر التأثير بالتقاليد الفارسية ايضا تعويل أئمة بني رستم على اتخاذ الكتاب والحجاب والحراس ، فضلا عن نظم السجلات واستخدام الخاتم وغيره من النظم التي تأثرت بالتقاليد الفارسية في الادارة (٨٦) •

ثم ازداد اثر الطوائف غير الاباضية في أواخر عصر بني رستم • فاضطر أبو اليقظان محمد الى الانتقاص من سلطات بعض القبائل التي كانت تستأثر بالمناصب العامة وجعلها مشاعا بين كافة الفرق والطوائف من غير الاباضية ، كما اتخذ مجلسا للمشورة يضم الى جانب شيوخ القبائل واعلام المذهب الاباضي ، كثيرين من الكوفييين والمالكية والواصلية (٨٧) • ولا شك ان سلطان هذه الطوائف قد زاد ابان امامة يعقوب بن أفلح الذي تولاهما بفضل رؤساء تلك الطوائف وخاصة الكوفييين (٨٨) • كما اضطر أبو حاتم يوسف الى اشراك كافة رؤساء الفرق في الحكم « اباضية وغير اباضية (٨٩) » •

ومع ذلك لم تجد سياسة الرستميين الاواخر في التوفيق بين مطالب الحكم وبين مصالح القوى المختلفة في تاهرت في تحقيق الاستقرار السياسي ، اذ ان القبائل البدوية طمعت في تولي السلطة ، وقدر لها ان تحقق هدفها بنجاح محمد بن مسالة الهواري في اغتصاب الحكم في تاهرت مدة ثمانية أعوام (٩٠) • كذلك تربص الفرس للاستيلاء على الحكم ابان الصراع بين الامام أبي بكر بن أفلح وبين الجند والعرب ، لكن خاب أملهم (٩١) • ولا يخفى دور الفرق والطوائف غير الاباضية في احداث تاهرت في العصر الرستمي الاخير من اجل « تبييت خبر الاباضية (٩٢) » •

ووقف الرستميون مكتوفي الايدي أحيانا امام هذه المؤامرات ، اذ لم يكن للامامة جيش ثابت يتصدى لتلك المشكلات • ويذهب بل (٩٣) الى ان

افتقار بني رستم الى مثل هذا الجيش يعزى الى « انشغال الائمة بالمسائل العلمية والفقهية ، وميلهم للمسألة وزجدهم في اثاره الحروب » . والواقع ان السبب الحقيقي يكمن في استحالة تكوين جيش موحد في ظل عصبيات وعناصر مختلفة ومتناحرة ، فكان لكل قبيلة رجالها وخيلها وسلاحها وكراعها (٩٤) . لذلك كان « الاجناد هم بطانة السلطان وأولاده وحشمه (٩٥) » فضلا عن حلفائه من القبائل وخاصة نفوسة التي كانت موالية للامامة وتوافي الائمة بالامداد في اوقات الخطر والازمات (٩٦) .

ثم تضائل نفوذ اتباع الائمة من « الرستمية والسمحية (٩٧) » وانهارت قوة نفوسة بعد موقعة مانو سنة ٢٦٩هـ (٨٨٣ م) التي قضى فيها الاغالبية على خيرة الجند النفوسمي فاصبحت الامامة الرستمية لعبة في يد القوى المتنازعة في تاهرت .

وبسبب افتقار الائمة بني رستم الى جيش ثابت التجأوا الى وسائل مختلفة لمواجهة الثورات الداخلية ولو كان ذلك خروجا على الفكر الاباضي . فقد درجوا على اصدار نداءات الى الرعية يدعون فيها الى الكف عن الفتن والتزام « سنة السلف الصالح » في نفس الوقت الذي كانوا فيه ينتهكون تعاليم المذهب ويخرجون على سنة اسلافهم من اقطابه . فعبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم رغم التزامه بمبدأ الوراثية في الحكم لنفسه ولابنائه من بعده بعث نداء الى اهل جبل نفوسة وناحية طرابلس يحضهم فيه على « تقوى الله والاتباع لما امر به (٩٨) » وحرم عليهم ما استحل لنفسه ونهاهم عن طاعة خلف بن السمع الذي خلف والده في ولاية تلك النواحي . وأفلح بن عبيد الوهاب اقتفى اثر والده حين ثار عليه نفاث بن نصر لخروجه عن تعاليم الاباضية ، فكتب خطبا الى « سائر المسلمين في شان نفاث » يخاطبهم فيه بقوله : « ... وانتم محققون باتباع آثار سلفكم والسلوك على منهاجهم ، وان تفعلوا بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله (٩٩) » . كذلك كان شأن محمد بن أفلح الذي وجه نداء الى رعاياه يحضهم فيه على « اتباع الماضين من السلف والمتقدمين من الائمة الصالحين من اهل الدعوة. (١٠٠) » .

وضرب بنو رستم صفحاً عن جوهر التعاليم الاباضية التي تدعو الى « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ولجأوا الى الاساليب السياسية المتتوية كالتجسس وبذل الرشاوي والخداع فضلاً عن الاغتيال السياسي . فعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حين أعيته الحيل في قمع ثورة خلف بن السمع بث عيونه وجواسيسه للوقعة بين خلف وأتباعه (١٠١) ، كما بعث سرا الى بعض رجال خلف يؤلبهم عليه ويمنيهم بالاموال والضيايع (١٠٢) . وأخذ ابنه أفلح من بعده بمبدأ « فرق تسد » فأرشى ما بين كل قبيلة ومجاورها (١٠٣) وألقى موجبات التخالف بين كل مقدم وأتباعه . وبث الجواسيس بطرق سياسية وتدابيرات باطنية كفته مئونة القتال (١٠٤) . وعول الرستميون الاواخر على « استعمال الدرهم والدينار بدل الرمح والسنان (١٠٥) » في كسب الانصار ومواجهة الخصوم . وشاع الاغتيال كسياسة جديدة اتبعها بنو رستم للتخلص من منائهم واستشرى هذا الداء ولم يسلم منه بعض أفراد البيت الرستمي نفسه . فقد اغتال أبو بكر بن أفلح محمد بن عرفة صهره وساعده في ادارة شئون دولته وسط سخط الفقهاء وتبرمهم (١٠٦) ، كما لقي أبو حاتم يوسف بن محمد حتفه على أيدي بعض المتأمرين من أفراد أسرته من أجل الوصول الى الحكم (١٠٧) .

وهكذا اختفى - تقريباً - أي اثر لفكر الاباضية في نظم الحكم الرستمية بعد موت عبد الرحمن بن رستم (١٠٨) مؤسس الدولة ، وتحولت الامامة الاباضية الى ملك وراثي غلب عليه الطابع البدوي ، وتاثر بالتقاليد الفارسية ، وتعاليم الفرق والمذاهب الاخرى غير الاباضية .

ومع ذلك ، فقد ترك الخوارج آثاراً واضحة في الفكر السياسي ونظم الحكم ببلاد المغرب ، خاصة في الفترة ما بين اواخر القرن الاول الهجري ومنتصف القرن الثاني الهجري .

ثانياً : الحياة الاقتصادية :

أخذت الخوارج آثاراً بعيدة المدى في أحوال بلاد المغرب الاقتصادية . والشائع ان هذه الآثار كانت سيئة للغاية ، اذ تمخض عنها خراب وركود

وتسأد في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة • غير ان مسئولية الخوارج في هذا الصدد مبالغ فيها ، ذلك ان احوال المغرب الاقتصادية كانت سيئة منذ حكم البين زنطين ، وزادت سوءا نتيجة استنزاف طاقاته وموارده في الحروب الطويلة التي استغرقتها الفتوح العربية وما ارتبط بها من ثورات ضد الفاتحين، كذلك التي قام بها كسيلة والكاهنة ، وما تمخض عن هذه الثورات من تخريب المزارع ، واحراق الاشجار ، فضلا عما أزهق فيها من أرواح (١٠٩) ، مما زاد في تفاقم احوال البلاد الاقتصادية •

وليس من شك في أن سياسة بعض عمال بني أمية في المغرب زادت الامر سوءا (١١٠) ، فقد أدهقوا الاهلين بالمفارم والجبايات ، وحفلوا بأشباع نهم الخلفاء في دمشق ، وأهملوا سبل الإصلاح الاقتصادي • وحسبنا ان البربر اعتنقوا مذهب الخوارج لتخليصهم من جور بني أمية وسوء سياستهم الاقتصادية (١١١) •

غير ان ثورات الخوارج زادت - دون شك - في تفاقم الازمات الاقتصادية ، اذ استمرت قرابة نصف قرن من الزمان أرهقت خلاله خزائن الولاة برواتب الجند وأعطياتهم (١١٢) • وخربت المزارع والمناجم ، وكسدت التجارة وتهددت الطرق بالاعطال •

ومن الانصاف ان نذكر ان مسئولية الولاة في هذا الصدد لا تقل عن مسئولية الخوارج ، وان الصفرية من دون الاباضية (١١٣) أسهموا بنصيب كبير فيما حل بالبلاد من تخريب ، فقد درجوا في حروبهم على نهب الاموال واحراق المزارع والضياع • وليس أدل على ذلك من تخريب الزروع على مسيرة يومين من طنجة أثناء حصارهم لبلج بن بشر ورجاله بطنجة سنة ١٢٣هـ (١١٤) (٧٤١م) وفضائحهم بالقيروان سنة ١٣٩هـ (٧٥٦م) سبق التنويه بها •

الا ان ثورات الخوارج عموما - صفرية واباضية ، استنزفت جهود الولاة ومواردهم المالية ، فقد أنفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذه الثورات (١١٥) • كما أسفرت عن هدم الصائغ والاسوار

مما جشم الولاة عناء ترميمها أو إعادة بنائها • فضلا عن ذلك فقد أزهقت أعدادا من البشر أجمع المؤرخون على كثرتها ، وما كان يحدث من أمراض وأوبئة أودت بحياة الكثيرين نتيجة تعفن جثث القتلى (١١٦) وأدى ذلك كله الى حدوث الازمات والمجاعات (١١٧) حتى ألف الناس أكل الاعشاب والدواب والكلاب (١١٨) وخاصة أثناء عمليات الحصار الطويل (١١٩) •

وليس أدل على سوء أحوال بلاد المغرب الاقتصادية آنذاك من استعانة ولاة المغرب بأموال مصر لمواجهة خطر الخوارج ، فكانت ترد اليهم إعانة سنوية قدرها مائة ألف دينار (١٢٠) • ومع ذلك لم يكن بوسعهم القيام بأعباء الحكم والنهوض بأحوال البلاد الاقتصادية ، واقتصرت جهودهم على النواحي العسكرية كبناء الاسوار واقامة الحصون والقلاع (١٢١) • وغني عن البيان انه لم يقدر لولاة القيروان الاهتمام بالنواحي الاقتصادية الا بعد ضعف شوكة الخوارج ، فلم نسمع عن جهود لهم في هذا الصدد الا في عهد محمد بن الاشعث أول من قمع حركات الخوارج في العصر العباسي ، لكن الازدهار الاقتصادي الذي أحدثه لم يستمر طويلا (١٢٢) اذ سرعان ما اندلعت ثورات الخوارج بعد رحيله الى المشرق •

وتتضح الآثار السيئة لثورات الخوارج على أحوال المغرب الاقتصادية من جهود يزيد بن حاتم في مواجهة المجاعات والازمات الاقتصادية ، فقد اهتم بزراعة الاراضي وجعل غلتها مباحة للناس (١٢٣) ، كما كانت مراعيه الخاصة ومراعي أسرته تقدم ذبائح الابل والغنم للرعية (١٢٤) • واليه يرجع الفضل في الاهتمام بالحرف والصناعات واقامة الاسواق وتنسيقها (١٢٥) للخروج بالبلاد من الكبوة الاقتصادية التي أحدثتها ثورات الخوارج • لكن هذه الجهود الكبيرة لم تحقق للبلاد النهضة الاقتصادية المرجوة ، وحسبنا على ذلك دليلا ان كثيرين من ولاة القيروان من بعده كانوا يعجزون عن دفع رواتب الجند وأعطياتهم (١٢٦) •

لقد كان التدهور الاقتصادي اذن يعزى الى الاضطراب السياسي ممثلا في ثورات الخوارج فلما انتهت تلك الثورات واستقرت أحوال بلاد المغرب

السياسية بقيام الدول المستقلة ، قدر للبلاد أن تشهد ازدهارا ملموسا في كافة النواحي الاقتصادية • ونحن في غنى عن رصد هذا الازدهار الاقتصادي في دولتي الاغالبية والادارسة ، انما نقرر ان هذا الازدهار شمل ايضا دولتي الخوارج الصفرية والاباضية •

لقد قامت دولتي الخوارج في مناطق صحراوية ، ومع ذلك واكب قيامها ازدهارا في الزراعة والصناعة ورواجا في التجارة • ففي مجال الزراعة استفاد بنو مدرار من مياه نهر ملوية (١٢٧) في تحويل البقعة التي أقاموا فيها عاصمتهم الى سهل فيضي (١٢٨) حفروا فيها الخللجان وشقوا القنوات لتوصيل المياه الى مساحة واسعة (١٢٩) قسموها الى حياض « تشبه حياض البساتين (١٣٠) » ، ومهدوها للزراعة • واستكثروا من الغروس فزرعوا أشجار النخيل والاعناب (١٣١) على مساحة بلغت أربعين ميلا (١٣٢) • فاشتهرت سجلماسة لذلك بوفرة كرومها وفاكهتها (١٣٣) •

وفضلا عن ذلك ، فقد زرعوا سائر المحاصيل « حسب زرع مصر » وربما زرعوا سنة عن بئر وحصدوا مراعى من زرعهم ، وتواترت الشقوق بالمياه ، فكلما أغدقت الأرض سنة في عقب أخرى ، حصدوا الى سبع ستين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشعير ، بحب صلب المكسر لذيذ الطعم ، وخلقه ما بين القمح والشعير (١٣٤) •

واشتهرت سجلماسة الى جانب ذلك بالحنطة والشعير والقطن والكمون والكرامية وغيرها (١٣٥) ، حتى لقد وصفها الادريسي (١٣٦) بأنها « كثيرة الخضر والنبات » ولا شك ان اعدادا هائلة من البربر في سجلماسة تحولوا الى مزارعين (١٣٧) وان بقي بعضهم على حرفة رعي الماشية والابقار (١٣٨) •

كما اهتم أئمة بني رستم بالزراعة أيضا ، فاختراروا موقع عاصمتهم في مكان « جيد الهواء لكثير المياه ، خصب الأرض » (١٣٩) • وقد توافرت المياه لاقليم تاهرت لوقوعه بين نهرين هما مينة وتاتش يصبان في وادي شلف (١٤٠) فضلا عن مياه الامطار التي اشتهرت بها تاهرت حتى صارت مضرب الامثال (١٤١) • وقد عني الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات

وأقاموا الطواحين على الأنهار (١٤٢) فزرعوا الكتان والسمسم وسائر الحبوب على اختلافها ، الى جانب غرس الاشجار واقامة البساتين على مساحات رحبة (١٤٣) ، حتى عرفت تاهرت بأنها « بلخ المغرب » (١٤٤) . كما ازدهرت الزراعة ايضا في واحة وارجلان اعتمادا على مياه الابار ، فاشتهرت بأشجار النخيل والزيتون والحبوب (١٤٥) . اما الزراعة في جبل نفوسة ، فقامت على مياه الامطار ، لكن رعي الاغنام والماشية كانت الحرفة السائدة بين سكانه (١٤٦) . كما اشتهرت الدولة الرستمية بمراعيها الواسعة وكانت تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمال الصحراء (١٤٧) . ولكتثرة مراعيها وصفها ابن حوقل (١٤٨) بأنها « أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين » .

وقيام دولتي الخوارج في سجلماسة وتاهرت واحتوائهما عناصر غير مغربية كاليهود والاندلسيين والفرس والعرب المشاركة ، ووفرة المناجم والمحاجر ، ساعد على ارتقاء الصناعات واستغلال المناجم في دولتي الخوارج . فقد اشتهرت دولة بني مدرار بوفرة مناجمها وخاصة في درعة الغنية بمعديني الذهب والفضة (١٤٩) . وأحسن اليهود استغلال تلك المناجم (١٥٠) ، كما ان امراء بني مدرار حرصوا على الافادة منها في دعم دولتهم « واقامة المصانع والقصور (١٥١) » .

ويخيل لنا ان الاندلسيين المقيمين بسجلماسة لعبوا دورا واضحا في هذا الصدد ، اذ كانت طوائف منهم تحتكر حرف الحدادة والصناعات المرتبطة بأعمال البناء (١٥٢) ، وقد شاركهم اليهود هذه المهنة في العصر الفاطمي (١٥٣) وعرفت سجلماسة في عهد بني مدرار بصناعة الثياب والازر الصوفية حتى كانت تضارع مثيلاتها المصرية كما يقول البكري (١٥٤) . هذا الى جانب الصناعات الاخرى كصناعة السكر وتكرير الملح (١٥٥) ، والاحذية (١٥٦) .

واستفاد بنو رستم من خبرة الفرس ، فاشتهرت تاهرت بالمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية ، والقوارير الزجاجية وأواني الخزف البراقة ، والتحف المعدنية والعطور (١٥٧) . وكانوا يصكون النقود من الذهب المجلول من بلاد السودان (١٥٨) ، وإن كنا نفتقر الى وجود عملات رستمية كذلك التي

خلفها بنو مدرار . وقد استعاض بنو رستم عن كثير من السلع المصنوعة باستيرادها من بلاد الاندلس (١٥٩) .

أما الدور البارز الذي لعبه الخوارج في حياة المغرب الاقتصادية ، فكان في مجال التجارة ، اذ قامت الدولتين المرارية والرستمية بدور الوسيط في التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . فلم تحل العلاقات السياسية غير الودية بين دولتي الخوارج وبين أعدائهم السياسيين والمذهبيين دون استمرار الصلات التجارية مع سائر دول المغرب والاندلس فضلا عن المشرق الاسلامي وبلاد السودان .

فكانت القوافل تأتي من بغداد والبصرة الى بلاد المغرب مارة بالانبار وهيت والرقه وحران والرها وتل موذن وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية ، ومنها الى برقة ثم الى الدولة الرستمية ودولة بني مدرار (١٦٠) . كما كان الطريق البحري بين مواني دولة بني مدرار على ساحل الاطلنطي وبين مواني الاندلس كاشبيلية وشاطبة (١٦١) غاصا بالسفن بين الدولتين . اما دولة بني رستم فكان اتصالها بالاندلس عن طريق ميناء مرسى فروخ (١٦٢) على البحر المتوسط الذي يواجه مواني شاطبة وتدمير ومرسى أقلّة الاندلسية (١٦٣) .

لذلك ربطت دولتا الخوارج بين دول المشرق والمغرب والاندلس وبين افريقية جنوبي الصحراء عن طريق منافذها المنتشرة على حافة الصحراء والتي تعتبر محطات لرحيل القوافل الى بلاد السودان . فكانت سجلماسة همزة الوصل بين بلاد المغرب والاندلس وبين بلاد السودان الغربي ، كما قامت الدولة الرستمية بنفس الدور بين هذه البلاد وبين السودان الاوسط .

فعلى الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تاهرت وسجلماسة وبين بغداد والقيروان وفاس ، فان قوافل التجار المشاركة كانت تتجاز بلاد المغرب الى سجلماسة للتي غصت بالعراقيين من بغداد والكوفة والبصرة ، وكانت هذه القوافل تحمل سلع المشرق الى بلاد المغرب وتعود محملة بالمتاجر السودانية في صحبة أهل سجلماسة (١٦٤) . كذلك فقد اقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين وكان لهم مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة (١٦٥) .

وقد اهتم ائمة بني رستم بتجارة الشرق ، فشاركوا فيها ، وأشرفوا عليها بأنفسهم . وأولوا التجار رعايتهم ، وكفلوا لهم الحماية والامان (١٦٦) .

وتوطدت الصلات التجارية بين القيروان وسجلماسة وتاهرت ، فكانت القوافل تخرج من تاهرت الى القيروان مارة بهاز والمسيلة وأدنة وطبنة وباغاية ومجانة ومراجنة وسببية (١٦٧) . ومن سجلماسة كانت القوافل تخرج الى تاهرت ومنها الى القيروان ، والمسافة بين سجلماسة وتاهرت تقرب من خمسين مرحلة ، وبينها وبين القيروان تبلغ نحو من ثمانين مرحلة (١٦٨) . وعلى ذلك فقد كان فستق قفصة يباع في أسواق سجلماسة (١٦٩) ، كما لاقت سلع سجلماسة كالسكر والكمون والكرأوية والاحذية رواجاً في أسواق القيروان (١٧٠) . ووفدت السلع السودانية الى دولة الاغالبية عن طريق تاهرت وسجلماسة . ولا فرو فقد وفدت الى تاهرت جموع غفيرة من تجار القيروان حيث حظوا بحرية المتاجرة في أسواقها (١٧١) . وكان عدل الائمة الرستميين ، وترحيبهم بالتجار وشهرة تاهرت التجارية مما حجب كثيرين من هؤلاء التجار في الإقامة بتاهرت (١٧٢) ولم تعدم وجود صلات تجارية بين دولتي الخوارج والادارسة ، حقيقة ان العلاقات التجارية بين تاهرت وفاس كانت في نطاق محدود ، لكن المصادر (١٧٣) تشير الى انتظام القوافل بين سجلماسة وفاس . فالطريق كان مههداً بين المدينتين ، ويبدأ من فاس الى صفروى فقلعة مهدي ، فتادلة ، فوادي شعب الصفا ، ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد سجلماسة . وكانت القوافل تتراد هذا الطريق ، فتخرج من باب الفؤارة بفاس الى مدينة سجلماسة (١٧٤) ، حيث تتوافر الزروع والمياه ، وقد وفد كثيرون من صفرية فاس الى سجلماسة عاصمة صفرية المغرب طلباً للعلم والتجارة (١٧٥) . كما كان للتجار المديانيين نشاط واسع في أسواق مدينة فاس (١٧٦) .

وكان طبيعياً أن تتوثق الصلات التجارية بين دولتي الخوارج والدولة الأموية بالاندلس لما كان بين الطرفين من علاقات سياسية ودية . وحسبنا ان غلال سجلماسة وتاهرت كانت تسهم في حل الازمات الاقتصادية بالاندلس (١٧٧) . وقد تبادل بنو مدرار مع أموي الاندلس السلع والمتاجر ،

فكان المزارعون يصدرون القمح والسكر والكروم والتمر (١٧٨) في مقابل الشاي والطرزات القطنية والكتانية والحريية التي اشتهرت بها. قرطبة (١٧٩) . هذا فضلا عن التسهيلات الواسعة التي قدمها حكام تاهرت وسجلماسة لتجار الاندلس اثناء رحلاتهم الى بلاد السودان (١٨٠) . وكثيرا ما أثر بعض التجار والحرفيين الاندلسيين الإقامة في تاهرت والعمل في أسواقها وحوالياتها (١٨١) بينما كان البعض الآخر يعمل في نقل المتاجر بين الدولتين ، اذ في مقابل القمح الذي كان يصدر الى قرطبة استورد الرستميون كثيرا من السلع والامتنعة المصنوعة في بلاد الاندلس (١٨٢) .

اما عن تجارة الخوارج مع بلاد السودان ، فقد شكلت حجر الزاوية في نشاطهم الاقتصادي . وجدير بالذكر ان شعوب السودان كانوا اخلاطاً شتى من العناصر الزنجية القاطنة بين البحر الاحمر شرقا والبحر المحيط غربا (١٨٣) وبين المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية في الشمال وبين نطاقات الغابات الاستوائية في الجنوب (١٨٤) . ويمكن التمييز بين هذه العناصر ، فمن الشرق الى الغرب توجد شعوب النوبة - جنوبي مصر - ثم زغاوة وصومو وكوكو - بالسودان الاوسط (١٨٥) - اما السودان الغربي ، فقد سكنه شعب التكرور وأهل غانة . أما شعب التكرور فقد استوطن ضفتي السنغال ، بينما كان شعب غانة يتكون من عناصر متعددة فعلى طول الضفة اليسرى لنهر النيجر نزل شعب سنفي ، وبين السنفي والتكرور تقع ديار الشعوب المتكلمة بلغة الماندي ، وبين السنفي في الشمال ونطاق الغابات في الجنوب عاش اجداد الشعوب المتكلمة بلغة الجور حاليا (١٨٦) . ويصنف صاعد الاندلسي (١٨٧) هذه الشعوب بالفوضى والهمجية على الرغم من وجود سياسة ملوكية تضبطهم وناموس الهي يحكمهم . فقد كانت هذه الشعوب تعيش في شكل جماعات يرأسها أكبر الرجال سنا ، ولكل منها كهنته وطواطمه (١٨٨) اذ كانوا « على المجوسية وعبادة الدكاكير (١٨٩) » .

تقع مواطن هذه الشعوب بمحاذاة الصحراء الكبرى ، ويفصلها عن بلاد البربر سلسلة من الفواصل الجبلية تتخللها بعض المفاوز التي تعد وسيلة الاتصال الوحيدة بينها وبين بلاد المغرب (١٩٠) . ومن الطبيعي أن تتدغم العلاقات بين البربر والسودان بقيام دولة بني مدرار في سجلماسة . وبديهي

ان تتوطد صلاتها خاصة ببلاد التكرور وغانة المعروفة ببلاد السودان الغربي (١٩١) . وحسبنا ان عناصر سودانية أسهمت في اقامة هذه الدولة وتصدت لزعامتها حتى كان أول أمرائها سودانيا يدعى عيسى بن يزيد . واستقرت هذه العناصر في سجلماسة ، وكان لهم حصن خاص بهم يعرف « بحصن السودان (١٩٢) » . ولا شك في أنهم ساعدوا على توثق الصلة بين وطنهم الام وموطنهم الجديد ، فكانت سجلماسة حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي (١٩٣) . وجدير بالذكر ان القوافل كانت تقطع الطريق بين سجلماسة وغانة في زمن يتراوح بين شهرين (١٩٤) أو ثلاثة (١٩٥) وكان بربر زويلة ومسوفة وجدالة يصحبون هذه القوافل (١٩٦) بين سجلماسة وسائر بلاد السودان الغربي عبر المغاوز والقفار (١٩٧) . ومن المعروف ان درعة كانت مركز خروج القوافل من دولة بني مدرار (١٩٨) ، بينما عرفت « ايو الاتن » بأنها أولى المراكز السودانية التي تنزلها هذه القوافل (١٩٩) .

وقد عقد بنو رستم الصلات مع شعوب السودان جميعا ابتداء من زغاوة (الكانم) شرقا حتى ساحل غانة غربا ، لكن هذه العلاقات توطدت بشكل اساسي مع شعوب السودان الاوسط وخاصة مع الكانم . وساعد الامتداد العريض للدولة الرستمية على تعدد الطرق والمسالك الى بلاد السودان (٢٠٠)، فلم يعلم الرستميون وجود مدن عديدة متناثرة على حدودها الجنوبية كزالة (٢٠١) وارجلان (٢٠٢) أو أوجله (٢٠٣) وغدامس وزويلة (٢٠٤)، كانت مراكز لانطلاق القوافل الى هذه البلاد .

وزالة مدينة صغيرة تقع على عشرة مراحل غربي وارجلان ، أهلها من هواره ، وهي معروفة بأسواقها الماهرة (٢٠٥) . وكانت مدخل القوافل الى ساحل غانة فيما عرف « بمملكة الدمدم (٢٠٦) » أما وارجلان فمدينة صغيرة كلها متحضرة ، اشتهرت بوفرة نخيلها وغلاتها ، وغصت بالاسواق والتجار ، ومنها توجه التجار الى بلاد كوكو (٢٠٧) والتكرور (٢٠٨) وغانة (٢٠٩) . وغدامس ، بلد كبير كثير النخيل أيضا ، أهلها من المثلثين كلمتنونة ومسوفة ، وهي محطة للعبور الى بلاد السودان الاوسط حيث يربطها طريق مهبط ببلدة تادمكة (٢١٠) . وكانت زويلة مركزا للتجارة مع بلاد

الكاسم ، واشتهرت بتجارة الرقيق حيث غصت أسواقها بالعبيد
الزواغيين (٢١١) .

من هذه المنافذ أو الموانئ الداخلية - ان صح القول - خرجت قوافل
المدراريين والرستميين الى بلاد السودان محملة بالملح والنحاس والودع (٢١٢)
لتعود بالذهب والابنوس وسن الفيل والجلود الشريكة ، فضلا عن الرقيق
الاسود (٢١٣) والى سجلماسة وتاهرت ومنهما كانت تفر القوافل وتخرج
محملة بتلك السلع الى المشرق وسائر دول المغرب والاندلس (٢١٤) .

وجدير بالذكر ان أئمة بني رستم شاركوا رعاياهم هذا الدور فكان
عبد الوهاب في أيام أبيه تاجرا (٢١٥) ، وكانت قوافله تسافر الى بلاد
كوكو (٢١٦) . ولدينا من الروايات ما يؤكد اشتغال أفلح بن عبد الوهاب
وأبي اليقظان محمد بن أفلح (٢١٧) وأبي حاتم يوسف بن محمد (٢١٨)
بالتجارة كذلك . كما رحب أئمة بني رستم وعمالهم بتجار السودان ، ففتحوا
لهم الاسواق وأحسنوا معاملتهم ، وقدموا لهم التسهيلات التجارية ، فاعفوا
ضرائبهم وسلمهم من الضرائب والرسوم (٢١٩) . وعامل حكام السودان
الروايا الرستميين بالمثل ، فرحبوا بسفارات الأئمة وكفلوا الامان للتجار .

ويحدثنا ابن الصغير (٢٢٠) ان الامام أفلح أوفد سفارة من قبله الى أحد
ملوك السودان ، وبعث اليه بالهدايا السنية حفاظا على مصالحه التجارية .

هذه الصلات التجارية دعمت علاقات المودة وشائج الصداقة بين
الطرفين ، فكان رعاياهم يختلطون ببعضهم البعض ، وجدت أقليات لكل
منهما في بلاد الآخر (٢٢١) ، ويرجع لويسكي (٢٢٢) وجود جماعات من
السودان بجبل نفوسة في القرن الثاني الهجري اعتمادا على نص أورده
الشماسي ذهب فيه الى أن كثيرين من أهل الجبل أجادوا لغة الكاسم .

ولا غرابة اذا ما أدركنا تسامح الخوارج مع أعدائهم السياسيين
والمذهبيين ، وترحيبهم بالغرباء في بلادهم . وليس أدل على ذلك من وجود
طوائف اليهود في سجلماسة وتاهرت . ففي دولة بني مدرار احتكر اليهود
استغلال مناجم الفضة والذهب في درعة (٢٢٣) ، وفي تاهرت عاش الرهانة

في أحيائهم الخاصة - الجيتو - وهمينوا على كثير من مناشط التجارة (٢٢٤) ولا غرو فقد ذكر ابن الصغير (٢٢٥) ان عاصمتي دولتي الخوارج غصتا بجموع التجار من سائر أرجاء العالم الاسلامي على اختلاف مللهم ونحلهم .

ولا شك في أن الخوارج جنوا أطيب الثمار من التجارة ، فيخبرنا ابن حوقل (٢٢٦) ان اهل سجلماسة « حققوا ثراء عريضا بزواجة سائر اهل المغرب » ، ولا غرو ، فقد كانت معاملاتهم التجارية تصل الى آلاف الدنانير (٢٢٧) . كما ذكر ابن الصغير (٢٢٨) ان سكان تاهرت « علت وجوههم سيماء الحضارة والرفاهية ، وبلت من محياهم آثار النعمة والغنى » . وليس ادل على هذا الازدهار الاقتصادي من طيب العملة التي صكتها أئمة الخوارج وجودتها (٢٢٩) ، مما يؤكد ان الخوارج وان تسببوا في تفاقم أزمات بلاد المغرب الاقتصادية في عصر الثورات فانه يعزى الفضل اليهم في انعاش أحوالها الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسي .

على ان سقوط دولتي الخوارج على أيدي الفاطميين سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) ، واندلاع ثورات الخوارج من جديد ضد الحكم الفاطمي أصاب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد . وتفاقمت الاحوال وازدادت سوءا بسياسة العسف الاقتصادي التي اتبها الفاطميون . فقد انسابت جيوش أبي عبد الله الشيعي في تاهرت بعد فتحها ، وأهلكت الحرث والنسل (٢٣٠) . ولما سقطت سجلماسة نهب الفاطميون أهلها واستولوا على أموال بنسي مدرار (٢٣١) ، ثم أضرمو فيها النيران (٢٣٢) . وفرض عمال الفاطميون سياسة مالية جائرة على البلاد التي فتحوها ، « فاستولوا على أموال الاحباس والحصون (٢٣٣) » ، واشتعلوا في فرض المغارم والجبايات (٢٣٤) ، فأنقلوا صغرية درعة بالاعباء ، كما لقي أباضية نفوسة عنتا شديدا وأرغموا على دفع الاموال الباهظة والرشاوي لعمال القيروان (٢٣٥) .

وكانت سياسة العسف الاقتصادي تلك من أسباب اندلاع ثورات الخوارج على الفاطميين . ولا شك ان هذه الثورات استنزفت جهود الطرفين معا ، ونتج عنها مزيد من تخريب الطرق واحراق المزارع وتدمير المدن الى جانب ازهاق الارواح والدماء مما تسبب في حدوث المجاعات وانتشار الوبئة .

التي أدت الى تفاقم الازمات الاقتصادية .

لكن ثورات الخوارج - برغم فشلها - أجبرت الفاطميين على التخلي عن سياستهم الاقتصادية الجائرة ، فخففوا الضرائب والجبايات (٢٣٦) * وجنحوا الى الاعتدال في حكم المغاربة .

وهكذا أثر الخوارج في أحوال بلاد المغرب الاقتصادية تأثيرا عميقا ، فبسببهم تفاقمت هذه الأحوال وازدادت سوءا في عصر الثورات ، وبفضلهم ازدهرت كافة النواحي الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسي .

ثالثا - الحياة الاجتماعية :

ترك الخوارج آثارا هامة في كيان المجتمع المغربي ، وأحدثوا تطورات واضحة في مواقف قواه الاجتماعية ، ذلك لان فكر الخوارج السياسي قوامه المساواة بين كافة العناصر والاجناس دون تفرقة أو تمايز . وانتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثاني الهجري أحدث انقلابا في موازين القوى الاجتماعية ببلاد المغرب ، إذ هوت بعض العناصر التي كانت تحتكر السلطة السياسية ، وصعدت عناصر كانت مغلوطة على أمرها لتقف على قدم المساواة مع القوى الاخرى ، ونالت حظها في بعض الأحيان في قيادة الثورات وتولي مقاليد الحكم والسياسة .

لقد كان المجتمع المغربي قبيل انتشار مذهب الخوارج مجتمعا متمايزا غير متجانس وكانت قواه وعناصره في صراع طائفي وعنصري دائم ، فالعرب تمتعوا بوضع ممتاز نتيجة احتكارهم شئون الحكم وهيمنتهم على السلطة . ومع ذلك دب الشقاق والصراع على الصدارة بين العرب اليمينية والعرب القيسية (٢٣٧) - مما أضعف العنصر العربي عموما في أواخر العصر الاموي .

اما البربر - سكان البلاد الاصليين - فعلى الرغم من انهم يمثلون السواد الاعظم من السكان لم يكن لهم وزن كبير في الحياة السياسية . ورغم ما كان بينهم وبين العرب من عداوة لم يسلموا من آفة الثورات والخصومات القبلية كالصراع بين « بربر الوبر » و « بربر المدر » ، أي بين عنصري البتر

والبرانس ، وهو صراع قديم متوارث ظل قائما طوال العصر الاسلامي •

الى جانب العرب والبربر وجدت ببلاد المغرب اقلية من الافارقة السودان واليهود ولم يكن لتلك الاقلية كبير وزن في الحياة السياسية في عصر السيادة الاموية والتعصب للعرب • فالافارقة اصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم واعتنقوا ديانتهم ، أو من الاجانب الذين طال استيطانهم في بلاد المغرب حتى أصبحوا « افارقة » • وقد اعتنق هؤلاء وأولئك الاسلام على أمل الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المتميزة التي تمتعوا بها في العصر البيزنطي، لكن بعض ولاة بني أمية اضطهدوهم وعاملوهم معاملة الموالى (٢٣٨) •

أما السودان ، فكانوا يجلبون من افريقية جنوبي الصحراء عن طريق الغزوات العربية لاطراف بلادهم ، أو يجلبون كرقيق عن طريق التجارة (٢٣٩) • وقد اختلط كثيرون منهم بالبربر ، واعتنق بعضهم الاسلام •

وكانت ببلاد المغرب أعداد غفيرة من اليهود هاجروا اليها في العصر الروماني وظل هؤلاء يعيشون عيشة العزلة عن المجتمع المغربي وشكلوا اقلية كان لها دور كبير في النشاط الاقتصادي • وإذا كانوا قد تمتعوا بالحريّة الدينية بعد الفتح الاسلامي باعتبارهم أهل ذمة ، فقد تعرضوا لكثير من مظالم الولاة الامويين (٢٤٠) •

لقد كانت ثورات الخوارج في المغرب تمثل في جانبها الاجتماعي صراعا بين العرب والبربر بسبب سياسة بني أمية في التعصب للعنصر العربي ، ولهذا حرص توارد الخوارج على « الفتك بأهل العرب » (٢٤١) عموما ، والقرشيين منهم بوجه خاص (٢٤٢) • ولعل في قول هشام بن عبد الملك عقب هزيمة العرب في موقعة الاشراق سنة ١٢٣ هـ (٧٤١ م) « والله لاغضبني غضبة عربية (٢٤٣) » مشبرا الى ذلك الطابع الاجتماعي للصراع •

والذي نؤكد ان هذا الصراع تمخض عن اضعاف شوكة العرب ، فقد قتل كثيرون منهم في معارك الاشراق « التي فني فيها حماة العرب وفرسانها وكماتها وابطالها (٢٤٤) » ، وبقدرة التي كان فيها مصير الجيش العربي « بين ثلث مقتول ، وثلث منهزم ، وثلث مأسور (٢٤٥) » والقيروان سنة ١٣٩ هـ (٧٥١ م) التي اجهز فيها على كل من بالمدينة من القرشيين (٢٤٦) •

ثم كان سقوط الخلافة الاموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م) واعتماد العباسيين على الجند الخراساني والفراسي في مواجهة ثورات الخوارج في البلاد (٢٤٧) اذ الثابت ان اعدادا كبيرة من الجند الفراسي والخراساني وفدت الى بلاد المغرب في حملات محمد ابن الاشعث سنة ١٤٢ هـ (٧٥٩م) ويزيد بن حاتم سنة ١٥٤ هـ (٧٧١م) وهرثة بن أعين سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥م) * وقد نأفس هؤلاء الجند العرب مكان الصدارة *

أما البربر فان اعتناقهم مذهب الخوارج ، ساعد على توحيد شملهم تحت لواء واحد فقد جمعهم جميعا بترا وبرانس مبادئ الخوارج التي تحض على العدل والمساواة * واختفت الى حين - نزعات الخصومة والتناحر بين بربر الوبر وبربر المدر * واشتركوا جنباً الى جنب في الثورة على العرب (٢٤٨) * وقيام دولتي الخوارج أكد هذه الوحدة للبربر فدولة بني مدرار ضمت صفرية المغرب من البتر والبرانس على السواء ، وتكاثفت مكناسة وزناته من البتر مع صنهاجة وزويلة ومسوفة ولتونة من البرانس على تأسيسها (٢٤٩) *

والدولة الرستمية عاشت في كنفها قبائل هوارة ولوالة ومكناسة ومزاته ولماية وغيرها (٢٥٠) *

كما أدى انتشار مذهب الخوارج الى ظهور عنصري الافارقة والسودان بعد ان كانا على هامش الحياة السياسية من قبل ، فاعتناق الافارقة للمذهب الصفرى ، أهل زعيمهم عبد الأعلى بن جريج لتولي حكم طنجة من قبل ميسرة (٢٥١) * وتغلغل المذهب ذاته بين السودان أنضى الى تقلد زعيمهم عيسى بن يزيد الاسود رئاسة دولة بني مدرار سنة ١٤٠ هـ (٢٥٢) (٧٥٧م) *

وقد أدى قيام دولة الخوارج المستقلة في بلاد المغرب الى انشاء مدن اسهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والبشري (٢٥٣) * ففي واحة تافيللت أسس الصفرية سجلماسة سنة ١٤٠ هـ (٢٥٤) (٧٥٧م) وأخذت المدينة الصغيرة * التي لم تكن عند نشأتها سوى «مجمع للصفرية» - تتسع ويزداد عمرانها شيئاً فشيئاً * اذ أقبلت القبائل على سكناها ، قبنت الضواحي والارياض (٢٥٥) ، واعتادت حياة الاستقرار * وترك معظمها حرفة الرعي الى الاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة * وأدى ذلك الى عمران اقليم تافيللت

بعد ان كان يعاني نقصا في السكان . فقد جذبت المدينة الجديدة بطون مكناسة الغضارية في وادي ملوية (٢٥٦) ونواحي تازا وتسول بالمغرب الاقصى (٢٥٧) فهجروا مواطنهم واستقروا بها . كما وفدت اليها بطون من صنهاجة اللشام من مسوفة وملتونة (٢٥٨) وزويلة (٢٥٩) وغيرها . كذلك نزحت جماعات من بلاد السودان لتسهم في عمران الاقليم وتقيم فيه بصفة دائمة . وقد اعزى ازدهار المدينة بمض العناصر الاندلسية ، فهجرت بلادها ، واقامت بسجلماسة ايضا (٢٦٠) . ونظرا لاهمية موقعها كبركز تجاري ممتاز ، ولوفرة مناجم الذهب والفضة بالقليم تافيللت ، فقد قصدها جماعات من اليهود طمعا فسي الثراء ، وطلبا للامن والاستقرار (٢٦١) .

ولا شك ان هجرة القبائل الى سجلماسة ادى الى تحولها من حياة البداوة الى حياة الاستقرار وغير الكثير من مظاهر حياتها الاجتماعية ومن عاداتها وتقاليدها (٢٦٢) نتيجة اختلاطها بعناصر اخرى وافدة كالسودان والاندلسيين .

وقيام الدولة الرستمية سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) كانت له اثاره الاجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الاوسط ، فقد تحول اقليم تاهرت من غابات وغيابض وآجام للوحوش والزواحف (٢٦٣) الى مدينة عامرة آهلة بالسكان مزدانة بالمنازل والزروع . كما تحولت غدامس وورجلان وودان وزويلة من مجرد قرى مضمورة على حافة الصحراء الى منافذ وثقور داخلية آهلة بالحركة والنشاط . بفضل تجارة بني رستم من بلاد السودان (٢٦٤) . وترتب على ذلك انتقال السكان من حياة البداوة والترحال الى حياة الحضارة والاستقرار . فقبائل حوارة ومزاته ولواته وسدراته ولماية أنفت معظم بطونها احتراف الرعي وأقدمت على الاشتغال بالزراعة والتجارة ، وتركت مواطنها الاصليّة لتستقر بقاھرت وما حولها ، واتخذت العير والخيول ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة (٢٦٥) . وما لبثت ان تطلعت الى السلطة فشاركت في الفتسن والثورات على أئمة بني رستم ، وتقدر لبعضها الظفر بالحكم كما حدث بالنسبة لمحمد بن مسالة الهواري (٢٦٦) .

ولما كان أئمة بني رستم من الفرس ، فقد جذبت تاهرت كثيرا من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها حتى كانوا أشبه بدولة

داخل الدولة • وليس أدل على تفوذهم من أن زعيمهم بنأ سوقا • لم يكن صاحب شرطة الامام أفلق ليجرا على دخوله او يتخلله ، هيبة وخوفا (٢٦٧) •

هذا وقد احتوت دولة بني رستم جماعات كبيرة من الغرب نزحوا الى تاهرت لشهرتها التجارية . او فرارا من الاضطهاد المذهبي ، او هربا من أفرقية بعد فشل ثوراتهم على الامارة الاغلبية (٢٦٨) • وكان لهم دورا بارزا في احداث الدولة الرستمية في عصرها الاوسط • الامر الذي أثر تأثيرا عميقا في حياة المجتمع الرستمي • ونعتقد ان العناصر الاباضية الوافدة لعبت دورا بارزا في هذا الشأن باعتبارها اكثر حضارة ورقيا من القبائل البدوية سكان البلاد الاصليين ومن مظاهر ذلك تحول البلاط الرستمي عن حياة الزهد والتقشف الى حياة الترف والدعة • لقد كان عبد الرحمن بن رستم - اول أئمة بني رستم - ورعا زاهدا ، فبيته لم يكن به الا « حصيرا فوقه جلد ووسادة ينام عليها ، وسيفه ورمحه . ولسر مربوط في ناحية من داره » (٢٦٩) • اما خلفاؤه فقد عاشوا حياة خلفاء المشرق وملوك الفرس ، فامتلكوا القصور والضياع والمنازل والحصون التي اقاموها بنواحي تسلونت خارج تاهرت (٢٧٠) ، واقتنسوا الجواري والغلمان (٢٧١) والعبيد والحشم (٢٧٢) • وكان لخيولهم وخدمهم وعبيدهم منازل خاصة بحصن تماليت خارج المدينة (٢٧٣) • وانصرف معظم الرستميين الى حياة الترف والدعة والولع بالفنون والاداب (٢٧٤) • كما تطرق الفساد الى «الرستمية» فكانوا يخالطون العيارين والشطار ، وينادمون الفتيان ، ويعتدون على الحرائر (٢٧٥) •

كما تشبه بنو رستم بالمشاركة في اقامة الاسمطة « والجفان » لاطمام الفقراء ايام الاعياد والمناسبات الهامة (٢٧٦) • فكانت تقام الاحتفالات التي يحضرها وفود من كافة انحاء الدولة ، وكان عمال الامام ورؤساء القبائل ينزلون في «دار الضيافة» ، ويسرفون الى عمالاتهم او الى مضاربهم بعد ان تجري عليهم الارزاق وتوزع عليهم الهدايا والالطاف (٢٧٧) •

وفضلا عن ذلك فان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة كان له حسناته كما كان له مساوئه ايضا ، فقد اقام البربر في ظل الحكم الرستمي « قصورا منظمة وأبنية مبهجة وقبابا مرتفعة ، وأسواقا مزدحمة ، ومساجد متعددة

بمبارات عالية ، وحمامات متقنة ، واتفخروا الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة ، وتنوعت الالبسة وتعددت اللغات والازياء (٢٧٨) ٠٠ « يقابل ذلك تحليل المجتمع الرستمي وتفشي الرذائل فيه » فقد ظهر المنكر ، وكثر الفسق وشرب الخمر (٢٧٩) ٠ « وهو ما عبر عنه ابن الصغير (٢٨٠) بقوله « فسد البلد وفسد أهلها ٠٠ فاتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان أخذانا ٠ وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة « من سفهاء زنائة (٢٨١) ٠ وهذا هو الذي أثار ثائرة فقهاء المذهب فتبرموا بهذه المفاسد. وظهروا وسخطهم عليها(٢٨٢)

وجدير بالذكر أن من أهم آثار الخوارج في المجتمع المغربي بروز المرأة. فكما اشتهرت بعض نساء الخوارج في الشرق - كفضالة أم شبيب بن يزيد الشيباني (٢٨٣) ٠ في فنون السياسة والحرب ، وأسهم بعضهن في النشاط السري الخاص بالتنظيم والدعوة (٢٨٤) ، برزته كثيرات من نساء الخوارج في المغرب في نواحي السياسة والثقافة ٠ فقد تولت جدة المنتصر سمكو بن محمد الوصاية عليه وأمسكت بزمام السلطة في سجلماسة لكونه قاصرا(٢٨٥) وأخت الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم برزته في علم الفلك وتفوقت عليه في قراءة الطوالع والنجوم (٢٨٦) ٠ وكانت غزال زوجة أبي اليقظان محمد « مالكة لامره (٢٨٧) » حتى لقد أرغمته على تقليد ابنها أبي حاتم يوسف ولاية العهد (٢٨٨) ٠ ولا يخفى دور دوسر ابنة أبي حاتم يوسف في احداث العصر الرستمي الاخير ، تلك التي أودت بالدولة الرستمية (٢٨٩) ٠

وابعا : الحياة الثقافية :

ترك الخوارج أثرا واضحا في الحياة الثقافية ببلاد المغرب ٠ اذ ان مذهب الخوارج تضمن آراء خاصة تفرد بها عن سائر المذاهب الاسلامية الواحدة الى المغرب ٠ ولما كانت هذه الآراء تمثل في جوهرها عودة الى تعاليم الاسلام الصحيحة ، فقد اقبل المغاربة على اعتناقها اكثر من اقبالهم على أي مذهب آخر ٠ وقد سبق التعريف بدور دعاة الخوارج في بث مذهبهم بين شيوخ القبائل الذين تحولوا الى دعاة للمذهب بين قبائلهم حتى عمت الدعوة سائر بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ٠

وانتشار مذهب الخوارج استلزم تبصير المغاربة بفقهاء وآرائه وعقائده ، ولم يقدر لدعاة الخوارج الاول كمكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعيد وابن مغيطر ان يقوموا بهذا الدور . فاختر المغاربة بعض رجالهم وأوفدوهم في بعثة الى البصرة للدراسة والتعلم والتعمق في أصول المذهب وفروعه . واستمرت مهمتهم خمس سنوات عادوا بعدها الى المغرب « حملة للعلم » . ثم قاموا ، بتدريس ما حصلوه بالشرق في حلقاتهم التي انتشرت في جهات كثيرة من بلاد المغرب الادنى وافريقية . وفي تلك الحلقات تلقى الاتباع الاصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وراء الفرق الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (٢٩٠) ، فكانت بمثابة مدارس للعلوم العقلية والنقلية في آن واحد ، ومراكز لتعريب البربر ونشر الحضارة العربية أيضا .

ولم تنقطع الصلة بين خوارج المشرق والمغرب ، فكانت كتب غفهماء المذهب في الشرق وتصانيفهم تزداد الى المغرب بشكل دائم (٢٩١) . كما دأب فقهائهم ومحدثوهم على القدوم الى المغرب للتدريس والافتاء (٢٩٢) . وفي نفس الوقت لم تنقطع بعوث المغاربة الى المشرق للاخذ عن اعلام المذهب في العراق ومصر والحجاز (٢٩٣) .

ولا شك ان ذلك الاتصال الثقافي بالشرق اثرى الحياة الثقافية في بلاد المغرب ، فظهر كثيرون من الاعلام المغاربة في العلوم الدينية والدينية كالشيخ مهدي النفوسي المتكلم البارح (٢٩٤) وابن يانس الدائع الصبست في التفسير وأبو الحسن الابدلاني الفقيه (٢٩٥) والفقيه المتبحر عبد العزيز بن الاوز (٢٩٦) ويعقوب بن سيلوس قاضي وارجلان (٢٩٧) وغيرهم ممن أثروا بتأليفهم ومصنفاتهم الحياة الثقافية ببلاد المغرب . وقد ألف هؤلاء بالعربية والفارسية ومنهم من ترك كتباً بلغة البربر كابن سهل الفارسي (٢٩٨) .

ولا شك ان انتشار آراء الخوارج بين البربر أحدث ثورة فكرية في بلاد المغرب ، وساعد على ذلك التنافس الفكري بين الخوارج وبين غيرهم من أتباع المذاهب والفرق الاسلامية الاخرى التي وفدت الى بلاد المغرب . وأهم الملاحم الفكرية التي جرت في هذا الصدد كانت مع السنة المالكية والمعتزلة ، ثم مع الشيعة الفاطميين .

فقد غلب مذهب مالك على افريقية وساد ما عداه من المذاهب الاخرى ،
الا ان مذهب الخوارج تسرب اليها بشقيه الصفري والاباضي وتذكر كتب
الطبقات (٢٩٩) ان حلقات الصفرية والاباضية كانت تعقد في مساجد افريقية
بل في جامع القيروان ذاته . حيث دأب فقهاء الخوارج على تدريس تعاليم
المذهب ومناظرة مخالفه . ومع ما عرف عن المالكية من تعصب وبغض لمخالفهم ،
فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم في افريقية حتى تولى سجنون القضاء
فحظر عليهم ذلك ، وبدد حلقاتهم وشتت شملهم (٣٠٠) ودرج من جاء بعده
من القضاة المالكية على اضطاد الخوارج في افريقية واذلالهم .

وعلى خلاف ذلك حظى المالكية في دول الخوارج بتسامح الى أبعد
الحدود حتى ان بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت في أواخر
حكم بني رستم (٣٠١) . وليس أدل على هذا التسامح مما يرويه ابن
الصفير (٣٠٢) - وهو مالكي عاصر أئمة بني رستم الاواخر - عن الحرية
التامة التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تاهرت
فيما عدا المسجد الجامع . ويحكي ابن الصفير (٣٠٣) كثيرا عن محاوراته
ومساجلاته مع مشايخ الاباضية في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية دون
ان يتعرض لارهاب او بطش .

ولما كان المذهب الاباضي أقرب مذاهب الخوارج الى مذهب أهل السنة ،
فلم يجد فقهاء القيروان ما يحول دون التحالف مع الاباضية لمناوئة المذهب
الشمسي (٣٠٤) . وقد ظهر هذا الائتلاف بشكل واضح في ثورة أبي يزيد
مخلد بن كيداد .

أما المعتزلة او الواصلية فكانت مضاربهم بالمغربين الاوسط والاقصى
حيث شكلوا أقليات لها ثقلا في دول الادارسة وبني مدرار وبني رستم . ففي
سجلماسة أقامت اعداد غفيرة منهم ، وتمتعوا بحرية وتسامح في رحاب بني
مدرار على الرغم من تطرف المذهب الصفري (٣٠٥) . وليس أدل على ذلك
من سماح المدراريين لهم بأن « يبعثوا بزكاة أموالهم الى رئيسهم بتاهرت يصرفها
حيث شاء (٣٠٦) » .

وفي تاهرت وما حولها كان يقيم ما يربوا على ثلاثين ألف من

الواصلية (٣٠٧) . وعلى الرغم مما قاموا به من دور معادي لائمة بني رستم وتمردهم في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فقد حظوا بتسامح ديني الى أبعد الحدود . وحسبنا ما كان بين شيوخهم وزعماء الاباضية من محاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء وبين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ اباضية الشرق (٣٠٨) . ونستشف من المصادر الاباضية ان فقهاء المعتزلة بزوا مشايخ الاباضية في تاهرت ، وأفحموا الامام عبد الوهاب ذاته في مساجلاتهم معه . فلم يستطع عبد الوهاب محاجاتهم في كثير من المسائل الجدلية المتعلقة بالعقائد والشرائع ، بدليل استعاضته بشايخ المذهب في جبل نفوسة في هذه المساجلات (٣٠٩) . وكانت المعارك الجدلية بين الاباضية والمعتزلة لا تفتت أبدا (٣١٠) . ومع ذلك نعم المعتزلة في العصر الرستمي الاخير بتسامح كبير فكانوا يلتقون في منازعات ومساجلات مشهورة مع مشايخ الاباضية على نهر منية خارج تاهرت ، وكان قطب الاباضية المدافع عن مذهبهم ويدعى عبد الله بن اللطفي له معهم مواقف مشهودة أشار اليها ابن الصغير المالكي (٣١١) .

أما التشيع فقد أخذ سبيله الى دولتي الخوارج في عصرهما الاخير ، فالمذهب الشيعي وفد الى سجلماسة قبل وصول المهدي اليها (٣١٢) ، ولم يعد المهدي وجود أنصار وأتباع في سجلماسة كانوا يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم ابان وجوده بها (٣١٣) .

وتحدث ابو زكريا (٣١٤) عن وجود كثيرين من الشيعة في تاهرت في عصر الرستميين الاواخر . والحق - اننا لم نقف على ثمة نشاط فكري واضح للشيعة في تاهرت . وان كانت كتب الاباضية تحفل بكثير من المساجلات والمنازعات بين الاباضية والشيعة بعد سقوط دولة بني رستم سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩م) ولعل من أكثرها طرافة ما حدث بين أبي نوح سعيد بن زنفيل الاباضي وبين أبي تميم المعز لدين الله الفاطمي من مواقف تدل على حصافة الشيخ الاباضي من ناحية وتبجيل المعز للعلماء والفقهاء من ناحية اخرى (٣١٥) .

ولا شك أن المحاورات والمساجلات بين شيوخ تلك المذاهب وبين فقهاء

الخوارج أثرت الحياة العقلية في بلاد المغرب بوجه عام . وهذا ما عبر عنه النفوسي (٣١٦) بقوله :

« .. وكثرت الآراء والاقوال ، وانتحل البحث في المذاهب ، وعظم الجدل حول مسألة الإمامة ، فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعي أنه أولى وأحق بها ، ويقيم على ذلك الحجج والأدلة » . والفضل يعزى الى أمراء الخوارج في إتاحة الحرية الدينية لتنافس تلك الطوائف وتصارع آرائها .

وكان الأمراء الخوارج يقدرون العلم والعلماء ، فقد عرف عن حكام والنفاية ، لكن هذه الانشقاقات غدت فكر الخوارج ، وأمدته بأراء واجتهادات جديدة ، كآراء يزيد بن فندين في الإمامة المشروطة ، واجتهادات فرج بن نصر (٣١٧) المعروف بنقات في تطوير العقائد الإباضية (٣١٨) .

وكان الأمراء الخوارج يقدرون العلم والعلماء ، فقد عرف عن حكام سجلماسة « حب العلم والرغبة في طلبه وتحصيله (٣١٩) » كما كان البيت الرستمي « بيت العلوم جامعا بفنونها من علوم التفسير والحديث ، وعلم اللسان وعلم النجوم ، والاصول والفروع والفرائض (٣٢٠) » . فعبد الرحمن ابن رستم يوبح بالإمامة « لعلمه وفضله » وحسبه أنه كان من « حملة العلم الخمسة » الى المغرب . وعبد الوهاب بن عبد الرحمن كان له خلواته العلمية الخاصة الى جانب مجالسه العامة التي كان يرتادها طلبة العلم من سائر جهات دولته (٣٢١) .

اليقظان محمد « يدرس في حلقات ، ثلاثة انواع من العلم (٣٢٣) » . وكانت اليقظان محمد « يدرس في حلقات ثلاث ، ثلاثة انواع من العلم (٣٢٣) » . وكانت مكتبة الاسرة الرستمية – المعروفة بالمعصومة – تجري أمهات الكتب الدينية الى جانب مصنفات الفنون والرياضيات والصنائع (٣٢٤) .

وقد أضحت سجلماسة وتاهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب ، ووفد اليها طلاب العلم من سائر انحاء المغرب وخاصة تاهرت « التي تعددت بها اللغات واللهجات (٣٢٥) » وجاب علماؤها مدن الشرق والمغرب رغبة

في طلب العلم وتحصيله (٣٢٦) • كما خرج منها أيضا طلاب العلم إلى القيروان وقرطبة (٣٢٧) •

وإلى الخوارج يعزى الفضل في وضع البذور الأولى لنشر الإسلام في بلاد السودان الواقعة جنوبي الصحراء • ذلك أن الجهود السابقة التي بذلها عقبة بن نافع في هذا الصدد لم يقدر لها النجاح (٣٢٨) ، كما أن غزوات عبد الرحمن بن حبيب وعبيد الله بن الحجاج لأطراف بلاد السودان لم تنخفض عن شيء سوى الحصول على المغانم والسبايا (٣٢٩) • إنما قام أبو القاسم سمكو بن واسول أمير سجلماسة بنشر الإسلام على المذهب الصفيي بين الجماعات السودانية التي كانت تعمل في نقل التجارة عبر الصحراء ، ومعروف أن كثيرين منهم آثروا الاستقرار بسجلماسة بعد إسلامهم • وبفضل بنسي مدرار انتشر الإسلام بين قبائل صنهاجة اللثام من مسوفة وملتونة التي كانت تضرب بنواحي سجلماسة على طول المغازة بينها وبين بلاد غانة (٣٣٠) • وقد ازدادت أعداد هؤلاء بسجلماسة حتى وصف البكري (٣٣١) سكانها « بأنهم يلتزمون النقاب » ولما كان لهم دورهم الهام في الوساطة بين بلاد المغرب من ناحية وبين أقاليم إفريقية الغربية من ناحية أخرى ، تسرب الإسلام عن طريقهم إلى تلك الجهات وانتشر لأول مرة بين جماعات التكرور وأهل غانة (٣٣٢) •

أما الأجزاء الوسطى من بلاد السودان - وهي بلاد الكانم أو زغاوة - فقد بلفتها الدعوة الإسلامية عن طريق تجار بني رستم ، إذ إن الرستميين كانوا على صلات تجارية وطيدة مع هذه البلاد • ومن المحقق أن تلك الصلات أسفرت عن انتشار الإسلام بين بعض الزواغيين على خلاف ما هو شائع عن بقائه زغاوة على « الشرك » حتى قيام دولة المرابطين (٣٣٣) • وما ذهب إليه بعض الدارسين (٣٣٤) من أن انتشار الإسلام في بلاد الكانم كان على يد المصريين • والواقع أن بني رستم وضعوا البذور الأولى لحركة انتشار الإسلام في تلك النواحي (٣٣٥) • ولدينا من الأدلة ما يؤيد ذلك ، إذ نعلم أن قاضي جبل نفوسة - ويدعى عمرو بن فتح - « بعث عالما كبيرا من أهل الدعوة » إلى زغاوة حيث استقر هناك وطاب له المقام (٣٣٦) • كما أورد الشماخي (٣٣٧) رواية تدل على اعتناق أحد ملوك زغاوة الإسلام على يد أحد مشايخ نفوسة •

وقد أخذ لويسكي (٣٣٨) بهذه الرواية ، وكذلك ماسكراي (٣٣٩) الذي أكد أن الاسلام وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الاباضية من رعايا الدولة الرستمية .

ولعل من أهم آثار الخوارج في الحياة الثقافية في بلاد المغرب تصديدهم لمواجهة حركة التشيع التي قام بها الفاطميون الذين حاولوا نشر مذهبهم بوسائل العنف والشدة . يتضح ذلك من سياستهم في محاولة طمس معالم تراث الخوارج ببلاد المغرب كاحراق المكتبة المعصومة بتاهرت واهدار كتب الخوارج بها (٣٤٠) . وقد اشترك السنة مع الخوارج في محاربة التشيع ، وكان انتصارهم وشيكا لولا فشل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وإخفاق حركة الشاكر لله بسجلماسة . اذ لو قدر نجاح هاتين الحركتين لزال الدعوة الشيعية . الاسماعيلية من بلاد المغرب . وبنهاية نفوذ الخوارج السياسي في بلاد المغرب أنحصرت ثقافتهم وتراثهم وانحصر في بقاع مغلقة في جبل نفوسة وواحة وارجلان ووادي الميزاب .

واذا كانت المادة تعوزنا لدراسة أثر الخوارج في العمارة والفنون فسي بلاد المغرب ، فالراجح أنهم تأثروا في هذا الصدد بمؤثرات شرقية (٣٤١) وأندلسية (٣٤٢) .

فكانت عمائر سجلماسة وأبيتها على نمط اندلسي نتيجة جهود العناصر الاندلسية الوافدة اليها في تعميرها . وقد وصف ابن حوقل (٣٤٣) كثير منها بأنها قريبة الشبه بأبنية الكوفة . وتفيض كتب الرحالة (٣٤٤) بوصف روعة هذه العمائر من قصور وأسوار وحصون ومساجد .

كذلك تأثر فن العمارة الرستمي بمؤثرات فارسية (٣٤٥) ، سواء في انشاء المدن وتخطيطها (٣٤٦) ، أو في انشاء المساجد والعمائر والقصور (٣٤٧) بينما ظهر الاثر الاندلسي واضحا في القلاع والحصون التي انتشرت خاراج تاهرت (٣٤٨) أبان الصراع بين القبائل والعناصر المختلفة في العصر الرستمي الاخير . ومن ناحية أخرى ذهب جورج مارسيه (٣٤٩) الى ان بعض المؤثرات المغربية في العمارة انتقلت الى مصر عن طريق الحجاج المغاربة .

الهوامش

هوامش المقدمة

- (١) Les siècles obscurs du Maghreb, p. 292
(٢) Les Berbers. Vol. 2, p. 4.
(٣) Histoire de l'Afrique du Nord. p. 339
(٤) Histoire de l'Afrique septentrionale. p. 67
(٥) سادة بني رستم بإثارة المعارف الإسلامية ، ص ٩٣ .
(٦) انظر : ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥٨ .
(٧) راجع : البلاذري : انساب الاشراف ، ج ١١ ، ص ١٠٦ .
(٨) المتنبس في اخبار بلاد الاندلس ، تطبيق الحجري ، ص ٣٣ .
(٩) بغية المتنبس في تاريخ رجال الاندلس ، ص ١٣١ .
(١٠) انظر : عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب . نشرة بروفنسال ، ص ١٩٨
(١١) انظر : Histoires de Rois Obscures. p. 9.
(١٢) ذكره الدكتور سمح زغلول - خطأ - ضمن مؤرخي الاباضية . انظر تاريخ المغرب العربي ، ص ٢٧ م .
(١٣) ابن الصغير : ص ٤٦ .
(١٤) Actes du 14 Congrès international des orientalistes Algiers, 1905. Vol. 3, part 2.

- (١٥) انظر : بروفنسال : نص جديد ، ص ١٩٥ . حسين مؤنس : رسائل النفوس : المقدمة ، ص ٦
- Hopkins: Medieval Moslom government in Barbary. p. XI
- (١٦) انظر : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ١٠ .
- (١٧) البلدان ، ص ٣٥٨ .
- (١٨) انظر : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ١٠ .
- (١٩) طبقات الإباضية ، ج ٢ ، ورقة ٢٥ .
- (٢٠) رسالة في ذكر كتب الإباضية .
- (٢١) The Ibudites. p. 276. The Moslem World. vol. 12, July 1922
- (٢٢) انظر :
Chronique d'Abou Zakaria. p. VII.
- (٢٣) انظر :
Actes du 14 Congrès international des Orientalistes Algiers, 1905.
vol. 3. part 2.
- (٢٤) سير أبي الربيع بن عبد السلام الوسياني ، ورقة ١ وجه .
- (٢٥)
Une chronique ibadite «Kitāb-as-Suār» d'As-Samachi. p. 74. Revue
des études Islamiques, vol. VII, 1934.

هوامش الباب الاول

- (١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوكة . ج ٦ ، ص ١٧٢ ، المبرد : الكامل ج ١ ، ص ٥٤٦ ، ج ٣ ص ٩٥٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ، ص ٢٥٦ .
- (٢) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٢
Dozy : Spanish Islam. p. 86, Lammens:
Etudes sur le siècle des Omayyades, p. 187.
- (٣) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ١٤٦ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ .
- (٤) البغدادي : نفس المصدر والصحيفة ، السعدي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٥ ، جعفر بن عبد السلام : اباة المناهج ، ورقة ١٥٤ ، مطبوع .
- (٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٦ ، الاسفرائيني : المرجع السابق ص ٤٦ ، جعفر بن عبد السلام : المرجع السابق ورقة ١٦٦ .
- (٦) الاسفرائيني : نفس المصدر والصحيفة ، Gibb: Mohammedanism. p. 170 .
- (٧) عن علي والفوارج انظر : الطبري ج ٥ ص ٧٦ وما بعدها ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢١٠ وما بعدها
- (٨) الطبري : نفس المصدر ص ٥٦٣ ، فلهون : الفوارج والشيعة ص ٦٩ .
- (٩) ابن خلدون : المعبر ج ٣ ص ١٤٢ .
- (١٠) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ، ص ٤٦ .
- (١١) المبرد : الكامل ج ٣ ص ١١٥١ ، سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ص ١٢٦ . وقد اسرف بعض الدارسين في تقدير الآثار الناجمة عن اعتناق الوالي مذهب الفوارج حتى ذهبوا الى ان عقائد الفوارج تنتمي الى اصول مسيحية ومجوسية . انظر : عمر أبو النصر : الفوارج في الاسلام ص ٢٤٥ . فالواقع ان عقائد الفوارج تفردت بباطنها العربي الاسلامي الخالص وخلوها من أي اثر لفلسفة اليونان أو الفرس . انظر : احمد امين : ضعي الاسلام ج ٣ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

- (١٢) المبرد : الكامل ج ٣ ، ص ٩٦٧ .
- (١٣) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥١ .
- (١٤) الطبري : ج ٥ ص ٢١١ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ، ج ٢ ص ١١٣ .
- (١٥) تاريخ الدولة العربية ص ٣٧٢ .
- (١٦) نفس المصدر ص ٦١ ، ليفي ديلافيدا : مادة الصفرية - دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٢٩ .
- (١٧) الوردجاني : الدليل لاهل القول ج ١ ص ١٥ ، مجهول : قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة ٩٧ - محفوظ .
- (١٨) عن هذه الفرق ومعتقداتها انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٦ - ٥١ .
- (١٩) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٦١
- عن تفصيلات اسباب خروج عبد ربه الكبير على قطري راجع : الطبري ، ج ٦ ص ٣٠٠ .
- ٣٠١ .
- (٢٠) الطبري : ج ٦ ص ٣٠٠ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٤١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ، ص ٣٠
- (٢١) عن اسباب هذا الخلاف انظر : البلاذري : انساب الاشراف ج ١١ ص ١٤٤ .
- (٢٢) الطبري : ج ٦ ص ١٧٤ ، اليعقوبي : تاريخه ج ٣ ص ١٨ .
- (٢٣) الطبري : نفس المصدر ص ٣٧٥ .
- (٢٤) ابن خلدون : ج ٣ ص ١٤٢ .
- (٢٥) ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ١٧١ .
- (٢٦) ورد في خطاب له في هذا الصدد قوله « .. ايها الناس ، اني لم ازل احب لجماعتكم العافية واكف عنكم الاذى » واني والله لقد خشيت ان يكون ذلك ادب سوء لسفاهلكم ، واما العلماء الاتقياء فلا . وايم الله . لقد خشيت الا اجد بدا من ان يحصب العليم التقى بدلبي السفيه الجاهل . فكفوا ايها الناس سفهؤكم قبل ان يشعل البلاء عوامكم . وقد ذكر لي ان رجلا منكم يريدون ان يظهروا في مصر بالشقاق والطلاف ، وايم الله - لا يفرجون في حي بين احياء العرب في هذا العصر الا ابدتهم ، وجعلتهم نكالا لمن بعدهم ... » .
- راجع الطبري : ج ٥ ص ١٨٤ .
- (٢٧) المبرد : الكامل ج ٣ ص ٩٨٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٩ .
- (٢٨) المبرد : نفس المصدر ص ١٠٠٦ .
- (٢٩) ابن عبد ربه : المرجع السابق ص ٢٥٩ .
- (٣٠) الطبري : ج ٥ ص ٣١٢ .
- (٣١) الاخبار الطوال ص ٢٧٠ .

- (٣٢) الجرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٠٤ ، ليهوون : الخوارج والشيعة ص ٦٣ .
- (٣٣) ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٢٠٣ ، ابن خلدون : المعبر ج ٣ ص ١٤٤ .
- (٣٤) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٧٥ . وفي هذا المصدر ارتجز احد الخوارج هذا القول : حتى متى يتبعنا المهلب ليس لنا في الارض منه مهرب ولا السماء ، اين المذهب ؟ الدينوري : نفس المصدر ص ٢٧٦ .
- (٣٥) ابن العربي : القواصم والمواصم ورقة ١٠٧ مطبوع .
- (٣٦) مجهول : الميون والحدايق في اخبار السقاليق ص ٢٢ .
- (٣٧) البلاذري : انساب الاشراف ج ١١ ص ٦٣ .
- (٣٨) الجرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٦٤ ، سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية ص ١٢١ - ١٢٣ . قال قطري بن الفجاعة في هذا المصدر : « ... اما المهلب فهو من عرفتموه ، ان اخذتم بطرف ثوب ، اخذ بطرفه الاخر ، يده اذا أرسلتموه ، ويرسله اذا أمدتموه ، لا يمشؤكم الا ان تبؤوه ، الا ان يرى فرصة فينتهزها » فهو الليث البر ، والثعلب المراوغ ، والبلد المقيم ، انظر : الجرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٨٦ .
- (٣٩) الطبري : ج ٥ ص ٤٠٩ ، عبد النعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ص ٣٦٠ .
- (٤٠) ابن تفرج يردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥١ .
- (٤١) ابن خلدون : المعبر ج ٣ ص ١٦٧ .
- (٤٢) انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٤ و
- Marçais: G: la Berberie Musulmane. p. 141.
- (٤٣) ابن عذاري : ج ١ ص ٣٩ ، البوعياشي : اتريف بعد الفتح الاسلامي ص ١٥ .
- (٤٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٣٨ .
- (٤٥) تلم الخليفة على موسى تعلم استجابته لطلبه قبل توليه الخلافة بان ينتظر بما معه من هدايا المغرب حتى يموت الخليفة الوليد بن عبد الملك - الذي كان يملك انفاسه الاخيرة - فقد سلم موسى الهدايا للوليد الذي فارق الحياة بعد ثلاثة ايام . فلما آلت الخلافة الى سليمان ، تكب موسى واودعه السجن وبعث في قتل ابنه عبد العزيز بالاندلس وعبد الله بالمغرب .
- راجع : ابن القوطية : المرجع السابق ص ٣٦ ، الرقيق : تاريخ افرقية والمغرب ص ٢٩٤ .
- (٤٦) البلقوبي : تاريخه ج ٣ ص ٢٥٥ .
- (٤٧) ابن عذاري : ج ١ ص ٤٧ ، التويري : نهاية الارب ج ٢٢ ورقة ١٣ - مطبوع ، وقصة رواية للبلاذري وابن عبد الحكم تذهب الى ان عبد الله بن موسى قتل سنة ١٠٢ هـ في ولاية بشر بن صفوان . راجع : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ، فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٠ . ومن قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير انظر : ابن القوطية : ص ٣٧ ، الرقيق : ص ٢٩٥ .

- (٤٨) ابن الأبار : الحلة السرياء ص ٢٣٦ .
 (٤٩) البطولي : ج ٣ ص ٥٩ .
 (٥٠) ابن عبد الحكم : ص ٢١٦ . وأورد الرقيق بدلا منه العباس بن ناصعة الكلبي .
 راجع : تاريخ الرقبة والمغرب ص ١٠٥ .
 (٥١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ٣٤ .
 (٥٢) وقد استصرح أحد زعماء اليمينية هشام بن عبد الملك لانقاذهم من بطش عبدة بن عبد الرحمن بهذه الابيات : =

= آلات بنو مروان فينا وما لنا
 كالم لم يشهروا للي وقعة
 وليناكم حر القنا بسيوفنا
 فلما تيفتم نيل ما قد أردتموا
 لتسفلتم عنا كان لم يكن لكم
 وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل
 ولم يملوا من كان قبل له الفضل
 وليس لكم خيل سوانا ولا دجل
 وطاب لكم فينا المشارب والاكل
 صديقا وأنتم ما علمتم لنا وصل

- انظر : الرقيق : ص ١٠٥ - ١٠٦ .
 (٥٣) ابن الأبار : ص ٤٨ .
 (٥٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، مؤنس : ثورات البربر في الرقبة والانديلس ص ١٦٥ .
 (٥٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٨٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٤٩ .
 (٥٦) الرقيق : ص ١٠٢ ، السلاوي : ج ١ ص ٢٩٣ ، الهاجي السعدي : الخلاصة
 النقية ص ١٣ ،

- (٥٧) ابن عبد الحكم : ص ١٩١ .
 (٥٨) نفس المصدر والصحيفة .
 (٥٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ، الرقيق : ص ١٠٨ .
 (٦٠) ابن الأثير : ج ٥ ص ٦٩ .
 (٦١) الرقيق : ص ١٠٩ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٥ .
 (٦٢) انظر : مجهول : اخبار مجموعة ص ٢٣ ، الوردجاني ٠٠ ج ١ ص ٢٧ ، حسن ابراهيم :
 تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٠٤ . مؤنس : ثورات البربر ص ١٤٧ ، ديول : المغرب الكبير
 ج ٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

Marcais: la Berberie Musulmane. p. 43, Hopkins: Medieval Muslim government. p. 27.

- (٦٣) عن هذا الموضوع انظر : فلهوون : تاريخ الدولة العربية ص ٢٧٥ وما بعدها .
 (٦٤) اخبار مجموعة ص ٢٣ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ .
 (٦٥) اخبار مجموعة ص ٢٣ .

- (٦٩) فلهوون : المرجع السابق ص ٢٨٠ ،
 (٦٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٨٧ .
 (٦٨) الطبري : ج ٦ ص ٦١٧ ، ابن تعزي بردي : ج ١ ص ٢٤٥ . فلهوون : تاريخ الدولة العربية ص ٢٣٥ .
 (٦٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ . ابن عبد الحكم : ص ٢٨٩ . الرقيق ٠٠ ص ٩٩ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٦٣ .
 (٧٠) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٢ .
 (٧١) الرقيق : ص ١٠٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ .
 (٧٢) نفس المصدر ص ١٠٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٨٩ ،
 Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale. Vol. I. p. 71, Pro-
 Vencal: Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. p. 29.
 Hopkins: Medieval Moslem government. p. 28.
 (٧٣) المغرب الكبير ج ٢ ص ١٦٥ .
 (٧٤) المغرب الكبير ص ٣٢٨ .
 (٧٥) تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٣ .
 (٧٦) فجر الاندلس ص ١٤٥ ، ثورات البربر ص ١٥١ ، ١٥٢ .
 (٧٧) وقد ذكر الدكتور مؤنس في هذا الصدد قولاً آخر هائلاً نصه : « اعتاد الخلفاء من عمال افريقية كثرة الهيايا والالطاف والاموال ، ولم يستقيموا الامتاع عن الالاحاح على العمال في طلبها ٠٠ » راجع : ثورات البربر ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
 (٧٨) انظر : ص ٩ هامش ٤ .
 (٧٩) ابن عذاري ج ١ ص ٤٧ .
 (٨٠) فلهوون : تاريخ الدولة العربية ص ٣٣٧ . عن صاحب كتاب الصلة الاسباني الذي اكمل تاريخ ايزيدور .
 (٨١) السلاوي : ج ١ ص ٩١ .
 (٨٢) البقوي : تاريخه ج ٣ ص ٥٩ .
 (٨٣) البيان المغرب ج ١ ص ٥٣ .
 (٨٤) العبر ج ٦ ص ١١٩ .
 (٨٥) الطبري : ج ٤ ص ٣٦٤ .
 (٨٦) تاريخ الدولة العربية ص ٣٣١ .
 (٨٧) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ .

(٨٨) البندادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في
الفرقية ص ٢٣٦ .

(٨٩) ابن الاثير : ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٩٠) نفس المصدر ص ٢٣٥ .

(٩١) ابن عسارى : ج ١ ص ٢٨ .

(٩٢) المالكي : روضة النفوس ج ١ ص ٢١ .

(٩٣) عبيد الله بن صالح : نس جديد عن فتح العرب للمغرب ص ٢٢٤ ، المالكي ص ٣٦ ،

الدباغ : ج ١ ص ٦١ .

(٩٤) نفس المصدر ص ٢٢٣ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٢٧ .

(٩٥) ابن عسارى : ج ١ ص ٤٣ .

(٩٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٠٤ .

(٩٧) انظر : حسن ابراهيم : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٨٩ - ٩٠ .

Brunschvig: La Tunisie dans le haut moyen age. p. 7.

Dragye: Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. p. 17.

حيث يعتقد أولئك المؤرخون ان اسلام البربر كان سطعيا حتى ذلك الحين .

(٩٨) المالكي : ج ١ ص ٦٧ ، الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ١٤٢ ، حسن محمود : الاسلام

والثقافة العربية في افريقية ص ٩٩ .

(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٥ ،

النويري : ج ٢٢ ورقة ١٤ .

(١٠٠) ابن عبد الحكم : ص ٨٧ ، الرقيق : ص ٢٩٧ . الدباغ : ج ١ ص ١٥٤ ، ابن

خلدون ج ٤ ص ١٨٨ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٠ .

(١٠١) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٣١ و

Marcas: la Berberie musulmane p. 36.

وقد زعم بعض المستشرقين ان عمر بن عبد العزيز خير مسيحيي المغرب بين الدخول في الاسلام

او الرحيل عن البلاد ، فامر بعضهم اعتناق الاسلام بينما غادر البعض الاخر البلاد الى أوروبا .

انظر : Bonet: l'Islamisme et le christianisme p. 72. وقد انكر

البعض الاخر هذا التجني « فعمر لم يكره النصراني على اعتناق الاسلام مهددا اياهم بالطرد

والقتل . وذلك لانه كان مسلما حقا متمسكا بما ورد في الشريعة الاسلامية في معاملة اهل اللغة ،

وليس من المعتول ان يتجاهل او يخرج عن هذه الشريعة » . انظر : فلهوون : تاريخ الدولة

العربية ص ٢٨٩ Mercier: Histoire de Constantine. p. 86.

Brunschvig: op. cit. p. 7 (١٠٢)

(١٠٣) انظر :

Marcais, W: Comment l'Afrique du nord a été Arabisée. p. 3.

Hudas: Essai sur l'écriture Maghrébine. p. 86.

Mercier: Histoire de Constantine. p. 86.

Marcais, G: la Berberie Musulmane. p. 41.

The caliphate, its rise, decline and Fall: p. 407. (١٠٤)

Smith: the Ibadites. p. 279. (١٠٥) انظر : أبو زكريا : السيرة ورواة ٨ - مطبوع

(١٠٦) الأسفرائيني : التبصير في الدين ص ٤٦ •

(١٠٧) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ •

(١٠٨) حسن محدود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٦٤ ،

Vonderheyden: la Berberie Orientale. p. 4.

(١٠٩) انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٠ وما بعدها ، أحمد أمين : فقه

الإسلام ج ٣ ص ٣٣٥ •

(١١٠) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ١٢ • ابن زيدان : الحطاب أعلام الناس ج ١

ص ٧٢ - ٧٣ ، Dozy: op. cit. p. 131.

(١١١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٥. Smith: op. cit. p. 279. ولذلك أطلق عليهم دوزي

«لأفنة الإسلام» ودي سموا «بيورتيان الإسلام» • انظر :

Spanism Islam. p. 130, le djebel Ne fousa. p. 137

(١١٢) انظر : الأسفرائيني : التبصير في الدين ص ١٤٢ وما بعدها •

(١١٣) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٢٣

Cam. med. hist. vol. 2. p. 376, Drague: op. cit. p. 23.

(١١٤) الاستقصا ج ١ ص ١٢٣ •

Tourneau: le revolte d'Abou-Yazid. (١١٥) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ١١

p. 105, Mercier: Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale. p. 70.

(١١٦) ما يقال عن الاتفاق السري بين ثلاثة من الطوارج لاغتيال علي ومعاوية وعمرو بن

العاص لا ينبغي صحة ما ذهبنا اليه • فهو تآمر انتقامي لا يخدم أهدافا بعيدة للطوارج • واسلوب

التآمر السري ليس تيارا أصيلا في فكر الطوارج السياسي بل انه « لا يتفق مع عادات الطوارج »

على حد قول بعض المؤرخين •

راجع •• فلهولن : تاريخ الدولة العربية ص ٩٨ ،

Hitti: History of the Arabs. p. 182.

(١١٧) تخالف ما ذهب اليه الدكتور سوير القلماوي في تفسيرها اختلاف الفوارج على نافع بن الازرق وتظهر فرق الازارقة والنجدات والصفرية والاياضية بأنه خطة محكمة من الفوارج للهجوم على الدولة الاموية التي كانت تحتل اذ ذاك أزمة خطيرة . فينتج فريق منهم الى الشمال واخر الى الجنوب لتكوين خط هجوم شرقي يمتد من الجزيرة شمالا الى اليمامة والبحرين جنوبا ، بينما يتوغل فريق ثالث في فارس لاتخاذها ملجأ ساعة الشدة . انظر : أدب الفوارج في العصر الاموي ص ٣٥ . والواقع ان المصادر لا تشير الى شيء من هذا البتة ، والذي يفهم من الروايات ان ما حدث كان محض خلاف فقهي انتهى الى الشقاق مذهبي وسياسي في جماعة الفوارج ولم يحدث قط ثمة تعاون مشتركة بين هذه الفرق في صراعها مع الدولة الاموية .

عن ظهور فرق الفوارج راجع : الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٤٩ وما بعدها ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٩١ وما بعدها ، البيهقي : الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ج ٢ ص ١٦٩ - مخطوط .

(١١٨) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٠ .

(١١٩) المسالك والممالك ص ٦٨ .

(١٢٠) السعدي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٧ .

(١٢١) نفس المصدر والمصحفة ، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٤٢ .

(١٢٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١٢٣ ، عنان : دولة الاسلام في

الاندلس ص ١١٦ .

(١٢٣) انظر :

Basset: Recherches sur la religion des Berbères, p. 331.

الظاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١١٨ .

(١٢٤) انظر : Dozy: op. cit. p. 131. مؤنس : فجر الاندلس ص ١٤٨ ، ثورات

البربر ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(١٢٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢١ - ١٢٣ ، ذكر جولييان انه اذا كان الازارقة

يمثلون اليسار المتطرف في مذهب الفوارج والاياضية اليمين ، فان الصفرية يمثلون اليسار . بينما شبه جوتييه الاياضية بالونشفيك والصفرية بالبولشفيك . انظر :

les siècles obscurs. p. 269, Histoire de l'Afrique du nord p. 329.

(١٢٦) Gautier: loc. cit. ، عبد النعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢

ص ١٨٨ .

(١٢٧) ص ٣٢

(١٢٨) الطبري : ج ٦ ص ٣٠٨ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ١٦١ ، الاسفرائيني : ص ٥١ .

البغدادي : ص ٨٧ ، فلهوژن : الفوارج والثبيعة ص ١٠٩ .

- (١٢٩) ابن الأثير : ج ٤ ص ١٤٠ ، البغدادي : ص ٩٠ ،
 (١٣٠) البلاذري : أنساب الأشراف ج ١١ ص ٨٣ .
 (١٣١) انظر : الرازي : ص ٥١ ، الاسفرائيني : ص ٥٢ . البغدادي : ص ٩٠ ،
 الشهرستاني : ص ١٢٣ .
 (١٣٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢١٦ .
 (١٣٣) السوفي : شرح السؤالات ورقة ١١٤ - مخطوط .
 (١٣٤) ابن تعزي يردى : ج ١ ص ٢٨٩ .
 (١٣٥) المبرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٠٦ .
 (١٣٦) البغدادي : ص ٩١ .
 (١٣٧) لطفي ديلاليدنا : مادة الصلابة - دائرة المعارف الاسلامية ص ٢١٩ .
 (١٣٨) الشهرستاني : ص ١٢٣ .
 (١٣٩) الرازي : ص ٥١ .
 (١٤٠) المرجع السابق ص ١٢٢ .
 (١٤١) نفس المصدر ص ١٢١ .
 (١٤٢) الطبري : ج ٦ ص ٢١٥ .
 (١٤٣) عن حركة شبيب بن يزيد الشيباني - انظر : الطبري : ج ٦ ص ٢٢٣ وما بعدها .
 (١٤٤) عن حركة شبيب راجع : الطبري : ج ٦ ص ٥٥٦ وما بعدها .
 (١٤٥) هذه الحركات هي : ثورة بهلول بن بشر الشيباني بالوصل سنة ١١٩ . انظر :
 ابن الأثير : ج ٥ ص ٧٧ وما بعدها .
 ثورة الصهادي بن شبيب سنة ١١٩ هـ . انظر : الطبري : ج ٧ ص ١٣٧ وما بعدها .
 ثورة الصعاليق بن قيس الشيباني : انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٢ .
 ثورة الخبيري الصلبي سنة ١٢٨ . انظر : الطبري : ج ٧ ص ٣٤٧ .
 ثورة شيبان بن عبد العزيز سنة ١٢٩ هـ . وهي اخر ثورات الصلابة في العصر الادوي .
 انظر : الطبري : ج ٧ ص ٣٤٩ .
 (١٤٦) أبو زكريا : السيرة ورقة ٢ - مخطوط ، الدرجيني : طبقات الاياضية ج ١ ورقة
 ٦ - مخطوط .
 (١٤٧) ابن خلدون : ج ٧ ص ١١ ،
 Marçais: la Berberie Musulmane. p. 48.
 (١٤٨) العيني : عقد الجمان ج ١١ قسم ٣ ورقة ٤٦٤ - مخطوط .
 (١٤٩) نفس المصدر والمصحفة ،
 Fournel: les Berbères, vol. I. p. 352.

(١٥٠) البرد : الكامل ج ٣ ص ٩٤٩ . العيني : المرجع السابق ورقة ٤٦٤ . دبوذ : المغرب الكبير ج ٢ ص ٢٧٩ ، Fournel: op. cit. p. 352.

(١٥١) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ١١ .

(١٥٢) نفس المصدر ج ٦ ص ١١٨ .

(١٥٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٥ ، ابن زيدان .٠٠ اتحاف اعلام الناس ج ١ ص ٧٦ .

(١٥٤) مجهول : نبد تاريخية ص ٦٠ ، الفلکشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٦٥ .

(١٥٥) العيني : عقد الجمان ج ١١ قسم ٣ ورقة ٤٦٤ .

(١٥٦) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ١٠٥ .

(١٥٧) الشطبي : الجمان في اخبار الزمان ورقة ٢٠٣ - مخطوط .

(١٥٨) البكري : المغرب ص ١٤٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ،

Fournel: op. cit. vol. I. p. 352.

(١٥٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٧ .

(١٦٠) تسكن برغواطة اللخم للمسان بالمغرب الأقصى واهم مدنه سلا وآزمور وأنفي واسفي، وكان زعيمها طريف بن شمعون من قواد ميسرة وقد اختلف في نسبه فيما اذا كان مصموديا أو يهوديا أو عينيا . وعلى كل حال - فقد خلفه بعد موته ابنه صالح الذي تزندق وشرع ديانة جديدة ، وظهر قرآنا جديدا وتسمى « بصالح المؤمنين » ولم يقدر لتماليه الانتشار في حياته ، فقد غادر البلاد الى المشرق ، وادعى انه المهدي المنتظر . وكان قد أعد ابنه الياس للقيام بامر دعوته بعد ان لقيه أسراها وفقهه بأصولها . وقد فشلت الدعوة في عهد الياس ، وحاول الادارسة القضاء عليها الا انها ظلت قائمة حتى عصر المرابطين . راجع : ابن عذاري ج ١ ص ٦١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ٢٠٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ج ٣ ص ١١٨ . البوعياشي : الرئيسف بعد الفتح الاسلامي ص ١٥ ، سعد زغلول عبيد الحميسد : تاريخ المغرب العربي ص ٧١٤ ، Mercier; Histoire de l'Afrique septentrionale; vol. I. p. 238

(١٦١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٧ .

(١٦٢) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص ٢٢٤ ،

Murcais, G: la Berberie Musulmane. p. 48

(١٦٣) ابن خلدون : ج ٧ ص ١١ .

Masqueray: Chronique d'Abou Zakaria. p. LXXXIII.

Tourneau: op. cit. p. 439 ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٧٠ ،

(١٦٥) البرد : الكامل ج ٣ ص ٩٤٩ .

(١٦٦) نفس المصدر ص ٩٦٨ .

- (١٦٧) حسن محمود : انتشار الاسلام ج ١ ص ١٦٧ .
- (١٦٨) البكري : المغرب ص ٦ .
- (١٦٩) السلوي : ج ١ ص ٩٧ .
- (١٧٠) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عساري ج ١ ص ٥٢ .
- (١٧١) البكري : المغرب ص ١٤٩ ، Fournel: op. cit. vol. 2. p. 22.
- (١٧٢) المبرج ج ٤ ص ١٨٩ .
- (١٧٣) نهاية الارب ج ٢٢ ورقة ١٥٠ .
- (١٧٤) ابن كتيبة : المعارف ص ٦٢٢ ، ابن رسته : الاغلق النفيسة ص ٢١٧ ، مجهول
- قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة ٩٧ - مخطوط .
- (١٧٥) انظر : أبو زكريا : ورقة ٨ ، Masqueray: op. cit. p. XXXII
- (١٧٦) الطبري : ج ٦ ص ٣٣٠ . البغدادي : ص ١٠٥ .
- (١٧٧) السوفي : شرح السؤالات ورقة ٥٧ - مخطوط ، أبو غانم الصفري : متولة ورقة ٤٣ - مخطوط .
- (١٧٨) البغدادي : ص ١٠٦ .
- (١٧٩) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٢٨ .
- (١٨٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ .
- (١٨١) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥١ .
- (١٨٢) نلس المصدر والصحيفة ، الشهرستاني : ص ١٢١ .
- (١٨٣) من دعاة الاباضية في خراسان محبوب بن الرحيل وبشر بن النير وهاشم بن ميلان .
- واذا كان الفموض يكتنف مصير هؤلاء الدعاة ، فالذي لا شك فيه أن جهودهم في نشر الدعوة بخراسان بادت بالشلل - انظر : أظيش : بعض تواريخ أهل وادي ميزان ص ١١٥ .
- (١٨٤) كذلك لا نعلم شيئاً عن جهود دعاة الاباضية - وكانوا اربعة - (أظيش : الامكان ص ١١٠) في عمان (Masqueray: op. cit. p. XLII) لكن أحدهم ويدعى أبا حمزة المختار بن عوف - وكان يدعو لامامة أبي عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق - نجح في مهمته (السعودي : ج ٣ ص ٢٥٧) ، وكان دائب الصلة بجماعة الاباضية في البصرة الذين أمدهم بالكشورة والنصائح الى جانب الاموال والسلاح (مجهول : كشف الغمة ورقة ٣٠٧ - مخطوط) ، وانتشرت الدعوة لطالب الحق في عمان ، وخطب بكمير المؤمنين ، ثم دخل صنعاء وادانت له أعمالها (ابن تهمي بردي : ج ١ ص ٣٠٩) كما تمكن أبو حمزة من دخول المدينة المنورة سنة ١٣٠هـ بعد هرب واليها الاموي الى الشام (الطبري : ج ٧ ص ٣٩٤) ، وخطب بمن خالفه من أهلها (ابن الاثير : ج ٥ ص ١٤٠) ، وخطب على منبر جامعها طالب الحق (انظر نص الخطاب في كتاب العقد الفرند لابن عبد ربه ص ١٤٤ - ١٤٧) ، وظل بها ثلاثة

شهور غادرها بعدها الى بلاد الشام . لكن مروان بن محمد بعث قائمه محمد بن عطية السعدي على رأس جيش للقاءه ، وتمكن محمد بن عطية من هزيمة أبي حمزة وقتله في معركة وادي القري سنة ١٣٠هـ (ابن الاثير : ج ٥ ص ١٤٦) . وواصل الجيش الاموي رحله الى المدينة ، ومنها توجه الى اليمن حيث هزم طالب الحق وقتل كثيرين من رجاله بناحية الطائف ، وفر بقية انصاره الى حضرموت حيث تحصنوا بها .

(انظر : المسعودي : ج ٣ ص ٢٥٨ ، سرور الحياة السياسية في الدولة العربية ص ١٢٩) .

(١٨٥) أبو زكريا : ورقة ٥ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ .

(١٨٦) الشماخي : نفس المصدر ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(١٨٧) الدرجيني : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٠٧ - مخطوط .

(١٨٨) عن حلقات الاباضية في عصور متأخرة راجع : البرادي : الجواهر المنتقاة ورسالة

١٠٦ - ١١٢ - مخطوط .

(١٨٩) الدرجيني : المرجع السابق ورقة ٣ .

(١٩٠) البرادي : المرجع السابق ورقة ١٠٦ ، Masqueray: op. cit. p. IXI .

(١٩١) أبو زكريا : ورقة ٦ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ .

(١٩٢) مجهول : كشف الغمة ورقة ٣٠٧ - مخطوط .

(١٩٣) أبو زكريا : السيرة ورقة ٥ .

(١٩٤) الوردجاني : ج ٢ ص ٧٢ ، ديوب : ج ٢ ص ١٣٨ ، ٤٠٨ ، علي يحيى معمر :

الاباضية ص ٢١ .

(١٩٥) أخطأ البرادي حين ذكر أنه توفي سنة ١٩٣هـ . راجع : الجواهر المنتقاة ورقة ٧٩ .

(١٩٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٢ ، Masqueray: op. cit. p. 8 .

(١٩٧) أظفيش : الامكان ص ١١٣ .

(١٩٨) الشماخي : السير ص ٨٣ .

(١٩٩) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٥ .

(٢٠٠) نفس المصدر : ورقة ١٠٧ .

(٢٠١) الشماخي : السير ص ١١٥ . وقد أورد الشماخي مثالا على ذلك فحواه أنه لا يخرج

الامام عبد الله بن يحيى وأبو حمزة . جمع لهما أموالا كثيرة يمينهما بها وكان على كل مفسر من المسلمين قدر ما يرى ، فما امتنع عليه أحد . ودعا أبا طاهر وكان شيطا فاحملا - وقال له : عليك بالنساء وأوساط الناس ، فانا نكره أن نكتب عليهم ما لا يعملون . فانطلق أبو طاهر فيمن انطلق معه من المسلمين ، فلم يأتوا امرأة ولا رجلا الا وجدوه مسارعا فيما سالوه . فلم يمس الليل حتى جمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم ، فاجبروا حاجيا ، فسر بذلك فقال : ان في الناس لبقية بعد . فاشتري بتلك الاموال سلاحا فوجهه ، ووجه ما بقي ، انظر : السير ص ١١٤ .

(٢٠٢) بالفت المصادر الإباضية في إيراد كثير من الإحاديث المستعجمة والأقوال المأثورة عن كبار الصحابة في فضائل البربر ، وما سيتم على أيديهم من العودة بالإسلام إلى أصوله الصاعدة . وعلى الرغم مما يكتنف هذه الروايات من طابع أسطوري ، فلها دلالاتها على موافاة ظروف بلاد المغرب لنشر دعوة القوادج .

انظر : أبو زكريا : ورقة ٢ وما بعدها ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٧ وما بعدها .
(٢٠٣) أبو زكريا : ورقة ٢ ، الشماخي : السير ص ٩٨ ، السوفي : شرح السؤالات
ورقة ١٤٧ .

(٢٠٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ٦ ،
(٢٠٥) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٨٠ - مخطوط ،
Lewcki: Etude Ibadites p. 93.

(٢٠٦) الشماخي : السير ص ١٤٤ ،
(٢٠٧) الوسياني : ورقة ٧٩ ، الدرجيني : ج ٢ ورقة ١٤٠ ، ابن مقديش : نزهة الانظار
ص ٤٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١٢٣ ، Despois: op. cit. p. 138.
(٢٠٨) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٦٨ ،
(٢٠٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٠ ، ١٢١
Biquet: Histoire de l'Afrique Septentrionale. p. 41.

(٢١٠) الجبري : مؤنس الاحبة ص ٤٦ ،
(٢١١) أبو زكريا : ورقة ٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ ،
أطيش : بعض تواريخ أهل وادي ميزاب ص ٨٨ ،
(٢١٢) نفس المصادر والصفحات ، أطيش : كتاب الامكان ص ١١٢ ، دبو : ج ٣ ص ١٩٤
واذا ما علمنا ان البعثة عادت إلى المغرب سنة ١٤٠ ، فيكون رحيلهم إلى البصرة حدث سنة ٣٥ هـ .
Lewcki: Etudes Ibadites. p. 27. انظر ؛

(٢١٣) قيل انه كان من قواد الجند العربي بطرابلس . انظر : حسن حسني عبد الوهاب :
ورقات عن الحضارة العربية ج ١ ص ٤٢٥ .
(٢١٤) أبو زكريا : ورقة ٥ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠ ،
(٢١٥) ابن أبي كريمة : رسالة في أحكام الزكاة ورقة ١١٤ - مخطوط .

(٢١٦) من المفيد أن نعرض نظرية شائعة في تفسير انتشار مذهب القوادج في بلاد
المغرب ، تربط بين هذا المذهب وبين نحلة الدونانية المسيحية . وهذه النظرية منسوبة إلى المؤرخ
جوتييه ، ولعلها عنه سائر مؤرخي المغرب الفرنسيين . وبإدائه ذي بدء نقرر ان جوتييه لم يكن
أول من قال بهذه الفكرة ، انها سبقه إليها اميل ماسكراي في مقدمته لكتاب السيرة لأبي زكريا

التي صدر بالجزائر سنة ١٨٧٨م . فهو القائل بأن « الخارجية كالدونانية تعد انقساماً دينياً وليست زندقة » . وإن « مذهب الخوارج يشترك مع الدونانية في التعبير عن روح الاستقلال عند البربر » ، وإليه يعزى الفضل في الربط بين مذهب الخوارج في المغرب بشقيه الإباضي المعتدل والصقلي المتطرف وبين الدونانية المعتدلة والسركونسيانية المتطرفة كذلك .
(انظر : Masqueray: op. cit: p.p. LXV, LXVIII, LXXII.)

وعلى هذه الخطوط نسج جوتييه نظريته تلك التي ضمنها كتابه عن المغرب في العصور الوسطى الذي صدر بباريس سنة ١٩٢٧ . وأهم ملامح هذه النظرية ما يلي :

١) اشتراك الخوارج والدونانيين في عديد من الصفات كالصلابة والالتزام الصارم بأصول العقيدة والتطرف والزهد والتسليم بالقضاء والقدر والاستشهاد في سبيل المذهب .
٢) ينطلق فكر كل من المذهبين من معين واحد هو نزعة التدين الشديدة للطبقة عند البربر .

٣) إن البربر اعتنقوا مذهب الخوارج - كما ذكر ابن خلدون - كسلاح يناوون به الحكام . وهو نفس ما حدث بالنسبة لاعتناقهم المذهب الدوناني .

٤) ومن ثم . فالعامل الديني في كلتي الحركتين أمر ثانوي بالقياس إلى المغزى السياسي والاجتماعي الذي يتمثل في تحقيق الديمقراطية كهدف سياسي والعدالة الاجتماعية كمتطلب اجتماعي .

٥) وينتهي جوتييه - كما انتهى ماسكراي - إلى أن مذهب الخوارج عند البربر امتداد للدونانية « بعد أن خلعت لبوسها المسيحي لتتخف بثياب إسلامية » (راجع : Gautier: les siècles obscurs. p.p. 262, 63, 64.)

وإنبرى جبهة مؤرخي المغرب الفرنسيين للدفاع عن هذه النظرية ولصدوا لدعماها .
فبرونفيسال يركز في دعمه على توافق جوهر عقائد الخوارج والدونانيين مع طبائع البربر وصفاتهم النظرية (انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane vol. I, p. 42.)
وجورج ماديسه يؤكد أن اعتناق البربر للمذهبين وسيلة لا غاية ، فكلاهما « أمد البربر بالوثاق الخلقي لتبرير تورطهم على الحكام ، وكما هزت الدونانية وحدة الكنيسة الأفريقية . كانت الخارجية عند البربر نوعاً من الهرطقة القومية التي شكلت خطراً على مستقبل الإسلام في بلاد المغرب » .

راجع (la Berberie Musulmane et l'orient. p. 140) وفي نفس الاتجاه يذهب مرسيه فيقول « إن عبارة لا حكم إلا الله لها عند الخوارج - وكذلك الدونانيين - دلالة على الحرب السياسية » . انظر (Histoire de la Constantine. p. 86) أما بأسسه فيركز الاجتماعي للحركتين إذ أنهما « ما قامتا لجرد خلاف في الرأي حول تفسير العقيدة ، بل لاشعال حرب اجتماعية تحت رايات دينية » راجع (Recherches sur la religion des Berbères. p. 331)

وبشاركه جوليان نفس الرأي فيقول « ٠٠ وكما كانت الوثنية وسيلة لوضع حد لانتهازية الكاثوليكي ، وتحالف الحكام الرومان مع كبار الكلا ورجال الدين ، كان مذهب الفواج ليسى المغرب سلاح البربر في نضال هذه القوى ومظهرها من مظاهر ملت الإجاب ، وتعبيرا عن السلطة والعتد على السلطة القابضة » .
انظر :

وقيل مناقشة هذه الآراء يحسن أن نعرف في ايجاز بعركة الوثنية في بلاد الغرب • وتتلخص في أن دونات Donat أسلف نوميديا رفض الاعتراف باختيار سيسيليان Cicilianus أسلفا للرقاجنة سنة ٣١١م • وكان مبعث رفضه أن القسوسة الذين اختاروه لهذا المنصب كانوا من المشركو في ولائهم للعقيدة بعد اقامهم على تسليم الكتب الدينية والاواني المقدسة الى السلطة الامبراطورية على اثر ائتيال الامبراطور ديكلتيان =
(Gautier: op. cit. p. 261) Diocletien

وقد آذرت الكنيسة والسلطات الرومانية سيسيليان، بينما ناصر البربر - وخاصة الطبقات الفقيرة منهم - دونات ضد أعماله (Bonet: l'Islamisme et le Christianisme. p. 59).
لم حدث انشقاق داخل الحزب الوثناتي ، فظل دونات على رأس المعتدلين ، بينما لزعم سيرمونسلون جناح المتطرفين ، ونهى بالحركة منعى اجتماعيا ظام بالاغارات على املاك الافنياء والاستيلاء عليها تحقيقا لمبدأ العدالة والمساواة (مبادك البلي : تاريخ الجزائر ج ١ ص ٢٥٤ Bonet: op. cit. p. 60 وقد تعرفى هؤلاء وأولئك للاضطهاد الشديد طوال القرن الرابع الميلادي ، الامر الذي جعلهم يقدمون على التعلون مع الواندال لفزو افريقية وتحريرهم من الكنيسة الارثوذكسية والسلطات الرومانية، بوقيل: الممالك الاسلامية ص ٧٧ (Bonet: loc. cit.)

ومع تسليمنا بوجاهة نظرية جوتييه الى حد كبير ، نعتقد انها تنطوي على شيء من المبالغة حين يزعم صاحبها ان مذهب الفواج امتداد للوثنية ، كما اعمل العامل الديني في عقائد الفواج وحملها افكارا اجتماعية لم تتضمنها •

وحسبنا أن البربر الذين ناصروا الوثنية لم يمتد بهم الاجل - بداية - للالتفاف حول دعاة الفواج ، وما حدث لا يعدو أن يكون مظهر تشابه لتقروف بلاد المغرب السياسية والاجتماعية والدينية التي ظهرت ابانها حركتان متباعدتان لا تمت أي منهما للاخرى بصلة • فاذا كانت الوثنية ذات طابع مغربي صرف بمعنى انها نشأت في بلاد المغرب ، ونسجت من واقع تقروقه، فان مذهب الفواج ظهر في المشرق الاسلامي ثم وفد الى بلاد المغرب كسائر المذاهب الاسلامية الاخرى الامر الذي ينفي وجود دباط فكري مشترك كان فيه مذهب الفواج متأثرا بعقائده الوثنية •

ومن ناحية اخرى ، فان ما سالفه جوتييه من حجج وقرائن دلت بها على هذه الصلة كصلمات

الانعام والزهة والصلابة .. الخ إنما هي صفات عامة وليست حكراً على معتقلي المذهبين فحسب .
وكذلك التقابل بين جناحي المعتدلين وجناحي المتطرفين في كل من المذهبين نجد له مثيلاً
في سائر المذاهب الدينية والسياسية .

بل نجد اختلافاً جوهرياً بين فكر السركونسيين بمسوحه الاجتماعي وطرقه الى الجوانب
المتعلقة بحرب الطبقات وصراعها ، وبين فكر الفوارج السياسي القائم أساساً على نظريتهم في
الامعة وهي قضية سياسية دينية بحتة ، وهو ما فطن اليه فلهووزن في دواسته للفوارج والثبيمة .
كأحزاب المعارضة السياسية الدينية ، في الاسلام .

لقد أصرى جوتييه - ومن نقل عنه - حين اعتبر اعتناق البربر مذهب الفوارج مجرد وسيلة
احتجاج على السلطة السياسية متجاهلاً دلالاته كتعبير لا شك فيه على تمسك البربر بتعاليم
الاسلام وحرسهم على مراعاتها في حياتهم العامة . ان لفلفل الاسلام بين البربر قد اثر تأثيراً
واضحاً في تاريخ المغرب حتى اعتبره بعض الدارسين العامل الحاسم في حركة هذا التاريخ .
(انظر : Bel: la Religion Musulmane. p. 112)

هوامش الباب الخامس

(١) الرقيق : ص ١٠٩ ، Provençal: Op. Cit. p. 41

(٢) البغدادي : ص ٢٧٣ ، Provençal : Loc. Cit.

(٣) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ١١١ ، Julien: Op. Cit. p. 329

(٤) ذكر الرقيق عن عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عن أبيه قال : « رأيت عبيد الله بن
الحبحاب يوماً ينتشر في دفتر الخطاء ، ويملي رسالة ، ويمر بعاجات في ناحية أخرى ، ويمر
في خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين » . انظر : تاريخ الرقبة والمغرب ص ١٠٧ .

(٥) البيان المغرب ج ١ ص ٥٢ .

(٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ .

(٧) الرقيق : ص ١٠٩ .

(٨) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ٢٤٠ .

(٩) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٣ .

(١٠) الرقيق : ص ١٠٨ .

(١١) نلس المصنر ص ١٠٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ .

- (١٢) الرقيق : ص ١٠٩ (١٣) الحميدي : جلوة القتبس ص ٨ .
- (١٤) العبر : ج ٦ ص ١١١ .
- (١٥) ينفرد ابن خلدون برواية تنص على اغتيال الخوارج ليزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٣هـ .
والواقع انه قتل نتيجة لمطصومات بين القيسية واليمينية وليس على يد الخوارج . فلم يكونوا
قد قاموا بعد بثورتهم على ولاية القيروان . انظر : العبر ج ٦ ص ١٠٨ .
- (١٦) انظر : اخبار مجموعة ص ٢٨ .
- (١٧) ابن تيمزي يردى : ج ١ ص ٢٨٩ ، الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا
ص ١٢٥ .
- (١٨) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، الرقيق : ص ١٠٩ .
- (١٩) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٢ .
- (٢٠) دبوؤ : المغرب الكبير ج ٢ ص ١٤٨ .
- (٢١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ .
- (٢٢) ابن القوطية : ص ٤٠ .
- (٢٣) العبر ج ٦ ص ١٥٠ .
- (٢٤) الاستقصا ج ١ ص ٩٧ .
- (٢٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٣٠ ،
Provençal: Op. Cit. p. 41, Gautier, Op. Cit. p. 292
- (٢٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٢ .
- (٢٧) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٠٧ ، Bel: Op. Cit. p. 175
- (٢٨) ابن الططيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٨١ .
- (٢٩) ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ص ١٤ .
- (٣٠) تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٣٦٤ ، فلهوؤن . تاريخ الدولة العربية ص ٣٣١ .
- (٣١) البغدادي : ص ٢٧٣ .
- (٣٢) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، اخبار مجموعة ص ٢٨ . وقد اورد بعض المؤرخين ان
البيعة تمت بعد قيام الثورة ، فابن الاثير ذكر ان ميسرة يبيع بالامامة بعد الاستيلاء على طنجة،
وقد اخذ عنه الانصاري روايته ، اما الدكتور مؤنس فذكر انه يبيع بعد انتصاره على جيش
خالد اللهري . انظر : التكامل ج ٥ ص ٧٠ ، المنهل العذب ص ٥٩ ، ثورات البربر في المراكبة
والاندلس ص ١٦٩ .
- (٣٣) الرقيق : ص ١٠٩ .
- (٣٤) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٢ .

(٣٥) نفس المصدر والصحيفة .

(٣٦) البيان المقرب ج ١ ص ٥٢ .

(٣٧) أخبار مجموعة ص ٢٩ .

(٣٨) نفس المصدر والصحيفة .

(٣٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٤ . أما ابن الأثير فيسميه خالد

ابن حبيب الفهري (الكامل ج ٥ ص ٦٩) . وعند السلوي خالد بن حميد الفهري (الاستقصا

ج ١ ص ٩٧) .

(٤٠) الرقيق : ص ١٠٩ .

(٤١) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الأثير : ج ٥ ص ٦٩ .

(٤٢) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الأثير : ج ٥ ص ٦٩ .

(٤٣) نغالب بذلك ابن عبد الحكم الذي ذكر أن مسيرة النصر في هذه المعركة لم العصى عن القيادة التي تولاهما عبد الملك بن قطن الحاربي . ومما ينهض على خطأ تلك الرواية من أساسها أن عبد الملك بن قطن كان من ولاية الأندلس وليس من نوار الفوارج . انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٤ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٥ .

(٤٤) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الأثير : ج ٥ ص ٦٩ .

(٤٥) الرقيق : ص ١١٠ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٤ .

(٤٦) الكامل ج ٥ ص ٦٩ .

(٤٧) الرقيق : ص ١١١ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٤ ، ابن

الأثير : ج ٥ ص ٦٩ .

(٤٨) نفس المصادر والصفحات ، التويزي : ج ٢٢ ورقة ١٥ .

(٤٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ .

(٥٠) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٥ .

(٥١) الرقيق : ص ١١ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ .

(٥٢) عبر الغليظة من غضبه بقوله : « والله لأغطين لهم غضبة عربية ، ولايعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي » ثم لا تركت حصن يربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة ليسي أو تميمي - انظر : الرقيق : ص ١١١ .

(٥٣) أخبار مجموعة ص ٣٠ ، ابن القوطية : ص ٤١ ، ويسميه ابن عبد الحكم كلثوم بن عياض القيسي وكذلك ابن القوطية . أما فلهورن فيرى أنه كلثوم بن عياض القسري . انظر : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٤ ، تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٠ ، تاريخ الدولة العربية ص ٣٣٢ .

(٥٤) يشفي سكوت حين يذكر انه بلغ بن بشر وليس كلثوما هو الذي عهد اليه بالولاية :
History of the Moorish Empire in Europe. Vol. I. p. 313. انظر

(٥٥) اخبار مجموعة ص ٣٠ ، ابن القوطية ص ٤١ .

(٥٦) ابن القوطية : ص ٤١ .

(٥٧) اخبار مجموعة ص ٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٨ ، المقري : ج ٤ ص ١٩
Scott: Op., Cit. p. 313

(٥٨) اخبار مجموعة ص ٣١ .

(٥٩) اخبار مجموعة ص ٣١ .

(٦٠) الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ١٤ .

(٦١) اخبار مجموعة ص ٣٦ .

(٦٢) الرقيق : ص ١١٢ . ابن عشاري : ج ١ ص ٥٦ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ .

(٦٣) اشفق كلثوم وبلج - وهما من القيسية - في معاملة عرب الغرب من اليمنية وضمهم
اذ ذاك حبيب بن ابي عبيدة . فقد انف كلثوم النزول بالقيروان ونزل في بلدة سبيبة على
مقربة منها . وامر اهل القيروان باغلاق منازلهم لئلا يفتكوا . فاستجاروا بحبيب بن ابي عبيدة وكان
يتلمسان . فبث الى كلثوم يامره بالرحيل عن البلاد . فاعتذر له كلثوم عن مسلكه وتوجه اليه
بتلمسان ليشتروا جميعا في قتال الصفرية . وهناك لارت الخلافات من جديد لصلب بلج
واستمالة في معاملة حبيب . وكادت الحرب ان تشب بين الطرفين . وقد ذكر ابن خلدون انهما
اقتتلا بالليل ثم اصطلحا على مضض . انظر : الرقيق : ص ١١٢ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ ،
ابن خلدون ج ٤ ص ١٨٩ .

(٦٤) اختلفت الروايات حول لالة الصفرية آنذاك فابن القوطية ذكر ان القيادة كانت لميسرة
وخالد بن حميد معا . وصاحب اخبار مجموعة ذهب الى انها كانت لميسرة وحده ، وكذلك ابن عبد
الحكم . لكننا نرجح رواية الرقيق لان ميسرة كان قد نهي عن الزعامة كما سبق ان اسلفنا .
انظر : ابن القوطية : ص ٤١ ، اخبار مجموعة ص ٣٢ . ابن عبد الحكم : ص ٢٩٦ ، الرقيق :
ص ١١٤ ، ابن عشاري : ج ١ ص ٥٧ .

(٦٥) ابن عشاري : ج ١ ص ٥٧ .

(٦٦) اخبار مجموعة ص ٣٢ . وقد ورد عن ابن القوطية « نظيرة » انظر : تاريخ التتاج

الاندلس ص ٤١ .

(٦٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ .

(٦٨) اخبار مجموعة ص ٣٢ .

(٦٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ .

• (٧٠) أخبار مجموعة : ص ٣٢

• (٧١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥

• (٧٢) أخبار مجموعة ص ٣٣

(٧٣) نفس المصدر والصحيفة • وقد ذكر كوتدييه ان الخيول العربية لم تستطع الصمود

لحرارة الشمس • انظر :

History of the Dominion of the Arabs in Spain Vol. I. p. 120.

• (٧٤) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٧

• (٧٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٦

• (٧٦) ابن عذاري : ج ١ ص ٥٧

• (٧٧) نفس المصدر والصحيفة

• (٧٨) أخبار مجموعة ص ٣٢

• (٧٩) العميدي : جنة المتقنين ص ١٩٩

وقد أخطأ المقرئ حين زعم ان كلشوما لم يقتل في المعركة انما أصيب بجراح ولاذ بالهرب

الى بلدة سيبية قرب القيروان • انظر : نفع الطيب ج ٤ ص ١٩

(٨٠) حيل بين بلج وبين دخول طنجة فاعتصم بسبته وتحصن بها • وانشلت جيوش

الصفارية في الظفر به ، فشدوا عليه الحصار وأحرقوا الزروع حول المدينة ليموت وجيشه جوعا •

فكتب بلج الى والي الاندلس لاثلا به ، فقبل بعد ان اشترط عليه تقديم الرهائن ، ومصادرة

الاندلس بعد القضاء عام يقاتل خلاله الى جالبه في قمع ثورات البربر بالاندلس •

انظر : أخبار مجموعة ص ٣٥ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٨٩ ، العميدي : ص ١٨٠ ، ابن

عذاري : ج ١ ص ٥٨ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ١٩ ، Scott: Op. Cit. p. 313.

(٨١) أخطأ المقرئ حين ذكر ان المعركة وقعت سنة ١٢١ هـ • انظر : تاريخ الرسل والملوك

ج ٧ ص ١٩١

• (٨٢) ابن القوطية ص ٤١ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٥

• (٨٣) مجهول : أخبار مجموعة ص ٣٤

• (٨٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ • وقد شد ابن خلدون عن

جمهرة المؤرخين حين اعتبر عبد الواحد الهواري ابافسيا • انظر : المعبر ج ٦ ص ١٢٤

• (٨٥) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ١٣٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١٠١

• (٨٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤

• (٨٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤

- (٨٨) نفس المصدر والصحيفة
- (٨٩) نفس المصدر والصحيفة
- (٩٠) ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠
- (٩١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥
- (٩٢) نفس المصدر : ص ٢٩٨
- (٩٣) الرليق : ص ١١٤ ، التويري : ج ٢٢ ورقة ١٥
- (٩٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠
- (٩٥) الرليق : ص ١١٥ ، ابن عبد الحكم ص ٢٩٨ • وقد آلت اليه زعامة صفرية المغربين الاوسط والاقصى بعد خالد الزناتي • انظر ابن خلدون ج ٧ ص ١٢
- (٩٦) من مظاهر الاعتماد نصيخته لمتنقلة بان يشرع في ضبط أمور إفريقية قبل محاولة استرداد بلاد المغرب الاقصى التي اقتطعها الصفرية
- انظر : أخبار مجموعة ص ٣٦
- (٩٧) أخبار مجموعة : ص ٣٤
- (٩٨) انظر ملحق رقم ٢
- (٩٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩١ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٦٢
- (١٠٠) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٠
- (١٠١) أخبار مجموعة : ص ٣٦
- (١٠٢) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٦٢
- (١٠٣) الرليق : ص ١١٨ • وتقع على بعد ثلاثة أميال من القيروان • ابن الاثير :
- ج ٥ ص ٧١
- (١٠٤) الرليق : ص ١١٨
- (١٠٥) يذكر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ان انشقاقا وقع بين القائلين الصفريةين عكاشة وعبد الواحد بسبب الخلاف حول الرئاسة ، لكننا نرجح ان يكون ما حدث من قبيل احكام الضغط لتطبيق على القيروان بمحاصرتها من جهتين في وقت واحد • انظر : تاريخ المغرب العربي ص ٢٧٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٠
- (١٠٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩
- (١٠٧) الرليق : ص ١١٦ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٧٣
- (١٠٨) ابن عسارى : نفس المصدر والصحيفة

(١٠٩) ذكر الرقيق انه عبا خمسة آلاف دراع وخمسة آلاف نابل . وجعل على الطلائع
تصليب بن عثمان ، وعلى الساقة عمرو بن حاتم ، وعلى الميمنة عبد الرحمن بن مالك الشيباني .
النظر : تاريخ الفريقية والمغرب ص ١١٩ .

(١١٠) استعمال حنظلة لفهاء المالكية الذين قاموا بدور التهيئة الروحية والمعنوية للجيش
الى جانب اشتراكهم في القتال . انظر : الرقيق : ص ١٢٠ ، المالكي : ج ١ ص ١٣ ، ١٤٤ .
كما لام نساء القيروان بدور كبير في حفص الرجال على الاستبسال فضلا عن الشراك بعضهم
في القتال كذلك . انظر : الرقيق : ص ١٢٠ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ .
(١١١) الرقيق : ص ١١٧ .

(١١٢) الكامل ج ٥ ص ٧١ ، Biquet: Op. Cit. p. 36.

(١١٣) تاريخ الفريقية والمغرب ص ١١٧ .
(١١٤) نفس المصدر ص ١٢٢ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٦٣ .
(١١٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٦٣ .
(١١٦) اخبار مجهزة ص ٣٦ ، الباجي السعدي : ج ١٥ .
(١١٧) يتضح ذلك من قول الليث بن سعد « ما من غزوة كنت احب ان اشهدها بعد غزوة
بدر احب الي من غزوتي القرن والاصنام » .
انظر : الرقيق : ص ١٢٢ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ .

(١١٨) اشترك عبد الرحمن بن حبيب مع والده في مولعة بقنوره ، ونزح الى الادللس ، مع
بلج بن بشر . وهناك وقع في صراع مع بلج وعلية بن سلامة ، فلم يطق له اللقار خصوصا في
وجود ابي الططار الصمام بن ضار عامل حنظلة على الادللس . فغادرها الى تونس ، ودعى
لنفسه فالتفت حوله اليمينية . ثم دخل القيروان بعد انسحاب حنظلة منها سنة ١٢٧هـ . وظل
على ولائه الاسمي لبني امية حتى قامت الدولة الميمنية سنة ١٣٣هـ ، فاعلن بجهته للمنعصور .
ثم خلع طاعته واستقل بالامر وظل يمارس نفوذا فعليا في افريقية بمعزل عن الخلافة حتى اغتيل
سنة ١٣٧هـ على يد اخيه الياس .

(١١٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٠ .
(١٢٠) ابن عذاري : ج ١ ص ٦٥ .
(١٢١) ابن خلدون : المرجع السابق ص ١٩٠ .
(١٢٢) الرقيق : ص ١٣٦ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١١١ .
(١٢٣) العبر : ج ٤ ص ١٩٠ .
(١٢٤) انظر : السلاوي : ج ١ ص ١٠٥ .

- (١٢٥) ابن وردان : تاريخ الإغالبه ورقة ٢ - مطبوع .
- (١٢٦) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ . تزعم المصادر السنيه انه كان كاهنا مدعيا للنبوّه .
انظر : ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ .
- (١٢٧) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٠ .
- (١٢٨) ذهب ابن خلدون والسلاوي الى انهما كانا من زعماء الاباضيه ، لكن كتب الاباضيه
خلو من أي اشارة تؤكد ذلك ، بل صورهما على انهما من اعداء أبي الخطاب عبد الاعلى بن
السمح الاباضي . انظر : العبر ج ٦ ص ١١٥ ، الاستقصا ج ١ ص ١٠٩ .
- (١٢٩) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٠ ، ابن الاثير ج ٥ ص ١١٧ ، ابن
خلدون : ج ٤ ص ١٩١ .
- (١٣٠) الرقيق : نفس المصدر والمصنفه ، ابن عذاري : نفس المصدر والمصنفه .
- (١٣١) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ .
- (١٣٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ .
- (١٣٣) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٠ .
- (١٣٤) المالكي : ج ١ ص ١١٠ .
- (١٣٥) الرقيق : ص ١٤٠ .
- (١٣٦) نفس المصدر والمصنفه، ابن عذاري ج ١ ص ٨١، الدباغ، معالم الايمان ج ١ ص ١٧١ .
- (١٣٧) المالكي : ج ١ ص ١٠٧ ، ١١٠ .
- (١٣٨) تبالغ المصادر السنيه في وصف فئات الصفرية بالقيروان فتذكر انهم « استعملوا
المعازم وارتكبوا الكبائر ، وسبوا النساء والصبيان ودهطوا دوابهم في المسجد الجامع » والواقع
ان ذلك محض افتراء .
- انظر : الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨١ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ والمصنف
هذه المصادر ان شيوخ القيروان ولفقهاها استصرخوا الطلائع العباسيه لتخليصهم من صف الصفرية
وما أصاب البلاد على أيديهم « من قلم فاش وأمر قبيح » . انظر : المالكي : ج ١ ص ١٠٢ ،
ابو العرب تميم : طبقات علماء افریقیة ص ٣٠ .
- (١٣٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩١ .
- (١٤٠) الرقيق : ص ١٤١ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨١ .
- (١٤١) نفس المصدرين والمصنفات ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٠ .
- (١٤٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ .
- (١٤٣) تجمع هذه المصادر على استبعاد الصفرية بحرب القيروان وسومهم سوء الطبايع،

وعلى استثناء القروانيين لابي الخطاب لتحريضهم من ظلم الصفرية . وتذكر في ذلك روايات شتى منها : -

١ - ان رجلا ابافيا دخل القيروان وشاهد بنفسه بعض الصفرية يعتدون قسرا على امرأة في المسجد الجامع ، فاعلم ابا الخطاب بالامر ، فخرج كينتقم منهم لاستياحتهم حرمة المسجد .

انظر : الرقيق : ص ١٤١ - ١٤٢ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ ، النويري ج ٢٢ ورقة ١٦ .

ب - ان ابا الخطاب لكان الصفرية على اثر رسالة اليه من احى القروانيات تعلمه فيها انها اغتلت وليدتها في حفرة تحت سرير خشية ان يفسدها الصفرية .

انظر : ابو زكريا : ورقة ٧ ، المدرجيني : ج ١ ورقة ١٢ .

ج - ان احى نساء القيروان خرجت من المدينة متنادية « اغيثوني معاشر المسلمين » وفي رواية اخرى « اغثني يا ابا الخطاب » ، فمد الله في صوتها وسمعه ابو الخطاب فاجابها « لييك يا اختاه » انظر : ابو زكريا : ورقة ٧ .

وهذه الروايات جميعا تمل الى المبالغة والطابع الاسطوري مما يشكك في صحتها . كذلك فمن المستبعد ان يكون خروج ابي الخطاب سببه دافع اقتصادي كما ذهب الدكتور سعد زغلول عبد الحميد اعتمادا على قول للشماخي بان عام ١٤٠هـ الذي خرج فيه ابو الخطاب كان عام جدي .

انظر : الشماخي : السير ص ١٢٧ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ص ٣٦٠ .

(١٤٤) الشماخي : السير ص ١٢٧ .

(١٤٥) ابو زكريا : السيرة ورقة ٨ ، الشماخي : السير ص ١٢٨ .

(١٤٦) نلس المصدين والصفحات ، ابن الاثير ج ٥ ص ١١٨ .

(١٤٧) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٢ ، السلوي : ج ١ ص ١١١ .

(١٤٨) ابو زكريا : ورقة ٩ ، Lewski: Etudes Ibadites, p. 113.

(١٤٩) ذكر ابن خلدون في تاريخه انه « من غيلة ، وهو الاصمح في شالاه » . انظر : العبر ج ٦ ص ١١٢ . لكنه في موضع اخر يقول « وقد قيل ان ابا قره من مطماطة ، وهذا عندني صحيح ، ولذلك احزت ذكر اخباره الى اخبار بني يفرن من زلانة » . انظر : العبر ج ٦ ص ١٢٥ .

وتنفس الغلف نجده عند السلوي حيث ذكر على انه « ابا قره بن دولاس اليفرنى » ومرة اخرى يدعو « ابا قره الغيلي » انظر : الاستقصا ج ١ ص ١١٦ .

(١٥٠) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٢ .

(١٥١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٢ .

(١٥٢) نلس المصدر والصحيفة .

(١٥٣) تاريخ الغرقة والمغرب ص ١٣٠ .

- (١٥٤) العبر ج ٦ ص ١١٢ ، ج ٧ ص ١٢ .
- (١٥٥) نبد تاريخية - جمع بروفنسال ص ٤٩ ، محمد الشطيبي : الجمان ورقة ٢٠٣ ،
Mercier: Histoire de L'Afrique, p. 238.
- (١٥٦) أخفا ابن وردان حين ذكر ان الاشعث بن عقبة الغزالي هو الذي اضطلع بهذه المهمة
وليس ابنه الذي اجمعت عليه المصادر . انظر : تاريخ الاغالبية ص ١ - مخطوط .
- (١٥٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ Biquet: Op. Cit. p. 42.
- (١٥٨) ابن خلدون : العبر : ج ٦ ص ١١٥ .
- (١٥٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٢ ، ج ٧ ص ١٢ .
- (١٦٠) النفر : جغرافية الكانون ص ١٨٤ ، محمود اسماعيل : سياسة الاغالبية الخارجية
الفصل الاول .
- (١٦١) ابن الابار : العلة السيرة ج ١ ص ٦٩ ، ابن الاثير ، ج ٥ ص ٢١٧ .
- (١٦٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصيغة .
- (١٦٣) ابن عسار : ج ١ ص ٨٦ .
- (١٦٤) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ .
- (١٦٥) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢١٧ .
- (١٦٦) الباجي السعودي : الخلاصة النقية ص ١٨ .
- (١٦٧) السلوي : ج ١ ص ١١٦ .
- (١٦٨) ابن عسار : ج ١ ص ٨٨ .
- (١٦٩) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ ، السلوي : ج ١ ص ١١٧ .
- (١٧٠) ذكر ابن الاثير ان انتقال عمر بن حفص الى الزاب وتحصينه غنبة كان وفقا لمشورة
المنصور . الكامل ج ٥ ص ٢٢١ .
- (١٧١) الرقيق : ص ١٤٣ .
- (١٧٢) ذكر ابن الاثير والثوري ان عاصم السمرقاني الاباضي اشترك في حصار غنبة على
راس ستة آلاف من الاباضية .
- انظر : الكامل ج ٥ ص ٢٢١ ، نهاية الارب ج ٢٢ ورقة ٢١ . وهو قول مردود لان عاصم
مات مسبوفا سنة ١٤٠هـ ابان حروب ابي الخطاب مع وديعومة . انظر : ابو زكريا : ورقة ٨ ،
الشماعلي : السير ص ١٢٨ .
- (١٧٣) ابن عسار : ج ١ ص ٨٨ . Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 371.
- (١٧٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ .

- (١٧٥) مديونة احدى بطون بني فاتن من فرسة التبرية ، ومواطنها في نواحي تلمسان . ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٥ . ولا محل لتصديق رواية ابن خلدون القائلة بتشيع ورغبة العسكرة لعمر بن حفص وقتلها الى جازيه . انظر : العبر ج ٦ ص ١١٥ .
- (١٧٦) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٨ .
- (١٧٧) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (١٧٨) الرقيق : ص ١٤٣ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ .
- (١٧٩) ابن خلدون : نفس المصدر والمصنف ، السلاوي : ج ١ ص ١١٧ .
- (١٨٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ .
- (١٨١) اختلط الامر على الطبري فذكر ان ابا قرة اشترك في حصار عمر بن حفص في القيروان ، ذلك ان حصار القيروان الذي حربه ابو حاتم الملوذي حدث سنة ١٥٤هـ وليس سنة ١٥٣هـ . وقد وقع في هذا الخطأ كثيرون ممن نقلوا عن الطبري . انظر : تاريخ الرسل والملوكة ج ٨ ص ٤٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٨ ، المعيني : عقد النجمان ج ١٣ ورقة ١٦ .
- ويؤكد معظم المؤرخين ان الذين حاصروا عمر بن حفص في القيروان كانوا جميعا من الإباضية .
- انظر : الرقيق : ص ١٤٣ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٩ ، ٩٠ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (١٨٢) الرقيق : ص ١٤٣ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (١٨٣) الرقيق : ص ١٤٣ .
- (١٨٤) نفس المصدر ص ١٥٩ .
- (١٨٥) نفس المصدر ص ١٦١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٨ .
- (١٨٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ .
- (١٨٧) الرقيق : ص ١٦٢ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٣ .
- (١٨٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ .
- (١٨٩) الورجلاني : الدلائل لاهل الطول ج ٣ ص ٣٤ .
- (١٩٠) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ، ابو داس : مؤنس الاحبة ص ٤٣ .
- (١٩١) تختلف المصادر حول كيفية اشتراكهما في قيادة الثورة ، فذكر البرادي انهما « كانا مشتركين في الملك » اما الشماخي فيرى ان احدهما كان اماما والاخر وزيره . ويفهم من رواية لابن عبد الحكم - وهي الارجح - ان عبد الجبار كان امام الصلاة والعبادة امام العرب . انظر : البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٧ ، الشماخي : السير ص ١٢٥ ، ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ .
- (١٩٢) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ .

١٩٣) نفس المصدر والصحيفة .

١٩٤) عن تفاصيل هذا الموضوع راجع : ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، الرليق :
ص ١٢٨ البرادي : الجواهر ورقة ٨٧ ، Masqueray; p. 23.

١٩٥) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ .

١٩٦) الرليق : ١٢٨ .

١٩٧) ذكر بعض المؤرخين انهما اختلفا فاقنتلا ، فقتل كل منهما الآخر ووضع سيده في
جسد صاحبه (ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ ، البرادي : الجواهر المتلقة ورقة ٨٧) وذكر آخرون
ان عبد الرحمن بن حبيب حاربهما فقتلهما (الرليق : ص ١٢٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٦)
بينما نجد في رواية لثالثة ان عبد الرحمن بن حبيب اغتالهما خفية ، واوصى القتل بوضع سيف
كل منهما في جسد الآخر الاشارة للخلاف بين الاباضية .

انظر : الدرجمي : ج ١ ورقة ١٢ علي يعنى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ص ٤٧،٤٦ .

١٩٨) الشماخي : السير ص ١٢٥ ، Masqueray: Op. cit. p. 23

١٩٩) اختلف الاباضية في تعديد ايها احكما في حق صاحبه ، ولم يلبث الخلاف ان تشعب
ال مسائل فلهية وفلسفية جوهرها « هل يدفع الشك اليقين ؟ ام اليقين يدفع الشك » . فغال
البعض هما على ولايتهما حتى يتبين امرهما ، بينما راي البعض الآخر عدم البت في القضية ،
فتحول الخلاف اللغوي الى انشقاق سياسي . عن مزيد من التفاصيل راجع : البرادي : الجواهر
المتلقة ورقة ٨٧ ، الشماخي : السير ص ١٢٥ ، الدرجمي : ج ١ ورقة ١١ ظهر .

٢٠٠) ابو زكريا : السيرة ورقة ٦ .

٢٠١) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ .

٢٠٢) اقليش : الامكان ص ٥٣ .

٢٠٣) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ .

٢٠٤) الرليق : ص ١٢٨ .

٢٠٥) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ .

٢٠٦) الرليق : ص ١٢٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٦ .

٢٠٧) الشماخي : السير ص ١٢٥ . يفرج ماسكراي من اختيار هربي لزعماء الحركة بان
العامل الديني حل محل عامل الصبغة في اعطاء الحركة طابعها .

انظر : Chronique d'Abo Zakaria p. 29

٢٠٨) الشماخي : نفس المصدر ص ١٢٤ .

٢٠٩) ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة : رسالة في احكام الزكاة ورقة ١١٤ - مطبوع .

(٢١٠) النظر : ملحق (١) •

(٢١١) السيرة وأخبار الائمة ورقة ٦ •

(٢١٢) اليعقوبي : تاريخه ص ١١٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ •

(٢١٣) تذكر المصادر الاباضية أن رؤساء المذهب كانوا يجتمعون في مكان يقال له صياد - غربي طرابلس - بجهة التسمام أرض مختلف القوم عليها ، أو للتأليف بين دجل مختلف مع زوجته ، مداراة لوالي طرابلس • النظر : أبو زكريا : ورقة ٦ ، الدرديني : ج ١ ورقة ١١ •

وتصور هذه المصادر أبا الخطاب على أنه فوجي- بعرض الإمامة عليه ، لكنه كان في الواقع على علم بأنه سيتقلد الإمامة منذ غادر البصرة مع الوفد المغربي وفقا لمشورة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة • النظر : أبو زكريا : ورقة ٧ •

(٢١٤) أبو زكريا : ورقة ٧ •

(٢١٥) تصور المصادر الاباضية سقوط طرابلس تصويرا روائيا اشبه ما يكون بسقوط طروادة ، فذكرت أن الجيش الاباضي اختبأ داخل جواليق يحملها الجمال التي دخلت المدينة على انها قافلة تجارية • فلما توسطت المدينة ، خرج الرجال شاهرين أسلحتهم صائحين « لا حكم الا لله ولا طاعة الا لابي الخطاب » • النظر : أبو زكريا : ورقة ٧ ، الدرديني : ج ١ ورقة ١٢ •

(٢١٦) الرليقي : ص ١٤٢ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٤ •

(٢١٧) أبو زكريا : ورقة ٧ •

(٢١٨) نفس المصدر والصحيفة ، الدرديني : ج ١ ورقة ١٤ •

(٢١٩) النظر : ملحق (١) •

(٢٢٠) أبو داس : مؤنس الاحبة ص ٤٥ •

(٢٢١) أبو زكريا : ورقة ٨ ، الشملخي : السير ص ١٢٨ ، الدرديني : ج ١ ورقة ١٣ •

(٢٢٢) البكري : المغرب ص ٢٨ •

(٢٢٣) أبو زكريا : ورقة ٩ •

(٢٢٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩١ ، الانصاري ، القنهل الملعب ص ٦٥ •

(٢٢٥) ذكر مؤرخو السنة أن المنصور أنفذ الحملة استجابة لطلب فقهاء القيروان لتخليصهم من عصف الصفرية • راجع : المالكي : ج ١ ص ٩٨ ، ١٠٢ ، أبو العرب تميم : ص ٣٠ ، بينما يذهب مؤرخو الاباضية الى أن ارسال الحملة كان نتيجة التحاح أحد رجال أبي الخطاب ويدعى جميل السمراني بعد أن خرج عليه ورجل ال بغداد •

راجع : أبو زكريا : ورقة ٩ ، الدرديني : ج ١ ورقة ١٥ ، الشملخي : ص ١٣١ •

(٢٢٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ .

(٢٢٧) زعم ابن تغري بردي ان ابا الاحوص انفذ الى المغرب من قبل والي مصر حميد بن قحطبة ، وافضل ان حميدا خرج بنفسه للقاء ابي الخطاب بعد هزيمة ابي الاحوص فهزمه وقتله ثم عاد الى مصر .

انظر : الهجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ . والثابت ان ابن الاثمت هو الذي قام بالهزيمة ابن ولاية حميد بن قحطبة لمصر . انظر : ابن عذاري : ج ١ ص ٨٢ .

(٢٢٨) البكري : ص ٧ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٢ .

(٢٢٩) البكري : نفس المصدر والصحيفة ، السلاوي : ج ١ ص ١١٤ .

(٢٣٠) ذكرت المصادر الاباضية ان ابا الخطاب كان قد هزم جيشا اخر لابن الاثمت بقيادة العموم بن عبد العزيز الجلي قبل انتصاره على ابي الاحوص . انظر : الشماخي : السير ص ١٣٠ .

(٢٣١) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ .

(٢٣٢) ابن عذاري : نفس المصدر والصحيفة .

(٢٣٣) النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ .

(٢٣٤) ابو زكريا : ورقة ١٠ . ويبلغ ابن عذاري حين يذكر ان جيش ابي الخطاب بلغ

مائتي الف مقاتل . انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٨٢ .

(٢٣٥) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ .

ولذكر المصادر الاباضية ان العامة في جيش ابي الخطاب تغلوا عنه حين تظاهر ابن الاثمت بالانسحاب الى الشرق رغم تعدير ابي الخطاب وتجاهل تماما ذكر انسحاب اباضية زناتة . واتحق ما ذهبت اليه المصادر السنية في تفسير الانشقاق داخل معسكر الاباضية . يؤكد ذلك ما ورد بالمصادر الاباضية ذاتها من اشتراك نفوسة وهوارة وحريشة في معركة تاورغا الى جانب ابي الخطاب دون ان يرد بينها ذكر زناتة . انظر : ابو زكريا : ورقة ١٠ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ١٥ ، الشماخي : السير ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢٣٦) تقع بارفيس سرت على مسيرة لعالية ايام من طرابلس . الدرجميني : ج ١ ورقة ١٦ .

(٢٣٧) ابو زكريا : ورقة ١٠ .

(٢٣٨) تقدر المصادر الاباضية عدد القتلى بما يتراوح بين اثني عشر الف واربعة عشر الف

اما المصادر السنية فتسرف في تقديرها الذي يصل الى اربعين الف . راجع : ابو زكريا : ورقة ١٠ ،

الشماخي : السير : ص ١٣٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ .

(٢٣٩) ابو زكريا : ورقة ١٠ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ١٦ .

Lewcki: Etudes Ibadites, p. 113

(٢٤٠) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ .

- (٢٤١) الشماخي : السير ص ١٣٤ . النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ .
- (٢٤٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ . ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ .
- (٢٤٣) الشماخي : السير ص ١٣٤ .
- (٢٤٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ .
- (٢٤٥) خطأ النرجيني في تسميته لابن حاتم يعقوب بن كبيب ، وكذلك البرادي الذي نقل عنه . راجع : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٧ ، الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ .
- (٢٤٦) النرجيني : ج ١ ورقة ١٧ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ .
- (٢٤٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٥ .
- (٢٤٨) ابن خلنود : ج ٦ ص ١٢٥ ، بروفسنال : نيد تاريخية ص ٤٩ .
- (٢٤٩) والصواب ان يكون من « مليلة » وهي بطن من بطون هواة . راجع : أبو زكريا : ورقة ١٢ .
- (٢٥٠) نقل الشماخي من النرجيني خطأ في جعل تاريخ مياينة أبي حاتم بالامامة سنة ١٥٤ هـ بدلا من سنة ١٤٥ هـ . انظر : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٧ ، السير ص ١٣٣ .
- (٢٥١) أبو زكريا : ورقة ١١ .
- (٢٥٢) بروفسنال : نيد تاريخية ص ٤٩ ، محمد الشطبي : الجمعان ورقة ٢٠٣ - مقطوع .
- (٢٥٣) أبو زكريا : ورقة ١١ .
- (٢٥٤) النرجيني : ج ١ ورقة ١٧ ، الشماخي : السير ص ١٣٤ .
- (٢٥٥) يفهم ذلك من رواية لابي زكريا يقول فيها ان ابا حاتم لام اصحابه على تعديهم وامرهم يرد ما اخلوه من اسلاب ، وهدوهم بالتغلي عن الامامة ما لم يهيبوه . انظر : السيرة ورقة ١٢ .
- (٢٥٦) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٢٥٧) من الملاحظ ان المصادر جميعا تضطرب وتختلط حين تسرد هذه الاحداث ، وقد ائبنا ما نعتقد انه الصواب على مدى تلك الروايات المختلفة . انظر : أبو زكريا : ورقة ١٢ ، النرجيني ، ج ١ ورقة ١٧ ، الشماخي : السير ص ١٣٤ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ ، ابن خلنود ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري ج ٢٢ ورقة ٢٠ .
- (٢٥٨) تضطرب المصادر الاباضية حين تزعم ان ابا حاتم حاصر ابن الاشعث في القيروان وارغمه هو وجنده على الرحيل الى الشرق . فمن المعروف ان ابن الاشعث غادر القيروان سنة ١٤٨ هـ بعد ثورة الجند الفلاني عليه . وجليد بالذکر ان هذه المصادر تتجاهل ولاية عمر بن حفص لافريقية فتسلطها ، ولا تورد شيئا من ثم عن الصراع بينه وبين الاباضية .

- راجع : ٥٠ أبو زكريا : ورقة ١٢ ، الدرجيني ج ١ ورقة ١٨ .
- (٢٥٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٢٦٠) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢١ .
- (٢٦١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ، ذكر الرقيق أن ابن رستم فقد في المعركة ثلاثمائة من رجاله ، بينما ذكر ابن عذاري أن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف . راجع : تاريخ الغرانية والمغرب ص ١٤٣ ، البيان المغرب ج ١ ص ٨٩ .
- (٢٦٢) يلهم ذلك من قول ابن الأثير بأن أبا حاتم « كثر جمعه » بعد أن غادر غنبة . راجع : الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ .
- (٢٦٣) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٩ . وتبالغ بعض الروايات لتذكر أن جيش أبي حاتم بلغ خمسة وثمانين ألف فارس ولثلاثمائة وخمسين ألف رجل . راجع : الطبري : ج ٨ ص ٤٢ ، البرادي : الجواهر ورقة ٨٨ ، العيني : عقد الجمان ج ١٣ ورقة ١٦ .
- (٢٦٤) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢٢ .
- (٢٦٥) الرقيق : ص ١٤٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٢٦٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، والأربس إحدى مدن الغرانية تقع غربي القيروان بمسيرة ثلاثة أيام . السلاوي : ج ١ ص ١١٨ .
- (٢٦٧) الرقيق : ص ١٤٤ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٩ .
- (٢٦٨) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٢٦٩) الرقيق : ص ١٤٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٢٧٠) الرقيق : ص ١٤٥ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٩٠ .
- (٢٧١) الرقيق : نفس المصدر والمصحفة ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٢٧٢) الرقيق : نفس المصدر ص ١٤٦ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٩٠ . وثمة دواية لابن وردان تصور حذب عمر بن حفص إلى جبل الأوداس وقتله غدرا أثناء نومه . راجع : لتاريخ الاغلبية ورقة ٥ - مضبوط .
- (٢٧٣) يبدو أن أبا حاتم كان يريد عقد الصلح على وجه السرعة ليتفرغ للقاء جيش يزيد ابن حاتم ومن ثم التمس الصلح بالتساهل المفرط مع العرب ، فقد نص فيه على ألا يكره أحد من الجند على بيع سلاحه ودوابه ، وعلى أن كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر انظر : الرقيق : ص ١٤٦ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ .
- (٢٧٤) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ .
- (٢٧٥) الرقيق : ص ١٤٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ .

- (٢٧٦) بند أبو حاتم شمل جميل بن صخر وجنده عند تونس ، كما أرغم المخارق بن غفار
الطائي على مفارقة القيروان • انظر : الرقيق : ص ١٤٨ •
- (٢٧٧) بخت أبو حاتم جرير بن مسعود المديوني في الر عور بن عثمان الفهري الى أرض
كتمامة ، لكن جريرا هزم وقتل - انظر الشماخي ص ١٣٥ •
- (٢٧٨) الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٩١ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ،
النويري : ج ٢ ورقة ٢٢ •
- (٢٧٩) تجمع المصادر على شغامة العملة ، فقدر عندها بما يتراوح بين تسعين ألفا ومائة
وعشرين ألف نسلهم من الفرسان : انظر اليعقوبي : تاريخه ص ١٢٠ ، البلاذري : فتوح البلدان
ص ٢٧٥ ، الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٩٤ ، ابن
خلدون : المبر ج ٤ ص ١٩٥ ، المعنى : ج ١٣ ورقة ١٦ ، الشماخي السير ص ١٣٦ •
- (٢٨٠) أبو زكريا : ورقة ١٢ ، الشماخي : ص ١٣٦ •
- (٢٨١) أبو زكريا ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨ •
- (٢٨٢) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ •
- (٢٨٣) مكان حصين بجبل نفوسة في لواحي طرابلس ، راجع الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن
الاثير ج ٥ ص ٢٢٢ •
- (٢٨٤) الرقيق : ص ١٦٠ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ ، يمتلك الدكتور سعد زغلول ميد
العميد ان ابا حاتم هزم في تلك المعركة على الرغم من اجماع المؤرخين اباضية وغير اباضية على
انتصاره فيها • انظر : سعد زغلول عبد العميد : تاريخ المغرب العربي ص ٣٢٩ ، ابن الاثير :
ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ ، أبو زكريا : ورقة ١٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨ ،
الشماخي : السير ص ١٣٩ •
- (٢٨٥) الرقيق : ص ١٦٠ •
- (٢٨٦) نفس المصدر والمصحفة ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ •
- (٢٨٧) أبو زكريا : ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨٠ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ •
- (٢٨٨) اليعقوبي : تاريخه ص ١٢ •
- (٢٨٩) ابن خلدون : المبر ج ٤ ص ١٩٣ ، ويذكر النويري ان القتلى من معسكر يزوع
كانوا ثلاثة فقط والصحيح ما رواه الرقيق ان عددهم بلغ ثلاثة رهط • انظر : النويري : نهاية
الارب ج ٢٢ ورقة ٢٢ ، الرقيق : تاريخ اريقية والمغرب ص ١٦٠ •
- (٢٩٠) الرقيق : ص ١٠٩ •
- (٢٩١) نفس المصدر والمصحفة : ابن عذارى : ج ١ ص ١٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٣ •

- (٢٩٧) نفس المصادر والمصاحبات .
- (٢٩٨) ابن خلدون : ج ١ ص ٩٤ ، ابن الأثير : ج ٥ ص ٤ .
- (٢٩٩) البيان المغرب ج ١ ص ٩٤ .
- (٣٠٠) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ١١٣ ، السلوي : ج ١ ص ١٢٠ .
- (٣٠١) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ١١٥ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ .
- (٣٠٢) الرقيق : ص ١٦٩ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ .
- (٣٠٣) إحدى كود الأريس بأفريقية . راجع الرقيق : ص ١٦٩ .
- (٣٠٤) الرقيق : ص ١٦٩ ، ابن خلدون : ج ١ ص ٩٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ .
- ★ (٣٠٥) ابن الأثير : ج ٥ ص ٤٦ ، ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٩٥ ، ابن تفرج بردى : ج ٢ ص ٩٠ .
- (٣٠٦) الحميري : جلدور المكتسب ص ٨ ، الفسي : بقية المكتسب ص ١٤ .
- (٣٠٧) أخبار مجموعة ص ٣٦ .
- (٣٠٨) الحميري : المرجع السابق ص ٨ .
- (٣٠٩) الهاجي السعودي : الخلاصة النقية ص ١٥ .
- (٣١٠) المعبر : ج ٦ ص ١١ .
- (٣١١) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٢٢ .
- (٣١٢) عن الطابع الشرقي للخلافة العباسية وأعمال السفاح لشئون المغرب انظر : محمود اسماعيل : سياسة الاغلبة الخارجية ص ١ ، ٢ .
- (٣١٣) عن الطرق البرية بين بغداد وبلاد المغرب : القصر لجامعة بن جعفر : العراق ص ٢٢٠ - ٢٢٥ .
- (٣١٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٨ .
- (٣١٥) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢١ .
- (٣١٦) الرقيق : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ١ ص ٩٨ .
- (٣١٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، ابن تفرج بردى : ج ٢ ص ٢٠ .
- (٣١٨) ابن تفرج بردى : ج ٢ ص ٢٣ .
-
- ★ ملاحظة للمقاري : ارجو اعتبار الرقم ٢٠٠ بدلا عن الرقم ٣٠٠ والسير في الترتيب صعودا على هذا الاساس .

- (٢١٤) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢١ .
 - (٢١٥) ابن طيخبا : الفخري في الاثاب السلطانية ص ١٢٧ .
 - (٢١٦) ابن الأبار : العلة السيرة ج ٢ ص ٣٥٨ .
 - (٢١٧) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢١ .
- Mercier: Histoire de l'Afrique, p. 142
Muir : The Caliphate, p. 461.

- (٢١٨) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ .
- (٢١٩) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٠ .
- (٢٢٠) الرقيق : ص ١٠٩ .
- (٢٢١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١١ .
- (٢٢٢) ابن الأثير : ج ٥ ص ١١٦ .
- (٢٢٣) الطبري : ج ٧ ص ٤٥٩ ،
- (٢٢٤) ابن الأثير : ج ٥ ص ١١٨ .
- (٢٢٥) البكري : ص ٧ ، السلاوي ج ١ ص ١١٥ .
- (٢٢٦) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٨ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٥ .
- (٢٢٧) ابن الأثير : ج ٥ ص ١١٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٥ .
- (٢٢٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٦ ،

Muir: Op. Cit. p. 461

- (٢٢٩) وتعني بالفرنسية «ألف رجل» كناية على شجاعته النادرة .
 - (٢٣٠) ابن الأثير : ج ٥ ص ٤ .
 - (٢٣١) نفس المصدر ص ٣٨ ، ابن خلدون : ج ٥ ص ١٩٤ ،
- Biquet: Op. Cit. p. 44

- (٢٣٢) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١٢١ .
- (٢٣٣) حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٤ .
- (٢٣٥) أخبار مجموعة : ص ٣٢ .
- (٢٣٤) مجهول : أخبار مجموعة ص ٤٢٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٨٨ .
- (٢٣٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ .
- (٢٣٧) أخبار مجموعة ص ٣٣ .
- (٢٣٨) نفس المصدر والصحيفة .
- (٢٣٩) نفس المصدر ص ٢٩ .

• (٢٤٠) ابن الأثير : ج ٥ ص ٦٩ .

• (٢٤١) نفس المصدر ص ٧٠ .

• (٢٤٢) نفس المصدر ص ١١٧ .

• (٢٤٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ .

• (٢٤٤) أبو زكريا : ورقة ٧ .

• (٢٤٥) نفس المصدر ورقة ١٠ ، الشماخي : السير ص ١٣٣ .

• (٢٤٦) الشماخي : ص ١٣٣ .

• (٢٤٧) ابن عسارى : ج ١ ص ٨٣ .

• (٢٤٨) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ .

(٢٤٩) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص ٢٢٤

Marcais: la Berberie Musulmane p. 48.

• (٢٥٠) أبو زكريا : ورقة ١٣ ، الدرر جيني : ج ١ ورقة ١٨ .

• (٢٥١) أبو زكريا : ورقة ١٢ ، الشماخي : السير ص ١٣٦ .

• (٢٥٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٧٣ .

(٢٥٣) من أهم حركات الإباضية في الشرق والمغرب لتتوالى في المغرب حركة أبي حمزة وطالب الحق باليمن وحضرموت ، وقد تم القضاء عليها سنة ١٣٤ هـ . وكذلك حركة الجبلندي بعمان التي وقعت في نفس العام . انظر : ابن الأثير ج ٥ ص ١٤٥ ، ١٦٩ . أما حركات الصفرية فاندهرها ثورة شيبان الحرودي بالوصل التي أخذت سنة ١٣٠ هـ ابن الأثير : ج ٥ ص ١٣٢ . وحركة شيبان بن عبد العزيز سنة ١٣٤ هـ . وقد قتل على يد الجبلندي الإباضي حين لجأ إليه هرباً من العباسيين . انظر : ابن الأثير : ج ٥ ص ١٦٩ . وحركة ملبد بن حملة الصفرى سنة ١٣٧ هـ ، وقد قتل في عهد المنصور سنة ١٣٨ هـ . راجع : ابن الأثير : ج ٥ ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢٥٤) راجع :

Gautier : les siècles Obscurs du Maghreb, p.p. 264 - 269.

• (٢٥٥) المعبر ج ٧ ص ٣ .

• (٢٥٦) المعبر ج ٦ ص ١١١ .

• (٢٥٧) الكامل ج ٥ ص ٧٠ .

• (٢٥٨) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن الأثير : ج ٥ ص ٧٠ .

• (٢٥٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ .

• (٢٦٠) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٨٠ .

- (٢٩١) ابن خلدون : ج ٢ ص ١٩٣
 (٢٩٢) نفس المصدر ج ٦ ص ١٤٤
 (٢٩٣) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ، ٣٠٢
 (٢٩٤) نفس المصدر ص ٣٠٢
 (٢٩٥) ابن عسارى : ج ١ ص ٨٣
 (٢٩٦) أبو زكريا : ورقة ١٢
 (٢٩٧) ابن عسارى : ج ١ ص ٩٤
 (٢٩٨) ابن الأثير : ج ٥ ص ٤٦
 (٢٩٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ ، التويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣

هوامش الباب الثالث

- (١) Marçais, G: la Berberie Musulmane. p. 141.
 (٢) النفوسى : ص ٤
 (٣) أبو زكريا : ورقة ١٣
 Gautier: op. cit. p. 292, Biquet; Op. Cit. p. 47
 (٤) انظر :
 (٥) انظر المقدمة
 (٦) البكري : ص ١٤٩
 Mercier: Histoire de l'Afrique Septentrionale. Vol. 1, p. 243.
 Bel : Op. Cit. p. 95.
 (٧) ابن عسارى : ج ١ ص ٧٣
 (٨) البكري : ص ١٤٨ ، الاستبصار ص ٢٠٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٣
 (٩) الاسطخري : المسالك والممالك ص ٥٣٤
 Marçais, G: la Berberie Musulmane. p. 143.
 كولن : مائة سجالسة - دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨
 (١٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩
 Fournel: Op. Cit. p. 292, Bol: Op. Cit., p. 167.
 (١١) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٢٧ ، عبد الرحمن بن زيدان : انصار
 اعلام الناس ج ١ ص ٦٢ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٨٧

- (١٤) وهو نهر زيز كما يسميه اليعقوبي . انظر : البلدان : ص ٣٥٩ ، تولين : الأرجع السابق ص ٢٩٨ .
- (١٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 351.
- (١٤) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .
- (١٥) نفس المصدر والصحيفة . (١٦) البلدان ص ٣٥٩ .
- (١٧) مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٣١ .
- (١٨) المغرب ص ١٤٨ .
- (١٩) البكري : ص ١٤٩ .
- (٢٠) الاسطغرني : ص ٢٤ ، الاستبصار ص ٢٠١ ، المقدس : احسن التقاسيم ص ٢٣١ .
- (٢١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٣٦ .
- (٢٢) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ٨٠ .
- (٢٣) النفوسي : الاذهار الرياضية ج ٢ ص ٩٣ .
- (٢٤) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، Gautier: Op. Cit. p. 292
- (٢٥) النفوسي : ص ٩٣ .
- (٢٦) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، Gautier: Op. Cit. p. 292
- (٢٧) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ .
- (٢٨) اسماعيل حامد (جامع) : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص ٧ .
- (٢٩) نفس المصدر ص ٣ .
- (٣٠) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٠ .
- (٣١) اسماعيل حامد : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص ٧ .
- (٣٢) نرجع ان مدارا كان لقب ابي القاسم كما يذهب ابن الططيط ، وليس اسم جده كما اعتقد ابن عذارى ، او اسمه هو حسبما ذكر صاحب كتاب الاستبصار . ونجد في رواية اخرى لابن الططيط خلط بين شخصي ابي القاسم سمو وبين عيسى بن يزيد ، فينسب دور ابي القاسم الى عيسى ولا يورد لاول ذكر . اما البكري فينسب الفضل في قيام الدولة المدارية الى جهود ابي القاسم لكنه لا يشير الى لقبه . وجدير بالذكر ان رواية البكري عن دولة بني مدار اصح الروايات واكثرها صدقا ، وقد اخذ بها كبار المدارسين مثل فوردل وموسيه . انظر : ابن الططيط : اعمال الاعلام ص ٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، الاستبصار ص ٢٠١ ، البكري : ص ١٤٩ .
- Mercier: Histoire de l'Afrique : p. 243, Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352.

(٣٣) ابن الشطيبة أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٨ .

(٣٤) لا اعتبار لما يقال عن أن أبا القاسم كان اباضيا « الازهار الرياضية » ج ٢ ص ٩٣ ،
أو أنه كان اباضيا صغريا كما ذهب ابن خلدون (العبر ج ٦ ص ١٣٠) . فنعن نعلم أن أبا
القاسم كان من دعاة عكرمة مولى ابن عباس و «مقدم الصغرية» من بعده . انظر : بروفنسال :
نبد تاريخية ص ٤٨ ، الشطيبة : الجمان ورقة ٢٠٣ .

Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352 (٣٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ،

(٣٦) البكري : ص ١٤٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٣٧) نلس المصدين والصفحات ، ابن عشاري : ج ١ ص ٢١٥ ، الاستبصار ص ٢٠١
Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352.

(٣٨) النفوس : ص ٩٣ .

(٣٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٤٠) ينفي هذا ما ذهب اليه بل من التلاف بربر مكناسة حول عيسى بن يزيد ومبايعته
طافعين مختارين . Bel: Op. Cit. p. 176 والواقع أن للفصل يهزى الى أبي القاسم
سمكو في تقديم عيسى بن يزيد ، ولعل ذلك كان سببا فيما درجت عليه بعض الروايات من
الغلط بينهما ، إذ تذهب الى أن الذي تولى الإمامة شخصا أسود يدعى مدرارا . وتزعم أنه كان
حاجبا قدم من الأندلس بعد موعدة الرضى . انظر البكري : ص ١٤٩ ، الاستبصار ص ٢٠١ ،
Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 523 ومن المعروف أن أهل الرضى دخلوا عن قرطبة
سنة ١٩٨هـ بينما قامت دولة بني مدرار سنة ١٤٠هـ . انظر : ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ ،
Fournel: Op. Cit. p. 553 ومع ما تنطوي عليه تلك الرواية من الخطأ فلا شك في أهمية
مفزاها بما تبرزه من نزوح أعداد غفيرة من الأندلسيين . بعد حادث الرضى الشهير الى سجلماسة
واستيطانهم بها - على أفراد ما فعلوه بلباس - واسهامهم في عمارتها واشتغالهم بالحرف والصناعات
كالبناء والبناء وغيرها . انظر : ابن خلدون : ج ٤ ص 262 Condé: Op. Cit. p. 262
١٢٦ بعد زخول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي ص ٤٠٥ .

(٤١) العبر : ج ٦ ص ١٣٠ ، النفوس : ص ٩٣ .

(٤٢) لم يرد بالمصادر ذكر لتقلد أمراء بني مدرار الخلافة أو الإمارة باعتبارهم رؤساء
دوحيين وسياسيين كما يلهم من لقب الامام أو الخليفة . ونعتقد أن سبب ذلك يكمن في أن
لنوبخ الصغرية لم تصل إلينا ، وكل ما وصلنا عنهم يستمد من المصادر المعادية لهم . عن
الآب الإمامة والخلافة انظر : حسن الباشا : الانقلاب الإسلامية ص ٦٠ .

(٤٣) الثابت أن مدينة سجلماسة استعدها بنو مدرار ولم يكن لها وجود من قبل . على
عكس ما قيل من أن الإسكندر أو القرنين أسسها لتكون موطنا للمعزة والرضى من جنوده ، فذلك
رواية أسطورية، وما ذكره الحسن الوزان من أن أحد قواد الرومان أسسها باسم
Sigillumcese عقب إحدى انتصاراته .

- انظر : كولين : مادة سجلهامة : دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨ .
- (٤٤) المقدس : ص ٢١٩ .
- (٤٥) كان يتبع سجلهامة عددا من الحصون والنازل والقرى كدعة وتادنقوست وآثر ايللا وحصون النعاسين وهلال وغيرها . انظر : اليمتوبي : البلدان ص ٣٥٩ ، المقدسي : ص ٢١٩ .
- (٤٦) الراكشي : المعجب ص ٣٥٧ .
- (٤٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ، Fournal. Op. Cit. Vol. I. p. 351
- (٤٨) المقدسي : ص ٢٣٦ .
- (٤٩) الاستبصار ص ٢٠١ .
- (٥٠) الادريسي : ص ٦٠ .
- (٥١) الاستبصار ص ٢٠٢ .
- (٥٢) نفس المصدر ص ٢٠١ .
- (٥٣) المقدسي : ص ٢٣٦ .
- (٥٤) المسالك والممالك ص ٦٥ .
- (٥٥) نزهة الانظار ص ١١ .
- (٥٦) ابن الطييب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٩ .
- (٥٧) الاستبصار : ص ٢٠١ ، Julien. Op. Cit. 339
- (٥٨) البكري : ص ١٤٨ .
- (٥٩) انظر : البكري : ص ١٤٨ ، ابن حوقل : ص ٦٥ ، القلاشندي : ج ٥ ص ١٦٤ .
- (٦٠) ابن حوقل : ص ٦٥ ، سميد بن مقديش : ص ١٠ .
- (٦١) صفة المغرب ص ٦٠ .
- (٦٢) نفس المصدر والصيغة .
- (٦٣) ابن حوقل : ص ٦٥ ، القلاشندي : ج ٥ ص ١٦٤ .
- (٦٤) البكري : ص ١٤٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٢١٥ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ .
- (٦٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، الاستبصار ص ١١٢ .
- (٦٦) ابن عذاري : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن الاثير : ج ٦ ص ٣ .
- (٦٧) المغرب : ص ١٤٩ .
- (٦٨) اعمال الاعلام : ج ٣ ص ١٣٩ .
- (٦٩) تاريخ المغرب العربي ص ٤٠١ .

(٧٠) ابن الأثير : ج ٦ ص ٣ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ ،

(٧١) البكري : ص ١٤٩ .

(٧٢) النظر : بنو مدرار والروستميون .

(٧٣) الشهرستاني : ص ١٢١ ، Gautier: Op. Cit. p. 299 ،

(٧٤) ابن عساري : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

Fournel: Op. Cit. Vol. I, p. 553 Bel. Op. Cit. p. 167.

(٧٥) ابن عساري : ج ١ ص ٢١٥ .

(٧٦) العبر : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٧٧) السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(٧٨) يخلط ابن خلدون بين الإباضية والصفوية ، فيذكر أن أبا القاسم كان د إباضية

صفرياً ، وهو قول سبق تصحيحه . وليس ثمة شك في أن أئمة بني مدرار جميعاً كانوا من

الخوارج الصفوية . النظر : العبر ج ٦ ص ١٣٠ .

ومن خطأ قول ابن خلدون النظر : ابن حزم : نطق العروس ص ٧٦ ، كولين : دالسة

العارف الإسلامية - مادة سجدلماسة ص ٢٨٩ .

(٧٩) الاستبصار ص ٢٠٢ .

(٨٠) البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٣ - مخطوط .

(٨١) الثلوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(٨٢) النظر : المقدمة .

(٨٣) أعمال الأعلام ج ٣ ص ١٤١ .

(٨٤) ذكر ابن الخطيب - خطأ - أن وفاة أبي القاسم سمكو حدثت سنة ١٩٩هـ . راجع

أعمال الأعلام ج ٣ ص ١٤٢ .

(٨٥) البكري : ص ١٤٩ ، ابن عساري : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٢ ،

وفي رواية أخرى لقب « بالوليد » .

النظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(٨٦) البكري : ص ١٥٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ . وهذه الرواية أكثر ثقة من غيرها

التي تصطبغ في تحديد مدة حكمه وسنة خلع . فابن عساري يذكر أنه خلع سنة ١٧٠هـ ، وابن

خلدون يجعل ذلك سنة ١٩٤هـ أما ابن الخطيب فيقول بأن إمارته لم تتجاوز ستة أشهر خلع

بعدها . انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢١٥ ، العبر ج ٦ ص ١٣٠ ، أعمال الأعلام ج ٣ ص ١٤٢ .

(٨٧) العبر : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٨٨) المغرب : ص ١٥٠

- (٨٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ، وقد تلبه البكري
« بابي المنتصر » وكذلك ابن عذاري . انظر : المغرب ص ١٤٩ ، البيان المغرب ج ١ ص ٢١٥ .
ومما يؤكد خطأ تلك الرواية ما ذكره البكري في مكان اخر بأنه لقب « بابي المنصور »
انظر : المغرب ص ١٥٠ . اما لقب أبي المنتصر فقد كني به ابنه فيما بعد .
(٩٠) اجمع المؤرخون على وفاة ابي المنصور اليسع سنة ٢٠٨هـ . انظر : البكري : ص ١٤٩ ،
ابن عذاري : ج ١ ص ٢١٦ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، ابن الططيط : ج ٣ ص ١٤٣ ،
القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ .

لكنهم اختلفوا في التدبير سني حكمه ، فابن عذاري يذكر انه ظل اميرا لمائة ولاتين عاما ،
وابن خلدون يذكر انه قضى في الحكم اربعة عشر عاما ، وابن الططيط يحدد مدة حكمه بمائة
اعوام . وسبب هذا الاختلاف يرجع ال اختلافهم حول تاريخ تولاه الامارة ، فابن عذاري يذكر
انه سنة ١٧٠ ، وابن خلدون يحدده بسنة ١٩٤هـ وابن الططيط يذكر انه تولى الامارة سنة ٢٠٠هـ .
والصحيح ما ذكره البكري من انه تولى الامارة سنة ١٧٤هـ وظل بها اربعة ولاتين عاما .

انظر : نفس المصادر والمصنفات .

(٩١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ .

(٩٢) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(٩٣) البكري : ص ١٥٠ .

(٩٤) نفس المصدر والمصنفات ، ابن الططيط ج ٣ ص ١٤٢ .

(٩٥) ابن عذاري : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٩٦) البكري : ص ١٠٠ ، ابن الططيط : ج ٣ ص ١٤٣ .

(٩٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٩٨) البكري : ص ١٥٠ ، ابن الططيط : ج ٣ ص ١٤٢ .

(٩٩) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ، النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(١٠٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ - ١٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١٠١) ابن عذاري : ج ١ ص ٢١٦ ، ابن الططيط : ج ٣ ص ١٤٣ .

(١٠٢) ابن عذاري : نفس المصدر والمصنفات .

(١٠٣) البكري : ص ١٤٨ .

(١٠٤) نفس المصدر والمصنفات ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

Bel. Op. Cit. p. 162 ، النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ ،

(١٠٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ ، القلقشندي : ج ١ ص ١٦٥ .

(١٠٧) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٠٨) ثمة تعريف ببعض الراجع في اسمي زوجتي المنتصر . فمن المعروف ان الرستمية تدعى « آروي » والاخرى تسمى « بقية » لكن ابن الخطيب يطلق على الاولى « هتو » والثانية « تلية » كما نجد عند ابن خلدون والسلوي تعريفا لاسم « بقية » الي « بغي » ، والصواب ما ذكره البكري وابن عذارى : انظر : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، العبر : ج ٦ ص ١٣١ ، السلوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١٠٩) النفوسي : ص ٢٩٥ .

(١١٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١١١) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١١٢) النفوسي : ص ٩٥ .

(١١٣) الاحبار الرياضية ج ٢ ص ٩٥ .

(١١٤) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ .

(١١٥) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ .

(١١٦) البكري : ص ١٥٠ .

(١١٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، السلوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١١٨) ابن عذارى : ج ١ ص ١٣٦ .

(١١٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٦ .

(١٢٠) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٢١) العبر : ج ٦ ص ١٣١ .

(١٢٢) اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٤ .

(١٢٣) نفس المصدر ص ١٤٥ .

(١٢٤) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٢٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٢٦) اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٢٥ .

(١٢٧) ذكر فولتل - وهو صاحب اكبر واشمل مؤلف في تاريخ المغرب - معلقا على سياسة بني ممداد الفخارجية ، نحن لا نعلم ثمة علاقات خارجية لهذه الاسرة اللهم الا من صلاتها مع

• دولة الاغالبة •

- Les Berbers. Vol. 2. p.p. 24, 25 : انظر :
 Histoire de Constanline p. 92 (١٢٨)
 Les berbers. Vol. 2 p. 22. ١٢٩)
 La religion Musulmane, Vol. I, p. 168 (١٣٠)
 Histoire de l'Espagne Musulmane Vol. I. p. 249 (١٣١) ★
 (١٤٢) العبر ج ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ •
 (١٤٣) نفس المصدر ص ١٣١ •
 (١٤٤) انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥١ •
 Levoix: Catalogue des Monnaies Musulmane p. 402. انظر (١٤٥)
 (١٤٦)
 Lane-Poole. Catalogue of the Collection of Arabic coins. p. 328.
 (١٤٧) صبح الاعشى : ج ٥ ص ١٦٧ •
 (١٤٨) العبر ج ٦ ص ١٣١ •
 (١٤٩) مقامة ابن خلدون ج ١ ص ٢٤٠ •
 (١٥٠) العبر ج ٣ ص ٣٦٣ •
 Lareligion musulmane en Berberie. p. 156. : انظر (١٥١)
 (١٥٢) انظر : حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٤ •
 (١٥٣) شرح الاخبار ص ٣١ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٢ •
 Fournel: Op. Cit. Vol. 2 p. 70. Mamour: Op. Cit. p. 107.
 (١٥٤) شرح الاخبار ص ٣٢ •
 (١٥٥) نفس المصدر والصحيفة •
 (١٥٦) ابن خلدون : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٢ •
 (١٥٧) شرح الاخبار ص ٣٢ •
 (١٥٨) نفس المصدر والصحيفة •
 (١٥٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي • ج ١ ص ١١٢ ، كولين : مادة سجلامة
 ★ ملاحظة للقاري : ارجو اعتبار الرقم ١٤٢ بدلا عن الرقم ١٣٢ والسير في الترتيب
 صعودا على هذا الاساس •

بدائرة المعارف الإسلامية ص ٢٨٩ .

(١٦٠) القلائشي : ج ٥ ص ١٦٤ .

(١٦١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ ، أحمد أمين : فصحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٧ ،
Bel: Op. Cit. p. 168.

(١٦٢) النقر : ابن الأثير : ج ٦ ص ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ .

(١٦٣) نفس المصدر ج ٧ ص ٧٤، ٦٧، ٦١ ، ٧٥ ، ١١٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(١٦٤) الاصطغري : ص ٣٧ . Vonderheyden: Op. Cit. p. 8 .

(١٦٥) كانت دولة الأغابة معاصرة بعدد من القبائل للمادية سياسياً ومذهبياً ، وهذه القبائل
هي بني يفرن الصغرية وأودبة الأدرسية العلوية ، ولماية وللوسة الإباضية ، وهوارة النكارية،
وزواغة الغللية ، وكنانة النسيمية الإسماعيلية . النقر : 195. Masqueray. Op. Cit. p.

(١٥٦) النقر : الخريطة .

(١٥٧) وراجع : Les Berber S. Vol. 2. p. 22

(١٦٨) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ٤٩ .

(١٦٩) النقر : شرح الأخبار - ملحق (١) ص ٣٢ من كتاب
Ivanova: Ismaili Tradition... Mamour: Op. Cit. p. 107.

(١٧٠) النقر : افتتاح الدعوة ص ٤٣ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٣ ، المقرئ : أحوال

الخلاص ٨٤ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٠ .

(١٧١) أبو العرب تميم : طبقات علماء إفريقية ص ٨٠ .

(١٧٢) النقر : حسن حسني عبد الوهاب : وثائق عن الحضارة العربية ج ١ ص ٥٨ .

(١٧٣) أبو العرب تميم : المرجع السابق ص ١٠٢ .

(١٧٤) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٢٧٦ .

(١٧٥) الدباغ : معالم الإيمان ج ٢ ص ٥٥ .

(١٧٦) أبو العرب تميم : ص ١٠٢ .

(١٧٧) ذهب بعض الدارسين إلى صعوبة تتبع علاقات بني مدرار بالإدارة ، بل واستحالتها
بسبب ندرة المعلومات .

النقر : حسن عبد الوواد : دولة الإدارة ص ٢٥٠ . Basset: Op. Cit. p. 333.

(١٧٨) أخطأ البعض حين انتهى إلى أن « حسن الجوار كان العلاقة السائدة بين دولة

الإدارة ودولة سجنلماسة » . النقر : حسن عبد الوواد : دولة الإدارة ص ٢٥٣ .

(١٧٩) ابن فضل الله العمري : مسالك الإبرار ج ٥ قسم ٢ ورقة ١٧٥ - محفوظ .

- (١٨٠) الأديسي : ص ٧٦
- (١٨١) ابن أبي ذرع : ص ٥٣
- (١٨٢) ابن حوقل : ص ٦٥
- (١٨٣) La berberie Musulmane et l'orient. p. 124.
- (١٨٤) ابن أبي دينار : المؤنس ص ٩٩ ، أفلش : الامكان ص ٨١
- (١٨٥) ابن الأبار : العلة السيرة ص ٢٠٠
- (١٨٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٣
- (١٨٧) التويري : ج ٢٢ ورقة ٢٨
- (١٨٨) البكري : ص ١٢٣
- (١٨٩) أفلش : الامكان ص ٥٧
- (١٩٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢ ، محمد علي السنوسي : الدرر السنية ص ٤٤
- (١٩١) ابن أبي ذرع : القراطس ص ٢٢ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 475.
- (١٩٢) نفس المصدر والصيغة
- (١٩٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٣ ، عبد الرحمن بن زيدان : الحاف اعلام الناس ج ٢ ص ١٩
- (١٩٤) ابن أبي ذرع : ص ٦٩ ، ابن الططيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٩٨ ، السنوسي
- الدرر السنية ص ٥٩
- (١٩٥) أفلش : الامكان ص ٥٧ ، Masqueray: Op. Cit. p. 172.
- (١٩٦) الأديسي : ص ٨١
- (١٩٧) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ، حسن محمود : قيام دولة الرابطين ص ٧١
- (١٩٨) اليعقوبي : نفس المصدر والصيغة
- (١٩٩) انظر : البكري : ص ١٢٥ ، ابن أبي ذرع ، ص ١١٢ - ١١٥ ، ابن خلدون : ج ٤
- ص ١٥ ، ابن الططيب : ج ٣ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٤ سلفا توركوسا:
- توارينج مدينة فاس ص ٦ ، Masqueray: Op. Cit. p. 172.
- (٢٠٠) Le Berberie Musulmane. p. 126.
- (٢٠١) ابن الططيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٥
- (٢٠٢) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤
- (٢٠٣) ابن الصغير : ص ٥٢
- (٢٠٤) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤
- (٢٠٥) ابن الصغير : ص ٤٦ ، البرادي : الجواهر التفتاة ورقة ٩٣ - مخطوط
- (٢٠٦) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤

- (٢٠٧) نفس المصدر ص ٦٩ .
- (٢٠٨) تاريخ الامة الرستميين ص ٥١ ، ٥٢ .
- (٢٠٩) النفوسى : ص ٩٤ .
- (٢١٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ .
- Provençal: Op. Cit. p. 249, Bel: Op. Cit. p. 168.
- (٢١١) النفوسى : ج ٢ ص ٩٤ .
- Les siecles obscurs, p. 293. : الطر :
- (٢١٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ، البرادى : الجواهر ورقة ٩٣ ، اخليش : الامكان ص ٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٨١٥ .
- (٢١٤) الشماشي : السير ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
- (٢١٥) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٦ ، ٢٧ .
- (٢١٦) ابن عبد ربه : العقد اللئيد ج ٤ ص ٤٩٣ .
- Scott. Op. Cit. Vol. I. p. 456. ، ابن عذارى : ج ٢ ص ١٠٦ ،
- (٢١٨) العقوبي : البلدان ص ٣٥٩ .
- (٢١٩) الحميري : صلة جزيرة الاندلس : ص ٢١ ، ابن الدلاي : نصوص من الاندلس ص ١٨ ، ١٩ ،
- Provençal: Op. Cit. p. 248.
- (٢٢٠) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٤١٨ ، ابن الفرضي : تاريخ العلماء والرواة ص ١٠٠ ج ١ ص ١٢٣ .
- (٢٢١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ .
- (٢٢٢) ابن عبد ربه : ج ٤ ص ٤٩٣ .
- (٢٢٣) نفس المصدر ص ٤٨٨ .
- (٢٢٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ .
- (٢٢٥) جغرافية الثامون ورقة ١٩٧ ، القلشندي : ج ٥ ص ١٦٤ ،
- Conde: Op. Cit. Vol. I. p. 291.
- (٢٣٦) ابن عبد ربه : ج ٤ ص ٤٩٤ .
- (٢٣٧) البيان المغرب ج ١ ص ١١٦ .
- (٢٣٨) اعمال الاعلام ج ٢ ص ٢٢ .
- (٢٣٩) ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٠ ، محمود مكي : التشيع في الاندلس ص ١١١ .

(٢٣٠) عول الناصر على مناهضة الفاطميين في بلاد المغرب لشغلهم عن التفكير في غزو الاندلس . واستطاع بالفعل ان يستحوذ على بعض ممالك العلوة كسيته وطنجة . ولعل حرص المستنصر من بعده على معرفة طبيعة بلاد المغرب واحوال سكانها كان تمهيدا لـد نفوذه فيها واقضاء الفاطميين عنها . انظر : مجهول : اخبار مجموعة ص ١٥٥ ، الضبي : بقية الملتبس ص ١٣١ .

(٢٣١) ينطبق هذا القول على دول بني مدرار وبني رستم والادارسة والاغالبة والفاطميين وكذلك امارة برغواطة .

(٢٣٢) العبر ج ٦ ص ١٢١ . وهي رواية خاطئة لان رستم هذا قتل سنة ١٦ هـ ، وتوفي عبد الرحمن سنة ١٦٨ هـ فيكون قد عمر اكثر من مائة وخمسين عاما .

(٢٣٤) المغرب ص ٦٧ .

(٢٣٤) ابو زكريا : ورقة ٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ ، الشماخي : السير ص ١٣٨ .

(٢٣٥) تفيض هذه المصادر بذكر احاديث متحلة ومأثورات لكبار الصحابة مشكوك فيها - تبين فضائل الفرس وعظيم شجاعتهم وفصلهم على الاسلام ، وتنبئ عن قيامهم باعادته الى سيرته الاولى عن طريق اقامة دولة لهم في بلاد المغرب .

انظر : ابو زكريا : ورقة ٣ - ٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ .

(٢٣٦) البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢٣٧) ينفي هذا ما قاله ابن خلدون من ان عبد الرحمن قدم الى الحرقية « مع طوابع الفتح »

انظر : العبر ج ٦ ص ١٢١ .

(٢٣٨) السير : ص ١٢٣ .

(٢٣٩) النفوسي : ج ٨ ص ٨٤ .

(٢٤٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١١١ .

(٢٤١) اليكري : ص ٦٨ .

(٢٤٢) ابو زكريا : ورقة ١٠ ، النفوسي : ص ٢ .

(٢٤٣) ابو زكريا : ورقة ١٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٦ ، النفوسي : ص ٢ .

(٢٤٤) الرقيق : ص ١٢٤ .

(٢٤٥) نفس المصدر ص ١٤١ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨١ .

(٢٤٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢٤٧) ذكر النفوسي ان هذا الجبل مجهول الموقع ، ويمتلكه ديوذ انه هو نفس الجبل المعروف

بسولفليف الكائن بين مدينتي سلالة والسوفا .

انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٣ ، المغرب الكبير ج ٣ ص ٢٥٦ .

- (٢٤٨) أبو زكريا : ورقة ١١
- (٢٤٩) نفس المصدر والمصحفة Gautier: Op. Cit. p. 301.
- (٢٥٠) النفوسي : ص ٣
- (١٥١) نفس المصدر والمصحفة
- (٢٥٢) أبو زكريا : ورقة ١١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٧
- (٢٥٣) النفوسي : ص ٣
- (٢٥٤) نفس المصدر ص ٤
- Mercier: Histoire de l'établissement des Arabes... p. 79.
- (٢٥٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ، مارسيه ، مادة بني رستم - دائرة المعارف الإسلامية ص ٩٢
- (٢٥٦) ابن خلدون : نفس المصدر والمصحفة
- (٢٥٧) النظر : Les siècles obscurs. p. 312.
- (٢٥٨) النفوسي : ص ٦
- (٢٥٩) أبو زكريا : ورقة ١٣ ، السماخي : السير ص ١٣٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩
- (٢٦٠) السماخي : ص ١٤٦
- (٢٦١) Bernard: Op. Cit. p. 134.
- (٢٦٢) Farouhy: Apersian dunasty in North Africa. p. 14.
- (٢٦٣) Ibid. p. 12.
- (٢٦٤) البكري : ص ٦٦ ، ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١
- (٢٦٥) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٧٧
- (٢٦٦) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٨ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ص ٣٧٥
- (٢٦٧) البكري : ص ٦٨
- (٢٦٨) أبو زكريا : ورقة ١٣
- (٢٦٩) نفس المصدر ورقة ١١
- (٢٧٠) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٧٧ ، وهي رواية أكثر دقة من رواية ابن خلدون ومن أخذ عنه حيث يجعل تأسيس تاهرت سنة ١٤٤ • انظر : العبر ج ٦ ص ١٢١ ، السلاوي: ج ١ ص ١١٥
- (٢٧١) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٧٧
- (٢٧٢) أبو زكريا : ورقة ١٣ ، السماخي : السير ص ١٣٩ ، النفوسي : ص ٨

- (٢٧٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ ، الشماخي : السير ص ١٣٦ .
- (٢٧٤) البكري : ص ٦٨ .
- (٢٧٥) المغرب : ص ٦٧ .
- (٢٧٦) نفس المصدر ص ٦٨ .
- (٢٧٧) النفوسي : ص ٨ .
- (٢٧٨) هي : باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب الملاحن . راجع : البكري ص ٦٦ .
- (٢٧٩) نفس المصدر ص ٦٨ .
- (٢٨٠) ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ، ياقوت : ج ١ ص ٨١٦ .
- (٢٨١) من هذه المدن والقلاع يمه وتاغليه وهزارة ومنداس وسوق ابراهيم وجبل يتجان وشلف والبطحة والزيتونة والخطراء وتنى وتامزيت وأوزكي والفكان وغيرها .
- انظر : المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٩ .
- (٢٨٢) المغرب ص ٦٨ .
- (٢٨٣) المعبر ج ٦ ص ١٢١ .
- (٢٨٤) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٨٣ .
- (٢٨٥) وقد اختلفت آراء العديدين لهذا السبب وتضاربت فذكروا ان المياحة تمت قبل انشاء المدينة ، ثم ذكروا في مواضع اخرى انها حدثت بعد تأسيسها : انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥٤١ ، ص ٥٤٥ .
- (٢٨٦) البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ .
- (٢٨٧) اقليش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ .
- (٢٨٨) ابو زكريا : ورقة ١١ .
- (٢٨٩) نفس المصدر ورقة ١٣ ، انظر : مقدمة تاريخ ابن الصغير Motylinaki, p. 5.
- (٢٩٠) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٨٣ .
- (٢٩١) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ . وقد راعى الاباضية الشروط المتعارف عليها في اختيار الالمة وهي : العلم والعدالة والكفاية وسلامة الهواس والاعضاء ، دون اشتراط الاصل القرشي كما هو شأن اهل السنة . انظر ٠٠ ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٥٢٢ .
- (٢٩٢) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ .
- (٢٩٣) ابن الصغير : ص ٦ ، ابو زكريا : ورقة ٩ ، الشماخي : السير ص ١٤٠ ، Masqueray: Op. Cit. p. 58, Farouhy: Op. Cit. p. 139.

- (٢٩٤) ابن الصغير : ص ٩ .
- (٢٩٥) ليس صحيحاً ما أوردته بعض مؤرخي الإباضية من رفض عبد الرحمن بن رستم الإمامة سنة ١٤٠هـ، قبل أن تعرض على أبي الخطاب العافري : انظر الشماخي : السير ص ١٤٠ ، الدرجيني ج ١ ورقة ١٩ .
- (٢٩٦) الشماخي : السير ص ١٤٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ .
- (٢٩٧) ابن الصغير : ص ٩ ، النفوسي : ص ٨٤ .
- (٢٩٨) النفوسي : ص ٩٣ .
- (٢٩٩) نفس المصدر والصحيفة .
- (٣٠٠) النفوسي : ص ٨٦ .
- (٣٠١) ابن الصغير : ص ١٠ .
- (٣٠٢) يذكر فروخي أن هذه الأموال بعثها خواجه فارس والبحرين ، بينما تروي المصادر الإباضية أنها من لدن خواجه البصرة ، وليس من المستبعد أن يكون إباضية فارس والبحرين قد بعثوا بهذه الأموال إلى البصرة حيث يوجد، مشايخ المذهب الذين أرسلوها بدورهم إلى بلاد المغرب . انظر : أبو زكريا : ورقة ١٤ ، Faroughy: Op. Cit. p. 14.
- (٣٠٣) انظر : أبو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٠ ، الشماخي : السير ص ١٤٠ ، ١٤١ ، النفوسي : ص ٨٦ ، ٨٧ .
- (٣٠٤) ابن الصغير : ص ١٢ ، النفوسي : ص ٨٨ . Smith: The Ibadites. p. 279.
- (٣٠٥) نفس المصادر والصفحات .
- (٣٠٦) ابن الصغير : ص ١٦ ، Faroughy: Op. Cit. p. 14 .
- (٣٠٧) نفس المصدر : ص ١٣ .
- (٣٠٨) نفس المصدر ص ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ .
- (٣٠٩) النفوسي : ص ٨٧ .
- (٣١٠) ابن الصغير : ص ١٦ .
- (٣١١) مجهول : الاستبصار ص ١٧٩ ، Gautier: Op. Cit. p. 300 .
- (٣١٢) اليقلوبي : البلدان ص ٣٤٩ .
- (٣١٣) ابن الصغير : ص ١٦ .
- (٣١٤) النفوسي : ص ٩٠ .
- (٣١٥) الشماخي : ص ١٤٠ .
- (٣١٦) أبو زكريا : ورقة ١٤ .

(٣١٨) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته ، فذكر بعضهم انه توفي بعد سنتين من امامته أي سنة ١٦٤هـ (انظر : اقليش : بعض تواريخ اهل وادي ميزاب ص ١٠١) ، بينما ذكر ابن عذاري انه مات سنة ١٦٨هـ (انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٧) ، والراجح ما أورده النفوسي من ان وفاته وقعت سنة ١٧١هـ (انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٩٩) .
 Histoire de l'Afrique septentrionale. p.p. 335,36. (٣١٩)

(٣٢٠) ابن الصغير : ص ١٦ ، ٢٠ .

(٣٢١) انظر : ابن الصغير : المقدمة ص ٦ .

(٣٢٢) انظر : السوفي : شرح السؤالات ورقة ٩٩ ، ١١٥ - مخطوط . وعرفوا ايضا «بالنجوية» لانهم اكثروا الاجتماع والنجوى ، كما أطلق عليهم اعدائهم اسما آخرى ، فعرفوا بالشعبية لادخالهم الشعب والفرقة في اللهب ، وقليل «الشغبية» لادخالهم الشغب ، كما دعوا «الكثاة» لكثرتهم بيعة عبد الوهاب . انظر : ابو زكريا : ورقة ١٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ .
 (٣٢٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ ، النفوسي : ص ١٠٢ .

(٣٢٤) ابن الصغير : ص ١٨ . والاجماع من شروط صحة الامامة عند فقهاء الإباضية ، كما هو الحال عند اهل السنة . انظر : الشماخي : شرح مقدمة اصول الفقه ورقة ٦٤ - مخطوط ،
 الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٥ .

(٣٢٥) ابو زكريا : ورقة ١٥ .

(٣٢٦) الشماخي : السير ص ١٤٦ .

(٣٢٧) ابن الصغير : ص ٢٢ .

(٣٢٨) النفوسي : ص ١١٤ .

(٣٢٩) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ .

(٣٣٠) عرف انصار عبد الوهاب « بالوهبية » كما يذهب ابن الصغير وليس كما يعتقد البرادي بانهم ينسبون الى عبد الله بن وهب الراسبي . انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ١٦ ،
 الجواهر المنقاة ورقة ٨٩ .

(٣٣١) الازهار الرياضية ج ٢ ص ١٠٦ .

(٣٣٢) ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الشماخي : السير ص ١٤٦ .

(٣٣٣) تزعم هذه المصادر ان ابن فندين قام بالثورة لان الامام عبد الوهاب لم يشتره لتوبي
 احدى المناصب الهامة ، التي اختص بها اهل العلم والبصيرة في الدين ، .

انظر : ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ .

(٣٣٤) الشماخي : السير ص ١٤٧ .

(٣٣٥) تقلد الربيع زعامة المذهب في الشرق بعد موت أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وقد عرف بتمطعه في الأصول والفروع وتبحره في مسائل الإمامة والولاية والبراءة وفقا للقرآن والسنة . انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ١١٦ ، الودجاني : الدليل لاهل العقول ج ٢ ص ٧٥ .

(٣٣٦) انظر ملحق رقم (٤) .

(٣٣٧) من المعروف ان الشريعة الاسلامية تجيز امامة المفضول اذا لم يكن مقصرا عن شروط الإمامة مع وجود الافضل ، وكذلك يجوز الفقه الاباضي امامه المفضول اذا كان على شيء « من اللقاعة والفضل » . انظر : الماوردي : ص ٨ ، أبو زكريا : ورقة ١٦ .

(٣٣٨) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٦ .

(٣٣٩) السير ص ١٤٧ .

(٣٤٠) أبو زكريا : ورقة ١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ ، النفوسي : ص ١٠٦ .

(٣٤١) انظر : أبو زكريا : ورقة ١٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ ، الشماخي : السير

ص ١٤٧ ، النفوسي : ص ١٠٨ .

(٣٤٢) عن هذه الرواية الاسطورية انظر : أبو زكريا : ورقة ١٦ ، ١٧ ، الشماخي :

السير ص ٤٨ - ١٥٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ - ٢٤ ، النفوسي : ص ١٠٣ - ١٠٦ .

(٣٤٣) الثابت ان مبادئ الفوارج تنكر هذا الاسلوب وتطعن على التوجه العلنية للمقصوم كما يتضح من مبادئ الاستعراض ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلام المقصوم واخذ النجعة عليهم قبل قتالهم .. الخ . ولنلاحظ ان الفوارج في حروبهم - سواء في المشرق او في المغرب - التزموا بهذه المبادئ وخاصة الاباضية منهم ، حتى بلغت مثاليتهم حد عدم تتبع المديبر وتحرير نهب المقصوم .. الخ . وما حدث من تدبير اغتيال علي بن ابي طالب كان حادثا فريدا له دوائمه الخاصة . انظر : السوفي : شرح السؤالات ورقة ٥٧ ، الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٢٨ .

(٣٤٤) الشماخي : السير ص ١٤٨ .

(٣٤٥) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٤ .

(٣٤٦) تعطل المصادر الاباضية بقصص روائية عن شجاعة الخلع واستبساله في الزود عن

الكدينة . انظر : أبو زكريا : ورقة ١٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ ، النفوسي : ص ١١١ - ١١٢ .

(٣٤٧) نفس المصادر والصفحات . وجليد بالذكر ان اختلاف فقهاء الاباضية حول موقف

شعيب والقسامهم بين مؤيد ومعارض مما يبرز الطابع المذهبي للحركة . وهذا شأن خلافات الفوارج في المشرق ايضا ، عن هذه الخلافات انظر : الشماخي : السير ص ١٥١ .

(٣٤٨) انظر : أبو زكريا : ورقة ١٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ .

(٣٤٩) المغرب ص ٦٧ .

(٣٥٠) تسرف المصادر الإباضية في تقدير عدد القتلى فتذكرت أن عدد من تسمى منهم باسم هرون - أقل الاسماء - بلغ ثلاثمائة . انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ .

(٣٥١) الشماخي : السير ص ١٥٤ .

(٣٥٢) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٣) النفوسي : ص ١٢٩ .

(٣٥٤) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٥) النفوسي : ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣٥٦) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٧) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٨) نفس المصدر والصحيفة .

(٣٥٩) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ١٣٣ .

(٣٦٠) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٠ .

(٣٦١) أبو زكريا : ورقة ١٩ .

(٣٦٢) النفوسي : ص ١١٧ .

(٣٦٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ .

(٣٦٤) أخيش . . . بعض تواريخ أهل وادي ميزاب ص ٣٨ .

(٣٦٥) على الرغم من التقارب بين فكر المعتزلة والطوائف في مسألة الوجود والوجود ، فهناك كثير من القضايا التي اختلفوا حولها اختلافا جوهريا ، كمسألة مركبي الكائن ، والرأي في اصحاب صلين وغيرهما . . . انظر الشهرستاني : ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣٦٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٥ .

(٣٦٧) انظر : Chronique d'Abou Zakaria, p. 120.

(٣٦٨) البكري : ص ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ .

(٣٦٩) اليطوبي : البلدان ص ٨٠ .

(٣٧٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ ، p. 29. Lowcki: Etudes Ibadites...

(٣٧١) هذا التاريخ تقريبي ، اعتمادا على ما هو معروف من أن الإمام علي اثر حروبه مع الواسلية توجه الى جبل نفوسة حيث ضرب الحصار حول طرابلس في العالم التالي .

انظر : أبو زكريا : ورقة ٢١ ، p. 268. Lowcki: Melanges Berberes.

(٣٧٢) يفهم هذا من إشارة للشماخي الى أن عبد الوهاب > كان زاهدا في سلك النماء ، ،

وَمِنْ غُلْبِهِ الْعَوْنُ مِنْ جَبَلِ نَفُوسَةَ ، وَمَعَا ذَكَرَهُ أَبُو زَكْرِيَا عَنْ الْفَتَى الْمُعْتَزَلِيِّ الَّذِي كَانَ يَصْرَحُ لِكُلِّ مَنْ بَارَزَهُ مِنَ الْإِبَاضِيَّةِ : انْظُرْ : السَّيْرُ ص ١٥٤ ، السَّيْرَةُ وَرَقَةُ ١٩ •

(٣٧٣) تَذَكُّرُ الرِّوَايَةِ الْإِبَاضِيَّةِ أَنَّ أَهْلَ الْجَبَلِ بَشَوْا إِلَى الْإِمَامِ أَرْبَعَةَ أَشْخَاصٍ فَقَطْ • كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَقَامٍ مَائَةٍ ، أَحَدُهُمْ لِلْمَنْطَلَةِ ، وَالْآخَرُ لِلتَّفْسِيرِ الْقُرْآنِيِّ • وَالثَّالِثُ لِلْمِبَارَظَةِ ، وَالرَّابِعُ لِلْمُحَاجَّاتِ فِي الْمَسَائِلِ الْفَلَسَفِيَّةِ • وَهِيَ رِوَايَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ : انْظُرْ أَبُو زَكْرِيَا : وَرَقَةُ ١٩ ، الدَّرَجِيَّةِيَّةُ : ج ١ وَرَقَةُ ٣٦ ، الشَّمَاخِي : السَّيْرُ ص ١٥٥ ، النَّفُوسِي : ص ١١٩ •

(٣٧٤) نَفْسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَصْلَحَاتِ •

(٣٧٥) النَّظَرُ : أَبُو زَكْرِيَا : وَرَقَةُ ٣٢ ، الدَّرَجِيَّةِيَّةُ : ج ١ وَرَقَةُ ٢٨ •

(٣٧٦) السَّيْرُ ص ١٥٧ •

(٣٧٧) الْبِكْرِيُّ : ص ٦٧ •

(٣٧٨) سَبِيلَةُ الْأَلَمَةِ الرَّسْتَمِيَّةِيَّةِ ص ٢٠ •

(٣٧٩) ابْنُ الصَّفِيرِ : ص ٢٠ •

(٣٨٠) ابْنُ خُلْدُونِ : ج ٦ ص ١١٧ •

(٣٨١) وَيَعْرِفُونَ أَيْضًا بَيْنِي مَصَالَةً أَوْ مَسَالَةً • النَّظَرُ : ابْنُ الصَّفِيرِ : ص ٢٠ •

(٣٨٢) النَّفُوسِي : ص ١٣٤ •

(٣٨٣) ابْنُ الصَّفِيرِ : ص ٣٢ • وَيُوجَدُ هَذَا الْجَبَلُ فِي مَنْطَلَةِ جَرْدَاءَ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ • النَّظَرُ : الْبَطْلَوِيُّ : الْجَبَلَانِ ص ٣٥٦ •

(٣٨٤) كَانَتْ نَفُوسَةُ مِنْ أَوْسَعِ قِبَالِ الْبَرَبِ وَأَكْثَرَهَا انْتِشَارًا ، فَمِنْ بَطُولِهَا بَنُو زُمُودَ وَبَنُو مَكْسُورَ وَمَاطُوسَةَ وَتَضَرَّبَ شُعُوبُهَا فِي أَحْوَازِ طَرَابُلُسَ وَجَبَلِ نَفُوسَةَ حَتَّى مَشَارِفِ الْقَيْرَوَانِ ، وَإِنَّ كَانَ الْجَبَلُ هُوَ مَعْقَلُهُمُ الْأَصْلِيُّ ، وَيَبْلُغُ طَوْلُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ مَسِيرَةَ سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَارْتِفَاعُهُ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَهُوَ غَامِرٌ بِالْمَدْنِ وَالْقَلَاعِ وَالْقَرْيِ وَالضِّيَاعِ وَالزَّارِعِ • وَأَهْمُ مَدَنِهِ شُرُوسَ وَمَسِيْفَ وَجَادُو • وَكَانَتْ نَفُوسَةُ كَدِينًا بِالمَسِيحِيَّةِ لِقَبْلِ اعْتِنَاقِهَا الْإِسْلَامَ • وَقَدْ اعْتَنَقَتْ الْمَذْهَبَ الْإِبَاضِيَّ فِي أَوَّلِ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ ، وَأَسَهَمَتْ فِي لُورَاتِ الْإِبَاضِيَّةِ فِي الْقَرْبِ الْأَدْنَى وَالْغَرْبِيَّةِ بِنَصِيْبِ وَالْفِ • وَلَمَّا قَامَتِ الدَّوْلَةُ الرَّسْتَمِيَّةُ بَاحْتَرَتْ كَانَ النَّفُوسِيُّونَ مِنْ أَشَدِّ مُنَازَرَتِهَا فَجَدَّ خُصُومَتُهَا • وَلَا غُرُوبَ لَقَدْ خَطَا - مِنْ ثَمَ - بِتَقْلَدِ أَهْمِ الْمُنَاصِبِ الْعَامَةِ فِي الدَّوْلَةِ ، « فَكَانَتْ نَفُوسَةُ لِكُلِّ عَقْدٍ تَقْدِيمِ الْقَضَا وَبُيُوتِ الْأَمْوَالِ وَاتِّكَارِ الْمُنْكَرِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْإِحْتِسَابِ عَلَى الْفَسَاقِ » • إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ لِلْإِمَامَةِ فِي تَاهَرْتِ ، كَانُوا شَبَهَ مُسْتَقِلِّينَ نَظَرًا لِبَعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَاهَرْتِ • ابْنُ خُلْدُونِ : ج ٦ ص ١١٤ ، الْأَسْتَبْصَارُ ص ١٤٤ ، الشَّمَاخِي : السَّيْرُ ص ١٩٢ ، ٢٧٣ ، Basset: Les sanctuaries du djebel. p. 426, Despois Op. Cit. p. 137

مِبَارَكَةُ الْبَلْبِي : ج ٢ ص ٢٠ ، عَلِيٌّ يَحْيَى مَعْمَرُ : الْإِبَاضِيَّةُ ص ٧٥ •

(٣٨٥) النفوسى : الجلدان ص ١٤٤ ؛

(٣٨٦) النفوسى : ص ١٦٥ .

(٣٨٧) ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، المدرجيني : ج ١ ورقة ٣١ ، النفوسى : ص ١٥١ .

(٣٨٨) ابو زكريا : نفس المصدر والمصحفة .

(٣٨٩) نفس المصدر والمصحفة .

(٣٩٠) نفس المصدر والمصحفة .

(٣٩١) أفلش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣٩٢) انظر : ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، المدرجيني : ج ١ ورقة ٣١ ، النفوسى : ص ١٥١ .

(٣٩٣) انظر : ملحق رقم (٢) .

(٣٩٤) ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، المدرجيني : ج ١ ورقة ٣١ .

(٣٩٥) ثمة رواية لابى الربيع الوسياني تقول ان احد مشايخ نفوسة ممن تلقوا العلم على الامام عبد الوهاب اخذ عنه مبدءا حق الرعاية في اختيار ولاتها . انظر : الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٧٩ - مقطوط . ولد الفتى الربيع بن حبيب بجواز لعند الائمة بقوله « لا بأس باجتماع اهلين او ائمة في زمان واحد اذا فصل بينهم سلاطين لا تطاق او قوم لا يطاقون ، او حال بعد المسافة » . انظر : أفلش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣٩٦) بثوا بذلك كتابا الى ابي سليمان محبوب بن الرحيل شيخ اباضية الشرق بعد الربيع

ابن حبيب ، انظر : الشماخي : السير ص ١٨١ .

(٣٩٧) ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، النفوسى : ص ١٥١ .

(٣٩٨) يفهم ذلك من رواية لـنفوسى تقول ان شطفا يدعى عمرو بن يالس كان يتدس بين

اصحاب خلف « ويكااب الامام بكل ما يسهمه » . انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣٩٩) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٣٠ .

(٤٠٠) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة عبد الوهاب كشأنهم في تحديد تواريخ مني حكم سائر ائمة بني رستم فابن عذارى يذكر ان عبد الوهاب حكم عشرين عاما ابتداء من سنة ١٨٠هـ التي مات فيها والده ، فيكون تاريخ وفاته لئما لذلك سنة ٢٠٠هـ . بينما يحدد النفوسى هذا التاريخ بسنة ١٩٠هـ على اساس انه استمر في الحكم تسعة عشر عاما ابتداء من سنة ١٧١هـ . ولا ندرى كيف توصل جورج مارسبه الى تحديد عام ٢٠٨هـ كتاريخ لوفاة عبد الوهاب . وإن كنا نرجح صحة هذا التاريخ على اساس ما ذكر ابن حيان عن ايفاد عبد الوهاب لبل موته سفارة من ابنائه الى الاندلس في سنة ٢٠٧هـ .

انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٨ ، الازهار الرياضية ج ٢ ص ١٦٣ ، مادة بني رستم

بدايرة المعارف الاسلامية ص ١٣ ، Provencal: Op. Cit. p. 244.

(٤٠١) على الرغم من تضعف نفوذ الائمة على اقاليمها الشرقية في اخريات عهد عبد الوهاب فان نفوذه ظل قائما على بقية اجزاء دولته ، حيث دان له عماله بالطاعة في نواحي السطالية ووزنقة ودمر وزواغة وجربة ولفسه ولفزاوة وقنطرة فضلا عن تاهرت ونواحيها . انظر : الشماخي : السير ص ١٦١ ، النفوسي : ص ١٦٥ .

(٤٠٢) السيرة ورقة ٢٨

Etudes Ibadites Nord Africaine. p. 115. (٤٠٣)

(٤٠٤) النفوسي : ص ١٦٧

(٤٠٥) ابو زكريا : ورقة ٢٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٢

(٤٠٦) السيرة ورقة ٣٦

(٤٠٧) نفس المصدر ورقة ٢٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٣ ، الشماخي : السير ص ١٨٤ ،

النفوسي ص ١٦٧

(٤٠٨) بحث ابو عبيدة رسالة الـ خلف يقول فيها « واذا نزعتم يا خلف يدك عن الطاعة ،

فكن في حيلة واكون في حيزي ودع العرب » . انظر : نفس المصادر والصفحات .

(٤٠٩) نفس المصادر والصفحات

(٤١٠) ذكر الدرجيني انها بلغت اربعة الاف بينما تجمع المصادر الاباضية الاخرى على ان

عدتها اربعين الفا . انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٣ ، ابو زكريا : ورقة ٢٧ ، الشماخي :

السير ص ١٨٤ ، النفوسي : ص ١٦٨

(٤١١) شد الدرجيني عن اجماع مؤرخي الاباضية ، فذكر ان القتال حدث سنة ٢١١ هـ .

انظر طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٣٤ ، ابو زكريا : ورقة ٢٨ ، النفوسي : ص ١٧٣

(٤١٢) تقدم مصادر الاباضية جيش ابي عبيدة بما يتراوح بين الالمانية وسبعماية رجل :

انظر نفس المصادر السابقة والصفحات

(٤١٣) ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الشماخي : السير ص ١٨٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٤

(٤١٤) النفوسي : ص ١٧٥

(٤١٥) ابو زكريا : ورقة ٢٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٤

(٤١٦) الدرجيني ج ١ ورقة ٣٥

(٤١٧) النفوسي : ص ١٩٥

(٤١٨) تصور هذه المصادر خروج ثلاث كتفيل الامام الفتح سعد بن ابي يونس عليه وتعيينه

عاملا على قنطرة . انظر : ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الشماخي : السير ص ١٩٥ ، الدرجيني : ج ١

ورقة ٣٥ ، النفوسى : ص ١٩٧ •

Lewcki: Melanges Berberes-Ibadites. p. 270. (٤١٩)

(٤٢٠) ذكر الوسياني انه سمي بنفاث « لانه ينفث في الاسماع بدعته » • انظر : سير

أبي الربيع ورقة ١٠ •

(٤٢١) ابو زكريا : ورقة ٣٠ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ٣٥ •

(٤٢٢) الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٢٢٠ •

(٤٢٣) ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ٣٦ •

(٤٢٤) النفوسى : ص ١٩٥ •

(٤٢٥) انظر : نص رسالة الفلج لعماله في هذا الصدد عند النفوسى • الاذهار الرياضية

ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٨ •

(٤٢٦) جاء في رسالة الفلج الى رعيته ما يلى « ... ومن عاب احدا من عمالنا بفصلة من

الفصال ، او انكر عليه شيئا فليرفع ذلك الينا ، فنكون نحن الذين يفيرون » • النفوسى: ص ٢٠٣ •

(٤٢٧) النفوسى : ص ٢٠٤ •

(٤٢٨) ثمة مثل اوردته الدرجميني يدلل به على دور نفوسة في مقاومة حركة نفاث ، جاء

على لسان احد المشايخ ويسمى ابو مهاصر ، قال « تنجح جروة ابي مهاصر لكلا ياكل الذيب

الغنم • وقد كاد ياكلها ، حتى اتت سلاف ويغوا •• هرب الذيب فامنت الغنم •• يعني بالجروة

نفسه ، وبالذيب نفاث بن نصر ، وبالغنم نفوسة ، وبالسلاف مهديا وعروسا (من مشايخ الجبل)

وهما من منزل يقال له ويغوا ، ويعنى ياكل الذيب الغنم ، استحوذ نفاث على اهل

الجبل •• • • انظر : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٣٤ • وعلى الرغم من تشكيلك اليرادي في

صحة هذا المثل - لان الشيخ مهدي النفوس قتل أثناء حصار الامام عبد الوهاب بطرابلس سنة

١٩٦٦ هـ - فلا شك ان له دلالة على مدى نفوذ نفاث وامتداد دعوته ، فضلا عن دور نفوسة في

مطاردته حتى هرب الى الشرق وانصرف عنه معظم اتباعه • انظر : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٦ •

(٤٢٩) ابو زكريا : ورقة ٣٦ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ٣٧ •

(٤٣٠) النفوسى : ص ٢١٠ •

Lewcki: Melanges Berberes Ibadites. p. 270.

(٤٣١) انظر

Motyliniski: Op. Cit. p. 6. ، النفوسى : ص ١٨٣ •

(٤٣٣) تليش توادينغ الاباضية بقصص وبطولات نادرة قام بها الفلج في حربه مع النكار

وبربر هودة في حياة والده • انظر الدرجميني : ج ١ ورقة ٢٥ •

(٤٣٤) ابن الصغير : ص ٢٥ •

- (٤٣٥) النفوسي : ص ١٨٨ .
- (٤٣٦) نفس المصدر ص ٦٨ ، Motylinski: Op. Cit. p. 6.
- (٤٣٧) انظر : ابن الصغير : ص ٢٧ ، النفوسي : ص ٦٨ .
- (٤٣٨) مارسية : مادة بني رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٤
Faroughy: Op. Cit. p. 15.
- (٤٣٩) ابن الصغير : ص ٢٧ .
- (٤٤٠) النفوسي : ص ١٨٣ .
- (٤٤١) ابن الصغير : ص ٢٧ .
- (٤٤٢) نفس المصدر : ص ٢٥ .
- (٤٤٣) أبو زكريا : ورقة ٢٩ ، الشماخي : السير ص ١٨٧ .
- (٤٤٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٤ .
- (٤٤٥) انظر : مادة بني رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٤ .
- (٤٤٦) ذكر أبو زكريا ان الفلج ظل في الامامة ستين عاما ، بينما يقول ابن الصغير انه حكم خمسين عاما . ونحن نرجح رواية ابن الصغير ، ومن ثم تكون وفاته سنة ٢٥٨ هـ على اساس توليه الامامة سنة ٢٠٨ هـ كما سبق القول . وعلى ذلك فقد اخفا النفوسي حين ذهب الى ان الفلج مات سنة ٢٤٠ هـ . انظر : أبو زكريا : ورقة ٣١ ، ابن الصغير : ص ٢٥ ، النفوسي: ص ٢٢١ .
- (٤٤٧) ابن الصغير : ص ٢٧ ، محمد بن قلاويت : دولة المستعنيين ص ١٢٢ .
- (٤٤٨) ابن الصغير : ص ٢٧ .
- (٤٤٩) نفس المصدر والمصنف .
- (٤٥٠) نفس المصدر ص ٢٦ ، ٢٧ ، Lewcki : Melanges Berberes p. 273.
- (٤٥١) انظر : A Persian dunasty in North Africa. p. 15.
- (٤٥٢) النفوسي : ص ٢٣١ .
- (٤٥٣) ابن الصغير : ص ٢٧ .
- (٤٥٤) نقل جودج مارسية عن ابن الصغير تعريف كلمة « السمحية » الى « المسيحية » ، فقال بوجود عناصر مسيحية في تاهرت وقلت الى جانب بني رستم . انظر : ابن الصغير : ص ٣٦ ، مارسية مادة بني رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٤ .
- (٤٥٥) احتج الشيخ عبد العزيز بن الاوز - المعروف بتعمقه في الفقه الاباضي - على ذلك مطالباً نفوسة بقوله « الله سائلكم معاصر نفوسة » اذا مات واحد جعلتم مكانه اخر ، ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » . انظر : ابن الصغير :

ص ٣١ ، ٤٧ •

(٤٥٦) الأذهار الرياضية ج ٢ ص ٢٢٢ •

(٤٥٧) ابن الصغير : ص ٣١ •

(٤٥٨) نفس المصدر ص ٣٢ •

(٤٥٩) نفس المصدر ص ٣١ •

(٤٦٠) ابن الصغير : ص ٣٣ ، النفوسي : ص ٢٢٤ •

(٤٦١) ابن الصغير : ص ٣٢ •

(٤٦٢) كان أبو اليقظان مأسورا في بغداد ، اذ لبس عليه عمال العباسيين وهو في طريقه
لإداء فريضة الحج ثم ألجأ عنه وعاد إلى تاهرت • انظر : ابن الصغير : ص ٣١ •

(٤٦٣) ابن الصغير : ص ٣٢ •

(٤٦٤) ابن الصغير : ص ٣٢ •

(٤٦٥) عن تفضيل اغتيال ابن عرفة - انظر : ابن الصغير ص ٣٤ - ٣٦ •

(٤٦٦) السيرة ورقلة ٣١ •

(٤٦٧) طبقات الاباضية ج ١ ورقلة ٣٧ •

(٤٦٨) الأذهار الرياضية ج ٢ ص ٦٢٦ ، ٢٢٧ •

(٤٦٩) ابن الصغير : ص ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٣٠ •

(٤٧٠) ابن الصغير : ص ٣٦ •

(٤٧١) نفس المصدر ص ٣٧ •

(٤٧٢) نفس المصدر والصعيفة ، النفوسي : ص ٢٣١ •

(٤٧٣) نفس المصدر والصعيفة ، نفس المصدر ص ٢٣٢ •

(٤٧٤) نفس المصدر ص ٣٨ ، نفس المصدر والصعيفة •

(٤٧٥) ابن الصغير : ص ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٣٥ •

(٤٧٦) الأرجيني : ج ١ ورقلة ٣٧ • والمصادر الاباضية لا تذكر شيئا عن مصير أبي بكر بن
الفتح بعد اعتقاله الإمامة • بينما يذكر ابن عذارى أن أهل تاهرت أعادوه إلى المدينة حيث ظل
بها حتى وفاته • والراجح أنه عاد إلى تاهرت بعونة أخيه أبي اليقظان محمد الذي تولى الإمامة
من بعده • انظر ابن عذارى : البيان المقرب ج ١ ص ٢٧٨ •

(٤٧٧) ابن الصغير : ص ٣٩ •

(٤٧٨) النفوسي : ص ٢٣٦ •

(٤٧٩) يعتقد ماسكراي ان ابن مسالة كان اياضية تكاديا . لكن المصادر لا تؤيد هذا الرأي، فالنفسى يصفه بأنه « اياضي المذهب » . ومن المعروف ان مؤرخي الاباضية يعتبرون فرقة النكار ملالة على جماعة المذهب من الوهبية . انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٣٦ ، Chronique d'Abou Zakaria. p. 195.

(٤٨٠) النفسى : ص ٢٣٦ .

(٤٨١) نفس المصدر والصحيفة .

(٤٨٢) ابن الصفيير : ص ٣٩ ، النفسى : ص ٢٣٦ .

(٤٨٣) نفس المصدرين والصفحات .

(٤٨٤) ابن الصفيير : ص ٤٠ ، النفسى : ص ٢٣٨ .

(٤٨٥) نفس المصدرين والصفحات .

(٤٨٦) ابن الصفيير : ص ٤٤ .

(٤٨٧) ابو زكريا : ورقة ٣١ ، الدرچيني : ج ١ ورقة ٣٦ ، ٣٧ .

(٤٨٨) ابن الصفيير : ص ٤١ . وبرغم ذلك التثنت نفوسة بحكمه ، فكان شيوعها يلازمون مجالسه ويلفون بباب داره يهللون ويكبرون من اول الليل حتى الفجر . انظر : ابن الصفيير : ص ٤٧ ، ابو زكريا : ورقة ٣١ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٣٣ ، النفسى : ص ٢٤٥ .

(٤٨٩) ابن الصفيير : ص ٤٤ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩١ .

(٤٩٠) ابن الصفيير : ص ٤٤ .

(٤٩١) نفس المصدر ص ٤٢ .

(٤٩٢) نفس المصدر ص ٤٤ ، ٤٥ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٢ .

(٤٩٣) انظر : ملهه رقم (٥) .

(٤٩٤) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٤٩٥) يؤخر تاريخ ابن الصفيير بعدد من القصص والروايات الدالة على عدل ابي القلقان ونزاهته ، وحرصه على اموال الدولة ، اشبه ما تكون بتلك التي نسبت حول عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٤٩٦) نفس المصدر ص ٤٨ .

ولمة من القصص التي وردت عن ابن الصفيير تصور اقدام ابنائه وخداه موحراسه على اغتصاب الاموال وهتك الاعراض . انظر : سيرة الائمة لرستميين ص ٤٢ - ٤٥ .

(٤٩٧) توفي ابو القلقان محمد سنة ٢٨١هـ (ابن الصفيير : ص ٤٩ ، ابن عدادى : ج ١

ص ٢٧٨ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٣ ، مارسه : مادة بني رستم - دائرة المصالح

الإسلامية ص ٩٣) .

ولما كان قد تولى الإمامة سنة ٢٦١ هـ حسبما ذكرنا سلفا ، فتكون مدة حكمه عشرين عاما، وليس سبعة وعشرين كما ذكر ابن عذارى ، أو اربعين عاما حسبما ذهب أبو زكريا ومن أخذ عنه .
انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٨ ، أبو زكريا : ورقة ٣١ ، النرجسي : ج ١ ورقة ٣٧ ،
البرادي : الجواهر المتلقة ورقة ٩١ .

(٤٩٨) ابن الصغير : ص ٥١ .

(٤٩٩) النفوسي : ص ٩٤ .

(٥٠٠) سيرة الائمة الرستميين ص ٥١ .

(٥٠١) السيرة واخبار الائمة ورقة ٣٦ .

(٥٠٢) ابن الصغير : ص ٤٢ .

(٥٠٣) نفس المصدر ص ٥٠ .

(٥٠٤) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٢٦٥ . Op. Cit. p. 7. Motylinski:

(٥٠٥) ابن الصغير : ص ٥٠ .

(٥٠٦) النفوسي : ص ٢٦٦ .

(٥٠٧) ابن الصغير : ص ٥١ .

(٥٠٨) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٨ .

(٥٠٩) انظر : أبو زكريا : ورقة ٣٢ ، النرجسي : ج ١ ورقة ٣٧ ، الشهابي : السير

ص ٢٦٢ .

(٥١٠) ابن الصغير : ص ٥١ ، النفوسي : ص ٢٦٨ .

(٥١١) نفس المصدر ص ٥٢ ، نفس المصدر ص ٢٧٠ .

(٥١٢) ابن الصغير : ص ٥٣ .

(٥١٣) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥١٤) نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر ص ٢٧٢ .

(٥١٥) من المعروف ان مزائه كانت تعتق الذهب الاباضي ، وان كان اعتنقها اياه سطحيا

انظر : الطلوبي : البلدان ص ٣٤٤ .

(٥١٦) ابن الصغير : ص ٥٦ ، النفوسي : ص ٢٧٥ .

(٥١٧) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٧٨ •

(٥١٨) ابن الصغير : ص ٥٦ •

(٥١٩) استبح الشاعر بكر بن حماد التاهرتي أبا حاتم ، راجيا عضوه في قصيدة منها :

فلقت جفاني يوسف بن محمد فطال علي الليل وهو قصير
أبا حاتم ما كان ما كان بنفسه ولكن آلت بعد الأمور أمور
وأكرم عضو يؤثر الناس أمره إذا ما غلى الإنسان وهو قدير

النظر : النفوسي : ص ٢٧٦ •

(٥٢٠) ابن الصغير : ص ٥٦ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٣ •

(٥٢١) نستشف ذلك من اسمي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ الذي ولى
القضاء وإبراهيم بن مسكين الذي ولى الشرطة • ويخيل إلينا أنهما كانا من العرب المالكية أو
الاحناف • النظر : ابن الصغير : ص ٥٦ ، الشماخي : السير ص ٣٦٣ •

(٥٢٢) ابن الصغير : ص ٥٦ ، الشماخي : السير ص ٣٦٣ ، البرادي : الجواهر المنتقاة
ورقة ١٠٣ •

(٥٢٣) أبو زكريا : ورقة ٣٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٨ ، النفوسي : ص ٢٨ •

(٥٢٤) نفس المصادر والصفحات •

(٥٢٥) لا غرابة فيما حدث من تتبع النفوسيين للفول زواجة والأجهاز عليهم ، علما بأن
تعاليم المذهب الإباضي تحرم تتبع الدبر والأجهاز على الجرحى •

انظر : الورجلاني : الدليل لأهل الطول ج ٣ ص ٥٤ • ذلك لأن هذه التعاليم الإباضية
تشتد في الغار المدبر أن يكون بدون ماوى يلوذ به ، فإن كان له ماوى جاز تنبهه وقتل
حريمه • انظر Motylinski: L'Aqida des Abadhites, p. 512 كان للهاديين من

زواجة ماوى في جزيرة جربة ، استغل النفوسيون الأجهاز على فلولهم •

(٥٢٦) أبو زكريا : ورقة ٣٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٧٩ •

(٥٢٧) النفوسي : ص ٢٩١ •

(٥٢٨) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٧٨ •

(٥٢٩) النفوسي : شرح السؤالات ورقة ٩٩ •

(٥٣٠) السيرة ورقة ٣٦ •

- (٥٣١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .
- (٥٣٢) ابن خلدون : نفس المصدر ص ١٩٤ .
- (٥٣٣) النفوسي : ص ٩٣ .
- (٥٣٤) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٠ .
- (٥٣٥) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ .
- (٥٣٦) Les siecles obscurs. p. 294
- (٥٣٧) Les Barbers. Vol. I. p. 288
- (٥٣٨) ابو زكريا : ورقة ٢٣ ، النفوسي : ص ١٤٠ .
- (٥٣٩) ابو زكريا : ورقة ٢٣ .
- (٥٤٠) ابن الصغير : ص ٢٨ .
- (٥٤١) عن حادثة اللبس على ابي اليفلان محمد وسجنه ثم اطلاق سراحه . انظر : ابن الصغير ص ٢٧ - ٢٩ ، ابو زكريا : ورقة ٣٩ ، ٣٢ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ٣٧ ، ٣٨ ، النفوسي : ص ٢٥٩ - ٢٦٤ .
- (٥٤٢) انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٠ ، ٣١ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ٣٦ ، ٣٧ ، النفوسي : ص ٢٠٦ - ٢٠٩ .
- (٥٤٣) ابن الصغير : ص ٥١ ، النفوسي : ص ٣٦٨ .
- (٥٤٤) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٤٠٩ ، الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ١٩٢ .
- (٥٤٥) النفوسي : ص ٢٧٦ .
- (٥٤٦) القصور هنا تكثير الحكم فقط وليس الرعية . انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٠٦ .
- (٥٤٧) النفوسي : ص ٩٣ ، Vonderheyden: Op. Cit. p. 294, Gautier: Op. Cit. p. 267.
- (٥٤٨) انظر : الفريضة .
- (٥٤٩) مجهول : الاستبصار ص ١٧٩ .
- (٥٥٠) راجع : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٧ .
- (٥٥١) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٢٠٣ ، Masqueray: Op. Cit. p. 220.

- Lewcki: Etudes Ibadites p. 73. (٥٥٢) ابن عشاري : ج ١ ص ١٦٧ ،
- Largovolte d'Abou-Yazid. p. 105. (٥٥٣) انظر : ،
- (٥٥٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠٣ ،
- (٥٥٥) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٩ ،
- (٥٥٦) انظر : ،
- Vonderheyden: Op. Cit. p. 268, Marcais, G. La Berberie Musulmane. p. 107, Huart: Histoire des Arabes Vol. I. p. 321.
- (٥٥٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٨ ،
- (٥٥٨) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٢١٦ ،
- Idris: Contribution à L'histoire p. 199.
- (٥٥٩) ابو زكريا : ورقة ٢٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٠ ، النفوسي : ص ١٤٦ ،
- (٥٦٠) الانصاري : لفحات التشرين ورقة ٧ - مخطوط ،
- Brockelmann: Op. Cit. p. 150.
- (٥٦١) النفوسي : ص ١٤٤ ،
- (٥٦٢) ابن الاثير : ج ٦ ص ٦٠ ،
- (٥٦٣) نفس المصدر والمصحفة ، ابو زكريا : ورقة ٢١ ،
- Fournel: Op. Cit. Vol. 2. p. 79.
- (٥٦٤) ابو زكريا : ورقة ٢٣ ، الشماخي : السير ص ١٦٠ ،
- (٥٦٥) النفوسي : ص ١٤٥ ،
- (٥٦٦) ابن الاثير : ج ٦ ص ٦٠ ،
- (٥٦٧) نفس المصدر والمصحفة ، الشماخي : السير ص ١٦١ ،
- (٥٦٨) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
- (٥٦٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٢ ، الشماخي : السير : ص ١٦١ ، النفوسي : ص ١٤٦ ،
- ١٤٧ .
- (٥٧٠) الشماخي : السير ص ١٩٤ ، ويعني الشماخي بالسودة بني الاغلب المصالح المباشرين .

(٥٧١) العبر ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٥٧٢) النفوسي : ص ١٨٩
Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale) p. 285.

(٥٧٣) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٢٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ،
Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 513.

(٧٧٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠١ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : ص ٣٩٨ .

(٧٧٥) ابن الصغير : ص ٢٧ .

(٧٧٦) سيرة الائمة الرستميين ص ٣٧ ، النفوسي : ص ٢٢٢ .

(٥٧٧) انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٥٧٨) انظر : نزعة الانتظار ص ١٢١ .

Basse: Les Sanctuaires... p. 93. (٥٧٩)

(٥٨٠) ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٧ .

(٥٨١) ابن العاية : سيرة احمد بن طولون ص ٦١ . وقد جاء في خطاب العباسي الى الياس
ابن منصور « .. اقبل بسمعك وطاعتك والا وطيت بلدك بغيل ورجلي وابعت رحلك .. » وجاء
في رد الياس « .. لقد بلغني من قبيل المالك ما لا يسمني التغلب معه عن جهادك ، وأنا على
الرر رسالتك اليك .. » . راجع : البلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٢٥٤ ، النفوسي :
ص ٢٥٨ .

(٥٨٢) تصور بعض المصادر هذا الحادث باعتباره يخص كلا من الطرفين على حدة ، دون
ادنى إشارة الى اشتراكهما في مواجهته . انظر : الوردجاني : الدليل لاهل العقول ج ٣ ص ٥٤ ،
Lewcki: Etudes Ibadites, p. 49. الغردجي : فخبار الدول المنقطعة - ورقة ٢٩ .

(٥٨٣) البلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٢٥٤ .

(٥٨٤) نفس المصدر ص ٢٥٥ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٧ .

(٥٨٥) البلوي : ص ٢٥٥ ، القريري : الخطب ج ١ ص ٣٢٠ .

(٥٨٦) البلوي : ص ٢٥٥ ، ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٨ ، التماخي : السير ص ٢٥٥ ،

الوردجاني : ج ٣ ص ٥٤ .

(٥٨٧) النفوسي : ص ٢٥٧ ، الوردجاني : ج ٣ ص ٥٤ . ومن المعروف ان المذهب الاباضي

يقر الفجعة في حالة قتال مخالفه في المذهب . انظر : ابو غانم الصغري : المونة ورقة ٤٣ ،

السوفي : شرح السؤالات ورقة ١٧٣ .

(٥٨٨) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٥٨٩) ذكر الشماخي ان ابراهيم بن احمد اهدى نفوسه سيلا ، فاختلف شيوخهم حول كيفية التصرف فيه . فرأى البعض رده اليه ، ورفض البعض الآخر « لانه عون له على باطله » ، بينما قال فريق ثالث بكسره ودفعه ، فاعترض الآخرون على ذلك « لان عطايا الملوك جائزة » .. فوقع بذلك خلاف أفضى الى شقاق بينهم .. انظر ٥٥ السير ص ٢٦٤ .

(٥٩٠) التويري : ج ٢٢ ورقة ٢٧ ، Journal: Op. Cit. Vol. 2. p. 8.

(٥٩١) أبو زكريا : ورقة ٣٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٨١ .

(٥٩٢) البيان المغرب ج ١ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ،

Vonderheyden: Op. Cit. p. 272, Zaki Hassan, Les Tulunides. p. 161.

(٥٩٣) السير ص ٣٦٨ .

(٥٩٤) أبو زكريا : ورقة ٣٣ .

(٥٩٥) نفس المصدر ورقة ٣٤ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٠ .

(٥٩٦) نفس المصدر والصحيفة .

(٥٩٧) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٣ ، التويري : ج ٢٢ ورقة ٣٧ .

(٥٩٨) ابن عذاري : ج ١ ص ١٧٤ ، Journal: Op. Cit. Vol. I. p. 576.

(٥٩٩) النفوسي : ص ٢٨٦ .

(٦٠٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤١ .

(٦٠١) انظر : محمد بن تلويت : دولة الرستميين ص ١١٧ ، محمد علي دبول : المغرب

الكبير ج ٢ ص ٣٨٧ ، حسن عبد العواد : دولة الادارسة ص ٢٤٥ .

(٦٠٢) انظر. Masqueray: Op. Cit. p. LXXIV Gautier: Op. Cit. p. 295.

(٦٠٣) انظر Chronique d'Abou Zakaria. p. 220.

(٦٠٤) ابن أبي زرع : القرباس ص ١٦ - ١٨ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢ ، الكتاني :

المغرب ورقة ١٣ - مخطوط ، محمد علي السنوسي . الدرر السنية ص ٤٤ ،

Gautier: Op. Cit. p. 274.

(٦٠٥) تصور بعض المصادر ان الادارسة نجحوا في اقتطاع كافة الاجزاء الشمالية من الدولة

الرستمية حتى لاصقت حدودها الشرقية دولة الاغالبة . انظر : عبد الرحمن بن زيدان التحالف

اعلام الناس ج ٢ ص ٥ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ص ٢٢١ ،

Vonderheyden: Op. Cit. p. 263.

لكن الواقع ان بني رستم احتفظوا بنفوذهم على بعض الجهات ، حيث شكلت املاكهم حاجزا بين

الأغلبية والادارسة • انظر : اليعاقبي : البلدان ص ٣٥٢ ، Gautier: Op. Cit. p. 295.

(٦٠٦) نعلم ان عبد الرحمن بن رستم تزوج من يفرنية وأنجب منها ابنه عبد الوهاب •
انظر : ابو زكريا : ورقة ١٤ ، النفوسي : ص ١٠٠ ، Masqueray: Op. Cit. p. 57.

(٦٠٧) ابن ابي زرع : ص ٢٢ ، الكتاني : الاذهار ص ٥ ، الجزنائي : زهرة الاسي ص ١٠ •

(٦٠٨) سعيد بن مقديش : ص ١٨ •

(٦٠٩) البكري : ص ٧٦ •

(٦١٠) اليعاقبي : البلدان ص ٨٠ •

(٦١١) ابن الصغير : ص ١٧ •

(٦١٢) ابن ابي زرع : ص ٦٩ ، الجزنائي : ص ٢٢ : محمد علي السنوسي : الدور السنوية
ص ٤٥ ، سلفا تودوكوسا : تواريخ مدينة فاس ص ٤ ،

Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale. p. 89.

(٦١٣) انظر : عادة بني رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٣ •

Lewcki: Etudes Ibadites. p. 36.

(٦١٤) الشماخي : السير ص ١٩٧ - ١٩٨ ،

(٦١٥) ابو زكريا : ورقة ١٩ ، محمد علي دبوؤ : ج ٣ ص ٤٨٥ ، حسني عبد الوواد :
دولة الادارسة ص ٢٤٦ •

(٦١٦) لدامة ابن جعفر : الفخراج ص ٢٩٥ ، النفوسي : ص ١١٦ • ابو زكريا : ورقة ١٩

(٦١٧) السيرة واخبار الائمة ورقة ١٩ •

(٦١٨) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٤ •

(٦١٩) les siecles obscurs. p.p. 290, 291

(٦٢٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٤ ، Julien: Op. Cit. p. 344.

(٦٢١) ينتسب آل سليمان الى سليمان بن عبد الله - اخو ادريس الاكبر - الذي نجا من
معركة فخ ولحق بأخيه في المغرب الاقصى بعد تأسيس دولة الادارسة سنة ١٧٢ هـ • وكما فتش
ادريس تلمسان جعل سليمان واليا عليها • ويخيل الينا انه غادر تلمسان بعد ثورة قتالة بزعامة
محمد بن غزدر والجه الى نواحي تاهرت حيث لم يظف له المقام هناك طويلا • ويبدو ان خلافا
وقع بينه وبين راشد - حولى الادارسة - بعد موت ادريس الاول جعله لا ينزل واليا على اثر
ثورة ابن غزدر ويتجه الى نواحي تاهرت • لكنه ما لبث ان لحق بادريس الثاني حين شب عن
الطوق ، وصحبه في حملته على تلمسان لاستردادها • وقد مات ابا ان اقامة ادريس الثاني في
تلمسان ، وخلفه ابنه محمد في ولايتها من قبل ادريس الثاني • انظر البكري : ص ٧٧ ، ابن

خلدون : ج ٤ ص ١٧ ، سلفا ثورنوسا : ص ١٤ ، مبارك البلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٤٩ ،
Lavoix : Catalogue des monnaies, P. 398.

(١٢٢) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٧ .

(١٢٣) من مظاهر استقلال هذه الإمارات حرص امراءها على سك عملة خاصة بهم خالية من
اي إشارة الى تبعيتهم للادارسة . وهالك صورة كدينار ضرب في سوق ابراهيم في عهد احمد
ابن عيسى : الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له . الكتابة الدائرية : لله الامر من قبل ومن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . الوجه الاخر : محمد رسول الله . احمد بن عيسى .
Lavoix: Op. Cit. p. 397.

Les Berberes, Vol. 2, p. 13. (١٢٤)

(١٢٥) القديسي : ص ٢١٨ .

(١٢٦) العقوي : البلدان ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(١٢٧) النفوسي : ص ٧٠ .

(١٢٨) يرى الأستاذ محمد علي ديوز ان بني رستم تنازلوا عن هذه البلاد طامعين مفتارين
لال سليمان العلويين . وهو رأي بجانب الصواب بالتالياس الى ما كان بين الطرفين من خصومة
سياسية وعداوة مذهبية : انظر : المغرب الكبير ج ٣ ص ٣٣٦ .

(١٢٩) ساقى بكر بن حماد ابياتا من الشعر انتدح بها ابا العيش تدلل على هذه الصلة ومنها:

وساحه في العارض المتهلل	سائل زواجة عن طعان سيوفه
والغيل تمرغ في الوشيح الذبل	وديار نلزة كيف داس حريمها

انظر : النفوسي : ص ٧٠ .

(١٣٠) النفوسي : ص ٧٤ .

(١٣١) نفس المصدر ص ٧٧ .

(١٣٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١٤٥ ، ١٦٩ ، احمد امين : فقه الاسلام ج ٣ ص ٣٣٨ ،
ولا صحة للرواية القائلة بمعاصرة الجلندي لامامة عبد الرحمن بن رستم . انظر : اقليش :
الامكان ص ١٠٧ .

(١٣٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٤٥ .

(١٣٤) الوسياني : سير ابي الربيع ولاة ٣ ، Masqueray: Op. Cit. p. XLVI

(١٣٥) الوسياني : نفس المصدر والمحقفة .

(١٣٦) يذكر مارسية انه عن طريق هؤلاء الحجاج انتقلت بعض الاملاط اللنية من بلاد المغرب

الى مصر ، وخاصة تلك التقاليد الفنية المتعلقة بكنائس المغرب ، فقد وجدت طريقها الى الاديرة
المصرية بعد تلونها بلون قبضي خاص . انظر : La Berberie Musulmana. p. 116.

(٦٣٧) الشماخي : ص ١١٤ .

(٦٣٨) انظر : ملحق (١) .

(٦٣٩) ابو زكريا : السيرة ورقة ١٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ .

(٦٤٠) انظر : دولة الرستميين ص ١٠٩ .

(٦٤١) ابن الصغير ص ١٠ .

(٦٤٢) نفس المصدر ص ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ .

(٦٤٣) ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الشماخي : السير ص ١٤٦ .

(٦٤٤) الشماخي : السير ص ١٨١ .

(٦٤٥) الشماخي : السير ص ١٤٧ .

(٦٤٦) انظر : ملحق رقم (٤) .

(٦٤٧) ابو زكريا : ورقة ٢٣ .

(٦٤٨) البرادي : رسالة في بعض كتب الاباغية ورقة ٢٠٧ ، الشماخي : السير ص ١٦٧ .

الدرجيني ج ١ ورقة ٣٦ .

(٦٤٩) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٧٩ .

(٦٥٠) الشماخي : السير ص ١٦٥ .

(٦٥١) نفس المصدر ص ٢٧٩ .

(٦٥٢) نفس المصدر ص ٢٢٨ ، الوسياني : ورقة ٢ .

(٦٥٣) Marçais , : la Berberie Musulmane. p. 116.

(٦٥٤) السير ص ١٦١ .

(٦٥٥) انظر : الوسياني : ورقة ٧٠ ، البرادي : رسالة في بعض كتب الاباغية ورقة ٢٠٦ .

(٦٥٦) الدليل لاهل العقول ج ٢ ص ٧٦ .

(٦٥٧) ابن الططيط : اعمال الاعلام ج ١ ص ٣٢ . Provençal: Op. Cit. p. 245.

(٦٥٨) انظر :

Les Berbers Vol. I. p. 514, Chronique d'Abou Zakaria. p. 220.

Loc. Cit, la Berberie Musulmane et l'orient. p. 104. انظر :

(١٩٠) أنطوسى : ص ٤ ،

(٦٦١) ابن ابي زرع : ص ٦٩ ، سلفا توركوسا : توارىخ مدينة فاس ص ٤ ،

(٦٦٢) انظر : Dozy: Spanish Islam. p. 166. مؤنس : فجر الاندلس ص ٦٦٤ .

(٦٦٣) انظر : Mercier: Histoire de l'établissement des Arabes. p. 76.

(٦٦٤) كانت ام عبد الرحمن من سبأيا نفزة . انظر : ابن عذارى : ج ٢ ص ٦٢ ، ابن

الابرار ، العلة السيرة - ج ١ ص ٣٥ . ولد ذكر ابن الخطيب انه نزل على مفيلة وليس على

نفزة . انظر اعمال الاعلام ج ٢ ص ٨ .

(٦٦٥) ابن الابرار : ص ٣٥ .

(٦٦٦) انظر : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٦ .

(٦٦٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ، مارسيه : مادة بنى رستم - دائرة المعارف

الاسلامية ص ٩٢ .

(٦٦٨) ابن عذارى : ج ٢ ص ٦٠ .

(٦٦٩) البكري : ص ٦٦ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١١١ .

(٦٧٠) انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. p. 241.

(٦٧١) ابن القوطية : ص ٧١ .

(٦٧٢) من هؤلاء محمد بن سعيد بن رستم الذي تقلد ولاية شلونة ، ومحمد بن عبد الرحمن

ابن رستم ، وقد خدم في جند الحكم بن هشام .

(٦٧٣) حث الشاعر عباس بن ناصح الحكم على ذلك بقوله :

صل بالافيل الذي ربوا لفتنتهم
من قبل ان يرحلوه نعوها جدها .

(٦٧٤) ابن القوطية ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦٧٥) انظر : Provençal: Op. Cit. p.p. 152, 244.

(٦٧٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٩٣ .

(٦٧٧) انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. p. 245.

(٦٧٨) المغرب في حلى الغرب ج ١ ص ٤٨ .

(٦٧٩) ابن سعيد : نلس المصدر ص ٤٦ .

(٦٨٠) نلس المصدر ص ٥٠ . Marçais, G: la Berberie Musulmane. p. 104.

- (١٨١) مارسية : مادة بني رستم - دائرة المعارف الإسلامية ص ٩٣ ،
Farouhy: Op. Cit. p. 15.
- (١٨٢) نصوص من الأندلس ص ٩٩ ، ١٠٠
- (١٨٣) نفس المصدر والمصحفة ، Provençal: Op. Cit. p. 246.
- (١٨٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٩٣ •
- (١٨٥) نفس المصدر ص ٤٩٥ ، القرني : فتح العليب ج ١ ص ٣٢٩ •
- (١٨٦) ابن عذاري : ج ٢ ص ١٦١ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس
ص ٣ ص ٢٣ •
- (١٨٧) انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. p.p. 245, 281
- (١٨٨) انظر : Conde: Op. Cit. p. 299
- (١٨٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٧ •
- (١٩٠) لا نوافق فورتل قوله بأن هذا الحادث يكشف عن الشيوع الأولى للملاقات بين تاهرت
وقرطبة ، انظر : les Berbers. Vol. I. p. 514
- (١٩١) البيان المغرب ج ٢ ص ١٦١ •
- (١٩٢) انظر : ابن الخطيب : أعمال الإعلام ج ٢ ص ٢٢ 317 Dozy: Op. Cit. p. 281.
Provençal: Op. Cit. p. 281.
- (١٩٣) انظر : القرني : ج ١ ص ٣٤٥ وما بعدها •
- (١٩٤) ابن القوطية : ص ١١٠ •
- (١٩٥) ابن عذاري : ج ١ ص ١٥٠ ، محمود مكي : التشيع في الأندلس ص ١١١ •
- (١٩٦) Brunschwig: Op. Cit. p. 17.
- (١٩٧) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ •
- (١٩٨) ابن حيان : القتيبي في ذكر بلاد الأندلس ص ١٩٢ •

هوامش الباب الرابع

- (١) ابن الاثير : ج ٦ ص ١٢٧ .
- (٢) ابن عذارى : ج ١ ص ١٧٢ .
- (٣) ابن الأبار : الحلة السيرة ج ١ ص ١٩١ .
- (٤) اصطفي الهندي في رحلته ابنه أبا القاسم وفيروز داعي دعائه ، وطيب ، وأبا العباس محمد بن زكريا وأبو يعقوب القهرماني ، ومحمد بن عزيز وأبو جعفر العاجب
- (٥) النظر : افتتاح الدعوة ص ٤٢ ، ٤٣ ، بملاحق كتاب
Ivanovv: Ismaili tradition
- (٦) النظر : شرح الاخبار ج ٥ ص ٣١ ، نفس المصدر السابق .
- (٧) اليماني : سيرة جعفر ص ١١٦ .
- (٨) افتتاح الدعوة ص ٤٣ .
- (٩) النيسابوري : استناد الامام ورقة ١٤ ، اليماني : ص ١١٦ ، افتتاح الدعوة ص ٤٣ ،
ابن الأبار : ج ١ ص ١٩١ ، القرطبي : المعاني العنقا ص ٨٤ ، العيني : عقد الجمان ج ١٥ ،
ورقة ١٥٣ .
- (١٠) أبو زكريا : ورقة ٣٥ .
- (١١) اليماني : ص ١١٩ .
- (١٢) شرح الاخبار ص ٣١ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٣ ،
القرطبي : المعاني العنقا ص ٨٤ ، النطق ج ١ ص ٣٥٠ .
- (١٣) افتتاح الدعوة ص ٤٣ ، النويري : ج ٢ ورقة ٣٢ ، حسن إبراهيم : هيبند الله
الهندي ص ١٤ ، De Goeje: Memoires sur les Carmathes de Bahrin, p. 66.
- (١٤) اليماني : ص ١٢٢ ، المدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ .
- (١٥) ذكر اليماني قصة مؤذنها أن القائم بن المهدي وضع رجله في عين ماء آسنه ، فجرى
الماء فيها هدورا ، فلما رآه البستاني صاح « اني بالله وباللهي » ، فاستفسر منه الهندي عن
قوله ، فأكبره بأنه عرف الامر عن أجداده ، فأمره المهدي بالكتمان : انظر سيرة جعفر ص ١٢٠ .
- (١٦) أورد المدرجيني قصة أخرى مضمونها أن أحد جيران الهندي بسجلماسة قس عليه حلما
وطلب منه تفسيره ، فلما فسره ، قبل الرجل منه قائلا « يا أمير المؤمنين انت مولاي » . انظر
طبقات الأباغية ج ١ ورقة ٤٢ .
- (١٧) أبو زكريا : ورقة ٣٦ .

(١٨) نفس المصدر والصيغة ،

(١٩) انظر افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣ ، أبو اللدا ج ٢ ص ٩٥ ،
النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ ، القريزي الطاف الحنا ص ٨٤ ، العيني : ج ١٥ ورقة ١٥٣ ، ابن
أبي دينار ص ٤٩ ، De Goijje: p. 66

(٢٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، المقلمة ج ١ ص ٢٤٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٢١) ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٣ ، الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ٣٧ .

(٢٢) انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، المقلمة ج ١ ص ٢٤٠ ، القلقشندي ج ٥ ص ٢٦٦ ،

(٢٣) انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، المقلمة ج ١ ص ٢٤٠ ، القلقشندي ج ٥ ص ٢٦٦ ،
Bel: Op. Cit. p. 156.

(٢٤) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢ .

(٢٥) نفس المصدر والصيغة .

(٢٦) نفس المصدر والصيغة .

(٢٧) افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، Mamour: Op. Cit. p. 107

(٢٨) ابن خلكان : وفيات الاميان ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ .

(٣٠) افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، شرح الاخبار ص ٣٢ .

(٣١) النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ .

(٣٢) اليماني : ص ١٢٢ .

(٣٣) افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، الاستبصار ص ٢٠٤ . وذكر ابن عذارى ان الهدي وابنه

سجنا في غرفة واحدة بمنزل مريم بنت مدرار . انظر البيان المغرب ج ١ ص ٢١٠ .

(٣٤) النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ .

(٣٥) اليماني : ص ١٢٢ .

(٣٦) التيسابودي : استنار الامام ورقة ١٤ - مطبوع .

(٣٧) ذكر ابن عذارى ان احد الهاشميين بسجلماسة - اهدى اليه لثامي بهاديا واموال

كثيرة مما بعثها الشيعي اليه ، وامره « بالتستر وعلم القهوق في المعيشة واللبس » خفية الميون
والرقباء . انظر : البيان المغرب ج ١ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ،

Vonderheyden: Op. Cit. p. 296.

- (٣٨) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٣ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٣٥ . النويري : ج ٣٦ ورقة ٤٢ ،
- (٣٩) سيرة جعفر ص ١٢٥ .
- (٤٠) مجهول : ص ٢٠٤ .
- (٤١) النويري : ج ٢٢ ورقة ٤٤ .
- (٤٢) اليماني : ص ١٢٣ ، ابن الأثير : ج ٨ ص ١٦ . أبو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ .
- (٤٣) أليمانى : نفس المصدر والمصحلة ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٠٩ .
- (٤٤) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ .
- (٤٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٠ .
- (٤٦) اليماني : ص ١٢٣ ، شرح الاخبار ص ٣٣ .
- (٤٧) افتتاح الدعوة ص ٤٥ . ابن الأثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ ،
- القرطبي : اتعاف الحنفا ص ٩٠ ، المنصوري : زبدة اللكرة ج ٥ ورقة ١٦١ ، الباجي السعدي
- ص ٣٧ .
- (٤٨) ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ ، النويري : ج ٣٦ ورقة ٣٢ .
- (٤٩) انظر . Vonderheyden: Op. Cit. p. 305.
- (٥٠) افتتاح الدعوة ص ٤٥ .
- (٥١) افتتاح الدعوة ص ٤٥ ، ابن الأثير : ج ٨ ص ١٦ ، القرطبي : اتعاف الحنفا ص ٢٩٠ .
- (٥٢) انظر : شرح الاخبار ص ٣٣ ، اليماني : ص ١٢٤ .
- (٥٣) انظر : ابن خلكان : ج ١ ص ٢٧٢ ، سعيد بن بطريق : ص ٧٨ . النويري : ج ٢٦
- ورقة ٣٣ ، الخردجي : ورقة ٤٢ .
- (٥٤) مجهول : الاستبصار ص ١٦٧ .
- (٥٥) هالك موجلا لهذه الادلة :
- ١ - ان عبيد الله المهدي لم يسجن في سجن المدينة ، وانما اودع في بيت مريم ابنة
- الامير التتاري .
- ٢ - كان المهدي معروفا لدى اهل سجلماسة ، ولو كان قد قتل ونادى الشيعي بإمامة غيره
- لكشفوا عن هذا الزيف .
- ٣ - لم يدخل الشيعي بنفسه تحرير المهدي ، وانما قدم المهدي اليه على ظهر حصان .
- ٤ - من الصعب ان ينصب الشيعي بديلا عن المهدي وهو برفقة قواده واصحابه وسائر اتباعه .

٥ - لم يكن تنصيب بديل للمهدي امرا ممكنا في وجود ابنه ابي القاسم الذي كان على قيد الحياة .

٦ - لو حدث ذلك ، لما لاذ ابو القاسم بالصمت لان السمعة في سائر الاصهار والذين عرفوا المهدي ما كانوا ليستقوا عن كشف تلك الخدعة .

٧ - ولو فرض وتنافس ابو القاسم عن الامر ، وان الشيعي لم يكن يعرف شخص المهدي ، فلا بد وان امرا غريبا كان سيحدث عند لقاء المهدي المزعوم بابي العباس - اخ الشيعي - وام عبيد الله المهدي اللذين كانا برفاده .

٨ - لو ان اليسع قتل المهدي حقيقة لكان قد اشاع الخبر أثناء هربه بين قبائل الصحراء من قبيل التشفي والانتقام .

٩ - اذا كان هناك لمة ما يشكك في اصله غير كونه ينتمي الى علي ولطيفة ، لا تخلد الشيعي واخوه سندا لهما خلال الشهور السبعة التي تكافر خلالها علي المهدي ، فكل ما فاما به اتد انه ليس الامام .

١٠ - اجماع المؤرخين على ان ابا القاسم ابنه خلفه بعد وفاته .

١١ - كان للمهدي اصداق ورفاق في سائر بلاد الشرق والغرب . فضلا عن عدد من الرسل والدعاة بكافة ارجاء العالم الاسلامي ، فلو انه قتل حقا ، لاشاع هؤلاء واولئك الامر ، واصبح معروفًا عند المعاصرين . وعلى ذلك ، فان رواية ابن خلكان لا اساس لها من الصق .

Mamour: polemics on the origin of the Fatimi Caliphs. انظر :
p.p. 115, 16, 17.

(٥٦) اليماني : ص ١٣٦ ، افتتاح الدعوة ص ٤٥ .

(٥٧) اليماني : ص ١٢٥ ، الدرر ج ١ ورقة ٤٢ .

(٥٨) انظر : افتتاح الدعوة ص ٤٥ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابن عسدي : ج ١ ص ٢١٠ : اخبار ملوك بني عبيد ص ٩ ، ابو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ ، الاستبصار ص ٢٠٤ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٣٦٤ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ ، ابن ابي دينار : ص ٤٩ ، العيني : ج ١٥ ورقة ١٥٤ .

(٥٩) البيان المقرب ج ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٦٠) اليماني : ص ١٣٦ ، شرح الاخبار ص ١٠٣٣ ابن الاثير : ج ٨ ص ١٠١٦ ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٣ ، المقرئ : المعاني الحنفا ص ٩١ .

(٦١) اليماني : ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، الفرجي : ورقة ٤٢ .

(٦٢) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٤ .

(٦٣) اليماني : ص ١٣٠ .

(٦٤) الاستبصار ص ٢٠٢ .

(٦٥) ابن عسدي : ج ١ ص ٢١٠ ، Biquet; Op. Cit. p. 71.

(٦٦) ابن غلبون : التذكار ص ١٨ . وثمة رواية تقول بأنه بويح في رقادة وليس في سجلماسة . انظر : ابن الأبار : ج ١ ص ١٩١ ، النويري : ج ٢٦ ورقلة ٣١ ، Hassan Ibrahim: Relations between the Fatimids., p. 51.

ولعتقد انه بويح بسجلماسة أولا ، ثم بويح بعد ذلك بيعة عامة في رقادة . والواقع ان اقدم عملة وصلتنا عن المهدي مؤرخة بسنة ٢٩٧ هـ . وخالية من ذكر المدينة التي ضربت بها . كما انها خلت ايضا من ذكر لقب دامير المؤمنين، الذي نجده على عملة اخرى ضربت بالقيروان سنة ٣٠٠ هـ . وهناك صورة للدينار الذي ضرب سنة ٢٩٧ هـ :

الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له (فراغ) .

الوجه الاخر : لله - محمد رسول الله - المهدي .

دائري : بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وتسعين ومئتين (فراغ) .

انظر : Lane-Poole: Catalogue of the collection of Arabic coins presented in the Khedivial library, p. 148.

اما الدينار الذي ضرب بالقيروان سنة ٣٠٠ هـ فصورته على الوجه التالي :

الوجه : عبد الله - لا اله الا - الله وحده - لا شريك له - امير المؤمنين .

دائري : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

الوجه الاخر : الامام - محمد - رسول - الله - المهدي بالله .

دائري : بسم الله ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلث مئة .

انظر : Lane — Poole: Catalogue of Oriental coins in the British museum, Vol. 4, p. 2.

(٦٧) المقرئبي : الحاف انصاف ص ٩١ ، ابو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ .

(٦٨) البكري : ص ١٥٠ .

(٦٩) ابن خلنود : ج ٤ ص ٧٨ .

(٧٠) ابن عسدي : ج ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٩ .

(٧١) ابن عسدي : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٧٢) نفس المصدر : ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٧٣) سعيد بن عديش : ص ١٢٣ .

(٧٤) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج ١ ورقة ٢٨ - مخطوط .

(٧٥) الاستبصار ص ٢٠٤ .

(٧٦) البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٠ .

(٧٧) نفس المصدر والصيغة .

(٧٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٦ .

(٧٩) انظر : Dachraoui: la Captivité d'Ibn Wasul. p. 296.

(٨٠) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج ١ ورقة ٣٥٨ . ولعل السبب في ذلك يرجع الى ان الفاطميين - كما يذهب الدكتور محمد كامل حسين - « كانوا يميلون الى صبغ البلاد كلها بصبغة مذهبهم ، احيانا بالترغيب وحيانا بالترهيب ، فكان الدعوة يؤدون واجبه في تشكيل المسلمين في مذهبهم ، ويحبسون اليهم المذهب الفاطمي » . انظر : في ادب مصر الفاطمية ص ١٣٠ .

(٨١) ابن حيون : المرجع السابق ورقة ٣٦١ .

(٨٢) ابن حيون : للمجالس واثله ايرات ج ١ ورقة ١٢٧ Drague : Op. Cit. p. 25.

(٨٣) ابن عدادى : ج ١ ص ٢١٣ .

(٨٤) المراكشي : المعجب ص ٣٥٧ .

(٨٥) انظر : ابو الفدا : ج ١ ص ٦٦ ، ابن ابى دینار : ص ٥٠ .

(٨٦) ابن عدادى : ج ١ ص ٢١٣ .

(٨٧) البكري : ص ١٥٠ .

(٨٨) ابن عدادى : ج ١ ص ٢١٤ ، قتل ابراهيم بن غالب المزالي سنة ٢٩٧هـ وليس سنة ٢٩٨هـ كما ذهب ابن خلدون وابن الخطيب . انظر : المعبر ج ٦ ص ١٣١ ، اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٥ .

(٨٩) اخفا ابن خلدون - ومن نقل عنه - حين زعم ان الفتح بن ميمون كان ابغصيا .

انظر : المعبر ج ٦ ص ١٣١ ، السلاوي ج ١ ص ١١٣ .

(٩٠) ابن الخطيب : المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٩١) البكري : ص ١٥ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣

ص ٤٦ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٦ .

- (٩٢) ابن خلدون : المرجع السابق ص ١٣١ .
- (٩٣) البكري : ص ١٥٠ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٦ .
- (٩٤) ابن الخطيب : نفس المصدر والمصحلة .
- (٩٥) نفس المصدر والمصحلة .
- (٩٦) العبر ج ٦ ص ١٣١ .
- (٩٧) اسقط البكري حكم هذا الامير . انظر : المغرب ص ١٥١ .
- (٩٨) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٦ . وقد خالف ابن الخطيب سائر المؤرخين لذلك ان المنتصر سمى أخ محمد بن المعتز وليس ابنه . انظر اعمال الاعلام : ج ٣ ص ١٤٦ .
- (٩٩) البكري : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٦ ، القلشندي : ج ٥ ص ١٦٧ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٣ .
- (١٠٠) البكري : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ .
- (١٠١) خطأ ابن خلدون ومن نقل عنه في تلقيبه « بالشاكر بالله » . انظر : العبر ج ٦ ص ١٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٣ . فالصحيح ما ورد بمعملته الذهبية والفضية حيث لقب « بالشاكر لله » وهالك صورة لدينار ضرب في عهده .
- كتابة دائرية : بسم الله ضرب هذا الدين سنة ست وثلثين وثلثمائة .
- الوجه الاول : الامام - محمد - رسول الله - الشاكر - لله .
- الوجه الاخر : ويتشكك لاولا في اخذ لقب « امير المؤمنين » ويذكر انه اکتلى بلقب « امام » لان العملة حلت من ذلك . انظر : Lavoix: Op. Cit. p.p. 401, 402
- لكن شكوك لاولا لا سبيل لصحتها . فنجد على دينار ضربه الشاكر لله سنة ٢٤٥ هـ لقب امير المؤمنين . وهالك صورته .
- الوجه : عبد الله - لا اله الا الله وحده - لا شريك له - امير المؤمنين .
- (فراغ لافاض)
- الوجه الاخر : الامام - محمد رسول - الله - الشاكر لله .
- بسم الله ضرب هذا الدين سنة خمس واربعين وثلثمائة .
- انظر :

Lane — Poole: Catalogue of the collection of the Arabic coins
presented in the Khidivial Library. p. 328

(١٠٢) النظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ . السلاوي : ج ١ ص ١١٣ ، الخزرجي : ورقة ٤٧ ،
Bel: Op. Cit. p. 168

(١٠٣) النظر : البكري : ص ١٥١ .

(١٠٤) الدباغ : ج ٢ ص ١٨٥ .

(١٠٥) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٧ .

(١٠٦) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٨ .

(١٠٧) النظر : Lavoix: Op. Cit. p. 401.

(١٠٨) ابن الخطيب : المرجع السابق ص ١٤٨ .

(١٠٩) ابن حيون : المجالس والسراير ج ١ ورقة ٣٦٩ ، ج ٢ ورقة ٣٩٩ .

(١١٠) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٥٧ .

(١١١) الاستقصا ج ١ ص ١١٩ . يؤكد ذلك ان العملة التي ضربها سنة ٣٣٦ وكان وزنها

كالاقي D. 19 mm. p. 39 gr go والتي ضربها سنة ٣٤٠ كان وزنها D. 21, mm

p. 4 gr 10 النظر : Lavoix: Op. Cit. p.p. 401, 402

(١١٢) ابن حيون : المرجع السابق ج ١ ورقة ٣٦ .

(١١٣) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٩٦ .

(١١٤) ابن حيون : المرجع السابق ج ١ ورقة ٢٢ ، السلاوي / ج ١ ص ١٩٧ .

(١١٥) ابن حيون نفس المصدر ورقة ٢٥ ، Lavoix: Op. Cit. p. 402

(١١٦) ابن حيون : نفس المصدر ورقة ٣١ .

(١١٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ .

(١١٨) هم اتباع ابي يزيد مغفل بن كيداد الذين اذعنوا بالطاعة للمغاطيين والمغلبهم من

بني كهلان . النظر : ابن حيون . المرجع السابق ورقة ٣٣ .

(١١٩) الشطبي : البصائر ورقة ١٩٧ .

(١٢٠) النظر : ملحق رقم (٦) .

(١٢١) ابن حيون : المرجع السابق ورقة ٢٩٦ .

(١٢٢) الشطبي : المرجع السابق ورقة ١٩٧ .

- (١٢٣) ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٨ .
- (١٢٤) نفس المصدر والمصحفة . ويسميه ابن خلدون « حصن تاسكرات » ، انظر : العبر ج ٦ ص ١٣٢ .
- (١٢٥) البكري : ١٥١ .
- (١٢٦) ابن حيون : الجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٦ .
- (١٢٧) البكري : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٧ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٩ ، القلقشندي ج ٥ ص ١٦٧ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٤ ، الشطيبي : الجمان ورقة ١٩٧ .
- (١٢٨) ابن حيون : الجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٦ .
- (١٢٩) نفس المصدر ورقة ٣٣٢ .
- (١٣٠) نفس المصدر ورقة ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
- (١٣١) ابن حيون : نفس المصدر والمصحفة ، Dachraoui: Op. Cit. p. 299
- (١٣٢) ابن الخطيب ج ٣ ص ١٤٩ .
- (١٣٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٤ ، القلقشندي ج ٥ ص ١٦٧ .
- (١٣٤) انظر : ملحق رقم (٧) .
- (١٣٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ ، السلاوي ج ١ ص ١١٤ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٧ .
- (١٣٦) نفس المصادر والمصنفات ، Bel : Op. Cit. p. 169
- (١٣٧) ابن خلدون : المقدمة ص ١٦٨ .
- (١٣٨) النفوسي : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٧٨ .
- (١٣٩) سيرة الالة الرستميين ص ٥٥ .
- (١٤٠) ابن الصغير : ص ٤٩ .
- (١٤١) أبو زكريا : ورقة ٣٣ .
- (١٤٢) نفس المصدر ورقة ٣٤ .
- (١٤٣) نفس المصدر والمصحفة .
- (١٤٤) انظر : أبو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ ، ابن أبي دينار : ص ٤٨ ، العيني : ج ١٥ ورقة ١٥٣ ، اظفيش : الامكان ص ٥٨ .

- (١٤٥) سيرة الأئمة الرستميين ص ٥٩ .
- (١٤٦) النظر : البكري : ص ٦٨ ، ابن عساري : ج ١ ص ٢٠٩ ، مارسية : مادة بئي رستم .
دائرة المعارف الإسلامية ص ٩٣ .
- (١٤٧) أبو زكريا : ورقة ٣٦ .
- (١٤٨) ابن الصغير : ص ٥١ .
- (١٤٩) أبو زكريا : ورقة ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٩٢ .
- (١٥٠) ذكرت المصادر الإباضية أن أبا عبد الله استجاب لطلب دوسر بعد أن وعده بالزواج إذا ما أخذ بشار أبيها . والراجع أن يكون السبب في ذلك فرائه من حروبه مع الأغالبية ، وعزمه على افتتاح المغربين الأوسط والأقصى . انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢، النفوسي: ص ٢٩٢ .
- (١٥١) أبو زكريا : ورقة ٣٦ .
- (١٥٢) نفس المصدر والمصحفة ، ابن عساري : ج ١ ص ٢١٠، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ .
- (١٥٣) أبو زكريا : ورقة ٣٧ ، Biquet: Op. Cit. p. 71
- (١٥٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ ، Biquet Loc. Cit. وتصور الرواية الإباضية
هرب دوسر — بطريقة روائية — خشية أن يتزوجها الشيعي كما وعده . انظر : أبو زكريا .
ورقة ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٩٣ .
- (١٥٥) النفوسي : ص ٢٩٢ .
- (١٥٦) أبو زكريا : ورقة ٣٧ .
- (١٥٧) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ .
- (١٥٨) أبو زكريا : ورقة ٤٢ .
- (١٥٩) نفس المصدر ورقة ٣٧ . وقد اعتقد ماسكراي أن المصادر الإباضية تبالغ في هذا
Chronique d'Abou Zakaria p. 211 الصد اظهارا للظالم الشيعة . انظر :
- (١٦٠) البكري : ص ٦٨ .
- (١٦١) أبو زكريا : ورقة ٣٧ .
- (١٦٢) تسج المصادر الإباضية روايات استغورية حول شجاعة يعقوب بن الفحل ومهارته في
الافلات من أعدائه . انظر : أبو زكريا : ورقة ٤١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٧ .

(١٦٣) أبو زكريا : ورقة ٤٢ Masqueray: Op. Cit. p. LXXIV وروي انه قال

في هذا العدد «لا يستتر الجعل بالغنم، فصارت مثلاً، انظر: أبو زكريا: ورقة ٤٢، النطوسي: ص ٢٩٣ .

(١٦٤) أبو زكريا : ورقة ٤٢ .

(١٦٥) البكري : ص ٦٨ ، ابن عبادي : ج ١ ص ٢٠٩ .

وقد اختلف المؤرخون في تحديد سني حكم الاسرة الرستمية ، نتيجة خلافهم حول بداية حكم عبد الرحمن بن رستم اول آلهم . وقد ورد باحدى القصائد في رثاء الدولة الرستمية انها ظلت قائمة مائة وخمسين عاماً ، قال الشاعر :

لقد اسسوا تاهرت بالغرب وارتقوا مدارج عز الملك فيها وابعدوا
وداموا بها خمسين عاماً ومائة يحفظهم من كان بالقصب يقطع

انظر : النطوسي : ص ٣٠٠ والصحيح ان عبد الرحمن بن رستم تولى امانة القهقر سنة ١٦٢ هـ ، وعلى ذلك فقد استمر حكم الاسرة الرستمية مائة وخمسة وثلاثين عاماً ، على اساس ان دولتهم سقطت سنة ٢٩٧ هـ .

(١٦٦) النرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ .

(١٦٧) أبو زكريا : ورقة ٣٧ ، النرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ .

(١٦٨) الوسياني : سير أبي الربيع : ورقة ٢٧ ، علي يحيى معمر : الاباقية في موكب التاريخ ص ١٤٥ .

(١٦٩) أبو زكريا : ورقة ١١٥ . Lowcki: Etudes Ibadites. p.p. 49, 50

(١٧٠) أبو زكريا : ورقة ١١٥ ، الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٨٣ .

(١٧١) الجربي : مؤنس الاحبة ص ٥٩ .

(١٧٢) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٥٩ ، Julien: Op. Cit. p. 339

(١٧٣) ابن عبادي : ج ١ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(١٧٤) الشماخي : السير ص ٣٢٠ Lowcki: Etudes Ibadites. p.p. 49, 50

(١٧٥) أبو زكريا : ورقة ١١٥ ، الطاهر الزاوي : ص ١٨٨، علي يحيى معمر: الاباقية ص ١٥٤
Lewcki: Etudes Ibadites. p.p. 50, 98, Masqueray: Op. Cit. p. LXXV.

(١٧٦) الشماخي : السير ص ٣١٨

(١٧٧) نفس المصدر ص ٣٢١، وتلف هذه الثروة غربي جبل نفوسة، انظر نفس المصدر والمصنف
Lewcki: Op. Cit. p. 50

(١٧٨) ابو زكريا : ورقة ١١٧ ، علي يحيى معمر : ص ١٥٤ ، Lewcki: Loc. Cit.

(١٧٩) نفس المصادر والمصنفات .

(١٨٠) السير ص ٣٣٠ ، ٣٣٣ .

(١٨١) نفس المصدر ص ٢٧٥ .

(١٨٢) اعتقد جوتييه ان الفاطميين عجزوا عن ايجاد حل « للمسألة الزناية » على الرغم من اعتمادهم على قواعد من زناية كصالة بن حبوس . ذلك ان كتامة وصنهاجة - كانتا على هامش الحياة السياسية في المغرب - سادتا الموقف في العصر الفاطمي ولعبتا دورا بارزا في احداث المغرب في ذلك العين . ومن ثم اتجهت زناية بولائها لامويي الاندلس اعداء الفاطميين لكافة في كتامة وصنهاجة اعداءها التقليديين . ولا كانت صنهاجة وكتامة من البرانس ، وزناية من البتر ، ولا كان ابو يزيد مغلة بن كيداد زنايا ، فقد نظر جوتييه الى ثورته من خلال الصراع بين البتر والبرانس . انظر Les siecles obscurs. p.p. 354, 570 . وقد يؤخذ الاسراف على تصور جوتييه، فقد انشأ كثير من قبائل البرانس في حركة ابي يزيد كعبسة وأوربة وهودة . انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٤٥ ، القرطبي : المعاني الخلفاء ص ١١٤ ، التجاني : ص ٣٣٦ ، Masqueray: Op. Cit. p. 232

(١٨٣) انظر : La Religion Musulmane. p. 150

(١٨٤) انظر : احمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين ص ٢٠٢ .

(١٨٥) انظر : La Tunisie dans le haut moyen age. p. 17

(١٨٦) هكذا ذكر الدكتور مؤنس في مقدمته لكتاب ديفي النفوس فلماكي . انظر :

ص ٢٣ ، ٢٤ .

(١٨٧) ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد ص ١٦ ، Masqueray: Op. Cit. p. 232

(١٨٨) انظر : الشماخي : السير ص ٢٧٩ .

(١٨٩) اقليش : الامكان ص ٤٦ .

(١٩٠) ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، ٤٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ . وجاء في هجاء احد

الشعراء لابي يزيد هذا البيت :

انظر :

Cherbonneau: Documents inedits sur l'heretique Abou Yezid p. 493.

- (١٩١) ابن عذارى : ج ١ ص ١٦٦ ، محمد بن قنوت ، دولة الرستميين ص ١١٤ .
- (١٩٢) ابو ذكريا : ورقة ٤٨ ، ٤٩ .
- (١٩٣) ابن ابي دينار : ص ٥٢ ، المقرئ : الخطوط ج ١ ص ٣٥١ ، وقد ذكر الشماخي ان النكار اعتمدوا في عقائدهم على اقوال عبد الله بن زيد في الكلام ، وابي المودج وابن عبد العزيز وحاتم بن منصور في الفقه . انظر : السير ص ٢٨٠ .
- (١٩٤) انظر : Les siecles obscura. p. 257.
- (١٩٥) انظر : Les Berbers Vol. 2, p. 225
- (١٩٦) انظر : العبر ج ٤ ص ٤٠ ، الاستبصار ص ٢٠٥ .
- (١٩٧) المسالك والممالك ص ٤٨ .
- (١٩٨) البيان المغرب ج ١ ص ٣٠٧ .
- (١٩٩) الخزرجي : ورقة ٤٥ ، ابن الخطيب : رقم الحلل ص ٣٤ .
- (٢٠٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٥ .
- (٢٠١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ .
- (٢٠٢) الدباغ : ج ٢ ص ١٨٥ ، القاضي عياض : ترتيب المدارك قسم ١٠٠ من جزء ٢٠٠ ص ٦٤ ، ٦٥ . وقد نظر فقهاء القيروان الى ما قام به العبيديون من تغييرات في العبادات والطقوس على انه من قبيل الكفر . فقد اسقط المروزي عامل المهدي على القيروان صلاة التراويح ، كما احدث القائل تغييرات جوهرية في الشرائع والاحكام اثار غضب فقهاء السنة الذين اخلدوا بالشدة والبطش . انظر : ابن عذارى : ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ ، الاستبصار ص ٢٠٥ ، الدباغ : ج ٢ ص ٢٤٤ .
- (٢٠٣) سعيد بن قديش : ص ١٢٥ .
- (٢٠٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٣٠٨ .
- (٢٠٥) قيل ان اصحاب ابي يزيد من النكار طالبوه بقتال الاباضية الوهبة اخذا بشار زعيمهم يزيد بن قندين ، فوافقه الرأي على ان يكون ذلك بعد فراغه من قتال الشيعة . انظر : ابو

لزمريا : ورقة ٣٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٤ د

• (٢٠٦) سعيد بن مقديش : ص ١٢٧

• (٢٠٧) ابن التديم : الفهرست ص ٣٦٦

(٢٠٨) مما يؤكد الطابع الخارجي لحركة ابن يزيد عملته التي تضمنت عبادة « لا حكم الا لله » هناك صورة كديناز ضرب في عهد : الوجه : ربنا الله - لا حكم الا لله - وحده لا شريك له - الحق المبين • الدائرة : بسم الله الرحمن الرحيم - ضرب هذا الدين بالقيروان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية • الوجه الآخر : العزة لله - معهد رسول الله - خاتم النبيين • الدائرة الاولى منه : الذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون • الدائرة الثانية : معهد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله • انظر : حسن حسني عبد الوهاب ، وثقات عن الحضارة العربية ج ١ ص ٤٤٠ •

(٢٠٩) انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٢٣ ،

Tourneau: Op. Cit. p. 104, Cherbonneau: Op. Cit. p. 472.

(٢١٠) ذكر ابن حماد انه من بني جعفر من بطون زناتة ، اما ابن خلدون فقال انه من بني واركو من بطون بني يفرن ، وذكر الدرجيني نقلا عن الرليق انه من بني واسين ، في حين قال ابن حوقل بأنه من سهاطة • انظر : اخبار ملوك بني عبيد ص ١٨ ، المعبر ج ٧ ص ١٣ ، طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٢٣ ، المسالك والممالك ص ٤٨ •

Tourneau: Op. Cit. p. 104 ، ابن حماد : ص ١٧ ،

(٢١٢) زهرة المعالي ص ٦٩ من ملاحق كتاب Ivanovva : Ismaili tradition ابن

حماد : ص ١٨ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٣٠٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٠ •

(٢١٣) ابن حماد : ص ١٨ • بينما ذكر ابن الاثير وابن خلدون ان امه كانت من هواة •

انظر : الكامل ج ٨ ص ١٣٨ ، المعبر ج ٧ ص ١٣ •

(٢١٤) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ، ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ •

(٢١٥) التمشاخي : السير ص ٢٧٩ •

(٢١٦) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ •

(٢١٧) ابن حماد : ص ٢٠ ، Cherbonneau: Op. Cit. p. 473

(٧١٨) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١

(٧١٩) نفس المصدر ص ٤٠ .

(٧٢٠) الاستبصار ص ١٥٦ .

(٧٢١) ابن حماد : ص ١٩ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ .

(٧٢٢) ابن حيان : المكتتب في اخبار بلد الاندلس ص ١٩٢ ، ابن النديم : ص ٣٦٥ .

(٧٢٣) انساب الاعناف ص ١٠٩ .

(٧٢٤) ابن حماد : ص ١٩ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ .

(٧٢٥) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة .

(٧٢٦) ابن الخطيب : رقم الحلل ص ٣٤ .

(٧٢٧) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ . وقد ذكر ابن خلدون ان القالم . وليس المهدي - هو

الذي بعث الى عامله بالقبض على ابي يزيد (انظر العبر ج ٧ ص ١٣) . ونعتقد ان المهدي

كان على علم بنشاط ابي يزيد منذ البداية ، فلم يكن انشاؤه المهدي الا لغو له من خطر ثورات

الاباضية . وهذا يلهم سمنا من الروايات الاسطورية التي نسجت حول انشائها . وبدعي ان

يبادر بمواجهة ذلك الخطر قبل ان يدمره ، فكان كتابه الى عامله بتقيوس للقبض على ابي يزيد .

انظر : زهرة العاني : ص ٦٩ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣١ . Bernard: Op. Cit. p. 131

(٧٢٨) وجه ابو يزيد الى اهل الجبل هذه الرسالة « ... قد فاتنا منكم كثير ، وفاتكم

منا كثير ، وانه ليس لك علينا ان نشترى حجة ، انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني :

ج ١ ورقة ٢٣ .

(٧٢٩) ابن حماد : ص ٣٠ ، ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ .

(٧٣٠) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .

(٧٣١) ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٤ .

(٧٣٢) تصور المصادر الاباضية ان اربعة من النكار اقتحموا السجن ، وقتلوا كل من تصدى

لهم حتى تمكنوا من تحرير ابي يزيد ، وهي رواية يغلب عليها الطابع الاسطوري . انظر :

ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٤ .

(٧٣٣) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ .

(٧٣٤) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٣٦) نفس المصدر والمصحفة ،

(٢٣٧) نفس المصدر والمصحفة .

(٢٣٨) عن حيل أبي يزيد في فلك الصغار . انظر : أبو زكريا : ورقة ٣٩ ، الدرجيني :

ج ١ ورقة ٤٤ .

(٢٣٩) نفس المصدرين والمصحفات .

(٢٤٠) ابن حماد : ص ٢١ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ .

(٢٤١) الاستبصار ص ١٦٣ .

(٢٤٢) المقرئ : العاقل العنقا ص ١٠٩ .

(٢٤٣) أبو زكريا : ورقة ٣٩ .

(٢٤٤) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٣٨ .

(٢٤٥) ابن حماد : ص ٢٠ . وذكر أبو زكريا أن أبا يزيد كان قد أحضر معه حماره الشهود

من مصر . انظر السيرة ورقة ٣٩ .

(٢٤٦) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٣٨ ، المقرئ : العاقل العنقا ص ١١٠ .

(٢٤٧) المقرئ : نفس المصدر والمصحفة .

(٢٤٨) ابن حماد : ص ٢١ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ ، التجاني:رحلته ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢٤٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ .

(٢٥٠) منزل بين الليروان والمهدية . البكري : ص ٣٩ .

(٢٥١) ابن عسار : ج ١ ص ٣١٠ ، ابن الأثير : ج ٨ ص ١٣٩ ، ابن خلدون:ج ٤ ص ٤١ .

(٢٥٢) تعتبر علاقة أبي يزيد الودية مع أموي الأندلس امتدادا لعلاقات اباضية كاهرت مع

امراء قرطبة وولاء زناة لاموي الأندلس . غير أن ابن خلدون بالغ في تقدير طبيعة هذه العلاقة،

فلذهب الى أن أبا يزيد « كان يدعو للناصر صاحب الأندلس » ، وكان ملتزما بكلماته والقيام

بدعوته . « والواقع أن الأمر لم يتجاوز » ترحيب أمويي الأندلس بثوار المغرب ضد الفاطميين » .

كما لم يقصد أبو يزيد سوى مناشدة الناصر الموحدين ضد عدوهم المشترك . وجدير بالتنويه أن

الرسائل التي أرسلها أبو يزيد لهذا الغرض لا تقوى لرحبها في قرطبة . وإن لم تسفر اتصالاتهم

عن نتائج ايجابية . انظر : ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ ،

Variedades: Al-Hakam II y los berbers. p. 316

Journal: Op. Cit. Vol. 2. p. 338, Brunschvig: Op. Cit. p. 17.

(٢٥٣) كان أحد بنودهم مكتوب عليه « نصر من الله وفتح قريب على يد أبي يزيد .

اللهم الصرم على ساب لييك . • انظر : ابن عماري ج ١ ص ٣٠٩ ، سعيد بن مقديش : ص ١٢٦ د

• (٢٥٣) ابن حماد : ص ٢٠

• (٢٥٤) التجاني : رحلته ص ٢٧ ، معجم الاندلسي : التحلل السندسية ص ١١٥

• (٢٥٥) ابن حماد : ص ٢٠ ، ابن الاثير ج ٨ ص ١٣٩ ، التجاني ص ٣٢٤

• (٢٥٦) مكان بين المهدي و تاجر . انظر : البكري : ص ٢٩

• (٢٥٧) نفس المصدر والصحيفة

• (٢٥٨) ابن حماد : ص ٢١ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ ، القرطبي : اتمام الحنفا ص ١١٤

• (٢٥٩) البكري : ص ٣١ ، وقيل على بعد خمسة اميال من المهدي . انظر : التجاني :

ص ٣٢٦

• (٢٦٠) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤٠ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ ، القرطبي : اتمام

الحنفا ص ١١٤

• (٢٦١) الاستبصار ص ١٦٥

• (٢٦٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة - التجاني : ص ٣٢٦

• (٢٦٣) نفس المصادر والصفحات

• (٢٦٤) المعبر ج ٤ ص ٤٢٧

• (٢٦٥) سعيد بن مقديش : ص ١٢٧

• (٢٦٦) الاستبصار ص ٢٠٦

• (٢٦٧) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢

• (٢٦٨) ابن حماد : ص ٢٣

• (٢٦٩) نفس المصدر والصحيفة ، القرطبي : اتمام الحنفا ص ١١٦

• (٢٧٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢

• (٢٧١) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢

• (٢٧٢) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤١ ، القرطبي : اتمام الحنفا ص ١١٦

• (٢٧٣) الاستبصار ص ١٧١

• (٢٧٤) ابن حيان : المكتسب في اخبار بلاد الاندلس ص ٣٥

(١٥٧) مدينة تلح بين مجانة وفلسطين . انظر : البكري : ص ٩٣ ،

(٢٧٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ ، المقرئ : ص ١١٨ .

(٢٧٧) البكري : ص ٣٥ ، ابن حماد : ص ٢٣ .

(٢٧٨) تضيء بعض الروايات حين تجعل وفاة القائم اثناء حصار المهديّة وليس حصار

سوسة . انظر : ابو زكريا : ورقة ٤٠ ، الدرر ج ١ ورقة ٤٥ .

(٢٧٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ . ويؤكد قول ابن خلدون ان العملة التي ضربها للتصور

سنة ٣٣٦ هـ هي اول عملة ضربها ، اذ ضربت بعد ظفرو بابي يزيد في نفس العام . وهاته

صورة لها : الوجه الاول - الامام - لا اله الا الله - التصور بالله . دائرية : بسم الله ضرب

هذا الدينر بالمهديّة - شهر ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . الوجه الاخر : اسماعيل

- محمد رسول الله - امير المؤمنين . انظر :

Lane-Poole: Catalogue of oriental coins in the British museum.

Vol. 4. p. 6

(٢٨٠) تفنى الشراء بشجاعة اهل سوسة فقال احدهم :

ان الخواارج صدها عن سوسة مناعمان السمر والاقدام

وجبلاد اسبال تطاير بينها في التلق دون الحصنات رجال

وقال اخر :

مدينة سوسة بالفرب نقر تدين له اللهالن والنفود

الاهل الفارجون يملكوها فكان من الاله لها نصير

الفر : التجاني : ص ٢٨ .

(٢٨١) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ .

(٢٨٢) ابن حماد : ص ٣٦ .

(٢٨٣) نفس المصدر : ص ٢٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ ، المقرئ : الحاف الحنفا ص ١٢١ .

(٢٨٤) ابن حماد : ص ٢٧ .

(٢٨٥) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ .

(٢٨٦) ابن حماد : ص ٢٧ ، Cherbonneau: Op. Cit. p. 485.

(٢٨٧) الفرجي : ورقة ٤٥ .

(٢٨٨) ابن حماد : ص ٢٨ ، احمد مختار العبّادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس
ص ٢٠٢ .

(٢٨٩) ابن حماد : ص ٢٨ ، التجاني : ص ٣٧٧ .

(٢٩٠) عرفت هذه القلعة « بقلعة شاكز » من عمل كهيمسة . انظر : ابن الخطيب : اعمال
الاعلام : ج ٣ ص ٥٤ .

(٢٩١) ابن حماد : ص ٣٠ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ٥٤ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٤ ،
القرطبي : المعاف العنقا ص ١٢٥ ، التجاني ص ٣٢٨ ، النرجيني : ج ١ ورقة ٤٦ .
Cherbonneau, Op. Cit. p. 439.

(٢٩٢) قال احد الشعراء بهذه المناسبة :

حل الابلاد بمغلفه وجميع شيعته النواكر
وقال اخر :

اما النفاق فقد نسخ وابو الكبار له سلخ

انظر : ابن حماد : ص ٢٩ ، Cherbonneau: Op. Cit. p.p 493, 496.

(٢٩٣) ابن الاثير : ج ٨ ص ٤٥ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٤ .

(٢٩٤) ابو زكريا : ورقة ٤١ ، النرجيني : ج ١ ورقة ٤٦ .

(٢٩٥) ابن حماد : ص ٣٢ ، Cherbonneau: Op. Cit. p. 499

(٢٩٦) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٧ .

(٢٩٧) Fournel: Op. Cit. Vol. 2. p. 275

(٢٩٨) ابن الخطيب : رقم التحل ص ٣٤ ، حسن محمود : ليام دولة المرابطين ص ٧٩ .

(٢٩٩) ابن حماد : ص ٢٣ ، Gautier: Op. Cit. p. 361

(٣٠٠) التليل لاهل القول ج ٢ ص ٧٨ .

(٣٠١) السيرة ورقة ٤٠ .

(٣٠٢) طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٤٥ .

(٣٠٣) انظر : ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤١ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ٥٤ ،

معهد بن محمد الاندلسي : التحل السندينية ص ١١٥ .

- (٣٠٤) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٤١ .
- (٣٠٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٦ ، ابن حوقل : ص ٤٨ ، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٥١ .
- (٣٠٦) ابن حماد : ص ٢٠ .
- (٣٠٧) نكس الصدر والمحيلة .
- (٣٠٨) التويري : ج ٢٦ ورقة ٣٦ .
- La revolte d'Abou-Yazid au xme siecle. p. 123 (٣٠٩)
- De goeje: Op. Cit. p. 143 (٣١٠)
- (٣١١) برنارد لويس : اصول الاسماعيلية ص ١٨٣ .
- (٣١٢) كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد - مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد علي باشا برقم ١٥٧٥ . وقد اقتبسنا النص السابق نقلا عن برنارد لويس في كتابه : اصول الاسماعيلية ص ١٨٣ .
- (٣١٣) النفر : ابو زكريا : ورقة ٤٩ وما بعدها .
- (٣١٤) ابو زكريا : ورقة ١١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٣ ، السلاوي : ج ١ ورقة ١١٦ Bel: p. 150, Farouhy: Op. Cit. p. 15, Basset: Recherches. p. 336.
- (٣١٥) اقليش : بعض تواريخ وادي ميزاب ص ١١٦ ، Masqueray: Op. Cit. p. LXXV
- (٣١٦) ابو زكريا : ورقة ٣٢ ، Lewcki Melanges... p. 270, Basset. Op. Cit. p. 336.
- (٣١٧) العبر ج ٧ ص ١٧ ،
- (٣١٨) ابن حيان : القتبس في ذكر بلاد الاندلس ص ١٩٢ Variedades: Op. Cit. p.p. 216, 217.
- (٣١٩) رحلة التجاني ص ١١٩ ، ١٢٠ .
- (٣٢٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ ، Bel: Op. Cit. p. 169

هوامش الباب الخامس

- (١) ابن حيون : شرح الاخبار ورقة ٨٧ - مخطوط ، اساس التأويل ورقة ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٤ .
- (٢) النونجتي : فرق الشيعة ص ٣١ ، الاسفرائيني : التفسير في الدين ص ٤٦ .
- (٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٦٧ .
- (٤) انظر :
- Biquet: Op. Cit. p. 35, Smith: Op. Cit. p. 279, Farouhy Op. Cit. p. 12.
- (٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٠٦ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٩١ .
- (٦) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٦ .
- (٧) ابن الاثير : ج ٣ ص ١٣٥ ، احمد امين : فنى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٠ .
- (٨) راجع آراء بارتولد وكاتلياني وماسينيون في هذا الصدد بمجلة Studia Islamica عدد ١ سنة ١٩٥٣ في مقال لبرنارد لويس بعنوان
Some observations on the significance of herssy in the history of Islam.
p.p. 47, 48.
- عمر أبو النصر : الخوارج في الاسلام ص ١٨ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢ ص ٧٨ .
- (٩) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٣٦٤ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٩٧ .
- (١٠) النظر : المقامة ج ٢ ص ٦٩ .
- (١١) نفس المصدر ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
- (١٢) راجع : لويس : اصول الاسماعيلية ص ٥ ، فلهوون : الخوارج والشيعة ص ٢٩ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ج ٢ ص ١٤٠ .
- (١٣) فلهوون : تاريخ الدولة العربية ص ٣٧٢ .
- (١٤) نسخة من كتاب في الاديان والفرق ورقة ٩٧ .
- (١٥) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥١ .
- (١٦) أبو زكريا : ورقة ٦ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ .

- (١٧) الشهرستاني : ص ١٢٣ .
- (١٨) Provençal: Op. Cit. p. 41. ، ص ٢٧٣ ،
- (١٩) نصوص من كتاب من عقيدة التوحيد . انظر :
Motylinski: L'Aqida des Ibadites. p. 510
- (٢٠) ابو زكريا : ورقة . .
- (٢١) مجهول : كشف اللمة ورقة ٣٠٧ مخطوط .
- (٢٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٥٠ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٧ .
- (٢٣) الطبري : ج ٢ ص ٢٦٤ .
- (٢٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ .
- (٢٥) الرقيق : ص ١١٠ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص ٢٥٩ .
- (٢٦) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ .
- (٢٧) انظر : الجواهر الثنتائة ورقة ٨٧ ،
Masqueray: Op. Cit. p. 23
- (٢٨) انظر : الشماعي : السير ص ١٢٥ .
- (٢٩) الشماعي : السير ص ١٢٥ .
- (٣٠) انظر : ملحق رقم : (١) .
- (٣١) انظر : نصوص من موضوع عقيدة التوحيد
Motylinski: L'Aqida des Ibadites p. 510
- (٣٢) ابو زكريا : ورقة ١١ .
- (٣٣) نفس المصدر ورقة ١١٥ ،
Lewcki: Etudes Ibadites. p.p. 50. 98.
- (٣٤) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٣ .
- (٣٥) الشهرستاني : ص ١٢١ .
- (٣٦) Gautier: Op. Cit. p. 269
- (٣٧) اخبار مجموعة ص ٢٩ .
- (٣٨) الرقيق : ص ١١٧ ، ١٤١ .
- (٣٩) السوفي : شرح السؤالات ورقة ٥٧ ، الشهرستاني : ص ١٢١ .

- (٤٠) انظر : ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ .
- (٤١) ابو زكريا : ورقة ٨ ، الشماخي : السير ص ١٢٩ .
- (٤٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ .
- (٤٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .
- (٤٤) المقدسي : احسن التقاسيم : ص ٢١٩ .
- (٤٥) ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٥٢٢ .
- (٤٦) البرادي : الجواهر المتقاة ورقة ٨٨ .
- (٤٧) اقليش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ .
- (٤٨) ابو زكريا : ورقة ١١٥ .
- (٤٩) نفس المصدر ورقة ١١ .
- (٥٠) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٦ .
- (٥١) ابو زكريا : ورقة ١٣ .
- (٥٢) Mercier: L'Etablissement des Arabes. p. 133. انظر :
- (٥٣) ابن الصغير : ص ١٦ ، محمد بن تلويت : دولة الرستميين ص ١١٣
- (٥٤) Smith: Op. Cit. p. 279.
- (٥٥) ابن الصغير : سيرة الائمة الرستميين ص ١٥ ، ١٦ .
- (٥٦) النفوسي : ص ٩١ .
- (٥٧) الشماخي : السير ص ١٤١ .
- (٥٨) ابن عشاري : ج ١ ص ٢١٥ ، Bel: Op. Cit. p. 167.
- (٥٩) البكري : ص ١٤٩ .
- (٦٠) راجع : البكري : ص ١٥٠ ، ابن عشاري : ج ١ ص ٢١٦ .
- (٦١) البكري : ص ١٥١ .
- (٦٢) ابن عشاري : ج ١ ص ٢١٦ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٣ .
- (٦٣) ابن الصغير : ص ١٦ ، ٢٠ .

(٦٤) وُذِّعَ لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم السجج بن أبي الخطاب ومزور بن عمران .
انظر النفوسي : ص ١٦٥ . وهذا ينفي زعم هوبكنز أن بني رستم لم يعرفوا نظام الوزارة على
أساس أن ابن الصغير - حسب قوله - لم يشر إلى ذلك . انظر

Hopkins: medieval Moslem government. p. 5

والواقع أن ابن الصغير يذكر . . . وقد ابتدر إليه « يعني أحد الذين رشعوا لتولي القضاء »
اصحابه فأحاطوا به وقالوا له إن فلان بن فلان القاضي توفي ، وقد أجمع رأي المسلمين ووزراء
الإمام عليك . . . مما يلحق زعم هوبكنز . انظر : سيرة الأئمة الرستميين ص ٤٧ .

(٦٥) انظر : أبو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ، النفوسي : ص ٩٩ .

(٦٦) وكان هؤلاء السبعة هم : مسعود الأندلسي وأبو قدامة اليربوعي ويزيد بن فطرين
وعمران بن وراق الأندلسي وسعد بن عطية وشكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سلمان .
انظر : أبو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ .

(٦٧) الشماخي : السير ص ١٤٥ .

(٦٨) أبو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ، النفوسي : ص ٩٩ .

(٦٩) الشماخي : مقدمة أصول الفقه ورقة ٦٤ .

(٧٠) أبو زكريا : ورقة ١٤ ، الشماخي : السير ص ١٤٥ .

(٧١) ابن الصغير : ص ٢٢ ، النفوسي : ص ١١٤ .

(٧٢) ذكر أبو غالم الصغري في منولته أنه سأل أحد فقهاء المذهب الإباضي هذا السؤال :
أي الرجلين أحب أن يستعمل ، الرجل الصالح الذي لا قوة له بالعمل ، أو الرجل الذي هو
دونه في الصلاح وهو أقوى على العمل . فأجابه : القوي العالم بالعمل أحب أن يستعمل . انظر :
منولة أبي غالم ورقة ١ . وهذا يلند دعاوى مؤرخي الإباضية الذين حاولوا تبرير اختصاص عبد
الوهاب ذويه وأتباعه بوظائف الدولة « لأنهم من أهل العلم والبصيرة في الدين » . انظر : أبو
زكريا : ورقة ١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ ، النفوسي : ص ١٠٢ .

(٧٣) انظر : أبو زكريا : ورقة ٢٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٢ ، الشماخي : السير ص ١٩٢ .

(٧٤) ابن الصغير : ص ٢٣ .

(٧٥) النفوسي : ص ١٩٥ .

(٧٦) أبو زكريا : ورقة ٣٠ .

- (٧٧) ابن الصغير : ص ٢٣
- (٧٨) النفوسي : ص ١٨٨
- (٧٩) النفوسي : ص ١٨٨
- (٨٠) ابن الصغير : ص ٢٤
- (٨١) نفس المصدر ص ٢٥
- (٨٢) ابن الصغير : ص ٣١ ، ٤٧
- (٨٣) الازهار الرباشية ج ٢ ص ٢٢٢
- (٨٤) ابن الصغير : ص ٥٠
- (٨٥) نفس المصدر ص ٤٢ ، ٤٧
- (٨٦) نفس المصدر ص ٤١ ، البرادي : الجواهر المنتقا ورقة ٩١
- (٨٧) ابن الصغير : ص ٤٤ ، البرادي : نفس المصدر والمصحفة
- (٨٨) ابن الصغير : ص ٥٦ ، النفوسي : ص ٢٧٥
- (٨٩) البرادي : الجواهر المنتقا ورقة ١٠٣
- (٩٠) ابن الصغير : ص ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٣٦
- (٩١) ابن الصغير : ص ٣٧
- (٩٢) نفس المصدر : ص ٥١

(٩٣) انظر : La religion Musulmane... p. 149.

- (٩٤) الشماخي : السير ص ١٤٨
- (٩٥) ابن الصغير : ص ٢٧
- (٩٦) الشماخي : السير ص ١٥٥
- (٩٧) ابن الصغير : ص ٢٧ ، ٣٦
- (٩٨) انظر : ملحق رقم (٣)
- (٩٩) النفوسي : ص ١٩٩ - ٢٠٠
- (١٠٠) انظر : ملحق رقم (٥)

(١٠١) يلهم ذلك من رواية للنفوسي تقول ان شططا من انصار الامام عبد الوهاب كان

يُنَدِس بَيْن أَصْحَابِ خُلَفٍ وَيَكَاتِبُ الْإِمَامَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُهُ • انظر : الإلهام الرياضية ج ٢ ص ١٥٥ •

(١٠٢) الوسماني : سير أبي الربيع ورقة ٣٠ •

(١٠٣) ابن الصغير : ص ٢٧ •

(١٠٤) النفوسي : ص ١٨٣ •

(١٠٥) نفس المصدر : ص ٢٧٨ •

(١٠٦) ابن الصغير : ص ٣٤ •

(١٠٧) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٧٨ •

(١٠٨) ابن الصغير : ص ٥٦ •

(١٠٩) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٣ •

(١١٠) نفس المصدر ص ٥٢ •

(١١١) نفس المصدر والصحيفة •

(١١٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، ابن تقي برقي : ج ٢ ص ٢٠ •

(١١٣) الدرچيني : ج ١ ورقة ١٤ •

(١١٤) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٥ •

(١١٥) الرقيق : ص ١١٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٥٩ •

(١١٦) الرقيق : ص ١٢٥ •

(١١٧) الرقيق : ص ١١٨ •

(١١٨) اخبار مجموعة : ص ٣٧ ، ٣٨ •

(١١٩) ابن عذاري : ج ١ ص ٧٦ •

(١٢٠) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٦٣ •

(١٢١) الرقيق : ٢٤ ، البكري : ص ٢٤ ، ٢٥ •

(١٢٢) ابن عذاري : ج ١ ص ٨٤ •

(١٢٣) ابن عذاري : ج ١ ص ٩٣ •

(١٢٤) نفس المصدر والصحيفة •

(١٢٥) الرقيق : ص ١٤٩ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ •

- (١٢٦) ابن عذاري : ج ١ ص ١١١
- (١٢٧) البكري : ص ١٤٨
- (١٢٨) نفس المصدر ص ١٤٩
- (١٢٩) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٩
- (١٣٠) مجهول : الاستبصار ص ٢٠١
- (١٣١) نفس المصدر والصحيفة
- (١٣٢) ابن حوقل : ص ٦٥
- Julien: Op. Cit. p. 339. ، (١٣٣) الاستبصار ص ٢٠١
- (١٣٤) ابن حوقل : ص ٩٠
- (١٣٥) الادريسي : صفة القرب ص ٦٠ ، ابن مقديش : ص ١١ ، التلخيش ص ١٦٤
- (١٣٦) الادريسي : نفس المصدر والصحيفة
- (١٣٧) البكري : ص ١٤٨
- (١٣٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٠
- (١٣٩) النفوسي : ص ٩
- (١٤٠) البكري : ص ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١
- (١٤١) ابن عذاري : ج ١ ص ٢٨٠
- (١٤٢) ابن الصغير : ص ١٠
- (١٤٣) يعقوبي : البلدان ص ٣٥٨ ، البكري : ص ٦٧
- (١٤٤) الاسطراري : المسالك والجمالك ص ٣٤ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٨
- (١٤٥) الادريسي : ص ١٢١
- (١٤٦) ابو زكريا : ورقة ٣٦
- Bernard: Op. Cit. p. 134 ، (١٤٧) الادريسي : ص ٨٧
- (١٤٨) المسالك والجمالك ص ٨٦
- (١٤٩) ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٨٠
- (١٥٠) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢

- (١٥١) أنسلوي : ج ١ ص ١١٢ ،
 Journal: Op. Cit. Vol. I. p. 553 • البكري : ص ١٤٩
 (١٥٢) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٣
 (١٥٤) المقرب ص ١٤٨
 (١٥٥) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤
 (١٥٦) الشماخي : ص ٢٤٨
 (١٥٧) النفوسي : ص ١٣٧
 (١٥٨) نفس المصنوع ص ٨٩
 (١٥٩) البكري : ص ٨١
 (١٦٠) انظر : قلادة بن جعفر : الغرارج : ص ٢٢٧ ، ٢٢٨
 (١٦١) العميري : ص ٢١ ، ابن الدلائي : ص ١٨ ، ١٩ ،
 Provençal: Op. Cit. Vol. I. p. 248
 (١٦٢) البكري : ص ٨١ ، الأدريسي : ص ١٠٠
 (١٦٣) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٤ ، البكري : ١٨ ، ابن الدلائي : ص ١٨
 (١٦٤) ابن حوقل : ص ٤٣
 (١٦٥) ابن الصفيير : ص ١٣
 (١٦٦) نفس المصنوع ص ٥٠
 (١٦٧) البكري : ص ١٤٣ - ١٤٦
 (١٦٨) الاصطغري : ص ٣٧ ، ٣٨
 (١٦٩) البكري : ص ٤١
 (١٧٠) الأدريسي : ص ٦١
 (١٧١) ابن الصفيير : ص ١٣
 (١٧٢) الشماخي : السير ص ١٥٨
 (١٧٣) ابن حوقل : ص ٧٢ ، الأدريسي : ص ٧٦ ، ابن أبي زرع : ص ٥٣
 (١٧٤) ابن أبي زرع : ص ٥٣

- (١٧٥) الأديسي : ص ٩٠ ؛
- (١٧٦) الجزناني : زهرة الاس ص ٢٩ .
- (١٧٧) جغرافية المأمون ورقة ١٩٧ ، Conde: Op. Cit. p. 291
- (١٧٨) جغرافية المأمون ورقة ١٩٩ .
- (١٧٩) الحميدي : صفة جزيرة الاندلس ص ٢١ .
- (١٨٠) ابن الدلائي : ص ١٨ ، ١٩ .
- (١٨١) ابن القوطية : ص ١١٠ ، ابن الفروسي : ج ١ ص ١٧٩ ، ابن بشكوال : الصلة
ج ١ ص ٨٦ .
- (١٨٢) ابن الدلائي : ص ١٩ ، Provençal: Op. Cit. p. 245
- (١٨٣) البكري : ص ١٤٩ .
- (١٨٤) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ج ١ ص ٢١٨ .
- (١٨٥) اليعقوبي : تاريخه ج ١ ص ١٥٦ ، القندي : ص ٢٤١ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١٩٩ .
- (١٨٦) انظر : حسن محمود : المرجع السابق ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
- (١٨٧) طبقات الامم ص ١٢ .
- (١٨٨) حسن محمود : المرجع السابق ص ٢٢٥ .
- (١٨٩) مجهول : الاستبصار ص ٢١٧ .
- (١٩٠) الاصطغري : ص ٣٥ ، حامد عمار : علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية ص ٧ .
- (١٩١) المأمون : جغرافيته ورقة ١٩٨ ، س الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان ص ٢٥ .
- (١٩٢) القنسي : ص ٢١٩ .
- (١٩٣) الاصطغري : ص ٢٥ ، حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٧٥ .
- (١٩٤) البكري : ص ١٤٩ ، الاستبصار ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
- (١٩٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٨٧ .
- (١٩٦) ابن بطوطة : تلمة انظر ج ١ ص ٢٩٥ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية
في افريقية ج ١ ص ٢٢٢ .
- (١٩٧) اليعقوبي : البلدان ص ٣٦٠ .

(١٩٨) الطبري : ١٤٤ ،

(١٩٩) ابن بطوطة : ص ٢٩٨ ، وجدير بالذكر ان طريقا اخر مكأن يصل بين مصر ولخاثة ، لكنه اعمل بسبب تعرض القوافل فيه لسواقي الرياح وقطاع الطرق واصبح طريق سجلماسة لالك اشهر الطرق وأكثرها اربابا • انظر : ابن حوقل : ص ٤٢ •

(٢٠٠) ابن الصليبي : ص ١٣ ، النفوسي : ص ٨٨ •

(٢٠١) الادريسي : ص ١٣٢ •

(٢٠٢) بوفيل : الممالك الاسلامية في غرب افريقية ص ١٦٠ •

(٢٠٣) الادريسي : ص ١٣٢ •

(٢٠٤) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٥ •

(٢٠٥) الادريسي : ص ١٣٢ •

(٢٠٦) الاستبصار ص ٢٢٥ •

(٢٠٧) جغرافية المأمون ورقة ٢٠١ ، ابن بطوطة : ص ٣١٨ •

(٢٠٨) الشماخي : السير ص ٢٧٣ •

(٢٠٩) الادريسي : ص ١٢١ •

(٢١٠) الاستبصار ص ١٤٥ •

(٢١١) اليعقوبي : البلدان : ص ٣٤٥ •

(٢١٢) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ •

(٢١٣) ابن الفقيه : ٨٧ ، جغرافية المأمون ورقة ١٩٨ ، الاصطغري : ص ٣٥ •

Bernard: Op. Cit. p. 134 (٢١٤)

(٢١٥) الشماخي : السير ص ١٥٨ •

(٢١٦) اورد الوسياني رواية ذكر فيها ان افلح بن عبد الوهاب اراد مرافقة قوافل والده الى بلاد موكو فاحذ الامام عبد الوهاب يفتبره في الله وخاصة في مسألة الربى ، فاجاب عن كلفة الاستئلة فيها عدا سؤال واحد • فامرہ ابوہ بضم السلف حتى تزداد خبرته بأمور التجارة • انظر : سير أبي الربيع ورقة ٢٥ •

(٢١٧) انظر : الدرجيني : ج ٢ ورقة ١٣٦ •

- (٢١٨) انظر : ابن الصغير : ص ٥٠ ،
- (٢١٩) الشماخي : السير ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
- (٢٢٠) سيرة الائمة الرستميين ص ٣١ .
- (٢٢١) الوسياني : ورقة ٤ .
- Etude Ibadites, p. 96 انظر : (٢٢٢)
- (٢٢٣) الاستبصار ص ٢٠٢ .
- (٢٢٤) ابن الصغير : ٤٦ ، ٥٧ .
- (٢٢٥) سيرة الائمة الرستميين ص ١٦ ، Faroughy: Op. Cit. p. 14
- (٢٢٦) المسالك والممالك ص ٤٢ . ياقوت : ج ٣ ص ٤٦ .
- (٢٢٧) نقل القلقشندي عن ابن سعيد نصا يقول فيه (رأيت صكا لاحدهم على اخر مبلغة اربعون الف دينار) . وذكر ابن حوقل انه رأى صكا كتب بدين على احد التجار موقع عليه بشهادة العلول . قيمته اثنين واربعين الف دينار : انظر : صبح الاعشى : ج ٥ ص ١٦٤ ، المسالك والممالك ص ٤٢ .
- (٢٢٨) سيرة الائمة الرستميين ص ١٣ .
- (٢٢٩) السلاوي : ج ١ ص ١١٩ ، Lavoix: Op. Cit. p. 402
- (٢٣٠) ابو زكريا : ورقة ٣٧ .
- (٢٣١) البهاني : سيرة جعفر ص ١٣٠ .
- (٢٣٢) ابن عساري : ج ١ ص ٢١٠ ، Biquet: Op. Cit. p. 71
- (٢٣٣) سعيد بن مقديش : نزهة الانظار ص ١٢٣ .
- (٢٣٤) ابن هيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٨ .
- (٢٣٥) الشماخي : السير ص ٣٣٠ ، ٣٣٣ .
- (٢٣٦) لويس : اصول الاسماعيلية ص ١٨٣ . نقلا عن كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد .. مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد علي باشا برقم ١٥٧٥ .
- (٢٣٧) راجع الفصل الثاني من الباب الاول .
- (٢٣٨) انظر : البكري : المغرب ص ٦ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٥٣ .

- (٢٣٩) انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٥ ،
 Julien: Op. Cit. p. 203 (٢٤٠)
- (٢٤١) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ١١١ .
- (٢٤٢) ابن عسارى : ج ١ ص ٧٠ ، ابن خلدون : الترجع السابق ص ١١٢ .
- (٢٤٣) الرليق : ص ١٥٩ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٨٣ .
- (٢٤٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، الرليق : ص ١١١ .
- (٢٤٥) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٤ .
- (٢٤٦) المالكي : رياض النفوس ص ١٠٧ .
- (٢٤٧) الرليق : ص ١٥٩ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٨٣ .
- (٢٤٨) راجع : ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ .
- (٢٤٩) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ .
- (٢٥٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ .
- (٢٥١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عسارى : ج ١ ص ٥٢ .
- (٢٥٢) البكري : ص ١٤٩ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352 .
- (٢٥٣) ابن خلدون : المقدمة ص ١١٢ .
- (٢٥٤) البكري : ص ١٤٨ .
- (٢٥٥) الادريسي : ص ١٦٠ .
- (٢٥٦) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ .
- (٢٥٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 351 .
- (٢٥٨) مجهول : الاستبصار : ص ٢٠١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧١ .
- (٢٥٩) المقدسي : ص ٢٣١ .
- (٢٦٠) ابو العرب تميم : ص ٨٠ .
- (٢٦١) الاستبصار ص ٢٠٢ .
- (٢٦٢) البكري : ص ١٤٨ .

- (٢١٣) أبو زكريا : ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩٩ .
- (٢٦٤) انظر : الادريسي : ص ١٣٢ ، يعقوبي : البلدان ص ٣٤٥ .
- (٢٦٥) ابن الصغير : ص ٢٧ .
- (٢٦٦) انظر : النفوسي : ص ٣٣٦ .
- (٢٦٧) ابن الصغير : ص ٥٧ .
- (٢٦٨) النفوسي : ج ٢ ص ١٨٢ .
- (٢٦٩) نفس المصدر ص ١١ .
- (٢٧٠) نفس المصدر ص ٤٨ .
- (٢٧١) نفس المصدر ص ٢٥ .
- (٢٧٢) ابن الصغير : ص ٣٤ ، النفوسي : ص ٢٦٦ .
- (٢٧٣) ابن الصغير : ص ٥٢ .
- (٢٧٤) نفس المصدر ص ٣١ .
- (٢٧٦) ابن الصغير : ص ٢٦ .
- (٢٧٧) نفس المصدر ص ٤٧ .
- (٢٧٨) ابن الصغير : ص ٥٦ ، النفوسي : ص ٨٥ .
- (٢٧٩) الشماخي : السير ص ٢٦٣ .
- (٢٨٠) سيرة الائمة الرستميين ص ٥٥ .
- (٢٨١) نفس المصدر ص ٤٩ .
- (٢٨٢) تألف احد هؤلاء الفقهاء من تبرج نساء قسطنطينية قائلا « ما اكثر اماء هذا البلد » .
- انظر : الشماخي : السير ص ٢٨١ .
- (٢٨٣) الطبري : ج ٦ ص ٢٧٥ .
- (٢٨٤) الشماخي : السير ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
- (٢٨٥) البكري : ص ١٥١ .
- (٢٨٦) الشماخي : السير ص ١٩٣ .
- (٢٨٧) النفوسي : ص ٣٦٤ .

(٢٨٨) ابن الصغير : ص ٥٠ ،

(٢٨٩) ابو زكريا : ورقة ٣٦ .

(٢٩٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٦ ،

Masqueray: Op. Cit. p. IXI

(٢٩١) ذكر مؤرخو الإباضية ان اباضية البصرة نستقوا لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم

آلاف الكتب لتزويده المكتبة المصنوعة بتاهرت .

واورد بعضهم ان ديوان نفوسة كان يعوي للامانة وللائين الف جزء من مؤلفات المشاركة .

الظر : الشماخي : السير ص ١٦٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٦ ، البرادي : رسالة في بعض

كتب الاباضية ورقة ٢٠٧ .

(٢٩٢) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٢ .

(٢٩٣) نفس المصدر ورقة ١٣ .

كانت مواسم الحج فرصة مواتية لالتقاء الاباضية من كافة الامصار الاسلامية ، وقد حرص
المفادبة على الاستفادة من لقاءهم باعلام المذهب فيما يمن لهم من مسائل علمية وفقهية كان يلتقي
فيها مشاهير الفقهاء كشعيب بن العرف في مصر ومحبوب بن الرحيل بمكة والربيع بن حبيب
وغیره من العراق .

(٢٩٤) ابو زكريا : ورقة ٢٠ .

(٢٩٥) الشماخي : السير ص ١٥٥ .

(٢٩٦) النفوسي : ص ٧٠ .

(٢٩٧) نفس المصدر ص ٤٨ .

(٢٩٨) النفوسي : ص ٦٨ .

(٢٩٩) ابو العرب تميم : ص ١٢٠ ، الديباغ : ج ٢ ص ٥٥ .

(٣٠٠) المالكي : ج ١ ص ٤٠٩ ، الديباغ : ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣٠١) الشماخي : السير ص ٢٦٣ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٣ .

(٣٠٢) سيرة الائمة الرستميين ص ٥٧ .

(٣٠٣) وهالك مثال مناقرة بين ابن الصغير مع ابي الربيع سليمان الهواري الاباضي . يقول

ابن الصفيّر : « قال الاباضي : من اين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق ان الرجل اذا زوج ابنة البكر وهي صغيرة وادركت ان لا خيار لها في نفسها ، وانتم تقولون ان الرجل اذا زوج امته وعقدت ان لها الخيار ، ولا فرق بين الامة والصغيرة لان الامة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم لسيدها ، فلما عقدت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لابنها ، فلما ادركت صار الامر اليها ، فلم منتموها ما اجزتم كلامه والمعنى واحد » ؟

فقلت له : انما اجزنا تكاح الصفار لان النبي (ص) تزوج عائشة بنت ابي بكر بنت سبع وبنى بها وهي بنت تسع .

فقال لي : دعني من هذا ، فاني لا اجمعك عليها ، ولكن كلمني من القرآن او من باب التفرع مع الهى لو بينت لك انغير ما كان لك فيه حجة لانك تعلم ان الله اهل لرسوله من النساء ومن عددن اكثر مما اهل لامته ، فان كان عندك حجة غير هذه فاذكرها ، والا فلا تلم لك حجة .

قلت له : فان اوجدتك صحة عقدها من القرآن ارجع .

فقال : فاذكر لي ذلك .

فقلت له : قال الله تبارك وتعالى : واللاتي يئنسن من العيى من نساكم الى واللاتي لم يظفن .

فقال لي : عجباً منك ، انا اسألك عن عقد النكاح وفسقه وانت تقبرني عن عقد المويسات وعدة اللاتي لم يظفن .

فقلت : هيها آبا الربيع غاب عنك المراد .

قال : وما غاب عني من ذلك .

فقلت : اخبرني عن هذه العدد المرفعات من طلاق ام من غيره .

قال : من طلاق .

قلت : فهل يقع طلاق من غير ان يكون عقد نكاح ؟

قال : لا .

قلت : في المويسات فمنهن اللاتي قد بلغن من السنين ما لا يعيفن مثلهن ؟

قال : نعم .

قلت : والثلاثي لم يحضن من الصغر ؟

قال : نعم •

قلت : ما وجب الله عليهن عددا ؟

قال : نعم •

قلت : أمن طلاق أم من غير طلاق •

قال : من طلاق •

قلت : فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ فسكت ولم يرد جوابا •

انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ٥٠ ، ٥١ •

(٣٠٤) سعيد بن قديش : ص ١٢٥ •

(٣٠٥) البغدادي : ص ١٠٣ •

(٣٠٦) البرادي : الجواهر ورقة ٩٣ •

(٣٠٧) البكري : ص ٦٧ ، ابن خلون : ج ٦ ص ١٢١ •

(٣٠٨) الدرجميني : ج ١ ورقة ١٠٥ •

(٣٠٩) الشماخي : السير ص ١٥٥ •

(٣١٠) ابو زكريا : ورقة ٢٠ •

(٣١١) في احدي هذه المساجلات سأل شيخ المعتزلة عبد الله بن اللطفي : هل تستطيع

الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ؟

فقال ابن اللطفي : لا •

فقال : هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان انت فيه ؟

قال : لا •

فقال : هل تستطيع الانتقال من مكان انت فيه الى مكان لست فيه ؟

قال : اذا شئت •

فقال : خرجت منها ... انظر : ابن الصغير : ص ٤٥ ، الشماخي : السير ص ٢٢٣ •

(٣١٢) اليماني : سيرة جعفر ص ١٢٠ ، الدرجميني : ج ١ ورقة ٤٢ •

(٣١٣) ابو زكريا : ورقة ٣٦ •

(٣١٤) نفس المصدر والصحيفة •

(٣١٥) لما لبى على ابي نوح وجي. به الى المزم مكبلا بالاصفاد ، قال المزم : ان القيود دخلت في رجلك بالعلم ولا تخرج الا بالعلم •

قال ابو نوح : عسى الله ان يجعل ذلك كلمة لذوي • فغضب المزم وقال : افنحن مسيئون فيك ؟ قال ابو نوح : قلت ليس في ذلك ما يدل على اساءة لك ، الا ترى ان الله يبتلي عباده ليصبروا فيؤجروا ، وليس في ذلك ما يثبت الاسامة لك • فزال غصبه فطلبته العفو ، فعفى • • • ولله • •

وفي احدى مجالس المزم مع العلماء والفقهاء ومن بينهم ابي نوح ، سأل المزم : ما الدليل ان لهذه الصنعة صائغا ؟ واجاب جلساؤه باجوبة غير مرضية • فقال ابو نوح : فرايت ابا لميم كانه يريد الجواب • وتادب ابو نوح وقال : جوابك مفهوم من سؤالك ، لان الصنعة بنفسها دليل الصانع ، ولا صنعة بغير صانع • فاعجب المزم بلباقته • انظر : الشماخي : السير ص ٣٥٢ وما بعدها • (٣١٦) انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ١١٥ •

(٣١٧) وليس ادل على مكانة فرج بن نصر العلمية من رحلته الى بغداد ومواقفه ومساوواته في بلاد العباسيين مع فقهاءهم وعلمائهم ومحدثيهم ، وفقره لذلك برضى الخليفة - ورعايته عن هذه الرحلة : انظر : ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، ٣٠ •

وجدير بالذكر ان نفاذا نسخ اiban وجوده ببغداد ديوان جابر بن زيد في الفقه وعاد به الى المغرب • انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٠

(٣١٨) راجع النفوسي : الازهار الرياضية ج ١ ص ١٩٥ •

(٣١٩) اسماعيل حماد : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص ٧ •

(٣٢٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ •

(٣٢١) النفوسي : ص ١٩٧ •

(٣٢٢) ابن الصغير : ص ٣١ •

(٣٢٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٣٦ •

(٣٢٤) ابو زكريا : ورقة ٤٢ •

(٣٢٥) الشماخي : السير ص ٣٦٣ •

(٣٢٦) من هؤلاء بكر بن حماد التاهرتي الذي سمع بالشرق وساجل شعراء العراق كدعبل

الخزاعي وعلي بن الجهم ، ثم نزل القيروان وفاس وناظر علماءها وترك أسماءا ثم عن علو
مكانته العلمية والادبية . انظر : النفوسي : ص ٧١ ومه بعدها .

(٣٢٧) الصنبي : بغية المتحس : ص ٣٦٤ ، ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٨٦ .

(٣٢٨) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص ٢١٨

(٣٢٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٨٩ .

(٣٣٠) الاستبصار ص ٢٠١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٧١ .

(٣٣١) المغرب ص ١٤٨ .

(٣٣٢) الاشعري مقالات الاسلاميين ص ١٢٨ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية

ص ٢٢١ والواقع ان انتشار الاسلام لم يتم بصورة واسعة في هذه الجهات الا في عهد المرابطين .

انظر : الاستبصار ص ٢١٧ ، حسن محمود : المرجع السابق ص ٢٣٤ .

(٣٣٣) المأمون : جغرافية ص ٢٠٤ .

(٣٣٤) حامد عمار : علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية ص ١٢ .

(٣٣٥) أظفيش : بعض تواريخ أهل وادي ميزاب ص ١١٦ .

(٣٣٦) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٤ .

(٣٣٧) تنص هذه الرواية على ان « أبا يحيى النفوسي سافر الى بلاد السودان ، فالتقى

ملكهم ناهل الجسم ضعيف القوى » . فقال له : ما بك ؟ قال : خوف الموت . قال فاجبرته

عن الله وصفاته سبحانه والجنة والنار والخصاب وما أعد الله للمطيع والعاصي فكذبني وقال :

لو صبح عندك ما تقول لما بلغت الينا تطلب الدنيا . فما زلت أذكر نعم الله وآلائه حتى اسلم

وحسن اسلامه » . انظر : الشماخي : السير ص ٣١٢ .

Etudes Ibadites. p. 71. (٣٣٨)

(٣٣٩) التقى ماسكراي بأحد كبار مشايخ وادي ميزاب الإباضية واسمه الشيخ عبد الله .

وقد أكد له الشيخ الإباضي تلك الحقيقة ، وأخبره ان جماعات من الإباضية لا تزال موجودة في

ثانة حتى الوقت الحاضر : انظر : Chronique d'Abou Zakaria. p. 279

(٣٤٠) أبو زكريا : ورقة ٤٢ .

Marcaig G: Berberie Musulmane. p. 116. (٣٤١)

(٣٤٢) أبو العرب تميم : ص ٨٠ .

(٣٤٣) المسالك والممالك ص ٦٥ .

(٣٤٤) النظر : القنسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٩، سعيد بن مقديش: نزعة الانظار ص ١١ .

(٣٤٥) Farouhy: Op. Cit. p. 14

(٣٤٦) أبو زكريا : ووقلة ١٣ .

(٣٤٧) ابن الصغير : ص ٣٦ .

وقد كشفت آثار بناء يعتقد انه مسجد في سفركته بصحراء الجزائر في عصر متأخر تدل

على تأثر الرستميين بالثقافة الفارسية . انظر : السير عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٥٨٢ .

(٣٤٨) ابن الصغير : ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣٤٩) النظر : La Barberie Musulmana. p. 166.

الملاحق

رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الى شيوخ الإباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم (١) • صلى الله على سيدنا محمد النبي الامي
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما •

أتاني كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتكم واثتلاف
أمركم في كثرة من بحضرتكم من اهل الخلاف • ولعمري ما أكثرتهم وان كثروا
بأكثر مما كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم ، فاقصدوا بهم يهون عليكم
كثرتهم على اخلافكم • نسال الله العون والتوفيق في جميع أموركم ، وأن
يكفنا واياكم بأسهم ، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم
ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم • فلعمري لقد أسرني ما
انتهيتم اليه من أمركم ، وان كان ذلك لم يخف عنا ، غير أنا لم نظن الذي كتبتم

(١) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة : رسالة في احكام الزكاة - مخطوط يدار الكتب
المصرية رقم ٢١٥٨٢ ب • ورقة ١١٤ •

به الي • والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه •

أتانا كتابكم بمسائل ، فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت
الا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير الا الذي رأيت أنه أصلح لجماعتكم وأقوم
لشئانكم وأرقق لضعيفكم وأعطف لقلوبكم وأجمع لاموركم ، وما توفيتي الا بالله
وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، فقد أجيبكم في الذي أجيبكم فيه ، فما
كان من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ في رواية أو خبر أو غير ذلك
فمن نفسي • استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى ٠٠٠

ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمكم الله انه (٢) ٠٠ الف

رسالة حنظلة بن صفوان الى الخوارج الصفرية بطنجة

بسم الله الرحمن الرحيم

من حنظلة بن صفوان الى جميع أهل طنجة •

أما بعد — فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم قالوا انه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل الى عشر آيات : أمره ، وزاجرة
ومبشرة ، ومنذرة ، ومخبرة ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال ، وحرام ، وأمثال •
فأمره بالمعروف ، زاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ،
ومخبرة بخبر الاولين والآخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومتشابهة يؤمن بها ،
وحلال أمر أن يؤتي ، وحرام أمران يجتنب ، وأمثال واعظة •

فمن يطع الأمرة وتزجره الزاجرة ، فقد استبشر بالمبشر ، وانذرته
المنذرة • ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرو العلم فيما اختلف فيه الناس
الى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة فقد أفلح وأنجح وحيا حياة الدنيا

(٢) يستفرد في الإجابة على تساؤلاتهم وفقا لتعاليم المذهب الإباضي •

والاخرة •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٣) •

رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى اباضية طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين عبد الوهاب الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس •
أما بعد - فاني آمركم بتقوى الله تعالى والاتباع لما أمركم به والانتهاز
عما نهاكم عنه • وقد بلغني ما كتبتم الي به من وفاة السمع ، واستخلاف
بعض الناس خلفا ، ورد أهل الخير ذلك • فان من ولي خلفا من غير رضى امامه
فقد أخطأ سيرة المسلمين ، ومن أبى توليته فقد أصاب •

فاذا أتاكم كتابي هذا ، فليرجع كل عامل استعمله السمع الى عمله الذي
ولى عليه ، الا خلف بن السمع حتى يأتيه أمري • وتوبوا الى ربكم لعلكم
تفلحون (٤) •

رسالة الربيع بن حبيب الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن

ابن رستم ويّزيد بن فتدين

بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين •
اما بعد - فقد بلغنا يا اخواننا ما كان قبلكم ، وفهمنا ما كاتبتمونا به •

(٣) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٦٧ •

(٤) القلر : ابو زكريا : السيرة وأخبار الائمة ورقة ٢٥ - مخطوط بدار الكتب المصرية -

رقم ٩٠٣٠ ج . الشماخي : السير : ص ١٨٠ ، ١٨١ ، الدرجيني : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٣٦

وجه • مخطوط بدار الكتب المصرية - رقم ١٢٥٦١ ج •

أما ما كتبتم به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا الشرط في الإمامة ان لا يقضى أمرا دون جماعة •

ولو صح في الإمامة شرط لما أقيم لله حق ولا حد ، ولعللت الحدود وبطلت الاحكام وضاع الحق • على ان الامام اذا قدم اليه سارق فلا يصيب ان يقيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرناها ، او زنى أحد فلا يرمي ولا يجلد حتى تحضر ايضا - ولا يجاهد الامام عدوا ولا ينهي عن فساد الا بحضرة الجماعة المملومة ، والجماعة يتخذ اتفاقها • فالإمامة صحيحة والشرط باطل •

وأما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم منه ، فذلك جائز اذا كان الثاني من القناعة والفضل • فقد ولي ابو بكر وزيد بن ثابت أفرض منه ، وعلي بن أبي طالب أقضى منه ومعاذ بن جبل أعلم منه • وهذا ليس فيه اختلاف ، لقول الرسول (ص) أفرضكم زيد وأقضاكم علي وأقرأكم أبي • وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل • وقوله (ص) معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غدا يوم القيامة امام العلماء • وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (٥) •

رسالة محمد بن الفتح الى دعاياه

من محمد بن أفلح الى جميع من بلغه كتابنا هذا من المسلمين •
سلام الله عليكم - فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو ، وأسأله الصلاة على نبي الرحمة وهادي الامة صلى الله عليه وسلم •
أما بعد - فان افضل ما يتواصى به العباد وتحاضوا عليه ، تقوى الله

(٥) ابو ذكريا : السيرة واخبار الائمة ورقة ١٦ •

ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول
الطيب والعمل الصالح ، وعليكم معاشر المسلمين بالتهيء للقدوم على الله
والتأهب والاعداد ليوم تشخص فيه الابصار ، وتتغير فيه الالوان ، ويشيب
فيه الولدان ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ،
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد • واعلموا
رحم الله ان اهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلف
منهم ، فرحم الله امرئ مسلم احتسب نفسه وأرصد لله في طلب العلم ،
والنقض على من حاد الله وعدل عن منهاج رسوله (ص) وطريق المحققين من
عباده حتى تكون كلمة الله هي العليا والباطل زهوقا •

وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضين من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم
الصالحين من أهل دعوتكم ، فاقفوا آثارهم ، واحتدوا بهداهم ، واحذروا الزيغ
عن طريقهم والميل عن منهاجهم ، وخالفوا أهل البدع المضلة والاهواء المزلّة •
فمن اراد ان يبدل دينكم ويلبسكم شيئا ، ويلبس عليكم امركم ممن اتبع هواه
واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن ، فالبس على الضعفاء أمرهم
وزين بدعته في قلوبهم فأخذ من لا بصيرة له ولا علم له بما مضى عليه
الائمة الراشدون رحمة الله عليهم ، والسلف الصالحون من أهل دعوتكم ،
فاضل كثيرا ، وضل عن سواء السبيل • ونحن ذاكرون لكم ما فيه الكفاية
ان شاء الله • وبه نستعين وعليه نتوكل ، وما توفيقنا الا بالله (٦) •

(٦) البرادي : الجواهر المنتقاة في الامام ما اخل به كتاب الطبقات لابي العباس الدرجيني

ورقة ٩٣ ، ٩٤ - مطبوع بدار الكتب المصرية - رقم ٢١٧٩١ ب •

خطبة المعز لدين الله الفاطمي في مشايخ كتامة يحضهم على قتال الشاكر لله الملواري

و ٠٠٠ وهذا الذي كنت ذكرته لكم في غير مجلس ومقام اني لو نديت
من عسيت ان اندبه منكم ، لوجدت فيه ما أريده ٠٠٠

بارك الله فيكم وأحسن صحابكم والخلافة عليكم ، فقد صدقتم ظني
فيكم وأملني عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير • بكم بدأ الله اظهار
أمرنا ، وبكم يتم ويصلحه بحوله وقوته • وقد علمت مشارعتكم الى ما نديتم
اليه ، واجابتكم لما اردتم له ، وارجو ان تبلغوا من ذلك بحسب الامل فيكم ،
ويرفع الله عز وجل بذلك درجاتكم ويعلي به ذكركم • انتم البنون والاخوة
والاقربون ، ما يعد لكم عندي أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر ، وما ذلك
الا لما لي في قلوبكم ما نصر الله وليا من أوليائه قبلنا بمثل نصرتمك لنا ، على
ذلك مضى أمركم ، وعليه انتم على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون
وتنشئون ، وبها غديتم وعليها فطرتم ، فأبشروا بما قسم الله عز وجل من
الفضل لكم ، فانتهم حزب الله ، وأنصاره وجنده وأحبابه •

والله ما اردت بهذا البعث الذي بعثتكم فيه شرا أستدفعه ، ولادفع
مكروه أخافه ، ولا استكثرارا من دنيا أصيبها • اما المكروه ، فقد علم الخاص
والعام والقريب والبعيد ان غاية إمامي من حولنا من أهل الارض من المتغلبين
ممن دان بملة الاسلام والمشركين ان يسلموا منا ، ويعافوا أمر بأسنا ، وما
احد منهم امسى واصبح اليوم — بحمد الله — يطعم في شيء مما عندنا • واما
اكتساب حطام الدنيا ، فهذا نحن ننفق من اموالنا على هذا البعث ما لا نرى
انا نرتجع مثله ، وان مكنتنا الله وأيدنا ونصرنا • ولكننا أردنا بذلك وجوها
منها ، ما افترضه الله عز وجل علينا من جهاد من خالف أمرنا وتسمى باسمائنا،

وادعى ما جعل الله عز وجل لنا • ومنها ان الله عز وجل قد امتحن عباده
بالحجاء في سبيله معنا ، فنحن نبذلهم اليه لنعلم المجاهدين منهم والصابرين ،
وليرفع الله عز وجل به درجاتهم ويجزل مثوباتهم وينقل حالاتهم • فكم منكم
اليوم من ينفذ في هذا الجيش تابعا يعود متبوعا ، ومروءا يصير رئيسا •
انما ترفعكم عندنا وعند ربكم نياتكم واعمالكم ، وبها تتوسلون اليها والى
بارئكم • لولا السنة التي امر الله عز وجل باتباعها - التي لا يصلح العباد
الا بها - ما قدمت عليكم احدا منكم ولا من غيركم ، اذ كل واحد منكم عندي
يستحق ان يكون المقدم • ولكن لا يصلح الناس الا برئيس ، وقد قدمت عليكم
من علمتموه • اقمته فيكم مقام نفسي ، وجعلته معكم كاذني وعيني ، وكل
امرئ منكم على نفسه بصير • وقد امرت لكم بأجزل العطاء ، اعطيته من
قبلكم الى ابعد من مسافتكم ، وقد علمتم انه لم يعط من قبلكم احد قبلي مثل
ما اعطيتمكم ، ولا استكثرتم لكم ذلك ، بل استقله اقلكم • والذي لكم عند
الله وعندني من الذي تستقبلونه اجل واكبر •

فسيروا على بركات الله وفيه وسعاده ونصره وتأيبده • كونوا عندما
رجوكم له من العناء والكفاية وصلاح الحال بينكم • احسنوا عشرة بعضكم
لبعض ، وعشرة من تصحبونه من غيركم • وانزلوا من ينفذ معكم من عبيدي
منازل اخوانكم • واجمعوا معهم كلمتكم ، فكم لكم عضد ولحمة وموالي تجمعونكم
واياهم ، فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقا •

أحسن الله لكم الصحابة وعليكم الخلافة (٧) •

(٧) ابن هبون : المجالس والسيارات ج ١ ورقة ٢٧ - ٣١ • مطبوع بجامعة القاهرة

رقم ٢٠٦٠ •

حديث المعز لدين الله الفاطمي الى المنتصر لله المرداني وشيوخ الصفرية بسجلماسة

« ٠٠٠ يا أهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم في ايام المهدي بالله واقتدر عليكم مرة بعد اخرى ، فعفا عنكم ، واحسن اليكم لحلوله فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم ، كما يرحاه من اجله الله محله من كرم الطباع وحسن صنيع من غير يد كانت له عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه . فصنع واحسن ، وعفا واجمل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهتم بشكره .

ثم نعى فيكم ناعق من الشيطان فليبتموه ، ودعاكم اليه داع فاجبتموه . قام فيكم دعى فيما ادعاه يتوثب على ما تولاها ، وقد عرفتم ، نسبه ودريتم سببه ، فتغلب على ظاهر امركم ، وتحلى بالرياسة والتصنع لكم ، وتسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم . واثتم على علم لا تشكون ويقين لا تمترون ان ذلك لا يجوز له ولا يحل تسليمة . فسلمتموه لمثله له وأطعتموه وتوليتموه واتبعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، وأحدثتم حدثا عظيما في الدين . وانتهى اليها من امركم وامره ما لم يسمعنا تركه والففلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه ، وجهاد من صرف عن دينه وعن سنة رسوله . وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم . فانفضا اليكم جيشا من أوليائنا وانصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم ، وتقدمنا اليه في الاعذار والانذار اليكم في الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم فلم يزل مع طي المراحل نحوكم بتابع الكتب مع رسوله تأكيداً في الحجة عليكم ، مرة بالوعد ومرة بالعيد وتارة باللين وتارة بالتشديد ، يدعوك الى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والضلال ، والقبض على عدو الله فيكم ان تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال ان استطعتموه والبراءة منه وتركه بجانب ان لم تقدروا عليه . ووصلت كتبه اليكم ، وأدى اليكم من اختار به منكم وكل ذلك واثتم على باطلكم مصرون ، وبالفاسق المضل لكم متمسكون .

الى ان وصلت جيوشنا بقرىكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم ، وعابن من عابنكم
من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما انهاه اليه ، وقد علم انه لا طاقة
لكم ولا له بمسكر من عسكرها . فلما نزلت بداركم وانتم مع الغاسق على ما
انتم عليه ، نهض موليا عنكم وهاربا متسللا بين أظهركم ، وقد كنتم تقدرتون
على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم منعه من ذلك ومن حصاره في داره متى
أحببتموه لو اخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه . لكنكم أقمتهم مصريين على
طاعته وتوليه الى ان نزع عنكم وأقدرنا الله بفضلله واحسانه عليه كعادته الجميلة
بلا صنع لكم ولا لغيركم في ذلك ، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم ، وانتم على
ما انتم عليه من غيبكم وضلالكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم . فسار
عبدنا فيكم بما أمرناه من العفو والصفح والرحمة ، وانصرف عنكم فأحدثتم
بعده ما أحدثتم فماذا تستحقون ان يفعل بكم ؟؟؟ فقال قائلهم : ان يماقب
أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة ، وان يعفى فهو أهل العفو والفضل والرحمة .
فدعا منتصر بن احمد بن المعتز فقربه اليه وأمره بالجلوس . فقبل الأرض
مرارا شكرا لأمير المؤمنين . ثم عطف على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون
أليم العذاب والنكال ، ولكننا للذي جبلنا عليه من الصفع والعفو والرحمة قد
عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا
هذا - وامسى الى منتصر - فقبل وقبلوا الأرض مرارا . . . وأمر بصرفهم الى
موضع أنزلهم فيه وخلع على منتصر وفعل كذلك بجماعة من وجوههم (أ) » .

(أ) ابن حيون : الجلسى والمسائرات ج ١ ورقة ٢٩٨ - ٣٠٤ .

المصادر

أ - المراجع العربية المخطوطة

- (١) ابن أبي كريمة : أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (اواخر القرن الثاني الهجري) : رسالة في احكام الزكاة . مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٥٨٢ ب .
- (٢) ابن حيون المغربي : القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون (ت ٣٦٣ هـ) : شرح الاخبار في فضائل النبي المختار وآله المصطفين الاخبار من الائمة الاطهار عليهم السلام . مخطوط بدار الكتب رقم ٧٠٦٢ ح .
- (٣) اساس التأويل الباطني - مخطوط بدار الكتب رقم ٢٤٣٤٦ ح .
- (٤) المجالس والمسائرات ج ١ ، ٢ - مخطوط بجامعة القاهرة - رقم ٢٦٠٦٠ .
- (٥) ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المافري (ت ٥٤٣ هـ) . القواصم والعواصم - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢٢٠٣١ ب .
- (٦) ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أبو العباس احمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ) . مسالك الابصار ج ٥ - مخطوط بدار الكتب - رقم ٤٣٧٦ ج .
- (٧) ابن وردان : تاريخ الاغالبية في مملكة تونس - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٩٩ بتاريخ - قيمورية .

- ٨) أبو زكريا : يحيى بن أبي بكر (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ٠٠ السيرة وأخبار الأئمة - مخطوط بدار الكتب - رقم ٩٠٣٠ ح .
- ٩) الانصاري : أحمد بن الحسين النائب الانصاري : نفحات النريس والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان - مخطوط بدار الكتب - رقم ١٠٦٧١ ح .
- ١٠) البرادي : أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (ت ٦٩٧هـ) : الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات لأبي العباس الدرجيني : مخطوط بدار الكتب - رقم ٨٤٥٦ ح .
- ١١) رسالة في ذكر كتب الإباضية . مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٧٩١ ب .
- ١٢) البياسي : يوسف بن محمد بن إبراهيم الانصاري (ت ٦٥٣هـ) ٠٠ الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام . مخطوط بدار الكتب - رقم ٨٧٣٩ ح .
- ١٣) جعفر بن أحمد بن عبد السلام : (ت أواخر القرن الحادي عشر الهجري) : إبانة المناهج في نصيحة الخوارج - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢٥٤٩٩ ب .
- ١٤) الخزرجي : جمال الدين أبو الحسن علي بن طاهر (ت ٦٢٣هـ) ٠٠ اخبار الدول المنقطعة - مخطوط بدور الكتب - رقم ٨٩٠ .
- ١٥) الدرجيني : أبو العباس أحمد (ت منتصف القرن السابع الهجري) : طبقات الإباضية ج ١ ، ٢ - مخطوط بدار الكتب - رقم ١٢٥٦١ ح .
- ١٦) التسماني : أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٨هـ) ٠٠ شرح مقدمة أصول العفة - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٥٨٧ ب .
- ١٧) السوفي : أبو عمر عثمان بن خليفة المرغني (ت أواخر القرن السادس الهجري) : شرح السؤالات - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٧٨٩ ب .
- ١٨) الصفري : أبو غانم : مدونة أبي غانم الصفري - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٥٨٢ ب .

١٩) العيني : بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ) : عقد
الجمان في تاريخ اهل الزمان . ج ١١ ، ١٣ ، ١٥ - مخطوط بدار
الكتب - رقم ١٥٨٤ .

٢٠) القاضي عياض : عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) : ترتيب المدارك
وتعريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك . قسم ١ من ج ٢ - مخطوط
بدار الكتب - رقم ٩٦٧٣٠ ح .

٢١) المأمون : الخليفة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد : جغرافية المأمون .
مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٤٩ ط .

٢٢) مجهول : تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والاندلسيين - مخطوط
بدار الكتب - رقم ٤٤١٩ ح .

٢٣) قطعة من كتاب في الاديان والفرق - مخطوط بدار الكتب - رقم
٢٢٢٩٨ ب .

٢٤) كشف الغمة لخبار الامة - مخطوط بدار الكتب - رقم ١٢٩٦٨ ح .

٢٥) محاوراة بين شيعي وخارجي في شأن الشيخين ابي بكر وعمر وشان
الحكمين وما قيل في ذلك - مخطوط بدار الكتب - رقم ١٩٨٨٢ ب .

٢٦) محمد الشطبي المغربي : الجمان في اخبار الزمان - مخطوط بدار
الكتب - رقم ١٤١٦ .

٢٧) المنصوري : ركن الدين بيبرس الدوادار (ت ٧٢٩هـ) : زبدة الفكرة
في تاريخ الهجرة . ج ٤ ، ٥ - مخطوط بجامعة القاهرة - رقم ٢٤٠٢٧ .

٢٨) الناصري : عثمان بن عبد العزيز بن منصور (ت ١٢٥٩هـ) : منهج
المعارج لخبار الخوارج - مخطوط بدار الكتب - رقم ٢١٤٤ تاريخ -
تيمورية .

٢٩) النويري : شهاب الدين احمد (ت ٧٣٢هـ) : نهاية الارب في فنون
الادب . ج ٢٢ ، ٢٦ - مخطوط بدار الكتب - رقم ٥٤٩ معارف عامة .

- ٣٠) النيسابوري : احمد ابراهيم (ت اواخر القرن الرابع الهجري) : استتار
الامام - مخطوط بدار الكتب - رقم ١١٤٩٧ ح ٠
- ٣١) الوسياني : ابو الربيع عبد السلام (ت ٤٧١هـ) : سيرة ابي الربيع بن
عبد السلام الوسياني - مخطوط بدار الكتب - رقم ٩١١٣ ح ٠

ب - المراجع العربية المطبوعة

- ٣٢) ابن الآبار : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي
(ت ٦٥٨هـ) : الحلة السيرة ج ١ ، ٢ القاهرة ١٩٦٣ م ٠
- ٣٣) ابن ابي دينار : ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم القيرواني (ت١٠٩٢هـ):
المؤنس في اخبار افريقية وتونس : تونس سنة ١٣٥٠هـ ٠
- ٣٤) ابن ابي زرع : ابو الحسن بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي (ت ٧٢٠هـ) :
الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس ج ١ ٠ الرباط سنة ١٩٣٦م ٠
- ٣٥) ابن الاثير : محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) :
الكامل ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ٠ القاهرة سنة ١٣٠٣هـ ٠
- ٣٦) ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن مالك (ت ٥٧٨هـ) : الصلة في تاريخ
ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم - ج ١ ، ٢ القاهرة
سنة ١٩٥٥م ٠
- ٣٧) ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي (ت١٣٧٧م):
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج ٢ ٠
- ٣٨) ابن تفرج بردى : جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ج ١ ، ٢ ، ٣ . القاهرة
سنة ١٩٦٣ م .

٣٩) ابن حزم : علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) : جمهرة انساب
العرب . القاهرة سنة ١٩٦٢ م .

٤٠) الفصل في الملل والنحل . القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

٤١) نقط العروس في تاريخ الخلفاء . القاهرة سنة ١٩٥١ م .

٤٢) ابن حماد : محمد بن علي (ت ٦٢٨ هـ) : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم
الجزائر سنة ١٣٤٦ هـ .

٤٣) ابن حوقل : ابو القاسم بن حوقل (ت النصف الثاني من القرن الرابع
الهجري) : المسالك والممالك . لندن سنة ١٨٧٣ م .

٤٤) ابن حيان : حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩ هـ) المقتبس في تاريخ
رجال الاندلس نشر ماشور انطونيا . باريس سنة ١٩٣٧ م .

٤٥) المقتبس في اخبار بلاد الاندلس . تحقيق الحجي التونسي .
بيروت سنة ١٩٦٥ م .

٤٦) ابن خرداذبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حول سنة ٣٠٠ هـ) :
المسالك والممالك . لندن سنة ١٨٨٩ م .

٤٧) ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن الخطيب (السليمانى) (ت ٩٤٠ هـ) :
اعمال الاعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الاسلام - ج ٢ . بيروت
سنة ١٩٥٦ م .

٤٨) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط . وهو الجزء الثالث
من كتاب اعمال الاعلام . الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ م .

٤٩) رقم الحلل في نظم الدول . تونس سنة ١٣١٦ هـ .

٥٠) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) : العبر وديوان المبتدأ

والخبير • المقدمة ، ج ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ • بولاق سنة ١٢٨٤هـ ، القاهرة
سنة ١٩٥٧م •

٥١. ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد (ت ٦٨١هـ) : وفيات
الاعيان ج ١ القاهرة سنة ١٩١٠م •

٥٢. ابن الداية : سيرة احمد بن طولون • برلين سنة ١٨٩٤م •

٥٣. ابن الدلاهي : احمد بن عمر بن أنس العنزي (ت ٤٧٨هـ) : نصوص
من الاندلس من كتاب قرصيع الاخبار وتفرغ الاثار ، والمسالك الى
جميع الممالك • مدريد سنة ١٩٦٥م •

٥٤. ابن رستم : ابو علي احمد بن عمر : الاعلاف النفيسة ج ٧ • ليدن
سنة ١٨٩١م •

٥٥. ابن سعيد : علي بن موسى بن محمد (ت ٦٧٣هـ) : المغرب في حل
المغرب ج ١ • القاهرة سنة ١٩٦٤م •

٥٦. ابن الصغير المالكي : انظر

٥٧. ابن طباطبا : محمد بن علي • الفخري في الاداب السلطانية والدول
الاسلامية القاهرة سنة ١٩٣٨م •

٥٨. ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين (ت ٢٥٧هـ) :
فتوح مصر والمغرب • القاهرة سنة ١٩٦١م •

٥٩. ابن عبد ربه : احمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ) : العقد الفريد ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤
القاهرة سنة ١٩٤٠م •

٦٠. ابن عذارى : محمد بن عذارى المراكشي (نهاية القرن السابع الهجري) :
البيان المغرب في اخبار المغرب ج ١ ، ٢ ، بيروت سنة ١٩٥٠ •

٦١. ابن غلبون : محمد بن خليل : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها
من الاخيار القاهرة سنة ١٣٤٩هـ •

٦٢) ابن فرحون : برهان الدين ابراهيم علي (ت ٧٩٩ هـ) : الدياج المذهب
في معرفة أعيان المذهب . ١٣٥١ هـ .

٦٣) ابن الغرضي : عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٣٠٤ هـ) : تاريخ
العلماء والرواة للعلم بالاندلس ج ١ ، ٢ . القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٦٤) ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد : مختصر كتاب البلدان . ليدن
سنة ١٣٠٢ هـ .

٦٥) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) : الامامة والسياسة ج ٢٠١
القاهرة .

٦٦) المعارف . القاهرة سنة ١٩٦٠ م .

٦٧) ابن القوطية : محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٢٦٧ هـ) : تاريخ افتتاح
الاندلس . بيروت سنة ١٩٥٧ م .

٦٨) ابن كثير : عماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) :
البداية والنهاية ج ٩ .

٦٩) ابن النديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ) : الفهرست . القاهرة سنة
١٣٤٨ هـ .

٧٠) ابو العرب : محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣ هـ) : طبقات علماء افريقية
باريس سنة ١٩١٥ م .

٧١) ابو الفدا : عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ) : المختصر في اخبار البشر
ج ١ ، ٢ . القاهرة .

٧٢) ابو الفرج الاصفهاني : علي بن الحسين بن محمد بن احمد (ت ٣٥٦ هـ) :
مقاتل الطالبين . النجف الاشرف سنة ١٣٥٣ هـ .

٧٣) احمد امين : ضحى الاسلام ج ٣ . القاهرة سنة ١٩٣٦ م .

- (٧٤) احمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس - صحيفة
معهد الدراسات الاسلامية في مدريد - مجلد ٥ - عدد ١ ، ٢ ، سنة
١٩٥٧ م .
- (٧٥) الادريسي : الشريف محمد الادريسي (ت ٥٥٨ هـ) : صفة المغرب
وارض السودان ومصر . لندن سنة ١٨٩٤ م .
- (٧٦) أرشيبيا لدلويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الابيض
المتوسط . القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- (٧٧) أرنولد : سير توماس : الدعوة الى الاسلام . القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
- (٧٨) الأزدي : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨ هـ) : جذوة
المقتبس في ذكر ولاية الاندلس . القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- (٧٩) الاسفرائيني : ابو المظفر الاسفرائيني (ت ٤٧١ هـ) : التبصير في
الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- (٨٠) اسماعيل حامد : « ناشر » : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى . باريس
سنة ١٩١١ م .
- (٨١) الاشعري : ابو الحسن الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .
بغداد سنة ١٩٦٣ م .
- (٨٢) أطفيش : محمد بن يوسف (ت ١٣٠٤ هـ) : الامكان فيما جاز ان يكون
او كان . الجزائر سنة ١٣٠٤ هـ .
- (٨٣) بعض تواريخ اهل وادي ميزاب . الجزائر سنة ١٣٢٦ هـ .
- (٨٤) الاندلسي : محمد بن محمد الاندلسي : الحلل السندسية في الاخبار
التونسية . تونس سنة ١٢٨٧ هـ .
- (٨٥) الانصاري : احمد النائب : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ج ١ .

بيروت •

٨٦) الباجي المسعودي : محمد الباجي المسعودي (ت ١٢٥٣ هـ) • الخلاصة

النقية في أمراء افريقية • تونس سنة ١٢٨٣ هـ •

٨٧) باسيه : رينيه R. Basset : مادة ادريس بدائرة المعارف الاسلامية

مجلد ١ •

٨٨) برنارد لويس : اصول الاسماعيلية • القاهرة سنة ١٩٤٧ م •

٨٩) البغدادي : عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) : الفرق بين

الفرق • القاهرة •

٩٠) البكري : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٦٠ هـ) : المغرب في

ذكر بلاد افريقية والمغرب • باريس سنة ١٩١١ م •

٩١) البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٤٨ هـ) : انساب الاشراف

ج ١١ • جريفز فالد سنة ١٨٨٣ م •

٩٢) انساب الاشراف ج ١ • القاهرة سنة ١٩٥٩ م •

٩٣) فتوح البلدان ج ١ • القاهرة سنة ١٩٥٦ م •

٩٤) البلوي : ابو عبد الله بن محمد المديني (ت حول منتصف القرن الرابع

الهجري) : سيرة احمد بن طولون • دمشق سنة ١٣٥٨ هـ •

٩٥) البوعياشي : احمد بن عبد السلام • الريف بعد الفتح الاسلامي •

تطوان سنة ١٩٥٤ م •

٩٦) يوفيل : المالك الاسلامية في غرب افريقية واثرها في تجارة الذهب عبر

الصحراء • القاهرة سنة ١٩٦٨ م •

٩٧) التجاني : عبد الله بن محمد بن احمد (ت ٧١٧ هـ) : رحلته • تونس

سنة ١٩٥٨ م •

٩٨) الجريبي : محمد ابو راس (ت ١٢٢٢هـ) : مؤنس الاحبة في اخبار
جربة • تونس ١٩٥٨م •

٩٩) الجزنائي : علي الجزنائي (ت أواخر القرن الثامن الهجري) : زهرة
الاس في بناء مدينة فاس • الجزائر سنة ١٩٢٣م •

١٠٠) حامد عمار (دكتور) : علاقات الدولة المملوكية بالدولة الافريقية -
رسالة ماجستير •

١٠١) حسن ابراهيم حسن (دكتور) : انتشار الاسلام في القارة الافريقية •
القاهرة سنة ١٩٦٤م •

١٠٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية • القاهرة سنة ١٩٥٨م •

١٠٣) تاريخ الاسلام السياسي : ج ١ ، ٢ ، ٣ القاهرة سنة
١٩٥٨م •

١٠٤) عبيد الله المهدي سنة ١٩٤٧م •

١٠٥) حسن احمد محمود (دكتور) : انتشار الاسلام والثقافة العربية في
افريقية • القاهرة سنة ١٩٦٣م •

١٠٦) قيام دولة المرابطين • القاهرة سنة ١٩٥٧م •

١٠٧) حسن الباشا (دكتور) : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق
والاثار • القاهرة سنة ١٩٥٧م •

١٠٨) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية
التونسية • ج ١ ، ٢ •

١٠٩) حسن علي حسن عبد العواد : دولة الادارسة بالمغرب - رسالة
ماجستير •

١١٠) حسين مؤنس (دكتور) : فجر الاندلس •

- (١١١) : ثورات البربر في افريقية والاندلس - مجلة كلية الاداب
جامعة فؤاد الاول مجلد ١٠ ج ١ - مايو سنة ١٩٤٨ م .
- (١١٢) الحميري : محمد عبد الله بن عبد المنعم (ت القرن التاسع الهجري) :
صفة جزيرة الاندلس • القاهرة ١٩٣٧ م .
- (١١٣) الخشنى : محمد بن الحارث بن أسد (٣٦٦ هـ) : طبقات علماء
افريقية • باريس سنة ١٩١٥ م .
- (١١٤) الدباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري (ت ٦٩٦ هـ) :
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان - ج ١ ، ٢ ، ٣ • تونس سنة
١٣٣٠ هـ .
- (١١٥) ديمومبين : G. Dymombynes : مادة بني الاغلب بدائرة المعارف
الاسلامية - مجلد ٢ .
- (١١٦) الدينوري : احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) : الاخبار الطوال .
- (١١٧) الرازي : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين القاهرة ١٩٣٨ م .
- (١١٨) الرفاعي : عبد الله محمد سراج الدين (ت ٨٨٥ هـ) : صحاح الاخبار
في نسب السادة الفاطمية الاخيار • بمباي سنة ١٣٠٦ هـ .
- (١١٩) الرقيق : ابراهيم بن القاسم القيرواني (ت النصف الاول من القرن
الخامس الهجري) تاريخ افريقية والمغرب • تونس سنة ١٩٦٨ م .
- (١٢٠) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى .
رسالة ماجستير .
- (١٢١) سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : تاريخ المغرب العربي • القاهرة
سنة ١٩٦٥ م .

- ١٢٢) سعيد بن بطريق : المطريرك أفيتشيوس (ت ٣٢٨ هـ) : التاريخ
المجموع على التحقيق والتصديق • بيروت سنة ١٩٥٥ م .
- ١٢٣) سعيد بن مقديش : نزهة الانظار •
- ١٢٤) السلاوي : احمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٩ هـ) : الاستقصا لاخبار
دول المغرب الاقصى ج ١ • الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م •
- ١٢٥) سلفا توركوسا (ناشر) : تواريخ مدينة فاس •
- ١٢٦) سهير القلماوي (دكتور) : ادب الخوارج في العصر الاموي - رسالة
ماجستير - القاهرة ١٩٤٥ م •
- ١٢٧) السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : المغرب الكبير • القاهرة سنة
١٩٦٦ م •
- ١٢٨) : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس • القاهرة سنة
١٩٦٢ م •
- ١٢٩) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) : تاريخ
الخلفاء • القاهرة سنة ١٩٦٤ م •
- ١٣٠) الشماخي : احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٨ هـ) • السير •
القاهرة • طبع حجر •
- ١٣١) الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) • الملل والنحل
ج ١ • القاهرة سنة ١٩٥٦ م •
- ١٣٢) صاعد الاندلسي : صاعد بن احمد (ت ٤٦٢ هـ) : طبقات الامم •
القاهرة سنة ١٩١٥ م •
- ١٣٣) الضبي : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ) : بغية
الملتبس في تاريخ رجال الاندلس • مدريد سنة ١٨٨٤ م •

١٣٤ (الطاهر احمد الراوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا . القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

١٣٥ (الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠) : تاريخ الرسل والملوك . ج ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ . القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

١٣٦ (طه حسين (دكتور) : الفتنة الكبرى ج ١ ، ٢ . القاهرة سنة ١٩٥٩ ، سنة ١٩٦١ م .

١٣٧ (عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج ١ ، ٢ . الرباط سنة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ م .

١٣٨ (عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ج ١ . الدار البيضاء سنة ١٩٦٥ م .

١٣٩ (عبد المنعم ماجد (دكتور) : التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢ . القاهرة سنة ١٩٥٧ م .

١٤٠ (عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب . صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بملريد - مجد ٢ سنة ١٩٥٤ م .

١٤١ (عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٦ هـ) : صلة تاريخ الطبري . القاهرة سنة ١٩٣٩ م .

١٤٢ (علي يحيى ممبر : الاباضية في موكب التاريخ ج ١ . القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

١٤٣ (عمر ابو النصر : الخوارج في الاسلام . بيروت سنة ١٩٥٦ م .

١٤٤ (فلهوزن : يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية . القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

١٤٥ (احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام

(الخواارج والشيعة) • القاهرة سنة ١٩٥٨ م •

(١٤٦) القلقشندي : ابو العباس احمد (ت ٨٢١ هـ) : صبح الاعشى في

صناعة الانشا • ج ٣ ، ٥ ، ١٣ • القاهرة سنة ١٩٢٢ م •

(١٤٧) الكتامي : محمد بن ادريس الحسني (ت ١٣٤٥ هـ) : الازهار العاطرة

الانفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس •

(١٤٨) الكرخي : ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت النصف الاول

من القرن الرابع الهجري) : المسالك والممالك • القاهرة سنة ١٩٦١ م •

(١٤٩) الكندي : محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ) : الولاة والقضاة • بيروت

سنة ١٩٠٨ م •

(١٥٠) كولين G.S. Colin : مادة سجلماسة بدائرة المعارف الاسلامية •

(١٥١) ليفي ديللافيدا : Della Vida : مادة الصغرية بدائرة المعارف

الاسلامية •

(١٥٢) مارسيه G. Marcais : مادة بني رستم بدائرة المعارف الاسلامية •

(١٥٣) المالكي : عبد الله بن ابي عبد الله (نهاية القرن الرابع الهجري) :

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ج ١ • القاهرة

سنة ١٩٥١ م •

(١٥٤) الماوردي : علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ) : الاحكام السلطانية

والولايات الدينية • القاهرة سنة ١٩٦٠ م •

(١٥٥) مبارك الميلي • تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ١ ، ٢ •

الجزائر سنة ١٣٥٠ هـ •

(١٥٦) المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد (ت القرن الثالث الهجري) : الكامل

في اللغة والادب والنحو والتصريف • ج ١ ، ٢ ، ٣ • القاهرة سنة

١٩٣٩ م .

- (١٥٧) مجهول : اخبار مجموعة في فتح الاندلس . مدريد سنة ١٨٦٧ م .
- (١٥٨) : العيون والحدائق في اخبار الحقائق . لندن .
- (١٥٩) مجهول : (ت القرن السادس الهجري) : الاستبصار في عجائب الامصار . الاسكندرية سنة ١٩٥٨ م .
- (١٦٠) : (ت القرن الثامن الهجري) : نبذ تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى . الرباط سنة ١٩٣٤ م .
- (١٦١) محمد أبو زهرة : المذاهب الاسلامية . القاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- (١٦٢) محمد بن تاويت التطوانى : دولة الرستميين اصحاب تاهرت - صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد مجلد ٥ - عدد ٢٠١ سنة ١٩٥٧ م :
- (١٦٣) محمد جمال الدين سرور (دكتور) : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية . القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- (١٦٤) : الدولة الفاطمية في مصر . القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- (١٦٥) محمد ضياء الدين الرئيس (دكتور) : النظريات السياسية الاسلامية . القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- (١٦٦) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ . القاهرة سنة ١٩٤٣ م .
- (١٦٧) محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ، ٣ . القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
- (١٦٨) محمد علي السنوسي (ت ١٢٧٢ هـ) : الدرر السندسية في اخبار السلالة الادريسية . ليبيا سنة ١٣٤٩ هـ .

١٦٩) محمد كامل حسين (دكتور) : في أدب مصر الفاطمية • القاهرة
سنة ١٩٦٣ م •

١٧٠) محمود اسماعيل عبد الرازق - سياسة الاغالبية الخارجية - رسالة
ماجستير •

١٧١) محمود علي مكى (دكتور) : التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك
الطوائف - صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد -
مجلد ٢ - سنة ١٩٥٤ م •

١٧٢) المراكشي : عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ) : المعجب في
تلخيص اخبار المغرب • القاهرة سنة ١٩٤٩ م •

١٧٣) المسعودي : علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب
ومعادن الجواهر • ج ٤ ، ٣ ، ٢ • القاهرة سنة ١٩٦٤ م •

١٧٤) المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨٨ هـ) :
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم • لندن سنة ١٩٠٩ م •

١٧٥) المقرئ : احمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) : نفع الطيب من غصن الاندلس
الوطيب • ج ١ ، ٤ • القاهرة سنة ١٩٤٦ م •

١٧٦) المقرئ : تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥ هـ) : انما الحنفا بأخبار
الائمة الفاطميين الخلفا • القاهرة سنة ١٩٤٨ م •

١٧٧) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار • ج ١ ، ٢ • بولاق
سنة ١٢٧٠ هـ •

١٧٨) نصر بن مزاحم المنقري : أخبار صفين •

١٧٩) النفوسى : سليمان بن عبد الله البارونى (ت ١٣٥٩ هـ) : الازهار
الرياضية في أئمة وملوك الاباضية • ج ٢ •

١٨٠) النويختي : الحسن بن موسى (ت ٢٨٨ هـ) : فرق الشيعة • النجف
سنة ١٩٥١ م •

١٨١) النيسابوري : احمد بن ابراهيم (ت أواخر القرن الرابع الهجري) :
استتار الامام مجلة كلية الاداب بالجامعة المصرية مجلد ٤ ج ٢ -
ديسمبر سنة ١٩٣٦ م •

١٨٢) الورجلاني : يوسف بن ابراهيم : الدليل لاهل العقول • ج ٣ ، ١ ، ٢ •
القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ •

١٨٣) ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٣٦ هـ) :
معجم البلدان - مجلد ١ ، ٣ • طهران سنة ١٩٦٥ م •

١٨٤) اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) : البلدان •
لينن سنة ١٨٩١ م •

١٨٥) : تاريخه ج ٢ ، ٣ • النجف الاشرف سنة ١٣٥٨ هـ •

١٨٦) اليماني : محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي (ت حول أواسط
القرن الخامس الهجري) : كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة •
القاهرة سنة ١٩٥٥ م •

١٨٧) اليماني : مجاهد بن محمد : سيرة جعفر الحاجب • نشر ايفانوف تحت
عنوان مذكرات في حركة المهدي الفاطمي • مجلة كلية الاداب بالجامعة
المصرية - مجلد ٤ - ج ٢ - سنة ١٩٣٦ م •

ج - المراجع الاوروبية

189. Basset, Rene: Les sanctuaires du Diebel Nefousa. Journal Asiatique, Tome 13, 14, Paris, 1899.
190. —————: Recherches sur la religion des Berberes. Revue de l'histoire des religion. Tome 61, Paris, 1910.
191. Bel, Alfred: La religion musulmane en Berberie. Vol. I, Paris, 1938.
192. Bernard, Augustin: Les capitales de la Berberie. Recueil de memoires et de textes public en l'honneur du 14e congres des orientalistes. Alger, 1905.
192. Biquet, Faure: Histoire de L'Afrique septentrionale sous la domination musulmane, Paris.
194. Bonet, Maury: L'Islamisme et le Christianisme en Afrique. Paris, 1906.
195. Brockelmann, Karl: History of the Islamic people. London, 1949.

196. Brumschvig, R: La Tunisie dans le hautmoyen age. Le Caire, 1949.
197. Cambridge Medieval history, Vol. 2.
198. Cherbonneau, M: oDcuments inedits sur l'heretique Abou-Yezid Mokhalled Ibn Kaidad de Tademket. Traduits de la chronique d'Ibn Hammad. Journal Asiatique, Tome 20 Paris, 1852.
199. Conde, History of the dominion of the Arabs in Spain. Vol. I, London.
200. Dachraoui, Farhat: La captivite d'Ibnwasul; le rebelle de Sidjilmassa d'après Le cadí An-Numan. Les Cahiers du Tunisie, 1956.
201. De goeje, M.J: Memoires sur les Carmathes de Bahrin et les fatimids, Leiden, 1886.
202. Despois, Jean: Le Djebel Nefousa. Paris, 1935.
203. Bozy, E; Spanish Islam. London, 1913.
204. Drague, G: Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. Paris, 1951.
205. Farouhy, Dr. A: A Persian dunasty in North Africa, The Rustamides. The Islamic review, April, 1952, England.
206. Fournel; Les Berbers. Vols. 1, 2, Paris, 1875.
207. Gibb: Mohammedanism. London, 1945.
208. Hassan Ibrahim; Relations between the fatimids in North Africa and Egypt and the Omayyads in Spain during the 4th century A.H. Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. Vol. 10, Part, 2. Cairo, 1948.
209. Hitti, P.K: History of the Arabs, London, 1964.
210. Hopkins; Medieval Moslem government in Barbary until the 6th

- century of Hijra, London, 1958.
211. Houdas, O. Essai sur l'écriture Maghrebine. Nouveau melanges vivantes. 2 series, Vol. 19.
 212. Huart, C: Histoires des Arabes. Vol. 1; Paris, 1912.
 213. Idris, H.R: Contribution a l'histoire de l'Ifrikiya. Revue des etudes Islamiques, Annee, 1935, Cahier 2. Paris, 1935.
 214. Ivanovv, W:
 214. Ismaili tradition concerning the rise of the fatimids. Bombay, 1942.

المراجع المنقولة

215. Julien, Andre: histoire de l'Afrique du Nord. Paris, 1931.
216. Lammens, H: Etudes sur le siecle des Omayyades. Beyrouth, 1930.
217. Lane-Poole, S: Catalogue of the collection of Arabic Coins in the British museum, Vol. 4. London, 1879.
218. Catalogue of the collection of Arabic coins presented in the Khedivial library of Cairo. London, 1897.
219. Lavoix, M.H: Catalogue des monnaies musulmane de la Bibliotheque Nationale. «L'Espagne et Afrique». Paris, 1891.
220. Le Tourneau, R: La revolte d'Abou-Yazid aux me siecle. Les chaires de tunisie, 1953. Tunis, 1953.
221. Lewicki, T: Etudes Ibadites Nord Africaine. Warsaw, 1955.
222. ——— De quelques textes inedits en vieux Berbere provenant d'une chronique Ibadites anonyme. Revue des etudes Islami-

- ques, Année 1934, Cahier 3. Paris, 1934.
223. ——— Melanges Berberes Ibadites. Revue des etudes Islamiques Année 1936, Cahier 3, Paris, 1936.
224. ——— Une chronique Ibadites «Kitab-as-syar» D'As-Samachi Revue des etudes Islamiques, Année 1934, Tome 8, Paris, 1937.
225. Mamour, P.H.: Polemics on the origin of the fatimi Caliphs, London, 1934.
226. Marcis, G: L'Afrique du Nord Francaise dans l'histoire, Paris, 1937.
227. ———: La Berberie Musulmane et l'orient au moyenage. Paris, 1946.
228. Marcais, W: Comment L'Afrique du Nord a ete arabise. Annales de L'Institut d'etudes orientales, Année, 1938, Tome 4.
229. Masqueray, E: Chronique D'Abou Zakaria, Alger, 1878.
230. Mercier, E: Histoire de constantine, 1903.
231. ———: Histoire de l'Afrique septentrionale. Vol. I Paris, 1888.
- 232.—Histoire de l'establisement des Arabes dans L'Afrique. Const. 1875.
Septentrionale. Constantine, 1875.
233. Motylinski, A. De. C: Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Rostimides de tahert. Actes du 14 congres internationale des orientalistes. Algiers, 1905, Vol. 3, Part. 2.
234. L'Aqida des Abadhites Actes du congres international des orientalistes, Algiers, 1905.

235. Muir, W: The caliphate its rise, decline and fall Beirut, 1963.
236. O'leary, de lacy: A short history of the fatimid khalifate. London, 1923.
237. Provencal, E.L: Histoire de l'Espagne musulmane. Vol. 1, Algier, 1950.
238. Scott, S.P: History of the Moorish Empire in Europe. Vol. 2, London, 1904.
239. Smith, P: The Ibadites. The Moslem world, Vol. 12, July, 1922.
240. Van Berchem, M. Max: Titres Califiens d'Occident. Journal Asiatique, Tome, 9, Paris, 1907.
241. Variedades: Al-Hakam II y los berbers regum un texto inedito de Ibn Hayyan. Al-Andalus, Vol. 13, Madrid, 1948.
242. Vonderheyden, M: La Berberie orientale sous la dynastie de Benu'L' Arelab. Paris, 1927.
243. Zaki, M. Hassan: Les Tulunides. Paris, 1933.

الدول المستقلة في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
أولا : المصادر السنية	٧
ثانيا : المصادر الشيعية	١٢
ثالثا : مصادر الخوارج	١٥
الباب الاول	
دعوة الخوارج في بلاد المغرب	٢٣
أولا : احوال الخوارج في المشرق الاسلامي	٢٣
ثانيا : بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج	٢٨
ثالثا : انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب	٣٥

الباب الثاني

- ٤٧ ثورات الخوارج في بلاد المغرب في عصر الولاة
 ٤٨ أولا : ثورات الخوارج الصفرية
 ٦٢ ثانيا : ثورات الخوارج الاباضية
 ٧٠ ثالثا : نتائج ثورات الخوارج في بلاد المغرب

الباب الثالث

- ٨١ دول الخوارج في بلاد المغرب
 ٨٢ أولا : دولة بني مدرار الصفرية
 ٨٢ أ - قيام دولة بني مدرار
 ٨٩ ب - سياسة بني مدرار الداخلية
 ٩٣ ج - علاقات بني مدرار الخارجية
 ٩٤ أ - العلاقات العدائية
 ٩٤ (١) بنو مدرار والعباسيون
 ٩٨ (٢) بنو مدرار والاغالبة
 ١٠٠ (٣) بنو مدرار والادارسة
 ١٠٣ ب - العلاقات الودية
 ١٠٣ (١) بنو مدرار والرستميون
 ١٠٥ (٢) بنو مدرار وأمويو الاندلس
 ١٠٧ ثانيا : دولة بني رستم الاباضية
 ١٠٧ أ - قيام دولة بني رستم
 ١١٤ ب - سياسة بني رستم الداخلية
 ١١٦ الدور الاول : الانشقاقات المنهجية
 ١٢٦ الدور الثاني : الصراع القبلي والعنصري

١٣٢	الدور الثالث : النزاع الاسري وفتن الطوائف غير الاباضية
١٣٦	ج - علاقات بني رستم الخارجية
١٣٧	١ - العلاقات العدائية
١٣٧	١) بنو رستم والعباسيون
١٤٠	٢) بنو رستم والاغالبة
١٤٦	٣) بنو رستم والادارسة
١٤٩	ب - العلاقات الودية
١٤٩	١) بنو رستم وأباضية الشرق
١٥٣	٢) بنو رستم وأمويو الاندلس

الباب الرابع

١٥٩	الخوارج والفاطميون في بلاد المغرب
١٥٩	١ - الصفرية والفاطميون
١٥٩	١ - الفاطميون وسقوط دولة بني مدرار
١٦٤	ب - ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي
١٧١	٢ - الاباضية والفاطميون
١٧١	١ - الفاطميون وسقوط دولة بني رستم
١٧٦	ب - ثورات الاباضية على الحكم الفاطمي
١٨١	المرحلة الاولى
١٨٣	المرحلة الثانية
١٨٥	المرحلة الثالثة

الباب الخامس

١٩١	اثر الخوارج في المجتمع المغربي
-----	--------------------------------

١٩١	أولا : الفكر السياسي ونظم الحكم
٢٠٢	ثانيا : الحياة الاقتصادية
٢١٣	ثالثا : الحياة الاجتماعية
٢١٨	رابعا : الحياة الثقافية

الهوامش

٢٢٥	هوامش المقدمة ١ - ٢٥ .
٢٢٧	هوامش الباب الاول ١ - ٢١٦
٢٤٢	هوامش الباب الثاني : ١ - ٢٦٩
٢٦٢	هوامش الباب الثالث ١ - ٦٩٨
٢٩٨	هوامش الباب الرابع ١ - ٣٢٠
٣١٨	هوامش الباب الخامس ١ - ٣٤٩

٣٣٧

الملاحق

٣٤٧	١ - المراجع العربية المخطوطة
٣٥٠	ب - المراجع العربية المطبوعة
٣٦٤	ج - المراجع الأوروبية

